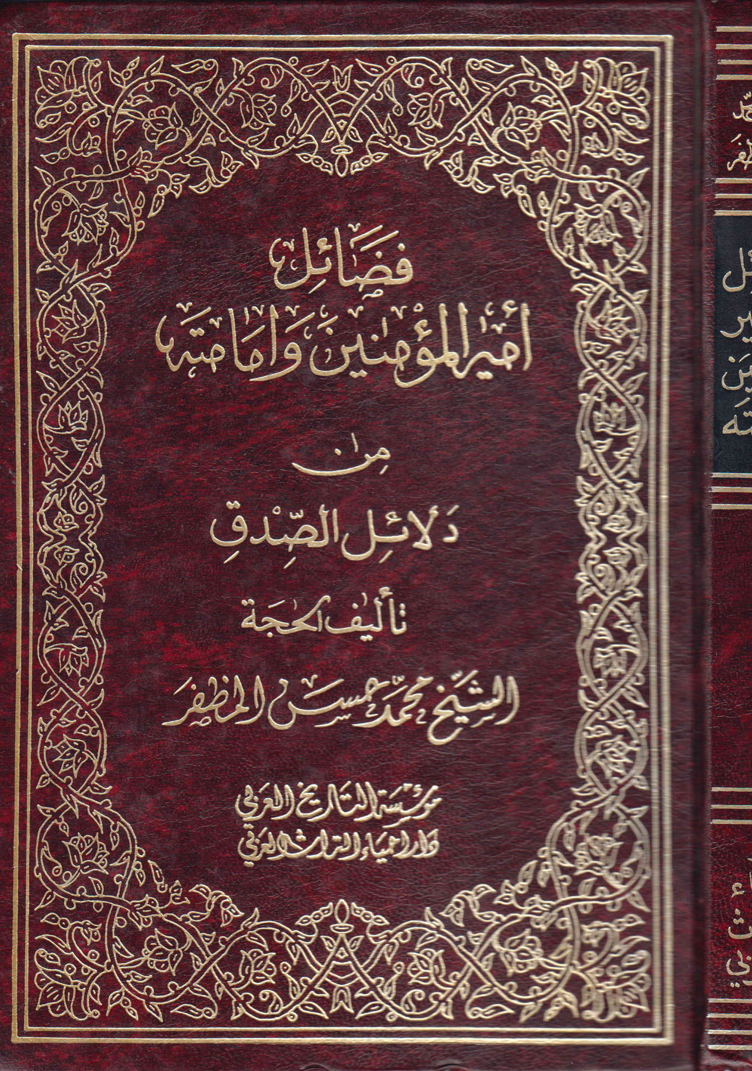


الشيخ محمد حسن المظفر

فضائل أمير المؤمنين وامامته

٢

دار احياء التراث العربي

فضائل أمير المؤمنين وإمامته
من
دلائل الصدق

تأليف الحجة

الشيخ محمد حسن المظفر

الجزء الثاني



دار

إحياء التراث العربي

بيروت - لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيد النبيين وآله المعصومين الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً .

المسألة الخامسة في الامامة
(وجوب عصمة الامام)

قال المصنف قدس الله نفسه

(المسئلة الخامسة في الامامة) وفيها مباحث « الأول » في أن الامام يجب أن يكون معصوماً ، ذهبت الامامية إلى أن الأئمة كالأنبياء في وجوب عصمتهم عن جميع القبائح والفواحش من الصغر إلى الموت عمداً وسهواً ، لأنهم حفظة الشرع والقوامون به ، حالهم في ذلك كحال النبي ، ولأن الحاجة إلى الامام إنما هي للانتصاف للمظلوم من الظالم ورفع الفساد وحسم مادة الفتن وأن الامام لطف يمنع القاهر من التعدي ويحمل الناس على فعل الطاعات واجتناب المحرمات ويقيم الحدود والفرائض ويؤاخذ الفساق ويعزِّر من يستحق التعزير فلو جازت عليه المعصية وصدرت عنه انتفت هذه الفوائد وافتقر إلى إمام آخر وتسلسل ، وخالفت السنة في ذلك وذهبوا إلى جواز إمامة الفساق والعصاة والسراق كما قال الزمخشري وهو من أفضل علمائهم (لا كالدوانيقي المتلصص) يشير به إلى المنصور ، فأي عاقل يرضى لنفسه الانقياد الديني والتقرب إلى الله تعالى بامتثال أوامر من كان يفسق طول وقته وهو غائص في القيادة وأنواع الفواحش ويعرض عن المطيعين المبالغين في الزهد والعبادة وقد أنكر الله تعالى بقوله : (أم من هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه هل يستوي الذين يعلمون

والذين لا يعلمون إنما يتذكر اولو الألباب) فالأشاعرة لا يتمشى هـذا على قواعدهم حيث جوزوا صدور القبائح عنه تعالى ومن جملتها الـكذب فجاز الـكذب في هذا القول تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، واما الباقون فانهم جوزوا تقديم المفضول على الفاضل فلا يتمشى هذا الانكار على قولهم أيضاً فقد ظهر ان الفريقين خالفوا الكتاب العزيز .

وقال الفضل

اعلم ان مبحث الامامـة عند الأشاعرة ليست من اصول الديانات والعقائد بل هي عند الأشاعرة من الفروع المتعلقة بأفعال المكلفين والامامة عند الأشاعرة هي خلافة الرسول في إقامة الدين وحفظ حوزة الملة بحيث يجب اتباعه على كافة الامة . وشروط الامام الذي هو أهل للامامة ومستحقها أن يكون مجتهداً في الاصول والفروع ليقوم بأمر الدين ، ذا رأي وبصارة بتدبير الحرب وترتيب الجيوش ، شجاعا قوي القلب ليقوى على الذب عن الحوزة ، عدلا لئلا يجور فان الفاسق ربما يصرف الأموال في أغراض نفسه والعدل عندنا من لم يباشر الـكبائر ولم يصر على الصغائر ، عاقلا ليصلح للتصرفات الشرعية ، بالغاً لقصور عقل الصبي ، ذكراً إذ النساء ناقصات العقل والدين ، حراً قرشياً ، فمن جمع هذه الصفات فهو أهل للامامة والزعامة الـكبرى ، واما العصمة فقد شرطها الشيعة الامامية والاسماعيلية واستدل عليها هذا الرجل بأن الحاجة إلى الامام بالامور المذكورة ، ولو جازت المعصية عليه وصدرت عنه انتفت هذه الفوائد ؛ ونقول ماذا يريد من العصمة ان أراد وجوب الاجتناب في جميع أحواله عن الصغائر والكبائر فلا نسلم لزوم ذلك لأن صدور بعض الصغائر المعفو عنها لاجتنابه عن الكبائر لا يوجب أن لا يكون منتصفاً من الظالم للمظلوم وباقي الامور المذكورة ، وان أراد وجود ملكة مانعة من الفجور فنحن أيضاً نقول بهذه العصمة ووجوبها للامام لأنا شرطنا أن يكون عدلا والعـدل من له ملكة العصمة المانعة من الفجور ، وصدور بعض الصغائر عنه في بعض الأوقات لا يبطل ملكة العصمة لأن الملكة كيفية راسخة في النفس متى يراد صدور الفعل عنـه صدر بلا مشقة وروية وكلفة وصدور خلاف مقتضى الملكة لا ينافي وجود

الملكة لعوارض لايخلو الانسان عنها كصاحب الملكة الخلقية من العفة والشجاعة قد يعرض له مايعرضه إلى إصدار خلاف الملكة ومع ذلك لا تزول عنـه الملكة فالعصمة بمعنى الملكة حاصلة للمجتنب عن الكبائر المصر في تركها وان صدر عنه نادراً بعض الصغائر فاندفع الاشكال ولم يلزم التسلسل كما ذكره ، واما ما قال ان أهل السنة خالفوا ذلك وذهبوا إلى جواز إمامة السراق والفساق فأنت تعلم ان هذا من مفترياته لأن كتب أهل السنة مشحونة بالقول بوجوب عدالة الأئمة فالفاسق كيف يجوز أن يكون عندهم إماماً والحال انه ضد العدل فعلم انه مفتر كذاب ونعم ماقلت فيه شعراً :

اذا مارأى طيباً في الكلام بقاذورة الكذب قد دنسه
يخلط بالطهر انجاسـه فاين المطهر ما انجسه

وأقول

لايخفى ان أصل الشيء أساسه ومايبتني عليه فاصول الدين هي التي يبتني عليها الدين وبالضرورة ان الشهادتين كذلك إذ لايكون الشخص مسلماً إلا بها ، وكذلك الاعتراف بالامام للكتاب والسنة .

اما الكتاب فقوله تعالى : (أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم) فان الاستفهام فيه ليس على حقيقته لاستلزامه الجهل فلا بد أن يراد به الانكار أو التوبيخ وكل منهما لايكون إلا على أمر محقق بالضرورة فيكون انقلابهم بعد موت النبي «ص» محققاً ، ولذا قال انقلبتم بصيغة الماضي تنبيهاً على تحققه ، ومن المعلوم ان الصحابة بعـد موت النبي «ص» لم يعدلوا عن الشهادتين فيتعين أن يراد به أمر آخر وما هو إلا إنكار إمامة أميرالمؤمنين «ع» إذ لم يصدر منهم مايكون وجهاً لانقلابهم عموماً غيره بالاجماع ، فاذا كان إنكار إمامته «ع» انقلابا عن الدين كانت الامامة أصلاً من اصوله ، ولا ينافيه ان الآية نزلت يوم احد حيث أراد بعض المسلمين الارتداد فان سببية نزولهـا في ذلك لاتمنع صراحتها في وقوع الانقلاب بعد النبي «ص» كما يقتضيه الترديد في الآية بين الموت والقتل فان ماوقع يوم احد إنما هولزعم القتل ، وقد فهم ذلك أمير المؤمنين «ع»

فيما رواه ابن عباس (١) قال : (كان علي «ع» يقول في حياة رسول الله «ص» ان الله تعالى يقول : أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم والله لا ننقلب على أعقابنا بعد إذ هدانا الله والله لئن مات أو قتل لاقاتلن على ماقاتل عليه حتى أموت والله اني لأخوه ووليه وابن عمه ووارث علمه فمن أحق به مني) .

واما السنة فنحن لانذكر منها إلا أخبار القوم كعادتنا لتكون حجة عليهم (فنها) ماهو كالآية الشريفة في الدلالة على ارتداد الامة بعد النبي «ص» كروايات الحوض ، ولنذكر منها ماهو صريح بارتداد الامة إلا النادر كرواية البخاري في كتاب الحوض عن النبي «ص» قال : (بينما أنا قائم فاذا زمرة حتى اذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال هلم فقلت أين قال إلى النار والله قلت وما شأنهم قال انهم ارتدوا بعدك على ادبارهم القهقرى ثم اذا زمرة حتى اذا عرفتهم خرج رجل بيني وبينهم فقال هلم قلت أين قال الى النار والله قلت ماشأنهم قال انهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقرى فلاأراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم) فهذه الرواية قد دلت على ارتداد الصحابة إلا القليل الذي هو في القلة كالنعم المهملة المتروكة سدى ، وقد عرفت ان الصحابة لم يرتكبوا مايمكن أن يكون سبباً للارتداد غير إنكار إمامة أمير المؤمنين «ع» فلا بد أن تكون الامامة أصلا من اصول الدين .

و (منها) الأخبار المستفيضة الدالة على أن من مات بلا إمام مات ميتة جاهلية ونحو ذلك ، فتكون أصلا للدين ألبتة كرواية مسلم في باب الأمر بلزوم الجماعة من كتاب الامارة عن ابن عمر قال : (سمعت رسول الله «ص» يقول من خلع يداً من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية) وكرواية مسلم أيضاً في الباب المذكور والبخاري في ثاني أبواب كتاب الفتن عن النبي « ص » قال : (من كره من أميره شيئاً فليصبر عليه فانه من خرج من السلطان شبراً مات ميتة جاهلية) وكرواية أحمد (٢) قال : (قال رسول الله من مات بغير إمام مات ميتة جاهلية)

(١) مستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٢٦ « كتاب معرفة الصحابة » .

(٢) مسنده ج ٤ ص ٩٦ .

إلى نحو ذلك مما لايحصى .

و (منها) الأخبار الكثيرة التي ناطت الايمان بحب آل محمد « ص » والكفر ببغضهم فانها كناية عن الاعتراف بامامتهم وإنكارها للملازمة عادة بين حبهم الحقيقي والاعتراف بفضلهم وبغضهم وإنكاره ولا يراد الحب والبغض بنفسيهما إذ لادخل لهما بماهية الايمان والكفر ، فلا بد أن يكونا كناية عن ذلك ، فلا بد أن تكون الامامة أصلا ، فمن هذه الأخبار ماروواه في الكشاف في تفسير قوله تعالى : (قل لاأسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى) عن النبي «ص» في حديث طويل قال فيه : (ألا ومن مات على حب آل محمد مات مؤمناً ألاومن مات على حب آل محمد مات على السنة والجماعة ألاومن مات على بغض آل محمد مات كافراً) ومثله عن تفسير الثعلبي ، وروى في كنز العمال(١) عن النبي «ص» قال : (أساس الاسلام حبي وحب أهل بيتي) وروى أيضاً (٢) عن ابن عباس (ان النبي قال لعلي يوم المؤاخاة أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هرون من موسى إلا انه ليس بعدي نبي ألا من أحبك حق (٣) بالأمن والايمان ومن أبغضك أماته الله ميتة الجاهلية) وروى أيضاً (٤) عن الطبراني والحاكم في المستدرك (٥) وأبي نعيم عن زيد بن أرقم (ان النبي «ص» قال : من أحب أن يحيي حياتي ويموت موتي ويسكن جنة الخلد التي وعدني ربي فليتولّ علي بن أبي طالب فانه لن يخرجكم من هدىً ولن يدخلكم في ضلالة)وروى بعده نحوه عن جماعة إلا أنه «ص» قال : (فليتولّ علياً وذريته من بعده فانهم لن يخرجوكم من باب هدىً ولن يدخلوكم في باب ضلالة) ويحتمل أن يريد النبي «ص» فيه بتولي علي الالتزام بولايته أي إمامته فيكون دالاً على المطلوب بالصراحة ، ومثله تولي أولاده في الحديث الأخير ، إلى غير ذلك من الأحاديث المستفيضة .

(١) ج ٧ ص ١٠٣ .

(٢) ج ٦ ص ١٥٤ ونحوه عن ابن عمر ج ٦ ص ١٥٥ .

(٣) حف خ ل .

(٤) ج ٦ ص ١٥٥ .

(٥) قد وجدت الحديث في مستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٢٨ .

ويشهد لكون الامامة من اصول الدين ان منزلة الامام كالنبي في حفظ الشرع ووجوب اتباعه والحاجة اليه ورياسته العامة بلا فرق ، وقد وافقنا على انها أصل من اصول الدين جماعة من مخالفينا كالقاضي البيضاوي في مبحث الأخبار وجمع من شارحي كلامه كما حكاه عنهم السيد السعيد «ره» .

واعلم ان العصمة ملكة تقتضي عدم مخالفة التكاليف اللزومية عمداً وخطأ مع القدرة على الخلاف وهي واجبة الثبوت للامام لامور :

(الأول) ماأشار اليه المصنف بقوله : لأنهم حفظة الشرع الى آخره . وحاصله ان الامام حافظ للشرع كالنبي لأن حفظه من أظهر فوائد إمامته فتجب عصمته لذلك لأن المراد حفظه علماً وعملا ، وبالضرورة لايقدر على حفظه بتمامه إلا معصوم إذ لاأقل من خطأغيره ، ولواكتفينا بحفظ بعضه لكان البعض الآخر ملغى بنظر الشارع وهو خلاف الضرورة فان النبي قد جاء لتعليم الأحكام كلها وعمل الناس بها على مرور الأيام وهذا الأمر لم يتعرض الخصم لجوابه .

(الثاني) ماذكره المصنف بقوله : ان الحاجة الى آخره ، وتوضيحه ان الحاجة إلى الامام في تلك الفوائد توجب عصمته وإلا لافتقر إلى إمام آخر وتسلسل ، لأن غير المعصوم اما فاسق أو عادل وبالضرورة ان الفاسق لاتحصل منه تلك الفوائد ولوبالنسبة إلى نفسه فيحتاج إلى غيره والعادل كذلك لأن الصغائر قد تحصل منه لأنها لا تنافي العدالة والكبائر ربما تقع منه أيضاً ولو لأنه قد يفسق فيحتاج إلى إمام آخر يمنعه عن الصغائر والكبائر لو وقعت أو يحترز به عن وقوعها كما ان الخطأ غير مأمون عليه فيحتاج إلى إمام آخر يمنعه عما يخطأ به وان كان معذوراً فان معذوريته لا تصحح تفويت تلك الفوائد وإلا لما كانت موجبة للحاجة إلى الامام (فان قلت) الصغائر مع ترك الكبائر معفو عنها فلا يلزم المنع عنها والكبائر لاتقع من العادل عمداً حتى يجب منعه ولوفرض وقوعها عمداً وجب عزله ونصب غيره واما وقوعها خطأ فهو وانلم يكن مأموناً منه لكن ربما لايوجد فلا يلزم نصب آخرولو وقعت نبهه من يرفع خطأه وان لم يكن إماماً (قلت) العفو عن الصغائر لايرفع حرمتها وإلا لما احتاجت إلى العفو

كما ان السهو عن الكبائر إنما يرفع العقاب فلا بد من الحاجة إلى من يرد فاعلها واما الكبائر مع العمد فلا يمتنع وقوعها من العادل إذ ربما تعرض له الكبيرة نادراً من دون أن تزول ملكته كما انه قد يفسق وهو كثير والالتزام بوجوب عزله حينئذ غير متجه للأخبار الكثيرة الآتية ولامكان أن لايثبت فسقه عند كل أهل الحل والعقد أو يثبت ولكنهم مثله في الفسق أولايمكنهم عزله أو يحصل من عزله ضرر أعظم فتبتلي الامة بامام فاسق لايحصل منه محل الحاجة إلى الامام وهو ناشيء من عدم اعتبار العصمة والاكتفاء بالعدالة ولا سيما مع كون العدالة الواقعية عسرة الاحراز وإنما تثبت ظاهراً. إذ ربما كان العادل في الظاهر فاسقاً في الواقع فتبتلي الامة من أول الامر بامام فاسق فلا يحصل محل الحاجة إلى الامام ولو بالنسبة إلى نفسه فيجب نصب إمام آخر على جميع الوجوه لئلا تفوت الفوائد المطلوبة ويتسلسل ، واما دعوى ان الخطأ ربما لايقع لخلاف المقطوع به عادة ولا ينكر المخالفون خطأ أئمتهم الثلاثة الاول فضلا عن غيرهم ولو سلم عدم القطع به فمع فرض إمكانه عادة يجب نصب إمام آخر يحترز به عن الخطأ المتوقع لئلا تفوت تلك الفوائد التي لاتتدارك مع الخطأ ولو تسامحنا فيها لما وجب نصب الامام لأجلها : قولكم ولو وقع نبهه من يرفع خطأه قلنا اذا فات محل التدارك لم يبق محل للتنبيه وكذا لو لم يحضر من يصلح للتنبيه أو لم يصوب الامام رأيه فلا بد من إمام آخر ويتسلسل .

(الثالث) ان الامام لو عصى لوجب الانكار عليه والايذاء له من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو مفوت للغرض من نصبه ومضاد لوجوب طاعته وتعظيمه على الاطلاق المستفاد من قوله تعالى : (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول واولي الأمر منكم) كما ستعرف .

(الرابع) انه لوصدرت المعصية منه لسقط محله من القلوب فلا تنقاد لطاعته فتنتفي فائدة النصب .

(الخامس) انه لو عصى لكان أدون حالا من أقل آحاد الامة لأن أصغر الصغائر من أعلى الامة وأولاها بمعرفة مناقب الطاعات ومثالب المعاصي أقبح وأعظم من اكبر

الـكبائر من أدنى الامة .

(السادس) قوله تعالى : (إني جاعلك للناس إماماً قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين) فانه دال على كون الامامة من عهد الله تعالى وعلى اعتبار عصمة الامام حين الامامة وقبلها لأن كل عاص ظالم لقوله تعالى : (ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون) وروى السيوطي في الدر المنثور بتفسير هـذه الآية عن ابن اسحق وابن جرير وابن حاتم عن ابن عباس قال : (معناها انه كائن لا ينال عهده من هو في رتبة ظالم ولا ينبغي أن يوليه شيئاً من أمره) وروى أيضاً عن وكيع وعبد بن حميد وابن جرير عن مجاهد قال : (المعنى لا أجعل إماماً ظالماً يقتدى به) « فان قلت » إنما تدل الآية على العصمة حين تولي العهد واما قبله كما ادعيتموه أيضاً فلا لأن الظالم مشتق والمشتق حقيقة فيمن تلبس بالمبدأ بالحال « قلت » المراد بالحال حال ثبوت مبدأ المشتق للذات وتلبسها به والمبدأ هو الظلم لا نيل العهد فيكون الظالم عبارة عن الذات في حين الظلم وان كان زمانه ماضياً وهذا لا دخل له بحال ثبوت العهد .

(السابع) قوله تعالى (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول واولي الأمر منكم) فانه تعالى أوجب طاعة اولي الأمر على الاطلاق كطاعته وطاعة الرسول وهو لا يتم إلا بعصمة اولي الأمر فان غير المعصوم قد يأمر بمعصية وتحرم طاعته فيها فلو وجبت أيضاً اجتمع الضدان وجوب طاعته وحرمتها ولا يصح حمل الآية على ايجاب الطاعة له في خصوص الطاعات إذ مع منافاته لاطلاقها لا يجامع ظاهرها من إفادة تعظيم الرسول واولي الأمر بمساواتهم لله تعالى في وجوب الطاعـة إذ يقبح تعظيم العاصي ولا سيما المنغمس بأنواع الفواحش ، على ان وجوب الطاعة في الطاعات ليس من خواص الرسول واولي الأمر بل تجب طاعة كل آمر بالمعروف فلا بد أن يكون المراد بالآية بيان عصمة الرسول واولي الأمر وانهم لا يأمرون ولا ينهون إلا بحق ، وقد أقر الرازي في تفسيره بدلالة الآية على عصمة اولي الأمر لـكنه زعم ان المراد بهم أهل الاجماع ، وفيـه مع ان المنصرف من اولي الأمر من له الزعامة ان ظاهر الآية إفادة عصمة كل واحد منهم لا لمجموعهم لأن ظاهرها ايجاب طاعة كل واحد منهم ، على ان العمل بمقتضى الاجماع ليس من باب

الطاعة لهم لأن الاجماع من قبيل الخبر الحاكي .

وأشكل الرازي على إرادة أئمتنا الأطهار من اولي الأمر بامور (الأول) ان طاعة الأئمة المعصومين مشروطة بمعرفتهم وقدرة الوصول اليهم فلو وجب علينا طاعتهم قبل معرفتهم كان هذا تكليف مالا يطاق ولو وجب علينا طاعتهم اذا صرنا عارفين بهم وبمذاهبهم صار هذا الايجاب مشروطاً، وظاهر قوله تعالى : (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول واولي الأمر منكم) يقتضي الاطلاق ، وفيه « أولا » النقض بطاعة الله ورسوله «ص» وطاعة أهل الاجماع بناء على انهم المراد من اولي الأمر و « ثانياً » الحل بأن نقول ان وجوب طاعة الأئمة ليس مشروطاً بمعرفتهم وقدرة الوصول اليهم بل مطلقاً كطاعة الله ورسوله فيجب تحصيل معرفتهم ومذهبهم مقدمة لطاعتهم ، فلا يلزم ماذكره من تكليف مالا يطاق ولاصيرورة الايجاب مشروطاً ومعرفة الأئمة ممكنة لوجود الأدلة على إمامتهم كما يمكن أخذ الأحكام عنهم كالنبي « ص » لوجود الرواة عنهم وان لم يصل المكلف إلى شخص الامام والنبي «ص» .

(الأمر الثاني) انه تعالى أمر بطاعة اولي الأمر واولو الأمر جمع وعندهم لا يكون في الزمان إلا إمام واحد وحمل الجمع على الفرد خلاف الظاهر ، وفيه ان المراد هو الجمع ولكن بلحاظ التوزيع في الأزمنة ولا منافاة فيه للظاهر .

(الثالث) انه تعالى قال : (فان تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول) ولو كان المراد باولي الأمر الامام المعصوم لوجب أن يقال : فان تنازعتم في شيء فردوه إلى الامام ، وفيه ان الرد إلى اولي الأمر أيضاً مأمور به لكن اكتفى عن ذكرهم في آخر الآية بما ذكره في أولها من مساواة طاعتهم لطاعة الله ورسوله «ص» .

فاذا عرفت معنى العصمة وأدلة وجوبها عرفت ان الفضل قد خلط في معناها وأخطأ في تجويز الصغائر على الامام حتى بلحاظ خصوص الدليل الثاني الذي اختص كلامه فيه ، إذ من جملة فوائد الامام وجهات الحاجة اليه منع المحرمات فلو فعلها هو احتاج إلى إمام آخر يمنعه ويتسلسل ، وان فرض حصول الفوائد الاخر منه من الانتصاف للمظلوم ونحوه ، على ان خلاف الانتصاف ربما يكون من الصغائر فلا تحصل هذه الفائدة

وكذا جملة من غيرها من الفوائد ، ودعوى ان ترك الصغائر ليس من محل الحاجة إلى الامام باطلة ضرورة ان تركها مطلوب للشارع ومن نظامه الشرعي المطلوب تنفيذه كما عرفت .

(بقي الكلام) فيما ذكره الخصم من شروط الامام فنقول اشترطها جماعة منهم وخالف آخرون كما يدل عليه ماذكره صاحب المواقف وشارحها فانهما بعد ماذكرا اشتراط الاجتهاد في الاصول والفروع والشجاعة والبصارة بتدبير الحرب والسلم قالا : (وقيل لايشترط هذه الثلاثة لأنها لاتوجد الآن مجتمعة واذا لم توجد كذلك فاما أن يجب نصب فاقدها فيكون اشتراطها عبثاً أو يجب نصب واجدها فيكون تكليفاً بما لا يطاق أولا يجب هذا ولا ذاك فيكون اشتراطها مستلزماً للمفاسد التي يمكن دفعها بنصب فاقدها) انتهى ملخصاً ، وبمقتضى سكوت صاحب المواقف عن الرد على هذا الكلام يستفاد موافقته عليه وانه ممن لايشترط هذه الثلاثة ، نعم أجاب عنه الشارح (بانا نختار عدم الوجوب مطلقاً لكن للامة أن ينصبوا فاقدها دفعاً للمفاسد) وفيه انهم اذا نصبوه فاما أن يجب ترتيب آثار الامامة عليه فحينئذ لم يكن وجه لاشتراطها وان لم يجب فلا فائدة فيه ، هذا ويمكن اجراء نحو هـذا الكلام في جميع الشروط فتنتفي شرطيتها جميعاً ، ونقل السيد السعيد « ره » عن الاسفراني الشافعي في كتاب الجنايات انه قال : (وتنعقد الامامة ببيعة أهل الحل والعقد) إلى أن قال : (وبالقهر والاستيلاء ولو كان فاسقاً أو جاهلا أو أعجمياً) ونقل أيضاً عن صاحب الوقاية في فقه الحنفية انه قال : (لايحد الامام حد الشرب لأنه نائب من الله تعالى) ونقل عن شارح العقائد النسفية انه قال : (لا ينعزل الامام بالفسق والجور لأنه قد ظهر الفسق والجور من الأئمة والامراء بعد الخلفاء والسلف وكانوا ينقادون لهم ويقيمون الجمع والاعياد باذنهم) فظهر من هذه الكلمات ونحوها انه لا يشترط عند كثير منهم تلك الشروط بل يظهر من كلام شارح العقائد النسفية دعوى الاجماع على عدم اعتبار العدالة في الامام دواماً ، والظاهر انه لاخصوصية للعدالة ولا للدوام بل كل الشرائط كذلك ابتداء ودواماً لانهم ينقادون لمن فقد أي شرط كان ويخاطبونه بامرة المؤمنين ويحرمون الخروج عليه ويقتلون النفوس بأمره ويقيمون الجمع والاعياد باذنه فلا بد أن تكون الشروط التي اشترطوها شروطاً

صناعية جدلية لا عملية . فما نسبه المصنف اليهم من جواز إمامة السراق والفساق صحيح ألبتة ولا سيما بعد انعقاد البيعة وهو الذي يقتضيه إنكار الحسن والقبح العقليين كما اقتضى أيضاً نفي وجوب أن يكون الامام أفضل من رعيته كما ستعرف .

ويصدق ذلك بحيث لا يبقى به ريب أصلا أخبارهم الصحيحة عندهم التي عليها المعول بينهم الآمرة بالسماع والطاعة لسلاطين الجور والضلالة وقــد سبق بعضها في صدر المبحث التي منها ما رواه مسلم عن ابن عمر انه قال بعد حادثة الحرة وفعل يزيد فيها الافعال الشنيعة (سمعت رسول الله « ص » يقول : من خلع يداً من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية) و (منها) ما رواه البخاري في الباب الثاني من كتاب الفتن ومسلم في باب وجوب طاعة الامراء من كتاب الامارة عن عبادة بن الصامت قال : (دعانا النبي « ص » فبايعناه فكان فيما أخذ علينا أن بايعناه على السمع والطاعة ولا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان) و (منها) ما رواه مسلم في باب الأمر بلزوم الجماعة من كتاب الامارة عن حذيفة من حديث قال فيه النبي « ص » : (يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهداي ولا يستنون بسنتي وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان الانس قال قلت كيف أصنع يا رسول الله قال تسمع وتطيع للأمير وان ضرب ظهرك وبطنك وأخذ مالك) و (منها) ما رواه مسلم في باب الأمر بالوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول من كتاب الامارة عن عبد الرحمن عن عبد الله بن عمرو بن العاص من حديث عن النبي « ص » قال فيه : (من بايع إماماً فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه ان استطاع فان جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر) إلى أن قال عبد الرحمن : (فقلت له هذا ابن عمك معاوية يأمرنا أن نأكل أموالنا بيننا بالباطل ونقتل أنفسنا والله تعالى يقول : (يأيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض ولا تقتلوا أنفسكم) قال فسكت ساعة ثم قال أطعه في طاعة الله واعصه في معصية الله) إلى غير ذلك من أخبارهم المستفيضة المصرحة بأن من الأئمة أئمة جور وتجب طاعتهم وأقرارهم على امرتهم ومن خرج عن طاعتهم شبراً مات ميتة جاهلية ، وما ألطف ما شهد به عبد الرحمن وأقرّ

به عبدالله فى حق معاوية وهو خيرة أعتهم بعد الثلاثة فيابشراهم به وبابنه يزيد .

فمع هذه الأخبار ونحوها من الاخبار المعتبرة المعول بها عندهم كيف تصح دعوى انهم يشترطون واقعاً تلك الشروط في الامام ، فالظاهر ان من يشترطها إنما يريد بها دفع الاستبشاع والمحافظة على الخلفاء الثلاثة ببيان انهم ممن جمع هذه الشروط وإلا فما فائدة شروط لا يتبعونها في سلاطينهم ولا تنطبق عندهم على خليفة سوى الثلاثة إلا النزر الاندر ولذا عجزوا عن تطبيق حديث الاثنى عشر خليفة على سلاطينهم ورووا ان ما بعد الثلاثين سنة ملك عضوض لاخلافة .

ولو سلم انهم يشترطونها واقعاً فأكثرها لاغ اما لعدم اعتباره أو لعدم كفايته في الامام . فمن الاول (البلوغ) فان الحق عدم اعتباره إذ ليست الامامة بأعظم من النبوة وقد أرسل الله عيسى ونبأ يحيي طفلين ، لكن لما جعلوا الامامة بالاختيار كان لاشتراطهم البلوغ وجه ، ومن الثاني (العدالة) لما عرفت من عدم كفايتها عن العصمة وكذا (الشجاعة والعقل والبصارة في تدبير الحرب والسلم) لما سيأتي في المبحث الآتي من اعتبار أفضلية الامام في جميع صفات الكمال ، فلابد أن يكون أشجع الناس وأعقلهم وأبصرهم في الامور ولا يكفي ثبوت أصل الشجاعة والعقل والبصارة فقط ، وكذا (الاجتهاد) ضرورة انه لا يكفي في النيابة عن الرسول بل لا بد أن يكون عالماً بجميع أحكام الشريعة علماً يقينياً لأن الله سبحانه قد بلغ نبيه «ص» أحكاماً أتمها وأجراها على امته إلى يوم الدين ولا شك ان الاجتهاد لا يوصل اليها دائماً لوقوع الخطأ فيه فلا يمكن أن لا يجعل الله لنا إماماً عالما بجميع الاحكام ويحيلنا على من لا طريق له إلا الظن والظن لا يغني من الحق شيئاً ، على انه اذا أخطأ الامام في حكم أو موضوع فاما أن يلزم الناس السكوت عن خطأه فيلزم الاغضاء على القبيح وربما يجتهد في تحليل الحرام وما يوجب الضرر والفساد فلا تحصل به الفائدة المطلوبة في الامام ، واما أن يلزم رده وهو ربما يوقع فى الشقاق .

نعم بقية الشروط التي ذكرها صحيحة اما (الحرية) فلأن المملوكية نقص فى الشأن والتصرف ، واما (القرشية) فلأنها وان لم يحكم بها العقل إلا انه لما اتفق ان

الأئمة من قريش ومن آل رسول الله صح جعلها شرطاً بهذا الاعتبار كما أخبر النبي «ص» (بأنه لا يزال هذا الأمر في قريش وان الأئمة اثنى عشر) وأوجب التمسك بعترته كما ستعرف إن شاء الله تعالى ، وقد خالف عمر هذا الشرط وقول رسول الله «ص» إذقال (لو كان سالم حياً ماجعلتها شورى) ونحوه في حق معاذ كما سيأتي في مطاعن الصحابة واما (الذكورة) فلأن النفوس لاتنقاد غالباً إلى المرأة فلا يحصل منها الغرض من الامامة لكن بعض القوم كابن حزم في الملل والنحل (ج ٤ ص ١١) اختار نبوة ام موسى ومريم وام اسحاق فيلزمه عدم اشتراط الذكورية في الأمام للأولوية ، وتعليل الفضل بأن النساء ناقصات العقل والدين باطل إذ كم امرأة أعقل من أكثر الرجال بل بعضهن بالغات مرتبة العصمة والكمال كما ورد في أخبارنا في حق الزهراء وخديجة ومريم وآسية وروى مسلم في فضائل خديجة عن النبي «ص» قال : (كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء غير مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون) والظاهر انه قد سقط ذكر خديجة من الحديث وإلا فلا معنى لروايته في فضائلها ولا بد أن تكون الزهراء أكمل من هذه الثلاث لما رواه البخاري وغيره انها سيدة نساء أهل الجنه كما ستعرف بل لايبعد سقوط ذكر الزهراء كخديجة من الحديث وإنما جعلت شهادة المرأتين عن شهادة رجل واحد جرياً على الغالب من نقصان عقل المرأة ، واما ماذكره من انهن ناقصات الدين فلا ينافي امامتهن لأنه مفسر في الأخبار بقعودهن عن الصلاة والصوم أيام الحيض والنفاس كما رواه البخاري في كتاب الحيض في باب ترك الحائض الصوم ، فقد ظهر ان جملة من كلمات القوم وصحاح أخبارهم تقتضي جواز إمامة الفساق والسراق كما ذكره المصنف « ره » .

(الامام أفضل من رعيته)

قال المصنف أعلى الله مقامه

﴿المبحث الثاني﴾ فى ان الامام يجب أن يكون أفضل من رعيته ، اتفقت الامامية على ذلك وخالف فيه الجمهور فجوزوا تقديم المفضول على الفاضل وخالفوا مقتضى العقل

ونص الكتاب فان العقل يقبح تقديم المفضول واهانة الفاضل ورفع مرتبة المفضول وخفض مرتبة الفاضل ، والقرآن نص على إنكار ذلك فقال تعالى : (أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أم من لا يهدي إلا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون) وقال تعالى : (هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر اولو الالباب) وكيف ينقاد الاعلم الازهد الاشرف حسباً ونسباً للأدون في ذلك كله .

وقال الفضل

المراد من كون الامام أفضل من الرعية ان كان كونه أحسب وأنسب وأشرف وأعرف وأعف وأشجع وأعلم فلا يلزم وجوبه عقلا كما ادعاه على تقدير القول بالوجوب العقلي لأن صريح العقل يحكم بأن مدار الامامة على حفظ الحوزة والعلم بالرياسة وطريق التعيش مع الرعية بحيث لا يكون فظاً غليظاً منفراً ولا سهلا يستولي عليه الرعية ويكون حامي الذمار ويكفيه من العلم مايشترط القوم من الاجتهاد وكذا الشجاعة والقرشيه في الحسب والنسب وان وجد في رعيته من كان في هذه الخصال أتم ولا يكون مثله في حفظ الحوزة فالذي يكون أعلم بتدبير حفظ الحوزة فالعقل يحكم بأنه هو الاولى بالامامة وكثير من المفضولين يكونون أصلح للامامة من الفاضلين إذ المعتبر في ولاية كل أمر والقيام به معرفة مصالحه ومفاسده وقوة القيام بلوازمه ورب مفضول في علمه وعمله وهو بالزعامة أعرف وبشرائطها أقوم وعلى تحمل أعبائها أقدر ، وان أراد بالافضل أن يكون اكثر ثواباً عند الله تعالى فهذا أمر يحصل له الشرف والسعادة ولا تعلق له بالزعامة والرياسة ، وان أراد بالافضل الاصلح للامامة لكونه أعلم بحفظ الحوزة وتدبير المملكة فلا شك انه أولى ولا يجب التقديم اذا حصل حفظ الحوزة بالادون بل الاولى والانسب تقديم هذا اذا لم يسبق عقد بيعة فان سبق وكان في تغييره مظنة فتنة فلا يجوز التغيير ، هذا جواب مااستدل به على هذا المطلب من لزوم القبح العقلي مع انا غير قائلين به ، واما ما استدل به من الآية فهو يدل على عدم استواء العالم والجاهل وعدم استواء الهادي والمضل والمهتدي والضال ، وهذا أمر مسلم فذلك الفاضل الذي

لم يصر إماماً وصار المفضول إماماً يترجح على المفضول بالعلم والشرف ولكن المفضول اذا كان أحفظ لمصالح الحوزة وأصلح للامامة فهو أحق بالامامة والفاضل على فضله وشرفه ولامحذور في هذا ؛ ومن الأشاعرة من فصل في هذه المسئلة وقال نصب الأفضل ان أثار فتنة لم يجب كما اذا فرض ان العسكر والرعايا لاينقادون للفاضل بل للمفضول وإلا وجب .

وأقول

لايخفى ان رياسة الامام رياسة دينية وزعامة الهية ونيابة عن الرسول في أداء وظائفه فلا تكون الغاية منها مجرد حفظ الحوزة وتحصيل الأمن في الرعية وإلا لجاز أن يكون الامام كافراً أو منافقاً أو أفسق الفاسقين اذا حصلت به هذه الغاية ، بل لابد أن تكون الغاية منها تحصيل مابه سعادة الدارين كالغاية من رسالة الرسول وهي لاتتم إلاأن يكون الامام كالنبي معصوماً وأحرص الناس على الهداية وأقربهم للاتباع والانتفاع به في امور الشريعة والآخرة وأحفظهم للحوزة وحقوق الرعية وسياستها على النهج الشرعي فلابد أن يكون فاضلا في صفات الكمال كلها من الفهم والرأي والعلم والحزم والكرم والشجاعة وحسن الخلق والعفة والزهد والعدل والتقوى والسياسة الشرعية ونحوها ليكون أقرب للاتباع له وتسليم النفوس له والاقتفاء لآثاره فيحصل لهم مع حفظ الحوزة السعادة بكمال الايمان وشرف الفضائل وخير الدارين وهي الغاية من رسالة الرسول فاتضح انه يجب أن يكون الامام أفضل من الرعية في جميع المحامد كما هو مراد المصنف ولعله مراد الفضل بالوجه الأول ؛ وحينئذ فلا يصح رده على المصنف بقوله : (لأن صريح العقل يحكم بأن مدار الامامة على حفظ الحوزة) الخ فان هذا وحده لايكفي في نيابة الرسول ولا سيما اذا رأى الأمير ارتفاع ملكه ونفوذ أمره بسحق الدين وقتل المؤمنين واخافتهم وتقريب الطالحين كما وقع في العصر الأول وعلى نحوه توالت العصور ، ومنه يعلم ان فرض كون المفضول في العلم والعمل أحفظ للحوزة خطأ لأن المطلوب هو الأحفظية على الوجه الشرعي وهي فرع الأعلمية والأعملية بوجوه الحفظ الشرعية ،

هذا والأولى أن لايذكر الفضل شرط أن لا يكون فظاً غليظاً ولا شرط أن لا يكون سهلا ضعيفاً تستولي عليه الرعية فان الأول مضر بامامة عمر والثاني بامامة عثمان ، وبما ذكرنا من وجوب كون الامام فاضلا في جميع صفات الكمال يعلم انه لايصح فرض كونه فاضلا في صفة دون اخرى حتى تتصور المعارضة ويقال بتقديم صاحب الصفة التي هي أمس بالامامة كما فعل الفضل .

واعلم ان الامام اذا كان فاضلا في صفات الكمال يلزم أن يكون أطوع لله وأكثر عملا بالبر والخير فلا بد أن يكون اكثر ثواباً ، فحينئذ لو اريد بالأفضل الاكثر ثوابا من حيث لزومه للأفضل في صفات الكمال كان متجهاً ولم يرد عليه ما ذكره الفضل على انه غير مراد المصنف ، كما لايريد مااحتمله الفضل ثالثاً لما عرفت من أن الصلوح للامامة عند المصنف إنما يكون بالعصمة والفضل بسائر الصفات الحميدة لا بالأعلمية بحفظ الحوزة فقط ، على ان قوله : (لا يجب التقديم اذا حصل حفظ الحوزة بالأدون) ظاهر البطلان لأن العقل يقبح تقديم المفضول بالصلوح للامامة على الأفضل فيه ، فلا يصح حينئذ سبق العقد المفضول حتى يكون في تغييره مظنة فتنة ، لكن القوم أنكروا الحسن والقبح العقليين ، وعليه فما معنى اشتراطهم اجتهاد الامام وعدالته إلى غيرهما من الشروط المتقدمة سوى القرشية التي قالوا بورود الشرع بها .

واما ماأجاب به عن الآيتين فخطأ ظاهر إذ لايراد بهما مجرد نفي المساواة بين العالم والجاهل أو بين الهادي وغيره كما تخيله الفضل فان نفي المساواة بينهما ضروري غير محتاج إلى البيان ولا يمكن أن يقول عاقل بالمساواة حتى ينكر عليه ، بل المراد هو الانكار على عدم ترتيب أثر الفرق بينهما وعدم اتباع الافضل كما هو صريح الآية الاولى إذ أنكرت على من لايقول بأن الهادي أحق بالاتباع ممن لايهتدي إلا أن يهدى ، ولا يخفى ان القوم لم يوجبوا تقديم الاعلم مع المساواة في الحفظ وكفاهم فيه مخالفة للكتاب العزيز ، هذا ولا يعتبر أن يكون الامام أشرف الناس في الجهات الدنيوية من الجاه والمال والسلطان وان كانت مقربة للاتباع لأن المطلوب هو الاتباع والايمان الحقيقي لا مجرد الطاعة الظاهرية ، كما لا يعتبر أن لايساويه أحد في صحة النسب وإنما يعتبر أن لا يفضله

فيه أحد إذ لا تنافي المساواة فيه حسن التبعة اذا كان أشرف حسباً ولذا جاز أن يكون للامام اخوة من امه وأبيه ، فتدبر وعلى الله التوفيق .

(طريق تعيين الامام)

قال المصنف قدس الله روحه

﴿ المبحث الثالث ﴾ في طريق تعيين الامام : ذهبت الامامية كافة إلى أن الطريق إلى تعيين الامام أمران (الأول) النص من الله تعالى أو نبيه أو إمام ثبتت إمامته بالنص عليه أو ظهور المعجزة على يده ، لأن شرط الامامة العصمة وهي من الامور الخفية الباطنة التي لا يعلمها إلا الله تعالى ، وخالفت السنة في ذلك وأوجبوا اطاعة أبي بكر على جميع الخلق في شرق الارض وغربها باعتبار متابعة عمر بن الخطاب له برضى أربعة : أبي عبيدة بن الجراح وسالم مولى أبي حذيفة وبشير بن سعد واسيد بن حضير لا غير ، فكيف لمن يؤمن بالله واليوم الآخر ايجاب اتباع من لم ينص الله عليه ولا رسوله ولا اجتمعت الامة عليه على جميع الخلق لاجل مبايعة أربعة نفر بل ذهب الجويني وكان من اكثرهم علماً وأشدهم عناداً لأهل البيت عليهم السلام إلى أن البيعة تنعقد لشخص واحد من بني هاشم اذا بايعه رجل واحد لا غير ، فهل يرضى العاقل لنفسه الانقياد إلى هذا المذهب وان يوجب على نفسه الانقياد وبذل الطاعة لمن لا يعرف عدالته ولا يدري حاله من الايمان وعدمه ولا عاشره ليعرف جيده من رديه وحقه من باطله لأجل ان شخصاً لا يعرف عدالته بايعه ، وهل هذا إلا محض الجهل والحمق والضلال عن سبيل الرشاد ، نعوذ بالله من اتباع الهوى وغلبة حب الدنيا ، ومن أغرب الأشياء وأعجبها بحث الاشاعرة عن الامامة وفروعها وعن الفقه وتفاصيله مع تجويز أن يكون جميع الخلق على الخطأ والزلل وأن يكون الله تعالى قد قصد اضلال العبيد بهذه الشرايع والاديان ، فانهم غير جازمين بصدقها ولا ظانين فانه مع غلبة الضلال والكفر وأنواع العصيان الصادرة منه تعالى كيف يظن العاقل أو يشك في صحة الشرايع بل يظن بطلانها

عندهم حملا على الغالب إذ الصلاح في العالم أقل القليل ، ثم مع تجويزهم أن يحرم الله علينا التنفس في الهواء مع الضرورة والحاجة اليه وعدم الغناء عنه من كل وجه ، ويحرم علينا شرب الماء السائغ مع شدة العطش والانتفاع بذلك الماء وعدم التضرر به وانتفاء المفاسد كلها كيف يحصل الجزم بأنه يفعل اللطف بالعبد والمصلحة في إيجاب اتباع هذا الامام

وقال الفضل

اعلم ان الشخص بمجرد صلوحه للامامة وجمعه لشرائطها لا يصير إماماً بل لا بد مع ذلك من أمر آخر ، وإنما تثبت بالنص من الرسول ومن الامام السابق بالاجماع ، وتثبت ببيعة أهل الحل والعقد عند أهل السنة والجماعة والمعتزلة والصالحية من الزيدية خلافاً للامامية من الشيعة فانهم قالوا لا طريق إلا النص .

(لنا) ثبوت إمامة أبي بكر ببيعة أهل الحل والعقد كما سيأتي بعد هذا مفصلاً في محاله ، وأما ما ذكر ان خلافة أبي بكر انعقدت ببيعة عمر ورضى أربعة فهذا أمر باطل يكذبه النقول المتواترة وإجماع الامة فان خلافة أبي بكر انعقدت يوم السقيفة بمحضر من أرباب الحل والعقد وهم كانوا ذلك اليوم جماعة الانصار سيما الخزرج لأن المراد من أهل الحل والعقد امراء العساكر ومن لم يتم أمر الامارة والخلافة بغير رضاهم وكانوا في ذلك الوقت جماعة الانصار أهل الحل والعقد بهذا المعنى ، وهل اختلف رجل واحد من زمان الصحابة إلى اليوم من أرباب التواريخ ان أبا بكر لم يفارق السقيفة حتى بايعه جميع الأنصار إلا سعد بن عبادة وهو كان مريضاً ومات بعد سبعة أيام فكيف يقول ان خلافته انعقدت ببيعة عمر ورضى أربعة من الصحابة ، وهل هذا إلا افتراء باطل يكذبه جميع التواريخ المثبتة في الاسلام ، نعم البادي بالبيعة كان عمر بن الخطاب وتتابع الأنصار وبايعوه بعد تلجلج وتردد ومباحثة ، ولو كان الأنصار سمعوا من رسول الله «ص» النص على خلافة علي فلم لم يجعلوه حجة على أبي بكر ولَمَ لم يدفعوا خلافته بهذه الحجة ؟ أكانوا يخافون من أبي بكر وعمر وهم كانوا في عقر دارهم وقد اجتمعوا لنصب الامام من قومهم وكانوا زهاء الف أو زيادة وقالوا بعد المباحثة منا

أمير ومنكم أمير فلم لم يقولوا ياأبا بكر ياعمر ان العهد لم يطل وان رسول الله « ص » في غدير خم نص بخلافة علي فلم تبطلون قول رسول الله « ص » ولم لاتنقادون بقوله وكان أقل فائدة هذه المباحثة دفع البيعة عن أنفسهم ؛ ولم يجترىء أحد من الامامية أن يدعي ان الأنصار قالوا يوم السقيفة هذا القول ؛ فيامعشر العقلاء هل يمكن وجود النص في محضر جميع الناس ولم يحضر الأنصار ؛ وهل يمكن ان الأنصار الذين نصروا الله ورسوله وتبوءوا الدار والايمان وارتكبوا عداوة العرب وقتل الأشراف في نصرة رسول الله « ص » كانوا ساكتين في وقت المعارضة ولم يذكروا النص أصلا مع ان عمر وأبا عبيدة ألزموهم بقوله : (الأئمة من قريش) فلم لم يقولوا الامامة لعلي بنص من رسول الله « ص » يوم غدير خم ، والعاقل المسلم المنصف لو تأمل فيما قلنا من سكوت الأنصار وعدم الاستدلال في دفع بيعة أبي بكر بالنص على علي ؛ لجزم بعدم النص من رسول الله « ص » على احد ويعلم ان خلافة أبي بكر ثبتت ببيعة أرباب الحل والعقد ؛ ثم ماذكر هذا الرجل من أن الأشاعرة لايقدرون على هذا المبحث وتعجب من بحثهم في الامامة لقولهم بأن الله خالق كل شيء فهذا شيء ذكره مراراً وهو لايعرف غير هذا وتصوير المحالات على رأيه الباطل الفاسد وقد بينا لك ان شيئاً مما ذكره لايلزم الأشاعرة وكثرة التكرار من شأن الكوزيين وأمثاله .

وأقول

ينبغي هنا بسط المقال لتتضح الحال فنقول : استمر النزاع في أن تعيين الامام من الله تعالى أو باختيار الناس ذهبت الامامية إلى الأول واهل السنة إلى الثاني ، والحق هو الأول لامور : (الأول) قوله تعالى : وربك يخلق مايشاء ويختار ما كان لهم الخيرة .

(الثاني) ان الرجوع إلى الاختيار مفسد للامامة والامة والدين ولا سيما اذا اكتفينا باختيار الواحد كما هو مذهب القوم كما ستعرف ان شاء الله تعالى لأن الاختيار ربما يؤدي إلى اختيار فاسق فعلا أو استقبالا فتفسد الامامة وتفسد الامة والدين بفساد الامام ولو من أجل ان الناس على دين ملوكهم وتبع لأهوائهم كما هو المشاهد .

(الثالث) ان الامة قد تختلف باختيار الامام ولو لزعم كل طائفة ان إمامة صاحبهم متعينة لاختلال شروطها في الغير أو لعدم معرفتهم به ولو لبعد الأماكن وكثرة المسلمين فيؤدي إلى إمامة إمامين أو اكثر وإلى الحرب وفساد البلاد وضعف الاسلام ، ودعوى تعين المتقدم كما زعمه في المواقف باطلة اذا فرض قول كل طائفة بعدم صلوح غير صاحبهم للامامة ، مع انه قد يقع الاختلاف في المتقدم ، كما ان دعوى وجوب الانتظار إلى الاتفاق باطلة أيضاً لأن الانتظار يوجب إهمال أمر الامة زماناً أو أزمنة طويلة أو دائماً على ان ايجاب الانتظار مناف لاختيار عمر وأصحابه لأبي بكر وبيعتهم له قبل اتفاق من في السقيفة فضلا عن غيرهم بل مع تصريح الكثير أو الاكثر من أهل السقيفة بالخلاف

(الرابع) ان تعيين الأمام باختيار واحد إماماً كان أو غيره أو باختيار جماعة وان كانوا جميع أهل الحل والعقد حيف بحقوق بقية المسلمين بلا سلطان جعله الله لاولئك عليهم ، ودعوى الاجماع ساقطة لانها ناشئة من فعل عمر ومن وافقه وهم مع عدم تحقق الاجماع بهم محل الكلام ، وكيف تمكن دعوى الاجماع على اعتبار اختيار الناس وقد خالف أمير المؤمنين الذي يدور معه الحق حيث دار وجماعة من الصحابة في بيعة أبي بكر وما حفلوا باختيار من اختاره إلى أن بايعوا بعد مدة طويلة بالاضطرار وبقي بعضهم على المخالفة حتى لحق بالملك القهار .

(الخامس) انه يمتنع أن يترك الله سبحانه اختياره للامام ويأمر الناس بأن يختاروه وهو أنظر لهم وأخبر إذ يقبح بالحكيم أن يترك أسهل الطريقين وأوصلها إلى المطلوب ويأمر بسلوك الطريق الصعب الذي لا يوصل إلى المطلوب أحياناً أو غالبا .

(السادس) ان التكليف بالاختيار ان تعلق بالناس جميعاً على نحو الاتفاق منهم فهو تكليف بما لا يطاق وان تعلق بهم على نحو يكفي البعض ويجب على الباقي القبول بشرط العلم بجامعية الامام للشرائط فهو ظاهر البطلان إذ يمتنع عادة معرفة الناس جميعاً بجامعيته حتى من حيث شهادة المختار أو المختارين له بها لأنهم إن لم يكونوا فساقاً فالعادة تقتضي بالجهل في عدالتهم عند الناس إلا النادر فيبقى الناس في هرج بلا إمام أزماناً طويلة أو إلى أن يموت ذلك الامام وربما تكون شهادتهم معارضة بشهادة آخرين

بعدم جامعيته فيزيد الهرج ، واما لو أوجبنا القبول مطلقاً فالامر أظهر بطلاناً إذ يلزم تدين الشخص بامامة إمام لا يعرف جامعيته بمجرد اختيار واحد أو جماعة لا يعرف عدالتهم أو يعرف فسقهم وهذا لا يقوله من يؤمن بالله وحكمته .

(السابع) ان الامام لابد أن يكون معصوماً وأفضل الامة واكملهم صفات كما سبق ولا يعلمه الناس إلا بطريق النص من الله تعالى بلسان نبيه أو إمام آخر معصوم حاك عن الله ورسوله أو باظهار المعجزة على يده ولو لم يكن الامام السابق معصوما حاكيا عن الله تعالى لم ينفع نصه لاحتمال خطأه أو عمده إلى من لم يكن أهلا للامامة اتباعا للهوى أوحباً للرحم ، ففي الحقيقة لم يوافقنا السنة على ثبوت الامامة بنص الامام السابق لأنا نريد بالسابق إماماً خاصاً وهم يريدون غيره .

(الثامن) ان نصب الامام واجب على الله تعالى فلابد أن يكون الاختيار والتعيين منه تعالى ويدل على وجوبه عليه الكتاب والعقل ، اما (الكتاب) فقوله تعالى : (كتب ربكم على نفسه الرحمة) وبالضرورة ان نصب الامام رحمة وقوله تعالى : (ان علينا للهدى) ولاريب ان نصب الامام من الهدى أومقدمته فيجب ، وقوله تعالى : (وعلى الله قصد السبيل) ومن الواضح ان نصب الامام من قصد السبيل .

واما العقل فأمران (الأول) انه لا اشكال بأن الناس في كل وقت محتاجون إلى عالم بكل ما كلف الله تعالى به عباده وجاء به الرسول من عنده من حلال أو حرام ، فان حلال محمد حلال إلى يوم القيامة ، وحرامه حرام إلى يوم القيامة ، ولا يعلم بهذا العالم إلا الله تعالى فلابد من نصبه له ولا يغني الاجتهاد عن العلم الواقعي لوقوع الخطأفيه ، وكذلك هم محتاجون إلى عالم بكل حجة ودليل يثبت به الاسلام ليحتج به على كل بحسب فهمه وحاله ، ولو احتاج الثبوت إلى معجزة لزم أن يكون محلا لاظهار الله لها على يده ، وإلا لانقطعت حجج الله وبيناته لعدم كفاية معجزات النبي في الحجيةبالنسبة إلى أكثر الناس المتأخرين لجهلهم بها أو باعجازها فيجب على الله تعالى نصب الامام العالم ببيناته القادر على إثبات دينه ولو بالمعجزة كما قال أمير المؤمنين عليه السلام : (اللهم بلى لاتخلو الأرض من قائم لك بحجة اما ظاهراً مشهوراً أو خائفاً مغموراً لئلا تبطل

حججك وبيناتك) فلو لا نصب هذا الامام لكان لا كثر الكافرين والضالين الحجة على الله تعالى إذ يصح عذرهم بالجهل والغفلة الآتية بسبب عدم نصب الحجة عليهم ، فيقولون إنا كنا عن هذا غافلين ؛ ولا يضر في حجيته استتاره لأنه بسببهم حيث أخافوه ففوتوا الخير عن أنفسهم كمن يخيفون الأنبياء ويشردونهم فلا تبطل حجج الله بذلك ؛ واما قوله سبحانه : (لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) فلا يدل على عدم الحاجة إلى الامام لأن المراد البعدية بلحاظ ماجاؤا به ومما جاؤا به نصب الامام (الثاني) ان نصب الامام لطف واللطف واجب على الله عزوجل ؛ اما (الصغرى) فلأن اللطف هو مايقرب إلى الطاعة ويبعد عن المعصية ولو بالاعداد وبالضرورة ان نصب الامام كذلك لما به من تنفيذ الأحكام ورفع الظلم والفساد ونحوها ولا ينافي اللطف في نصبه سلب العباد سلطانه أو غيبته لأن الله سبحانه قد لطف بهم بنصب المعد لهم وهم فوتوا أثر اللطف عن أنفسهم ، وعورض هذا اللطف بلطف آخر حاصل بعدم الامام فان فاعل الواجب وتارك الحرام مع عدم الامام أقرب إلى الاخلاص لا نتفاء الخوف منـــه فيكون اكثر ثواباً ويكون عدم الامام لطفاً ؛ بل قيل أن تفويت هذا الثواب مفسدة مانعة من وجوب نصب الامام ، وفيه ان هذا اللطف لا يصلح للمعارضة لأنه لطف خاص بقليل من الناس ونصب الامام لطف عام ، على انا نمنع كونه لطفاً لعدم إحاطة غير الامام بجهات الاخلاص فلا يحصل الاخلاص التام بدون الامام للحاجة إلى تعليمه وإرشاده ؛ مع ان من لا يخالف الاوامر والنواهي مع عدم الامام لا يتفاوت حاله في الاخلاص بين وجود الامام وعدمه ضرورة انه يوافق التكاليف بالطبع والطوع لا بالخوف ألبتة بلا فرق بين حالتي وجود الامام وعدمه بل هو مع الامام أقرب إلى الاخلاص اقتداء به وسلوكا لنهجه ؛ واما كون فوات المصلحة مفسدة فظاهر البطلان لو سلم فواتها على ان مقتضاه عدم جواز نصب الامام لا عدم وجوبه فقط لما في نصبه من المفسدة فرضاً .

واما (الـكبرى) فلأن ترك هذا اللطف من المولى اخلال بغرضه ومطلوبه وهو طاعـة العباد له وترك معصيته فيجب نصب الامام على المولى لئلا يخل بمطلوبه ؛ لأن الناس غير معصومين والمفاسد بنصب المعد للطاعة منتفية بالضرورة وإلا لما جاز نصبه

وهو خلاف الاجماع والضرورة ، على انه سبحانه أخبر بأنه لطيف فيلزمه نصب الامام تصديقاً لاخباره ، وهو سبحانه لم يخلق جوارح الانسان إلا وجعل لها إماماً يهديها إلى أفعالها وأميراً يحكم في مشتبهاتها وهو القلب كما أقر به عمرو بن عبيد لما سأله هشام ابن الحكم « ره » فكيف يترك الناس في حيرة الضلالة بلا إمام يهديهم سواء السبيل ويرفع مشتبهاتهم وخلافهم مع انتشارهم في أطراف الارض واختلافهم بالطباع والاهواء وتباينهم بالمقاصد والآراء ويمكن ارجاع الدليلين العقليين إلى دليل واحد وهو كون الامامة لطفاً من جهتين جهة العلم وهي الأمر الأول وجهة السياسة وهي الأمر الثاني واللطف واجب .

فاذا عرفت انه لايجوز الرجوع إلى اختيار الناس في تعيين الامام وانه يجب على الله سبحانه نصبه ظهر لك بطلان القول بثبوت الامامة ببيعة أهل الحل والعقد وبطلان القول بوجوب النصب شرعا على الامة .

ومن طريف ماقيل في بطلان دعوى ان الامامة بالاختيار قول الشاعر العبدي :

وقالوا رسول الله ما اختار بعده ... إماماً ولكنا لأنفسنا اخترنا
أقمنا إماماً إن أقام على الهدى ... أطعنا وإن ضل الهداية قومنا
فقلنا إذن أنتم امام إمامكم ... بحمد من الرحمن تهتم وما تهنا
ولكننا اخترنا الذي اختار ربنا ... لنا يوم خم مااعتدينا ولا حلنا
سيجمعنا يوم القيامة ربنا ... فتجزون ماقلتم ونجزى الذي قلنا
ونحن على نور من الله واضح ... فيارب زدنا منك نوراً وثبتنا

واستدل الاشاعرة على وجوب النصب على الامر شرعا بثلاثة وجوه ذكر صاحب المواقف وشارحها منها اثنين قالا :

(الأول) انه تواتر إجماع المسلمين في الصدر الأول بعد وفاة النبي « ص » على امتناع خلو الوقت من خليفة وإمام حتى قال أبو بكر في خطبته المشهورة حين وفاته « ص » (ألا ان محمداً قد مات ولا بد لهذا الدين ممن يقوم به) فبادر الكل إلى قبول قوله ولم يقل أحد لا حاجة إلى ذلك بل اتفقوا عليه وقالوا ننظر في هذا الامر وبكروا إلى سقيفة

بني ساعدة وتركوا أهم الاشياء وهو دفن رسول الله «ص» واختلافهم في التعيين لا يقدح في ذلك ولم يزل الناس على ذلك في كل عصر إلى زماننا هذا من نصب إمام متبع، انتهى

وفيه مع ماعرفت من وجوب النصب على الله تعالى فلا محل لوجوبه على الامة شرعا، ان دعوى امتناع خلو الوقت عن إمام أعم من وجوبه على الله سبحانه وعلى الامة شرعا أوعقلا، نعم لو صح مانقلاه عن أبي بكر وقبول الصحابة له وقولهم ننظر فى هذا الامر كان ظاهراً فى وجوبه على الامة لكن مع كونه أعم من الوجوب شرعا وعقلا كذب صريح إذ لم يقل أبو بكر لابد لهذا الدين ممن يقوم به فى خطبته التي رأيناها فى كتبهم كتاريخي الطبري وابن الاثير وصحيح البخاري عند ذكر مناقب أبي بكر ومستدرك الحاكم حيث ذكر خطبة أبي بكر «ص ٣٩٥ من الجزء الثاني» وغيرها من كتبهم، وما قال أحد بعد خطبة أبي بكر ننظر فى هذا الامر ولا راحوا إلى السقيفة وفاء بالوعد وقياماً بواجب النصب شرعا، فان رواياتهم متظافرة فى أن الانصار اجتمعوا فى السقيفة لبيعة سعد ساعة موت النبي «ص» فعلم أبو بكر وأصحابه فذهبوا ينافسونهم فى الامرة كما يدل عليه خطبة عمر التي بيّن فيها ان بيعة أبي بكر فلتة ورواها القوم منهم البخاري فى باب رجم الحبلى من الزنا اذا احصنت من (كتاب المحاربين).

وكيف يمكن أن تكون مبادرتهم الى السقيفة أداء للوظيفة الشرعية والحال ان تجهيز النبي «ص» ومراعاة حرمته أهم الواجبات وتأخير دفنه تلك المدة اكبر الوهن به وبالاسلام ولا يضر تقديم تجهيزه بأمر الامامة ولا سيما بناء على حسن ظن القوم بالصحابة وحكمهم بعدالتهم أجمع وصلابتهم فى الدين كما تسمع، فلا ريب انهم لم يؤخروا دفن النبي «ص» مبادرة لواجب البيعة وإنما أخروه منافسة فى الدنيا وانتهازاً لفرصة مشغولية أمير المؤمنين «ع» بالنبي «ص» وعلمهم بأنه لا يترك النبي «ص» بلا دفن ويأتي لمزاحمتهم

ولو كانوا بذلك الاهتمام فى أداء واجب البيعة فما بال عمر أباح تأخير البيعة فى الشورى ثلاثة أيام والنفر الذين اختارهم للشورى ستة ويمكنهم بت الامر فى يوم واحد أو ساعة واحدة ولا سيما مع علمهم بالحال قبل موته.

ولو كانوا بذلك الاهتمام في أمر الامامة الالهية فلم لم يسألوا النبي «ص» نصب إمام لما أخبرهم بموته مراراً عديدة تصريحاً وتلويحاً فيريحهم عن تكلف ذلك المهم ، ولم نسبوه إلى الهجر ومنعوه من كتابة مالا يضلون بعده ألم يحتملوا انه يريد نصب إمام فيريحهم عن ذلك الاهتمام ، ولم لم يعطها النبي «ص» بعض اهتمامهم وينصب لهم خليفة أو يشرع جواز ترك الاستخلاف بالقول ويحفظ حرمته وحرمة الاسلام ، ولم لم يكن عند أمير المؤمنين ذلك الاهتمام فيشاركهم في أداء الواجب فيحصل لدفن النبي «ص» تعجيل

واما قولها : ولم يزل الناس على ذلك في كل عصر إلى زماننا الخ ، فغريب لأنا لم نر ولم نسمع انهم اهتموا لنصب إمام قياماً بالواجب ولذا لم يطلبوا إماماً جامعاً للشرائط التي ذكراها من العدالة والاجتهاد والقرشية ونحوها وإنما رأينا وسمعنا قيامهم برياسة من انتفت عنه الشرائط طلباً لأن ينالوا به شيئاً من الدنيا الدنية .

(الدليل الثاني) الذي ذكراه لمختار الاشاعرة ان في نصب الامام دفع ضرر مظنون ودفعه واجب إجماعا .

وفيه ان الدفع به إنما يجب على الناس اذا لم يجب على الله تعالى أو أهمل أمر الامة وكلاهما باطل ، ولو سلمنا فلا مخرج للنبي «ص» عن وجوب دفع الضرر بالنصب فلا بد أن يكون قد نصب وإلا أخل بالواجب ، على ان نصبهم للامام وان دفع ضرراً إلا أن نصب غير المعصوم يوجب ضرراً آخر ناشئاً من عمده أو خطأه فيضر بالدين والامة فيحرم فلا مناص من نصب الله سبحانه لمن يعلم عصمته .

وقد ذكر القوشجي دليلا ثالثاً وهو ان الشارع أمر باقامة الحدود وتجهيز الجيوش وسد الثغور ونحوها مما لا يتم إلا بامام وما لا يتم الواجب إلا به واجب .

وفيه مع توقفه على عدم الوجوب على الله سبحانه وتركه لنصب الامام وكلاهما باطل ان تلك الواجبات إنما تجب بشرط وجود الامام ومقدمة الواجب المشروط غير واجبة كالاستطاعة بالنسبة إلى الحج ولا سيما أن الاول وهو إقامة الحدود إنما يجب على الامام بل وكذا الأخيران ، فكيف تجب مقدمتها وهي نصب الامام على غيره ، اللهم إلا اذا خيف على بيضة الاسلام فانه يجب الاخيران على الناس أيضاً فيجب عليهم النصب

هنا خاصة ، ولو سلم وجوب تلك الامور على الناس وان النصب مقدمة وجود لها فكثير من الجمهور لا يقولون بوجوب مقدمة الواجب كما سيذكره المصنف « ره » في مسئلة اصول الفقه .

فاتضح بما بينا بطلان الرجوع الى اختيار الامة كلاً أو بعضاً وبطلان ايجاب النصب عليهم ، لكن القوم مع اختيارهم لذلك اكتفوا ببيعة الواحد والاثنين في عقد الامامة وايجاب اتباعه على الامة قال في المواقف وشرحها وهما عنوان مذهبهم (واذا ثبت حصول الامامة بالاختيار والبيعة فاعلم ان ذلك لا يفتقر الى الاجماع من جميع أهل الحل والعقد إذ لم يتم عليه دليل من العقل والسمع بل الواحد والاثنان من أهل الحل والعقد كاف في ثبوت الامامة ووجوب اتباع الامام على أهل الاسلام ، وذلك لعلمنا ان الصحابة مع صلابتهم في الدين وشدة محافظتهم على امور الشرع كما هو حقها اكتفوا في عقد الامامة بذلك المذكور من الواحد والاثنين كعقد عمر لأبي بكر وعقد عبد الرحمن بن عوف لعثمان ، ولم يشترطوا في عقدها اجتماع من بالمدينة من أهل الحل والعقد فضلا عن اجماع الامة من علماء أمصار الاسلام ومجتهدي جميع أقطارها هذا ولم ينكر عليه أحد : وعليه أي على الاكتفاء بالواحد والأثنين في عقد الامامة انطوت الاعصار بعدهم الى وقتنا هذا) .

وأنت اذا نظرت بعين الانصاف وسمعت باذن واعية وتدبرت فيما ذكرنا عرفت بطلان هذا الكلام ؛ ومن العجب دعواها اكتفاء الصحابة في عقد الامامة ببيعة الواحد والاثنين ، ألم يعلما امتناع أمير المؤمنين وسيد المسلمين وجماعة من الصحابة عن بيعة أبي بكر وتخلفهم عنها زمناً طويلا ولم يكتفوا ببيعة من بايعه من أهل السقيفة فضلا عن عمر وحده ؛ ألم يسمعا تخلف سعد وابن عمر واسامة بن زيد ومحمد بن سلمة وأبي مسعود الأنصاري وغيرهم عن بيعة أمير المؤمنين « ع » مع مشاهدتهم بيعة أهل الحل والعقد له ؛ ألم يدريا ان بيعة الاوس لابي بكر كانت حسداً للخزرج لا للاكتفاء المذكور كما تشهد به مراجعة تاريخي الطبري وابن الأثير في كيفية بيعة السقيفة وكذا بيعة المهاجرين انما كانت حسداً وعداوة لامير المؤمنين « ع » كما ستعرف ان شاء الله تعالى ؛

وأعجب من ذلك دعواها انطواء الاعصار على ذلك فانا لم نسمع انه اتفق في زمان اكتفاء الناس ببيعة الواحد والاثنين وان التكليف دعاهم إلى التسليم ، نعم سمعنا عهد الملوك الخونة لأبنائهم الجهلة الفسقة ؛ ولكنه من نص الامام عندهم لامن محل الكلام، ومن المضحك انهم يصفون الصحابة بالصلابة في الدين في مثل المقام مما يحتاجون فيه إلى إثبات صلابتهم ومحافظتهم على امور الشرع ويدعون في مقام آخر ان مبادرتهم إلى البيعة وإعراضهم عن دفن سيد المرسلين خوفاً من الفتنة وزوال أمر الاسلام فانهم اذا كانوا بتلك الصلابة فاي خوف يخشى على الاسلام اذا بادروا لدفن نبيهم «ص» وأخروا البيعة ساعة وتذاكروا في أثناء هذا الوقت بتعيين الأولى ؛ واذا كانوا بتلك الصلابة فكيف خاف عمر من وجوه الصحابة أن يفسدوا اذا خرجوا في الجهاد وإمرة البلاد ؛ روى الحاكم في المستدرك في مناقب أمير المؤمنين «ع» من كتاب معرفة الصحابة (ص ١٢٠ من الجزء الثالث) وصححه الذهبي في تلخيصه عن قيس بن أبي حازم قال : جاء الزبير إلى عمر بن الخطاب يستأذنه في الغزو فقال عمر اجلس في بيتك فقد غزوت مع رسول الله «ص» قال فردد ذلك عليه فقال له عمر في الثالثة أو التي تليها اقعد في بيتك فوالله اني لأجد بطرف المدينة منك ومن أصحابك ان تخرجوا فتفسدوا على أصحاب محمد « ص » .

فقد ظهر من كلام المواقف وشرحها ان امامة أبي بكر انعقدت ببيعة عمر فوجب اتباعه على أهل الاسلام قاطبة فكان مانسبه المصنف اليهم صدقا وإنما الفضل جاهل بمذهبه وبمراد المصنف ، فالمصنف لم يرد إنكار بيعة الأنصار يوم السقيفة بل أراد نفي كون إمامة أبي بكر عن مشورة أهل الحل والعقد واجتماع رأيهم وإنما كان أصل انعقادها ببيعة عمر ورضى أربعة ؛ ولذا كانت فلتة كما قاله عمر ومع ذلك أوجبوا طاعته على جميع الخلق ، وهذا لايستحل القول به من يؤمن بالله وعدله وحكمته .

على ان مادعاه الفضل من اتفاق أرباب التواريخ على ان أبا بكر لم يفارق السقيفة حتى بايعه جميع الأنصار إلا سعداً كذب صريح : قال ابن الأثير في كامله (ص ١٥٦ من الجزء الثاني) توفي رسول الله «ص» اجتمع الأنصار في سقيفة بني ساعدة ليبايعوا

سعد بن عبادة فبلغ ذلك أبا بكر فأتاهم ومعه عمر وأبو عبيدة بن الجراح فقال ماهذا فقالوا منا أمير ومنكم أمير فقال أبو بكر منا الامراء ومنكم الوزراء، ثم قال أبو بكر قد رضيت لكم أحد هذين الرجلين عمر وأبا عبيدة أمين هذه الامة فقال عمر أيكم يطيب نفساً أن يخلف قدمين قدمها النبي « ص » فبايعه عمر وبايعه الناس فقالت الأنصار أو بعض الأنصار لانبايع إلا علياً) انتهى : ونحوه في تاريخ الطبري (ص ١٩٨ من الجزء الثالث) وقال ابن عبد البر في الاستيعاب بترجمة أبي بكر (بويع له بالخلافة في اليوم الذي مات فيه رسول الله «ص» في سقيفة بني ساعدة ثم بويع له البيعة العامة يوم الثلاثاء من غد ذلك اليوم وتخلف عن بيعته سعد بن عبادة وطائفة من الخزرج وفرقة من قريش) .

واما مازعمه من ان أهل الحل والعقد كانوا ذلك اليوم جماعة الأنصار فازدراء بحق المهاجرين على كثرتهم وكثرة العلماء والامراء منهم .

ومن طريف الـكذب ماقاله من موت سعد بعد سبعة أيام ، فانه لايجامع اتفاق العلماء والمؤرخين على انه مات بحوران وقال اكثرهم مات في إمارة عمر ، قال ابن حجر في الاصابة في ترجمة سعد : (وقصته في تخلفه عن بيعة أبي بكر مشهورة وخرج إلى الشام فمات بحوران سنة ١٥ وقيل سنة ١٦) وروى الحاكم في المستدرك ص ٢٩٢ من الجزء الثالث (انه توفي بحوران من أرض الشام لسنتين ونصف من خلافة عمر وذلك سنة ١٥ وروى أيضاً انه مات بحوران سنة ١٦) وقال الطبري في تاريخه ص ٢١٠ من الجزء الثالث : (كان سعد لايصلي بهم ولا يجمع معهم ويحج ولا يفيض معهم بافاضتهم فلم يزل كذلك حتى هلك أبو بكر) وقال في الاستيعاب بترجمة سعد (وتخلف سعد بن عبادة عن بيعة أبي بكر وخرج من المدينة ولم ينصرف اليها إلى أن مات بحوران من أرض الشام لسنتين ونصف مضتا من خلافة عمر وذلك سنة ١٥ وقيل أربع عشرة وقيل بل مات بخلافة أبي بكر سنة ١١) وقال ابن الأثير في كامله في تاريخ سنة ١٤ (وفيها مات سعد بن عبادة وقيل سنة ١٦ وقيل سنة ١٥) وقد ذكر ابن أبي الحديد نحو ذلك في عدة مواطن من شرح النهج وذكره جماعة كثيرون لايسع المقام استقصاءهم ،

وذكر ابن أبي الحديد ص ١٩٠ من المجلد الرابع : (ان أبا بكر وقال بعضهم عمر كتب إلى خالد بن الوليد بالشام ان يقتل سعداً وكمن له هو وآخر معه وقيل هو محمد بن مسلمة ليلا فرمياه فقتلاه وألقياه فى بئر هناك فيها ماء فهتف صاحب خالد فى ظلام الليل ببيتين :

نحن قتلنا سيد الخزر ج سعد بن عباده
ورميناه بسهمين فلم نخطىء فؤاده

يريهم ان ذلك من شعر الجن) .

و اما قوله :(ولوكان الأنصار سمعوا من رسول الله النص على خلافة علي فلم لم يجعلوه حجة على أبي بكر) ففيه انهم إنما لم يجعلوه حجة عليه لأنه حجة عليهم فانهم مثله كانوا يطلبون الامرة وقد اجتمعوا لنصب إمام منهم كما ذكره الفضل ، وهم أول من أبطل قول النبي « ص » ونصه يوم الغدير ، لكن بعدما علموا أن قريشاً تمالأت على أمير المؤمنين وغصب حقه لما صدر منهم من الصحيفة الجائرة بمكة التي جعلوا أبا عبيدة أمينها فسموه أميناً لذلك ، ولما وقع منهم من القول البذيء فى بعض خيامهم يوم الغدير ومن الفعل الفضيع ليلة الدباب فى العقبة إذ هموا بقتل النبي « ص » ولنسبتهم الهجر اليه فمنعوه من تأكيد النص على أمير المؤمنين « ع » ، مضافا إلى تصريح النبي « ص » بأن علياً لا يزال مظلوماً مقهوراً ، وان الامة تغدر به ، فخاف الأنصار من ولاية أعداء أمير المؤمنين فأرادوا الاستقلال أو المشاركة ، ولا يبعد أن كثيراً من الأنصار احتجوا على أبي بكر بالنص على علي « ع » فلم يبال أبو بكر وأعوانه به كما يشهد له ماسبق عن الطبري وابن الأثير أن الأنصار أو بعضهم قالوا لا نبايع إلا علياً .

واما قوله : (وهل يمكن ان الأنصار الذين نصروا الله ورسوله) إلى آخره فلو سلم أنهم سكتوا ولم يذكروا النص على أمير المؤمنين « ع » فهو غير عجيب لانقلابهم كغيرهم بعد النبي « ص » كما دلت عليه الآية وأخبار الحوض وما رواه البخاري وغيره (ان النبي « ص » قال لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم قلنا : يارسول الله اليهود والنصارى ؟ قال : فمن ؟) ونحوه كثير جداً

قال الازري « ره » :

أتعجب من أصحاب أحمد إذ رضوا　　بتأخير ذي فضل وتقديم ذي جهل
فأصحاب موسى في زمان حياته　　رضوا بدلا عن باري الخلق بالعجل

واما قوله : (مع ان عمر وأبا عبيدة ألزموهم بقوله (ص) :الأئمة من قريش) ففيه ان النبي (ص) وان قاله لكن لم يلزموهم به كراهية للتعرض حينئذ لما فيه نص في الجملة وإنما ألزموهم بقولهم : (لن يعرف هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش هم أوسط العرب نسباً وداراً) كما ذكره عمر في خطبته التي رواها البخاري في باب رجم الحبلى من كتاب المحاربين أو نحو هذا القول ، ولم أعرف احداً روى انهم ألزموهم بقوله (ص) (الأئمة من قريش) وقد انكره السيد المرتضى قدس الله روحه غاية الانكار كما نقله عنه ابن ابي الحديد ص ١٧ من المجلد الرابع ، نعم ورد في بعض روايات القوم ان عكرمة ابن ابي جهل وابن العاص روياه بعد السقيفة وانقضاء البيعة وندم بعض الأنصار كما ذكره ابن ابي الحديد في اوائل المجلد الثاني في منازعة جرت بين المهاجرين والأنصار .

واما ماأحال الفضل عليه من الجواب عن تعجب المصنف من بحث الأشاعرة عن الامامة وفروعها فهو كاحالة الظمآن على السراب كما اوضحناه فيما مر .

(تعيين امامة علي بدليل العقل)

قال المصنف أعلى الله مقامه

﴿ المبحث الرابع ﴾ في تعيين الامام . ذهبت الامامية كافة إلى ان الامام بعد رسول الله (ص) هو علي بن ابي طالب (ع) ؛ وقالت السنة انه ابو بكر بن ابي قحافة ثم عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان ثم علي بن ابي طالب ، وخالفوا المعقول والمنقول ، اما المعقول فهي الأدلة الدالة على إمامة امير المؤمنين (ع) من حيث العقل وهي من وجوه (الأول) الامام يجب ان يكون معصوماً وغير علي لم يكن معصوماً بالاجماع فتعين ان يكون هو الامام (الثاني) شرط الامام ان لايسبق منه معصية على ماتقدم

والمشايخ قبل الاسلام كانوا يعبدون الأصنام فلا يكونون أئمة فتعين علي «ع» للعدم الفارق (الثالث) يجب أن يكون منصوصاً عليه وغير علي من الثلاثة ليس منصوصاً عليه فلا يكون إماماً (الرابع) الامام يجب أن يكون أفضل من رعيته وغير علي لم يكن كذلك فتعين «ع» (الخامس) الامامة رئاسة عامة وإنما تستحق بالزهد والعلم والعبادة والشجاعة والايمان وسيأتي أن علياً «ع» هو الجامع لهذه الصفات على الوجه الأكمل الذي لم يلحقه غيره فيكون هو الامام .

وقال الفضل

مذهب أهل السنة والجماعة ان الامام بالحق بعد رسول الله «ص» أبو بكر الصديق وعند الشيعة علي المرتضى ودليل أهل السنة وجهان (الأول) ان طريق ثبوت الامامة اما النص أو الاجماع بالبيعة ، اما النص فلم يوجد لما ذكرنا ولما سنذكر ونفصل بعد هذا واما الاجماع فلم يوجد في غير أبي بكر اتفاقا من الامة (الوجه الثاني) ان الاجماع منعقد على حقية أحد الثلاثة : أبي بكر وعلي والعباس ، ثم انهما لم ينازعا أبا بكر ولو لم يكن على الحق لنازعاه كما نازع علي معاوية لأن العادة تقضي بالمنازعة في مثل ذلك ولأن ترك المنازعة مع الامكان مخل بالعصمة لأنه هو معصية كبيرة توجب انثلام العصمة وأنتم توجبونها في الامامة وتجعلونها شرطاً لصحة الامامة (فان قيل) لا نسلم الامكان أي إمكان منازعتهما أبا بكر (قلنا) قد ذهبتم وسلمتم ان علياً كان أشجع من أبي بكر وأصلب في الدين واكثر منه قبيلة وأعواناً وأشرف منه نسباً وأتم منه حسباً ، والنص الذي تدعونه لاشك انه بمرأى من الناس وبمسمع منهم والأنصار لم يكونوا يرجحون أبا بكر على علي والنبي «ص» ذكر في آخر عمره على المنبر وقال ان الأنصار كرشي وعيبتي وهم كانوا الجند الغالب والعسكر ، وكان ينبغي ان النبي « ص » أوصى الأنصار بامداد علي في أمر الخلافة وأن يحاربوا من يخالف نصه في خلافة علي ثم ان فاطمة مع علو منصبها زوجته والحسن والحسين مع كونهما سبطي رسول الله « ص » ولداه والعباس مع علو منصبه معه فانه روي انه قال لعلي امدد يدك ابايعك حتى يقول الناس بايع عم رسول الله

ابن عمه فلا يختلف فيك اثنان والزبير مع شجاعته كان معه قيل انه سلّ السيف وقال لا أرضى بخلافة أبي بكر وقال أبو سفيان أرضيتم يابني عبد مناف أن يلي عليكم تيمي والله لأملأن الوادي خيلا ورجلا ، وكرهت الأنصار خلافة أبي بكر فقالوا منا أمير ومنكم أمير كما ذكرنا ولو كان على إمامة علي نص جلي لأظهروه قطعاً ولأمكنهم المنازعة جزماً كيف لا وأبو بكر شيخ ضعيف جبان لامال له ولا رجال ولا شوكة فأنى يتصور امتناع المنازعة معه ، وكل هذه الامور تدل على ان الاجماع وقع على خلافة أبي بكر ولم يكن نص على خلافة غيره وبايعه علي حيث رآه أهلاً للخلافة عاقلا صبوراً مدارياً شيخاً للاسلام ولم يكن غرض بين الصحابة لأجل السلطنة والزعامة بل غرضهم كان إقامة الحق وتقويم الشريعة ليدخل الناس كافة في دين الاسلام وقد كان هذا يحصل من خلافة أبي بكر فسلموا اليه الأمر وكانوا أعواناً له في إقامة الحق هذا هو المذهب الصحيح والحق الصريح الذي عليه السواد الأعظم من الامة وقد قال رسول الله (ص) عليكم بالسواد الأعظم .

واما ما استدل به من الوجوه العقلية على خلافة علي فالأول وجوب كون الامام معصوما وقد قدمنا عدم وجوبه لا عقلا ولا شرعا ، وجواب الثاني عدم اشتراط أن لاتسبق منه معصية كما قدمنا ، وجواب الثالث عدم وجوب النص لأن الاجماع في هذا كالنص ، وجواب الرابع عدم وجوب كون الامام أفضل من الرعية كما ذكر اذا ثبت أفضلية علي كرم الله وجهه ، وجواب الخامس ان أوصاف الزهد والعلم والشجاعة والايمان كانت موجودة في المشايخ الثلاثة واما الأكملية في هذه الأوصاف فهي غير لازمة اذا كانوا أحفظ للحوزة .

وأقول

يرد على دليلهم الأول ان النص على خلافة علي واقع كما ستعرف وان الاجماع على بيعة أبي بكر لم يقع كيف ولم يبايعه زعيم الخزرج وسيدهم سعد بن عبادة ولا ذووه إلى أن مات أبو بكر ، ولم يبايعه سيد المسلمين ومولاهم ومن يدور معه الحق حيث دار إلا

بعدما هجموا عليه داره وهموا باحراق بيته كما ستعرفه في مطاعن أبي بكر ، وكذا الزبير لم يبايع إلا بعد أن كسروا سيفه وأخذوه قهراً ، ولا المقداد إلا بعدما دفعوا في صدره وضربوه : وكذلك جملة من خيار المسلمين لم يبايعوا إلا بعد الغلبة والقهر كسلمان وأبي ذر وعمار وحذيفة وبريدة وأشباههم ، وكذا كثير من سائر المسلمين ففي شرح النهج (ص ٧٣ من المجلد الأول) عن البراء بن عازب قال : (لم أزل محباً لبني هاشم فلما قبض رسول الله (ص) خفت أن تمالأ قريش على إخراج الأمر عنهم) إلى أن قال : (فلم ألبث واذا أنا بأبي بكر قد أقبل ومعه عمر وأبو عبيدة وجماعة من أصحاب السقيفة وهم محتجزون بالازر الصنعانية لايمرون بأحد إلا خبطوه وقدموه فمدوا يده فمسحوها على يد أبي بكر يبايعه شاء ذلك أو أبى) الحديث ، إلى غير ذلك مما يدل على ان بيعة أبي بكر لم تتم إلا بالقهر والغلبة ولذا أخروا دفن النبي (ص) ثلاثة أيام ، فهل ترى مع هذا يصح لمسلم دعوى الاجماع ويجزم بوقوعه ولا يعتريه الريب فيه حتى يجعله مستنداً لدينه الذي يلقى الله عز وجل به .

هذا وقد يوجه الاستدلال بالاجماع بأمرين (الأول) عدم الاعتداد بخلاف البعض اذا حصل اتفاق الغالب ، وفيه ان اتفاق الغالب ليس باجماع حقيقة ولا حجة أصلا لعدم الدليل وإلا لزمهم القول بانعزال عثمان لاتفاق اكثر أهل الحل والعقد على عزله فقتل لامتناعه (الثاني) ماذكره ابن أبي الحديد (ص ٢٢٤ من المجلد الأول) قال : (احتج أصحابنا بالاجماع فاعتراض حجتهم بخلاف سعد وولده وأهله اعتراض جيد وليس يقول أصحابنا هؤلاء شذاذ فلانحفل بخلافهم وإنما المعتبر الكثرة التي بازائهم وكيف يقولون هذا وحجتهم الاجماع ولا إجماع ولكنهم يجيبون عن ذلك بأن سعداً مات في خلافة عمر فلم يبق من يخالف في خلافته فانعقد الاجماع عليها وبايع ولد سعد وأهله من قبل واذا صحت خلافة عمر صحت خلافة أبي بكر لأنها فرع عنها ومحال أن يصح الفرع ويكون الأصل فاسداً) وفيه ان لو سلم الاجماع على خلافة عمر ورضى جميع الامة فامامته إنما تصح حين تحقق الاجماع لاقبله فتكون أصلا برأسها لافرعاً كيف ودعوى الفرعية منافية لاستناد صحة إمامة عمر إلى الاجماع الحادث عليها ، نعم كانت فرعاً

عنها حيث كان الأصل والفرع فاسدين .

واما دليلهم الثاني ففيه انهم ان أرادوا ثبوت الاجماع على حقية أحد الثلاثة بعد موت النبي «ص» وقبل بيعة أبي بكر فهو ممنوع لأن المسلمين أو أهل الحل والعقد منهم لم يجتمعوا حتى تعرف آراؤهم ومن اجتمع منهم في السقيفة كان بعضهم يرى ان سعداً حقيق بها فكيف يدعي الاجماع حينئذ على حقية أحد الثلاثة بالخصوص ، على انا لم نسمع ان أحداً ذكر العباس حينئذ ، وأيضاً فمذهب القوم ان كلّ من جمع العدالة والاجتهاد وغيرها من الصفات السابقة حقيق بالخلافة فما معنى الاختصاص بالثلاثة حتى يجمع عليه الصحابة ومجرد الترجيح لهم لايقتضي الاختصاص بهم وعدم صلوح غيرهم للخلافة ، وان أرادوا ثبوت الاجماع بعد بيعة أبي بكر فهو ينافي مازعموه من الاجماع على أبي بكر خاصة ان اتفق زمن الاجماعين وإلا بطل الاجماع على حقية أحد الثلاثة سواء تقدم أم تأخر لأن الاجماع على تعيين واحد هو الذي يجب اتباعه فيكون الحق مختصاً بأبي بكر ولم يصح جعل الاجماع على حقية أحد الثلاثة دليلا ثانياً ويحتمل بطلان الاجماع المتقدم وصحة المتأخر مطلقاً وهو الأقرب .

واما مازعمه من إمكان منازعة أمير المؤمنين (ع) فممنوع إذ لا ناصر له إلا أقل القليل ولذا قال (ع) في خطبته الشقشقية : (فطفقت أرتأي بين أن أصول بيد جذاء أو أصبر على طخية عمياء) إلى غير ذلك من متواتر كلامه ، فان قريشاً أجمعت على إخراج الأمر من يده عداوة وحسداً له وطلباً بالترات ، ألا ترى انه لم يكن معه في صفين من قريش إلا خمسة أو نحوهم ومع معاوية ثلاث عشرة قبيلة مع علمهم ببغي معاوية وعدم مشاهدتهم لما فعله أمير المؤمنين (ع) بأسلافهم إلا القليل فكيف بمن شاهدوا ، ولا يستبعد من قريش بغضه وعداوته فان النبي (ص) مع طهارته وعصمته وقداسة نفسه لم يطق رؤية وحشي قاتل حمزة (ع) وقد أسلم حتى قال : (ماتستطيع أن تغيب وجهك عني) كما في الاستيعاب ومسند أحمد (ص ٥٠١ من الجزء الثالث) فكيف بمن أفنوا أعمارهم بالكفر وربوا على عادات الجاهلية أن يروا صاحب تراتهم أميراً عليهم وحاكما مطاعاً فيهم وفي غيرهم ولهم طريق إلى صرف الأمر عنه ؛ مضافا إلى ان كل دم أراقه

أخوه وابن عمه إنما يعصبونه به على قواعد العرب وكل أمر صنعه بهم إنما يطلبونه منه لأنه أقرب الناس اليه وأخصهم به وأشدهم مؤازرة له وأعظمهم اجتهاداً في نصرته من يوم مبعثه إلى يوم وفاته ؛ مضافا إلى حسدهم لعلو مقامه وظهور فضله وتعظيم النبي (ص) إياه وتقريبه اليه بالأخوة والمصاهرة على بضعته سيدة النساء وتخصيصه له بالمنازل العظمى كالمباهلة به وبآله وجعله مولى كل مؤمن ومؤمنة ، إلى غير ذلك مما يظهر به مكانته السامية وشرفه الباهر عند الله وعند رسوله والناس . هذا مع رجاء كثير منهم للامرة بعد أبي بكر فانه اذا وليها أبو بكر وهو أدناهم شرفا كانوا اليها أقرب وبها أطمع بخلاف مالو وليها أمير المؤمنين (ع) فانها تستقر في بيته ، كما يشهد له قول المغيرة لأبي بكر وعمر عند موت النبي (ص) وسعوها في قريش تتسع ؛ فقاما إلى السقيفة ، حكاه في شرح النهج (ص ١٨ من المجلد الثاني) عن أبي بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري ، وما في كتاب السياسة والامامة في باب إمامة أبي بكر وإباء علي (ع) من بيعته من حديث قال فيه علي لعمر : (احلب حلباً لك شطره اشدد له اليوم أمره ليرده عليك غداً) ومثله في شرح النهج (ص ٥ من المجلد الثاني) نقلا عن الجوهري .

هذا حال قريش واما الخزرج فقد كانوا أول الحال يطلبونها لأنفسهم وبعد أن صرفت عنهم وكبا جدهم ونبا جدهم لم تبق لهم قوة وهمة على العدول إلى أمير المؤمنين لا سيما مع صيرورتهم محل التهمة .

واما الأوس فقد كان همهم صرف الأمر عن الخزرج مع ان كثيراً منهم ومن الخزرج مبغضون لأمير المؤمنين (ع) كاسيد بن حضير وبشير بن سعد .

وفوق ذلك كله قد سمعت إعلام الله سبحانه انقلاب الامة على أعقابها واخبار النبي بأنهم يتبعون سنن بني اسرائيل حذو النعل بالنعل وبأنهم يرتدون على أدبارهم القهقرى ويصيرون إلى النار ولايخلص منهم إلا مثل همل النعم وبأن الامة ستغدر بأمير المؤمنين(١) إلى غير ذلك .

فكيف مع هذا كله يمكن لأمير المؤمنين (ع) منازعة القوم وان كان أحسب

(١) روى ذلك الحاكم في المستدرك ج ٣ ص ١٤٠ وصححه .

وأنسب وأكثر قبيلة وقائم الدين ، إذ ليس هو بأعظم من رسول الله صلى الله عليه وآله لما ترك الحرب بمكة وفي أوائل الهجرة ويوم صلح الحديبية ، وقد كان أكثر ناصراً من أمير المؤمنين (ع) ؛ على ان أمير المؤمنين قد نازعهم لكن بغير الحرب فقد امتنع مدة من بيعتهم حتى قهروه وأرادوا حرق بيته وجمع أعواناً في داره حتى تهددهم عمر ، وحمل الزهراء والحسنين ليلا مستنصراً بوجوه المسلمين فلم ينصروه كما رواه ابن قتيبة في كتاب السياسة والامامة (ص ١٣) ونقله ابن أبي الحديد عن الجوهري (ص ٥ من المجلد الثاني) وذكره معاوية في كتابه المشهور إلى أمير المؤمنين قال : (واعهدك أمس تحمل قعيدة بيتك ليلا على حمار ويداك في يد ابنيك الحسن والحسين يوم بويع أبو بكر الصديق فلم تدع من أهل بدر والسوابق إلا دعوتهم إلى نفسك ومشيت اليهم بامرأتك وأدليت اليهم بابنيك فلم يجبك منهم إلا أربعة أو خمسة) وما زال أمير المؤمنين (ع) يقول : (لو وجدت أربعين رجلا ذوي عزم منهم لناهضت القوم) كما ذكره معاوية في كتابه المذكور قال : (ومهما نسيت فلا أنسى قولك لأبي سفيان لما حركك وهيجك لو وجدت أربعين ذوي عزم منهم لناهضت القوم) وروى ابن أبي الحديد نحوه عن نصر (ص ٣٢٧ من المجلد الاول) قال نصر ماحاصله : (لما استولى معاوية على الماء يوم صفين قال له ابن العاص : خل بينهم وبين الماء فان علياً لم يكن ليظمأ وأنت ريان وفي يده أعنة الخيل وأنت تعلم انه الشجاع المطرق وقد سمعته مراراً وهو يقول لو استمكنت من أربعين يعني في الامر الاول) .

ومما بينا من أحوال قريش والأنصار يعلم مافي قول الفضل : (ثم ان فاطمة مع علو منصبها زوجته) ومن العجب انه يرجو أن يكون وجود الزهراء والحسنين (ع) مؤثراً في قوة أمير المؤمنين وتمكنه من أخذ الزعامة العظمى والامامة الكبرى وهي سلام الله عليها لم تقدر على أخذ فدك وهي مال يسير مع شأنها العظيم ومكانتها الرفيعة وحججها الرصينة وخطبها البليغة واستنصارها بمن يدعون الاسلام . ولو كانت فدك لهم وحقاً من حقوقهم لكان حقاً عليهم أن يعطوها إياها بمجرد إرادتها حفظاً لنبيهم في بضعته التي لم يخلف فيهم غيرها مع قرب وفاته فكيف يمكن أن يكون وجودها

لنفسه سبباً لقدرة أمير المؤمنين على إعادة الزعامة العظمى .

واما اتفاق العباس والزبير معه فلا يغني عنه شيئاً في مقابلة جمهور قريش كيف وقد كسروا سيف الزبير لما همّ بهم فلم يدفع عن نفسه ضيما ، وكذلك اتفاق أبي سفيان معه لاسيما وهو منافق لم يرد إلا الفتنة روى الطبري في تاريخه (ص ٢٠٣ من الجزء الثالث) وابن الأثير في كامله (ص ١٥٧ من الجزء الثاني) (ان أمير المؤمنين (ع) زجر أبا سفيان وقال والله ما أردت إلا الفتنة وانك والله طالما بغيت للاسلام شراً لا حاجة لنا في نصيحتك) ويدل على نفاقه انه لما رشوه صار تابعاً لهم روى الطبري ص ٢٠٢ من الجزء المذكور (انه لما استخلف أبو بكر قال أبو سفيان مالنا ولأبي فصيل إنما هي بنو عبد مناف فقيل له انه قد ولى ابنك قال وصلته رحم) ونقل ابن أبي الحديد (ص ١٣٠ من المجلد الاول) عن الجوهري (ان النبي بعث أبا سفيان ساعياً فرجع من سعايته وقد مات رسول الله (ص) فلقيه قوم فسألهم فقالوا مات رسول الله فقال من ولي بعده قيل أبو بكر قال أبو فصيل قالوا نعم) إلى أن قال : (فكلم عمر أبا بكر فقال ان أبا سفيان قد قدم وانا لا نأمن شره فدفع له مافي يده فتركه فرضي) .

واما قوله : (وكرهت الانصار خلافة أبي بكر فقالوا منا أمير) فصحيح بالنسبة إلى اكثر الخزرج لكن كراهتهم لخلافته لانهم يريدونها لانفسهم لا نصرة لاميرالمؤمنين ولذا قالوا منا أمير ومنكم أمير ومنه يعلم مافي قوله : (ولو كان على إمامته نص لاظهروه) فان اظهارهم مناف لطلبهم الامرة كما سبق ولم يبق بعد هذا الطلب مجال لاظهار النص لتسرع عمر إلى بيعة أبي بكر حتى وصفها عمر بأنها فلتة على انه لا يبعد ان كثيراً من الانصار أظهروه وأخفاه رواة القوم كما يرشد اليه مانقلناه سابقاً عن الطبري وابن الاثير من انهما رويا ان الأنصار أو بعضهم قالوا : (لا نبايع إلا علياً) مع ان النص لما كان بمرأى من الناس ومسمع لايحتاج إلى الاظهار لقرب عهد الغدير ونزول قوله تعالى : (إنما وليكم الله ورسوله) الآية ، لكن الناس خالفوه على عمد انقلابا منهم عن الدين وغدراً بوليهم ومولاهم واقتفاء لسنة بني اسرائيل .

فقد اتضح مما بينا ان مالفقه الفضل تبعاً للمواقف لاثبات إمكان المنازعة إنما هو

امور خيالية وأوهام كاذبة صورها الهوى والتعصب وإلا فالوجدان والأحاديث شاهدان بخلافه حتى روى أحمد في مسنده (ص ٣٣٩ من الجزء السادس) عن ام الفضل قالت : (أتيت النبي في مرضه فجعلت أبكي فرفع رأسه فقال مايبكيك قلت خفنا عليك وما ندري ما نلقى من الناس بعدك يارسول الله قال أنتم المستضعفون بعدي) انظر إلى هذه الحرة كيف أدركت من الناس الشحناء والبغضاء لهم وطلب الترات منهم والنبي (ص) حي بينهم حتى بكت وقال لها النبي أنتم المستضعفون بعدي ، وأهل السنة رأوا مارأوا من اتفاق الكلمة على اهل البيت (ع) وهجوم من هجم على دارهم وارادتهم إحراقها عليهم وغصب بضعة الرسول حقها حتى ماتت غضبى ، ومع ذلك يزعمون ان اميرالمؤمنين قوي الجانب بالمسلمين وكان يمكنه منازعة ابى بكر وما بايعه إلا طوعاً ، ولا ينافي ماقلنا جبن ابى بكر وضعفه وذلته في نفسه وبيته حتى عبر عنه ابو سفيان بأبى فصيل وقال انه من ارذل بيت في قريش كما في الاستيعاب وغيره ، فانه إنما قوي على اميرالمؤمنين بقريش وبعض الأنصار وما مكنهم الله سبحانه من ذلك إلا فتنة لهم ولغيرهم كما قال سبحانه (أحسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون) ثم ان اكثر هذه الامور التي قرب بها وقوع الاجماع على ابى بكر بالاختيار ادل على خلافه كعدم ترجيح الانصار لأبى بكر على علي (ع) وكون العباس معه وسل الزبير سيفه في نصرته وتظاهر ابى سفيان بخلاف ابى بكر وذمه له فان هذه الامور ونحوها مقربة لكون بيعة ابى بكر لم تكن عن رغبة بل لامور هناك تسخط الله ورسوله .

ومما ذكرنا يعلم ما في قوله : (وبايعه حيث رآه اهلا للخلافة) وقد اشرنا الى كيفية البيعة مجملا وستعرفها مفصلا وكيف يقال انه بايعه طوعا حيث رآه اهلا للخلافة وآثار العداوة ظاهرة بينهما وبين اتباعها الى يومنا هذا وهو عليه السلام لم يزل يتظلم منهم الى حين وفاته حتى قال في بعض كلامه : (اللهم انى استعديك على قريش ومن اعانهم فانهم قطعوا رحمي وصغروا عظيم منزلتي واجمعوا على منازعتي امراً هو لي ثم قالوا الا ان في الحق ان نأخذه وفي الحق ان تتركه) قال ابن ابى الحديد في شرح هذا الكلام (ص٤٩٥ من المجلد الثانى) : (اعلم انه قد تواترت الأخبار عنه (ع) بنحو هذا القول ، نحو

قوله وما زلت مظلوماً منذ قبض الله رسوله (ص) حتى يوم الناس هذا ، وقوله اللهم اجزقريشاً فانها منعتني حقي وغصبتني امري ، وقــــوله فجزى قريشاً عني الجوازي فانهم ظلموني حقي واغتصبوني سلطان ابن امي ، وقوله وقدسمع صارخا ينادي انا مظلوم فقال هلم فلنصرخ معاً فاني مازلت مظلوماً . وقوله وانه ليعلم ان محلي منها محل القطب من الرحى ، وقوله ارى تراثي نهباً ، وقوله اصغيا بآنائنا وحملا الناس على رقابنا ، وقوله انلنا حقاً ان نعطه نأخذه وان نمنعه نركب اعجاز الابل وان طال السرى ، وقوله مازلت مستأثراً علي مدفوعاً عما استحقه واستوجبه) .

واما قوله : (ولم يكن غرض بين الصحابة لاجل السلطنة والزعامة بل عزمهم كان إقامة الحق وتقويم الشريعة) فبعيد عن الصواب لأن من يقصد إقامة الحق وتقويم الشريعة لايصد النبي (ص) عن كتابة مالا يضلون بعده ابداً حتى نسبه الى الهجر فقابل احسانه بأعظم اساءة و نصيحته بأكبرغش وهدايته بأضل ضلالة ، وكيف يريدون إقامة الحق وتقويم الشريعة ووليهم بنص الكتاب المجيد ومولاهم واخو نبيهم وباب علمه ووارثه بين اظهرهم لايلتفتون اليه بوجه بل ينتهزون فرصة اشتغاله بتجهيز النبي ويتنازعون الامرة بينهم في السقيفة ويستعملون في نيلها الحبـل والتزويرات ، وكيف يقصدون إقامة الحق وقد انتهكوا حرمة نبيهم (ص) بترك دفنه وغصب بضعته ولما يطل العهد حتى ماتت مقهورة غضبى ، وكيف يقال في حقهم ذلك وقد ارتدوا على ادبارهم القهقرى وكلهم الى النار ولا يخلص منهم إلا مثل همل النعم ، وقـد روى الطبري في تاريخه (ص ٣١ من الجزء الخامس) عن ابن عباس (ان عمر قال أتدري مامنع قومكم منكم بعد محمد (ص) فكرهت ان اجيبه فقلت ان لم ادر فأمير المؤمنين يدريني فقال عمر كرهوا ان يجمعوا لكم النبوة والخلافة فتبجحوا على قومكم بجحاً بجحاً فاختارت قريش لانفسها فأصابت ووفقت ، فقلت ياامير المؤمنين ان تأذن لي في الكلام وتمط عني الغضب تكلمت فقال تكلم فقلت اما قولك اختارت قريش لانفسها فأصابت ووفقت فلو ان قريشاً اختارت لأنفسها حيث اختار الله عزوجل لها لكان الصواب بيدها غير مردود ولا محسود ، واماقولك انهم كرهوا ان تكون لنا النبوة والخلافة فان الله عزوجل وصف

قوماً بالكراهية فقال ذلك بأنهم كرهوا ما انزل الله فأحبط اعمالهم ، فقال عمر هيهات والله يا ابن عباس قد كانت تبلغني عنك اشياء كنت اكره ان افرك عنها فتزيل منزلتك مني ، فقلت وما هي فان كانت حقاً فما ينبغي أن تزيل منزلتي منك وان كانت باطلاً فمثلي اماط الباطل عن نفسه ، فقال عمر بلغني انك تقول انما صرفوها عنا حسداً وظلماً ، فقلت اما قولك ظلماً فقد تبين للجاهل والحليم واما قولك حسداً فان ابليس حسد آدم فنحن ولده المحسودون ، فقال عمر هيهات ابت والله قلوبكم يا بني هاشم الا حسداً ما يحول وضغناً وغشاً ما يزول ، فقلت مهلاً لا تصف قلوب قوم اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً بالحسد والغش فان قلب رسول الله «ص» من قلوب بني هاشم ، فقال عمر اليك عني) الحديث ، ومثله في كامل ابن الأثير (ص ٣١ من الجزء الثالث) ونحوه في شرح النهج (ص ١٨ من المجلد الثاني) .

واما قوله : (وقد قال رسول الله «ص» عليكم بالسواد الأعظم) فلا يعرف معناه حتى يعرف المقام الذي ورد فيه ، فانه قد يرد في مقام محاربة الجمع الكثير فيفيد الأمر بقتالهم كما قال أمير المؤمنين «ع» في بعض أيام صفين (عليكم بهذا السواد الأعظم فاضربوا ثبجه) وقد يرد في مقام ترجيح الاجتماع والسكنى في البلاد الكبيرة لاستحبابه شرعاً مالم تكن بلاد كفر ، ولو سلم ان المراد به الأمر باتباع السواد الأعظم في الدين فليس المراد فيه بالسواد الجمهور فان اكثر الناس غير مؤمنين ، بل المراد به جماعة المؤمنين الخلص وان قلوا فانهم السواد الأعظم أي محل النظر والالتفات والعناية ، قال الزمخشري والرازي في تفسير قوله تعالى : (وتعيها اذن واعية) : (فان قيل لم قال اذن واعية على التوحيد والتنكير ، قلنا للايذان بأن الوعاة فيهم قلة وتوبيخ الناس بقلة من يعي منهم والدلالة على ان الاذن الواعية اذا وعت فهي السواد الأعظم وان ماسواها لا يلتفت اليه وان امتلأ العالم منهم) .

واما ما أجاب به عن أدلة المصنف العقلية فقد تبيّن لك ما فيه مما سبق ودعوى العلم والزهد الحقيقي والشجاعة للمشايخ الثلاثة محل نظر .

هذا ويمكن ان يستدل على إمامة أمير المؤمنين «ع» بوجه آخر عقلي وهو ان

النبي « ص » لم يفارق المدينة قط إلا وخاف فيها من يخلفه ولا أرسل جيشاً إلا وأمر عليهم كما تقتضيه الرياسة والسياسة فكيف يمكن أن يتركهم في غيبته الدائمة معرضاً للفتن وغرضاً لسهام الخلاف على قرب عهدهم بالكفر وتوقع الانقلاب منهم ووجود من مردوا على النفاق وتربص الكفرة بهم الدوائر كما نطقت به آيات الكتاب العزيز ، وكيف يمكن أن لا يطالبه المسلمون على كثرتهم بنصب إمام لهم مع طول مرضه واعلامه مراراً لهم بموته فلما لم يقع الطلب منهم مع ضرورة حاجتهم الى إمام علم انه قد أغناهم بالبيان الذي علمه الشاهد والغائب وليس هو إلا نص الغدير ونحوه فيكون أمير المؤمنين عليه السلام هو الامام ولا يمكن أن يكون تشريع جواز ترك الاستخلاف سبباً لترك النبي «ص» للنص كما زعموا لأن فائدة التشريع اتباع الناس له في فعله وبالضرورة انه لم يتفق ترك ملك أو خليفة للنص على من بعده عملا بالسنة .

ويمكن أن يستدل على إمامته بوجه سابع عقلي وهو انه لاريب بأن من يعرف طرفا من التاريخ رأى ان بين أمير المؤمنين «ع» والمشايخ الثلاثة مباينة بعيدة ومناوأة شديدة حتى لم يشهد التاريخ بحرب له في نصرتهم مع انه أبو الحرب وابن بجدتها وما قام الاسلام إلا بسيفه وما تخلف عن رسول الله «ص» في موقف سوى تبوك وقام بأعباء الحروب الثقيلة في أيام توليه الخلافة ، وقد امتلأت كتب التاريخ بما وقع بينه وبينهم لاسيما الثالث وذلك لا يجتمع مع البناء على انهم جميعاً أركان الدين وأقطاب الحق واخوة الصدق وهمهم نصر الاسلام لا الزعامة الدنيوية ، فلا بد من وقوع خلل هناك اما لكونهم جميعاً على باطل ولا يقوله مسلم أو لكون أحد الطرفين على الحق والآخر على الباطل وهو المتعين ، ولا قائل من أهل الاسلام بأن علياً «ع» إذ ذاك مبطل حتى الخوارج فيتعين أن يكون أمير المؤمنين «ع» هو المحق وغيره المبطل فلا بد أن يكون هو الامام .

(تعيين امامة علي بالقرآن)
(آية انما وليكم الله ورسوله)

قال المصنف أعلى الله درجته

واما المنقول فالقرآن والسنة المتواترة ، اما القرآن فآيات الاولى : (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم راكعون) أجمعوا على نزولها في علي « ع » وهو مذكور في الصحاح الستة لما تصدق بخاتمه على المسكين في الصلاة بمحضر من الصحابة ، والولي هو المتصرف وقد أثبت الله تعالى الولاية لذاته وشرك معه الرسول وأمير المؤمنين وولاية الله عامة فكذا النبي والولي .

وقال الفضل

جوابه ان المراد من الولي الناصر فان الولي لفظ مشترك يقال للمتصرف والناصر والمحب والأولى بالتصرف كولي الصبي والمرأة ، والمشترك اذا تردد بين معانيه يلزم وجود القرينة للمعنى المطلوب منه وهنا كذلك فلا يكون هذا نصاً على إمامة علي فبطل الاستدلال به ، واما القرائن على ان المراد بالولي الناصر في الآية لا الاولى والاحق بالتصرف لأنه لو حمل على هذا لكان غير مناسب لما قبلها ، وهو قوله تعالى (يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض) فان الأولياء ههنا الأنصار لا بمعنى الأحقين بالتصرف وغير مناسب لما بعدها وهو قوله تعالى : (ومن يتولى الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون) فان التولي ههنا بمعنى المحبة والنصرة فوجب أن يحمل ما بينهما على النصرة أيضاً ليتلاءم أجزاء الكلام .

وأقول

لا يبعد ان الولي مشترك معنىً موضوع للقائم بالأمر أي الذي له سلطان على المولّى

عليه ولو في الجملة فيكون مشتقاً من الولاية بمعنى السلطان ، ومنه ولي المرأة والصبي والرعية أي القائم بامورهم وله سلطان عليهم في الجملة ، ومنه أيضاً الولي بمعنى الصديق والمحب فان للصديق ولاية وسلطاناً في الجملة على صديقه وقياماً بأموره وكذا الناصر بالنسبة إلى المنصور والحليف بالنسبة إلى حليفه والجار بالنسبة إلى جاره إلى غير ذلك ، فحينئذ يكون معنى الآية إنما القائم بامورکم هو الله ورسوله وأمير المؤمنين ، ولا شك ان ولاية الله تعالى عامة في ذاتها مع ان الآية مطلقة فتفيد العموم بقرينة الحكمة ، فكذا ولاية النبي والوصي فيكون علي «ع» هو القائم بامور المؤمنين والسلطان عليهم والامام لهم

ولو سلم تعدد المعاني واشتراك الولي بينها لفظاً فلا ريب ان المناسب لانزال الله الآية في مقام التصدق أن يكون المراد بالولي هو القائم بالامور لا الناصر ، إذ أي عاقل يتصور ان اسراع الله سبحانه بذكر فضيلة التصدق واهتمامه في بيانها بهذا البيان العجيب لا يفيد إلا مجرد بيان أمر ضروري وهو نصرة علي «ع» للمؤمنين .

ولو سلم ان المراد الناصر فحصر الناصر بالله ورسوله وعلي لا يصح إلا بلحاظ احدى جهتين (الاولى) ان نصرتهم للمؤمنين مشتملة على القيام والتصرف بامورهم وحينئذ يرجع إلى المعنى المطلوب (الثانية) أن تكون نصرة غيرهم للمؤمنين كلا نصرة بالنسبة إلى نصرتهم وحينئذ يتم المطلوب أيضاً إذ من لوازم الامامة النصرة الكاملة المؤمنين ، ولا سيما قد حكم الله عز وجل بأنها في قرن نصرته ونصرة رسوله ، وبالجملة قد دلت الآية الكريمة على انحصار الولاية بأي معنى فسرت بالله ورسوله وأمير المؤمنين وان ولايتهم من سنخ واحد ، فلا بد أن يكون أمير المؤمنين «ع» ممتازاً على الناس جميعاً بما لا يحيط به وصف الواصفين ، فلا يليق إلا أن يكون إماماً لهم ونائباً من الله تعالى عليهم جميعاً ، ويشهد لارادة الامامة من هذه الآية الآتية التي قبلها الداخلة معها في خطاب واحد وهي قوله تعالى : (يأيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم إنما وليكم الله ورسوله) الآية فانها ظاهرة في أن من يأتي بهم الله تعالى من أهل الولاية على الناس والقيام بامورهم لأن

معناها يأيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم مخصوصين معه بالمحبة بينه وبينهم أذلة على المؤمنين أي متواضعين لهم تواضع ولاة عليهم للتعبير بعلى التي تفيد العلو والارتفاع ، أعزة على الكافرين أي ظاهري العزة عليهم والعظمة عندهم ومن شأنهم الجهاد في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ، ومن المعلوم ان هذه الأوصاف إنما تناسب ذا الولاية والحكم والامامة فيكون تعقيبها بقوله تعالى : (إنما وليكم الله) الآية ، دليلا على ان المراد بولي المؤمنين إمامهم القائم بامورهم للارتباط بين الآيتين .

واما مازعمه الفضل من أن ارادة الاولى بالتصرف لاتناسب ماقبل الآية وهو قوله تعالى : (يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء) الآية ، لأن المراد بالأولياء الأنصار لاالأحقين بالتصرف فخطأ لأن هذه الآية مفصولة عن آية المقام بآيات عديدة أجنبية عن آية المقام ، ولذا صدر آية المقام مع الآية التي قبلها المتصلة بها بخطاب مستقل فلا تصلح تلك الآية المفصولة بآيات عديدة للقرينية ، ولننقل عليك الآيات لتتضح الحال قال تعالى بعد الآية التي ذكرها الفضل : (فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين ويقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد ايمانهم إنهم لمعكم حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين يأيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه) الآية . ثم قال بعدها : (إنما وليكم الله ورسوله) الآية ، فأنت ترى انه انتقل في قوله : (يأيها الذين آمنوا من يرتد منكم) إلى تمام الآيتين إلى مطلب آخر مستقل بخطاب فكيف تكون إرادة الأنصار من الأولياء في الآية الاولى البعيدة موجبة لعدم إرادة الاولى بالتصرف من الولي في الآية الأخيرة ، ولو سلم ان الآيات كلها مرتبطة بعضها ببعض فلا ينافي المطلوب لأن المراد أيضاً بالأولياء في الآية الاولى هو القائمون بالامور في الجملة ولو بالنسبة إلى النصرة والمحافظة لما بيناه في معنى الولي وانه مشترك معنى فيتم المطلوب من كل وجه ، ولا سيما بضميمة قوله : (من يرتد منكم عن دينه) الآية ، لاشتمالها كما عرفت على الأوصاف المناسبة للقائم بالامور .

واما قوله : وغير مناسب لما بعدها وهو قوله : (ومن يتولى الله ورسوله والذين

آمنوا فان حزب الله هم الغالبون) فظاهر البطلان . لان المراد بتولي الله ورسوله والذين آمنوا هو اتخاذهم أولياء وتسليم الولاية لهم بالمعنى الذي اريد من الولي في قوله تعالى قبله (إنما وليكم الله ورسوله) الآية . فكيف لا تحصل المناسبة .

هذا وقد اعترض القوم على الاستدلال بالآية بامور اخر (الاول) ان الحصر إنما ينفي مافيه تردد ولا نزاع ولا خفاء في انه لا نزاع في إمامة الثلاثة عند نزول الآية ، وفيه مع النقض بالنسبة إلى الله ورسوله فانه لا نزاع للمخاطبين في ولاية مايضادهما انه لو سلم اعتبار التردد والنزاع فانما هو في القصر الاضافي لا الحقيقي ، ولو سلم كفى النزاع في علم الله تعالى فانه سبحانه عالم بوقوع النزاع في إمامة الثلاثة في المستقبل .

(الثاني) ان ظاهر الآية ثبوت الولاية بالفعل ولا شبهة في ان إمامة علي «ع» إنما كانت بعد النبي «ص» وصرف الآية إلى مايكون في المآل دون الحال لا يستقيم في حق الله ورسوله ، وفيه ان ولاية كل منهم بحسبه فولاية الوصي في طول ولاية النبي وبعدها فاذا دلت الآية على ولاية أمير المؤمنين «ع» وإمامته فقد دلت على انها بعد رسول الله على ان الحق ثبوت الولاية لامير المؤمنين «ع» في حياة النبي «ص» برتبة ثانية ، فتجب طاعته وتمضي تصرفاته لكنه ساكت غالباً كما هو شأن الامام في حياة الامام الذي قبله كالحسن «ع» في زمن أبيه والحسين في زمن أخيه «ع» ، ويدل على ذلك حديث المنزلة فانه دال على ان منزلة أمير المؤمنين «ع» من النبي «ص» كمنزلة هرون من موسى ، ومن المعلوم ثبوت الولاية لهرون مع موسى لانه شريكه ، فكذا أمير المؤمنين له الولاية الفعلية أيضاً وان سكت إذ لم يستثن إلا النبوة ، ويدل أيضاً على ذلك حديث الغدير ولذا قال له عمر : (أصبحت وأمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة) كما رواه أحمد في مسنده عن البراء بن عازب (ص ٢٨١ من الجزء الرابع) ومثله عن الثعلبي في تفسيره ، ورواه الرازي في تفسير قوله تعالى : (يأيها الرسول بلغ ماانزل اليك) الآية ، ولكن بلفظ أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة ، ورواه ابن حجر في أوائل الصواعق في الشبهة الحادية عشرة عن الطبراني عن عمر وأبي بكر بلفظ أمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة ، ويدل على ذلك أيضاً مارواه الترمذي في فضائل أمير المؤمنين «ع» المصرح

أن أمير المؤمنين «ع» أصاب جارية من سبي، فتعاقد عليه أربعة فوشوا به عند النبي فغضب وقال: (ماتريدون من علي ماتريدون من علي ان علياً مني وأنا منه وهو ولي كل مؤمن بعدي) فانه دال على مضي فعل علي فى ذلك الوقت وان له الاصطفاء من الغنيمة كالنبي «ص» لولايته مثله لانه منه أي انه كنفسه ففعله كفعله. وعليه فالبعدية فى هذه الرواية بلحاظ الرتبة لا الزمان كما يقربه خلو الحديث فى بعض الروايات عن لفظ بعدي كما رواه الحاكم فى المستدرك بفضائل أمير المؤمنين «ع» (ص ١١٠ من الجزء الثالث) وقد جاء أيضاً فى أحاديث كثيرة ان النبي «ص» قال: من كنت وليه فعلي وليه كما فى مسند أحمد عن بريدة (ص ٣٥٠ و ٣٥٨ من الجزء الخامس).

(الامر الثالث) ان الذين آمنوا صيغة جمع فلا تصرف إلى الواحد إلا بدليل، وقول المفسرين نزلت فى علي لا يقتضي الاختصاص ودعوى انحصار الاوصاف فيه مبنية على جعل (وهم راكعون) حالا من ضمير يؤتون وليس بلازم بل يحتمل العطف بمعنى انهم يركعون فى صلاتهم لا كصلاة اليهود خالية من الركوع أو بمعنى انهم خاضعون.

وفيه ان الحالية متعينة لوجهين (الأول) بعد الاحتمالين المذكورين لاستلزام أولهما التأكيد المخالف للاصل لان لفظ الصلاة مغن عن بيان انهم يركعون فى صلاتهم لتبادر ذات الركوع منها كما يتبادر من الركوع ماهو المعروف فيبطل الاحتمال الثاني أيضاً (الوجه الثاني) ان روايات النزول صريحة بالحالية وارادة الركوع المعروف (فمنها) مافى الدر المنثور للسيوطي عن ابن مردويه من حديث طويل قال فى آخره: (وخرج رسول الله «ص» فقال أعطاك أحد شيئاً، قال نعم قال من قال ذلك الرجل القائم قال على أي حال أعطاكه قال وهو راكع قال وذلك علي بن أبي طالب فكبر رسول الله «ص» عند ذلك وهو يقول ومن يتولى الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون) ومثله فى أسباب النزول للواحدي (ومنها) مافى الدر المنثور أيضاً عن الخطيب فى المتفق عن ابن عباس قال: (تصدق علي بخاتمه وهو راكع فقال النبي «ص» من أعطاك هذا الخاتم قال ذلك الراكع فأنزل الله: إنما وليكم الله ورسوله الآية) و (منها) مافى الدر المنثور أيضاً عن الطبراني وابن مردويه عن عمار بن ياسر قال

(وقف بعلي سائل وهو راكع في صلاة تطوع فنزع خاتمه فأعطاه السائل فأتى رسول الله فأعلمه ذلك فنزلت على النبي «ص» إنما وليكم الله ورسوله) الآية ، ونحوه في التقييد بقوله وهو راكع مافي الدر المنثور أيضاً عن ابن أبي حاتم وأبي الشيخ وابن عساكر عن سلمة بن كهيل ونحوه أيضاً فيه عن ابن جرير عن السدي وعتبة بن حكيم و (منها) ماعن الثعلبي وفي تفسير الرازي عن أبي ذر « ره » قال : (سمعت رسول الله « ص » بهاتين وإلا صمتا ورأيته بهاتين وإلا عميتا يقول علي قائد البررة وقاتل الكفرة منصور من نصره مخذول من خذله اما اني صليت مع رسول الله (ص) صلاة الظهر فسأل سائل في المسجد فلم يعطه أحد شيئاً وكان علي راكعاً فأومأ بخنصره اليه وكان يتختم فيها فأقبل السائل حتى أخذ الخاتم من خنصره فتضرع النبي (ص) إلى الله عز وجل فقال اللهم ان أخي موسى سألك فقال اللهم اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي واجعل لي وزيراً من أهلي هرون أخي اشدد به أزري واشركه في أمري فأنزلت عليه سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطاناً اللهم وأنا محمد عبدك ونبيك فاشرح لي صدري ويسر لي أمري واجعل لي وزيراً من أهلي علياً اشدد به ظهري ، قال أبوذر (ره) فوالله مااستتم رسول الله (ص) الكلمة حتى هبط جبرئيل بهذه الآية) . و(منها) مافي تفسير الرازي عن عبد الله بن سلام قال : (لما نزلت هذه الآية قلت يارسول الله أنا رأيت علياً تصدق بخاتمه وهو راكع فنحن نتولاه) إلى غير ذلك من الاخبار التي لاتحصى الصريحة في الحالية وإرادة الركوع المعروف الدالة على أن المراد تعيين أمير المؤمنين بهذه الاوصاف كما لاريب بارادة المفسرين اختصاص الآية بأمير المؤمنين (ع) لأن تفسيرهم مأخوذ من هذه الروايات ونحوها ، ولعمري لو فتحنا باب تلك التأويلات السوفسطائية لاسيما مع مخالفتها للأخبار لما كانت آية حجة على أمر ألبتة بل لم يثبت بكلمة الشهادة إسلام أحد وذلك غير خفي على القوم ، ولكن البغض والعداوة داء لادواء له ، فياهل ترى لونزلت هذه الآية في حق أبي بكر أوعمر أكانوا يجرون فيها هذه التأويلات أو يجعلونها أدل النصوص على الامامة وأنت تعلم انهم يزعمون ان النبي (ص) أمر أبا بكر بالصلاة في الناس ومن مذهبهم جواز إمامة

الفاسق في الصلاة ، ومع ذلك قالوا انه دليل على إمامته ، فيابعد مابين المقامين ولا أمر كأمر أبي بكر وأبي حسن وحسين .

ثم ان الفائدة في التعبير عن أمير المؤمنين (ع) وهو فرد بصيغة الجمع هي تعظيمه والاشارة إلى أنه بمنزلة جميع المؤمنين المصلين المزكين لانه عميدهم ومن أقوى الاسباب في ايمانهم ومبراتهم كما أشار إلى ذلك رسول الله (ص) بقوله يوم الخندق : برز الايمان كله إلى الشرك كله ، وجعل الزمخشري الفائدة فيه ترغيب الناس في مثل فعله لينبه ان سجية المؤمنين يجب أن تكون على هذه الغاية من الحرص على البر والاحسان .

(آية يأيها الرسول بلغ)

قال المصنف قدس الله روحه

(الثانية) قوله تعالى : (يأيها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك) نقل الجمهور انها نزلت في بيان فضل علي (ع) يوم الغدير فأخذ رسول الله (ص) بيد علي (ع) وقال : (أيها الناس ألست أولى منكم بأنفسكم) قالوا بلى يارسول الله قال : (من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله وأدر الحق معه كيفما دار) المولى يراد به الاولى بالتصرف لتقدم ألست أولى ولعدم صلاحية غيره ههنا .

وقال الفضل

اما ماذكره من إجماع المفسرين على ان الآية نزلت في علي فهو باطل فان المفسرين لم يجمعوا على هذا ، واما ماروي من ان رسول الله (ص) ذكره يوم غدير خم حين أخذ بيد علي وقال ألست أولى فقد ثبت هذا في الصحاح وقد ذكرنا سر هذا في ترجمة كتاب كشف الغمة في معرفة الأئمة ومجمله ان واقعة غــدير خم كانت في مرجع رسول الله عام حجة الوداع وغـدير خم محل افتراق قبائل العرب وكان رسول الله

يعلم انه آخر عمره وانه لايجتمع العرب بعد هذا عنده مثل هذا الاجتماع ، فأراد ان يوصي العرب بحفظ محبة أهل بيته وقبيلته ولا شك ان علياً كان بعد رسول الله «ص» سيد بني هاشم وأكبر أهـل البيت فذكر فضائله وساواه بنفسه في وجوب الولاية والنصرة والمحبة معه ليتخذه العرب سيداً ويعرفوا فضله وكماله ، ولينصف المنصف من نفسه لو كان يوم غـدير خم صرح رسول الله « ص » بخلافة علي نصاً جلياً لايحتمل خلاف المقصود ألا ترى العرب مع جلافتهم وكفرهم بعد رسول الله « ص » وجعلهم الأنبياء فيهم مثل مسيلمة الـكذاب وسجاح وطليحة كانوا يسكتون على خلافة أبي بكر وكانوا لايتكلمون بنباس في أمر خلافة علي مع ان رسول الله « ص » نص على المنـبر بمحضر جميع قبائل العرب ، ان أنصف المتأمل العاقل علم أن لانص هناك .

وأقول

لم يذكر المصنف «ره» المفسرين في كلامه هنا فضلا عن انه ادعى إجماعهم وإنما نقل رواية الجمهور لنزول الآية في فضل علي «ع» وهو حق ، فانه قد رواه الـكثير منهم ، فقد نقل السيوطي في الدر المنثور بتفسير الآية عن ابن أبي حاتم وابن مردويه وابن عساكر بأسانيدهم عن أبي سعيد قال : (نزلت على رسول الله « ص » يوم غدير خم في علي) ونقل أيضاً عن ابن مردويه باسناده عن ابن مسعود قال : (كنا نقرأ على عهد رسول الله يأيها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك ان علياً مولى المؤمنين وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس) وروى الواحدي في أسباب النزول عن أبي سعيد قال (نزلت يوم غدير خم في علي) ونقل المصنف «ره» نحو هذا في منهاج الـكرامة عن أبي نعيم عن عطية ، ونقل أيضاً نحو ماذكره هنا عن الثعلبي ، وقال الرازي في أحـد وجوه نزولها (ولما نزلت أخذ بيده وقال : من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ، فلقيه عمر فقال هنيئاً لك ياابن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة ، وهو قول ابن عباس والبراء بن عازب ومحمد بن علي) ثم قال : (واعلم ان هذه الروايات وان كثرت إلا أن الأولى حمله على انه آمنه من مكر اليهود والنصارى

وأمره باظهار التبليغ من دون مبالاة منه بهم ، وذلك لأن ماقبل هذه الآية وما بعدها بكثير لما كان كلاما مع اليهود والنصارى امتنع القاء هذه الآية الواحدة في البين على وجه تكون أجنبية عما قبلها وما بعدها) وفيه مع ان هذا اجتهاد في مقابلة النص وهو غير مقبول أن سورة المائدة آخر سورة نزلت من القرآن كما رواه الحاكم في المستدرك ورواه غيره أيضاً وكان نزولها بحجة الوداع ، ومن المعلوم انه حينئذ لم تكن لليهود والنصارى شوكة يخشى منها النبي (ص) أن يبلغ ماانزل اليه . فالمناسب ان النبي (ص) خاف منافقي قومه ومن الواضح انه لايخشاهم من تبليغ شيء جاء به إلا نصب علي (ع) إماماً عداوة وحسداً له ، وقد ورد عندنا ان جبرئيل (ع) نزل على النبي (ص) في حجة الوداع بأن ينصب علياً خليفة له فضاق رسول الله (ص) به ذرعا مخافة تكذيب أهل الافك وقال لجبرئيل ان قومي لم يقروا لي بالنبوة إلا بعد أن جاهدت فكيف يقرون لعلي بالامامة في كلمة واحدة وعزم على نصبه بالمدينة فلما وصل إلى غدير خم نزل عليه قوله تعالى : (يأيها الرسول بلغ ماانزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس) ولما سار بعد نصبه ووصل العقبة دحرجوا له الدباب لينفروا ناقته ويقتلوه فينقضوا فعله فعصمه الله سبحانه منهم ، ثم أراد أن يؤكد عليه النص في كتاب لايضلون بعده فنسبوه إلى الهجر وأراد تسييرهم بجيش اسامة فعصوه ، واما توسط هذه الآية بين الآيات المتعلقة باليهود والنصارى فللاشارة إلى ان المنافقين بمنزلتهم ومن سنخهم في الضلال والكفر ولذا حكم بارتدادهم في اخبار الحوض ولو كان المقصود هو العصمة عن اليهود والنصارى لكان الأولى هو الاضمار لا التعبير عنهم بالناس

ثم انه لابد من تحقيق حديث الغدير في الجملة سنداً ودلالة فهنا مطلبان : (الأول) في صحته وهي لاريب فيها لأحد إلا لبعض النصاب كما ستعرف ، قال ابن حجر في الصواعق في الشبهة الحادية عشرة من الفصل الخامس من الباب الأول : (انه حديث صحيح لامرية فيه وقد أخرجه جماعة كالترمذي والنسائي وأحمد ، وطرقه كثيرة جداً . ومن ثم رواه ستة عشر صحابياً وفي رواية لأحمد انه سمعه من النبي (ص) ثلاثون صحابياً وشهدوا به لعلي لما نوزع أيام خلافته كما مر وسيأتي) (أقول) وهذا صريح

في دلالة الحديث على الخلافة ثم قال في الصواعق : (وكثير من أسانيده صحاح وحسان ولا التفات لمن قدح في صحته ولا لمن رده بأن علياً كان باليمن لثبوت رجوعه منها وإدراكه الحج مع النبي (ص) وقول بعضهم ان زيادة اللهم والِ من والاه الخ موضوعة ، مردود فقد ورد ذلك من طرق صحح الذهبي كثيراً منها) والدعاء الذي أشار اليه هنا قد ذكره قبل هذا الكلام بلفظ اللهم والِ من والاه وعاد من عاداه وأحب من أحبه وابغض من أبغضه وانصر من نصره واخذل من خذله وأدر الحق معه حيث دار ، بل الحق ان هذا الحديث من المتواترات حتى عند القوم فقد نقل السيد السعيد (ره) عن الجزري الشافعي انه أثبت في رسالته أسنى المطالب في مناقب علي بن أبي طالب تواتره من طرق كثيرة ونسب منكره إلى الجهل والعصبية واعترف الحافظ السيوطي كما نقل عنه بتواتره ، وكيف لايكون متواتراً وقد زادت طرقه على مائة عندهم ورواه سبعون صحابياً أو أكثر ، نقل جماعة عن الطبري صاحب التاريخ المشهور انه أخرج هذا الحديث من خمسة وسبعين طريقاً وأفرد له كتاباً سماه الولاية ، ونقلوا عن ابن عقدة انه أخرجه من مائة وخمسة طرق وأفرد له كتاباً سماه الموالاة ، وأشار إلى الكتابين ابن حجر العسقلاني في تهذيب التهذيب بترجمة أمير المؤمنين (ع) قال : (صح حديث الموالاة واعتنى بجمع طرقه أبو العباس بن عقدة فأخرجه من حديث سبعين صحابياً أو أكثر وقد جمعه ابن جرير الطبري في مؤلف) وقال ابن حجر في الاصابة بترجمة أبي قدامة الأنصاري : (ذكره أبو العباس ابن عقدة في كتاب الموالاة الذي جمع فيه طرق حديث من كنت مولاه فعلي مولاه فأخرج فيه من طريق محمد بن كثير عن فطر عن أبي الطفيل قال : كنا عند علي (ع) فقال انشدكم الله من شهد يوم غدير خم ؟ فقام سبعة عشر رجلا منهم أبو قدامة الأنصاري فشهدوا أن رسول الله (ص) قال ذلك) .

ولنذكر بعض ماعثرنا عليه من أخبار القوم الذي ينفعنا في الدلالة على المطلوب لاشتماله على قرائن وخصوصيات لاتناسب غير الاهتمام بالامامة وان لم يرووا من الحقيقة إلا أقلها ، فمن ذلك البعض الذي أردناه مارواه الحاكم في المستدرك (ص ١٠٩ من الجزء الثالث) عن زيد بن أرقم وقال صحيح على شرط الشيخين : (قال زيد لما رجع

رسول الله (ص) من حجة الوداع ونزل غدير خم أمر بدوحات فقممن فقال كأني قد دعيت فأجبت اني قد تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله وعترتي فانظروا كيف تخلفوني فيهما فانهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض ثم قال إن الله عزوجل مولاي وأنا مولى كل مؤمن ثم أخذ بيد علي فقال من كنت مولاه فهذا وليه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه) ومثله في كنز العمال (ص ٣٩٠ من الجزء السادس) نقلا عن ابن جرير في تهذيب الآثار بسنده عن أبي الطفيل وفي آخره : (فقلت لزيد أنت سمعته من رسول الله (ص) ؟ فقال ما كان في الدوحات أحد إلا قد رآه بعينيه وسمعه باذنيه) ثم قال في الكنز : (أيضاً ابن جرير عن عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري مثل ذلك) .

(ومن ذلك) البعض أيضاً مارواه الحاكم بعد الحديث المذكور عن زيد بن أرقم وصححه على شرط الشيخين : (قال زيد نزل رسول الله (ص) بين مكة والمدينة عند شجرات خمس دوحات عظام فكنس الناس ماتحت الشجرات ثم راح رسول الله عشية فصلى ثم قام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه وذكر ووعظ فقال ماشاء الله أن يقول ثم قال : أيها الناس إني تارك فيكم أمرين لن تضلوا إن اتبعتموهما وهما كتاب الله وأهل بيتي عترتي ثم قال أتعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم ـ ثلاث مرات ـ قالوا نعم فقال رسول الله من كنت مولاه فعلي مولاه) .

و (منه) أيضاً مارواه أحمد في مسنده عن البراء بن عازب (١) من طريقين رجالهما رجال صحيح ابن مسلم وأكثرهم أيضاً من رجال صحيح البخاري قال : (كنا مع رسول الله (ص) في سفر فنزلنا بغدير خم فنودي فينا الصلاة جامعة وكسح لرسول الله تحت شجرتين فصلى الظهر وأخذ بيد علي فقال : ألستم تعلمون اني أولى بالمؤمنين من أنفسهم قالوا بلى قال ألستم تعلمون أني أولى بكل مؤمن من نفسه قالوا بلى قال فأخذ بيد علي فقال من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه قال فلقيه عمر بعد ذلك فقال له : هنيئاً لك يا ابن أبي طالب أصبحت وأمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة) .

(١) ص ٣٨١ من الجزء الرابع .

و(منه) أيضاً مارواه أحمد (١) عن زيدبن أرقم قال : (نزلنا مع رسول الله (ص) بواد يقال له وادي خم فأمر بالصلاة فصلاها بهجير قال نخطبنا وظلل لرسول الله بثوب على شجرة سمرة من الشمس فقال : ألستم تعلمون ـ أو ألستم تشهدون ـ أني أولى بكل مؤمن ومؤمنة من نفسه قالوا بلى قال فمن كنت مولاه فان علياً مولاه اللهم عاد من عاداه ووال من والاه) وروى نحوه بعده بقليل .

و (منه) أيضاً مارواه أحمد أيضاً (٢) عن حسين بن محمد وأبي نعيم قالا : (حدثنا قطر عن أبي الطفيل قال جمع علي الناس في الرحبة ، ثم قال لهم أنشد الله كل امرىء مسلم سمع رسول الله يقول يوم غدير خم ماسمع لما قام فقام ثلاثون من الناس وقال أبو نعيم فقام ناس كثير فشهدوا حين أخذه بيده فقال للناس أتعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم قالوا نعم يارسول الله قال من كنت مولاه فهذا مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه قال نخرجت وكان في نفسي شيء فلقيت زيد بن أرقم فقلت له إني سمعت علياً يقول كذا وكذا قال فما تنكر قد سمعت رسول الله يقول ذلك له) .

وروى أحمد في مسند علي (ع) حديث المناشدة من عدة طرق اثنان منها (٣) عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال في أحدهما (فقام اثنى عشر بدريا) وفي الآخر (فقام اثنى عشر رجلا فقام إلا ثلاثة لم يقوموا فأصابتهم دعوته) ونقل في كنز العمال نحو الأخير (٤) عن الخطيب في الافراد عن عبد الرحمن قال فيه : (فقام بضعة عشر رجلا فشهدوا وكتم قوم فما فنوا من الدنيا إلا عموا وصموا) ونقل أيضاً في الكنز حديث المناشدة (٥) عن أبي عاصم وابن جرير والخطيب وسعيد بن منصور وأبي يعلى وغيرهم ونقله أيضاً قبل ذلك (٦) عن الطبراني وعن عمير بن سعد بروايتين وعن البزار وابن جرير والخلعي عن عمر ذي مرة وسعيدبن وهب وزيد بن سبع قالوا : (سمعنا علياً يقول نشدت الله رجلا سمع رسول الله يقول يوم غديرخم ماقال لما قام فقام ثلاثة عشر رجلا

(١) ص ٣٧٢ من الجزء الرابع . (٢) ص ٣٧٠ من الجزء السابق .
(٣) ص ١١٩ من الجزء الأول . (٤) ص ٣٩٧ من الجزء السادس .
(٥) ص ٤٠٧ من الجزء المذكور . (٦) ص ٤٠٣ .

فشهدوا ان رسول الله (ص) قال ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم قالوا بلى يارسول الله فأخذ بيد علي فقال : من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وأحب من أحبه وأبغض من أبغضه وانصر من نصره واخذل من خذله) ثم قال في الكنز : (قال البيهقي رجال سنده ثقات قال ابن حجر ولكنهم شيعة) ﴿ أقول ﴾ هل مع توثيقهم وشهرة حديث المناشدة تلك الشهرة وثبوت صحته وصحة أصل حديث الغدير محل لتهمة الرواة لتشيعهم لو صح كونهم شيعة ولكن ابن حجر وأشباهه أبوا أن يسمعوا فضيلة لامام المتقين إلا أن يقولوا فيها شيئاً ليكونوا محلا لدعاء النبي (ص) بقوله (واخذل من خذله) .

و (منه) ما رواه النسائي في الخصائص بسنده عن سعد قال : (كنا مع رسول الله بطريق مكة فلما بلغ غدير خم وقف الناس ثم رد من سبقه ولحقه من تخلف فلما اجتمع الناس اليه قال : من وليكم ؟ قالوا الله ورسوله ثلاثاً ثم قال من كان الله ورسوله وليه فهذا وليه) وأخرجه أيضاً بطريق آخر عن سعد وقال في أوله : (ألم تعلموا أني أولى بكم من أنفسكم) .

و (منه) ماذكره ابن حجر في الصواعق في المقام السابق قال : (ولفظه عند الطبراني وغيره بسند صحيح أنه (ص) خطب بغدير خم تحت شجرات فقال : أيها الناس أنه قد نبأني اللطيف الخبير أنه لم يعمر نبي إلا نصف عمر النبي الذي يليه من قبله وإني لأظن أني يوشك أن أدعى فأجيب وإني مسؤل وإنكم مسؤلون فماذا أنتم قائلون ؟ قالوا : نشهد أنك بلغت وجهدت ونصحت فجزاك الله خيراً ، فقال : أليس تشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وأن جنته حق وأن ناره حق وأن الموت حق وأن البعث حق بعد الموت وأن الساعة آتية لاريب فيها وأن الله يبعث من في القبور ، قالوا بلى نشهد بذلك ، قال اللهم اشهد ، ثم قال : أيها الناس إن الله مولاي وأنا مولى المؤمنين وأنا أولى بهم من أنفسهم فمن كنت مولاه فهذا مولاه — يعني علياً — اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ، ثم قال : أيها الناس إني فرطكم وأنتم واردون علي الحوض حوض أعرض مما بين بصرى إلى صنعاء فيه عدد النجوم قدحان من فضة وإني سائلكم حين

تردون علي عن الثقلين فانظروا كيف تخلفوني فيهما الثقل الاكبر كتاب الله عز وجل سبب طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم فاستمسكوا به لا تضلوا ولا تبدلوا وعترتي أهل بيتي فانه نبأني اللطيف الخبير انهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض) .

و (منه) مارواه صاحب المواقف وشارحها والقوشجي في شرح التجريد (ان النبي (ص) أحضر القوم بغدير خم وأمر بجمع الرحال فصعد عليها وقال لهم ألست أولى بكم من انفسكم قالوا بلى قال فمن كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله) ولنكتف بهذا القدر فان فيه الكفاية لمن طلب الحق .

﴿ المطلب الثاني ﴾ في دلالة الحديث على إمامة أمير المؤمنين (ع) ، فنقول : ذكروا للمولى معاني عديدة منها المعتِق والمعتَق والحليف والجار والابن والعم وابن العم والمحب والناصر والمالك للأمر الذي هو عبارة اخرى عن الاولى بالتصرف ولاشك انه لا يصح في المقام إلا المعنى الأخير لأمرين :

(الأول) عدم صلاحية إرادة تلك المعاني الباقية إما في أنفسها كالمعتق والعم والابن ونحوها أو لكونها من توضيح الواضحات الغنية عن الاهتمام ببيانها كالمحب والناصر .

(الثاني) وجود القرائن المعينة لارادة المعنى الأخير (فمنها) سبق أمر الله سبحانه نبيه بهذا التبليغ وقوله : (إن لم تفعل فما بلغت رسالته) فانه لا يصح حمله على الأمر بتبليغ أن علياً محب او ناصر لمن أحبه النبي (ص) او نصره فان الذي يليق بهذا التهديد هو أن يكون المبلغ به أمراً دينياً يلزم الامة الأخذ به كالامامة لامثل الحب والنصرة من علي (ع) لهم التي لادخل لها بتكليفهم ، فهل ترى أن الله ورسوله يريدان تسجيل الأمر على علي (ع) والاشهاد عليه لئلا يفعل ماينافي الحب والنصرة او يريدان توضيح الواضحات والاخبار بالبديهيات ، على ان نصرة علي (ع) لكل مؤمن ومؤمنة موقوفة على إمامته وزعامته العامة إذ لا تتم منه وهو رعية ومحكوم لغيره في جل أيامه ولذا لم يقدر على نصر أخص الناس به وهو سيدة النساء مع علمه بأنها محقة في دعواها فلابد اما ان يكون كلام رسول الله (ص) وقوله : من كنت مولاه فعلي مولاه كذبا

وحاشاه او بياناً لامامة علي وهو المطلوب .

و (منها) تقرير النبي (ص) لهم بأنه أولى بهم من أنفسهم فانه دال على أنه مقدمة لاثبات أمر عليهم يحتاج إلى مثل هذا التقرير فاذا قال من كنت مولاه فعلي مولاه علم أن الغرض إثبات تلك المنزلة لعلي (ع) عليهم وايجاب إمامته عليهم لاالاخبار بأنه محب لمن أحبه أو ناصر لمن نصره .

و (منها) انه (ص) بين قرب موته كما في رواية الحاكم الاولى ورواية الصواعق وغيرهما وهو مقتض للعهد بالخلافة ومناسب له فلا بد من حمل قوله : (من كنت مولاه فعلي مولاه) على العهد لأمير المؤمنين بالخلافة لا على بيان الحب والنصرة ولا سيما مع قوله في رواية الحاكم (انى تركت) الى آخره الدال على الحاجة إلى عترته وكفايتهم مع الكتاب فيما تحتاج اليه الامة ، وقوله فى روايةالصواعق : (إنى سائلكم عنهما) وقوله (لن يفترقا) بعد أمره بالتمسك بالكتاب فان هذا يقتضي وجوب التمسك بهم واتباعهم فيسأل عنهم وذلك لايناسب إلا الامامة .

و (منها) انه (ص) دعا لعلي بما يناسب الدعاء لولاة العهد بعد نصبهم للزعامة العامة فقال اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله وأدر الحق معه حيث دار ، او نحو ذلك فكيف يصح حمل المولى على المحب او الناصر

و (منها) قرائن الحال الدالة على ان ما أراد النبي (ص) بيانه هو أهم الامور واعظمها كأمره بالصلاةجامعة فى السفر بالمنزل الوعربحر الحجاز وقت الظهيرة مع إقامة منبر من الأحداج له وقيامه خطيباً بين جماهير المسلمين الذين يبلغ عددهم مائة الف اويزيدون ، فلابد مع هذا كله ان يكون مراد النبي (ص) بيان إمامة امير المؤمنين(ع) التي يلزم إيضاح حالها والاهتمام بشأنها وإعلام كل مسلم بها لا مجرد بيان أن علياً محب لمن أحبته وناصرلمن نصرته وهو لاأمر ولا إمرة له ، وعلى هذا فبالنظر إلىخصوص كل واحدة من تلك القرائن الحالية والمقالية فضلا عن مجموعها لاينبغي أن يشك ذو إدراك فى إرادة النص علىعلي (ع) بالامامة وإلافكيف تستفاد المعانىمنالألفاظ وكيف يدل الكتاب العزيز اوغيره على معنى من المعانى ، وهل يمكن أن لايرادالامامة

وقد طلب امير المؤمنين (ع) من الصحابة بمجمع الناس بيان الحديث ودعا على من كتمه ، إذ لو اريد به مجرد الحب والنصرة لما كان محلا لهذا الاهتمام ولا كان مقتض لأن يبقى فى أبى الطفيل منه شيء وهو امر ظاهر ليس به عظيم فضل حتى قال له زيد بن أرقم ماتنكر قد سمعت رسول الله (ص) يقول ذلك له كما سبق ، ولا كان مستوجباً لتهنئة ابى بكر وعمر لأميرالمؤمنين (ع) بقولهما : (أصبحت مولى كل مؤمن ومؤمنة) فان التهنئة لأمير المؤمنين الذي لم يزل محلا لذكر رسول الله (ص) بالفضائل العظيمة والخصائص الجليلة إنما تصح على أمر حادث تقصرعنه سائر الفضائل وتتقاصر له نفوس الأفاضل وتتشوق اليه القلوب وتتشوف له العيون ، فهل يمكن ان يكون هوغيرالامامة من النصرة ونحوها مما هو أيسر فضائله وأظهرها وأقدمها ، ولكن كما قال الغزالي فى سر العالمين : (ثم بعد ذلك غلب الهوى وحب الرياسة وعقود البنود وخفقان الرايات وازدحام الخيول وفتح الأمصار والأمر والنهي فحملهم على الخلاف فنبذوه وراءظهورهم واشتروا به ثمناًقليلا فبئس مايشترون) وقد ذكر جماعة من القوم ان سر العالمين للغزالي كالذهبي فى ميزان الاعتدال بترجمة الحسن بن الصباح الاسماعيلي ، هذا ويشهد لارادة الامامة من الحديث فهم الناس لها منه كما سبق فى الرواية التي نقلناها فى اول المطلب الأول عن ابن حجر فى الصواعق عن احمد حيث قال : وفى رواية لأحمد انه سمعه من النبي (ص) ثلاثون صحابياً وشهدوا به لعلي (ع) لما نوزع فى أيام خلافته ، فان قوله (لما نوزع) دال على ان استشهاد امير المؤمنين إنما كان للاستدلال على خلافته وصحتها وانها من النبي (ص) فهو (ع) وشهوده وراوي ذلك قد فهموا من الحديث الامامة ويشهد ايضاً لارادتها منه إكثار الشعراء واهتمامهم فى ذكرهذا الحديث وفهمهم منه الامامة ، قال سبط ابن الجوزي فى تذكرة الخواص أكثرت الشعراء فى يوم غدير خم فقال حسان بن ثابت :

يناديهم يوم الغدير نبيهم بخم فاسمع بالرسول مناديا
وقال فمن مولاكم ووليكم فقالوا ولم يبدوا هناك التعاميا
الهك مولانا وانت ولينا ومالك منا فى الولاية عاصيا

فقال له قم ياعلي فانني رضيتك من بعدي إماماً وهاديا
فمن كنت مولاه فهذا وليه فكونوا له أنصار صدق مواليا
هناك دعا اللهم وال وليه وكن للذي عادى علياً معاديا

قال (وروي ان النبي (ص) لما سمعه ينشد هذه الأبيات قال له ياحسان لا تزال مؤيداً بروح القدس مانصرتنا او نافحت عنا بلسانك) وقال قيس بن سعد بن عبادة وأنشدها بين يدي علي بصفين :

قلت لما بغى العدو علينا حسبنا ربنا ونعم الوكيل
وعلي إمامنـــا وإمام لسوانا به أتى التـــنزيل
يوم قال النبي من كنت مو لاه فهذا مولاه خطب جليل
ان ماقاله النبي على الأ مة نص (١) مافيه قال وقيل

ثم ذكر السبط ابياتاً للكميت منها :

ويوم الدوح دوح غدير خم أبان له الولاية لو اطيعا
ولـكن الرجال تبايعوها (٢) فلم أر مثله خطراً مبيعا

قال السبط : ولهذه الأبيات قصة عجيبة حدثنا بها شيخنا عمرو بن صافي الموصلي قال انشد بعضهم هذه الأبيات فبات مفكراً فرأى علياً (ع) في المنام فقال له أعـد علي ابيات الكميت فأنشده إياها حتى بلغ قوله خطراً مبيعا فأنشده علي (ع) بيتاً آخر من قوله زيادة فيها :

فلم أر مثل ذاك اليوم يوماً ولم أر مثله حقاً اضيعا

ثم ذكر السبط ابياتاً من نحو هذا للسيد الحميري وبديع الزمان الهمداني ولا يمكن استيفاء ماقاله الشعراء فانه مما يمتنع حصره . هذا وقد اورد القوم على الحديث بامور حقيقة بالاعراض عنها لولا إرادتنا استيفاء ماعندهم .

(الأول) منع صحته ، قال في المواقف وشرحها ودعوى الضرورة في العلم بصحته لـكونه متواتراً مكابرة كيف ولم ينقله اكثر أصحاب الحديث كالبخاري ومسلم واضرابهما

---

(١) وفي نسخة « حتم » بدل « نص » . (٢) وفي نسخة « تدافعوها » .

وقد طعن بعضهم فيه كأبي داود السجستاني وأبي حاتم الرازي وغيرهما من أئمة الحديث

﴿ أقول ﴾ ان اريد بمنع صحته انه لم يرو بسند صحيح كذبهم تصحيح الحاكم وغيره له حتى أن الذهبي على نصبه وابن حجر على تعصبه اعترفا بصحة كثير من طرقه كما سبق ، وإن اريد عدم إفادته اليقين بالصدور لعدم كونه متواتراً عندهم فتتجه في الجملة من حيث حصول الشبهة في الامامة عندهم . ولكن الحق أنه لامحل لمنع تواتره لاستفاضة طرقه بينهم فضلا عنا استفاضة توجب أعلى مراتب التواتر عند من أنصف ، وقد اعترف السيوطي كما عرفت بتواتره وكذلك ابن الجزري حتى نسب منكر تواتره إلى الجهل والتعصب .

واما عدم ذكر البخاري ومسلم له فغير عجيب إذ كم أهملا أخباراً صحيحة عندهم واستدركها أصحابها ولست ألومها على إهمالهما لهذا الحديث الصحيح المتواتر لا لمجرد عدم موافقته لمذهبهما بل لرعاية ملوك زمانهما وهوى قومهما والناس على دين ملوكهم ، وبهذا تعلم عذر السجستاني وأبي حاتم . قال سني لشيعي مالكم تنوحون على الحسين في كل وقت وقد مضت على قتله السنون فقال نخاف أن تنكروا قتله ومظلوميته كما انكرتم بيعة الغدير .

(الثاني) ان علياً لم يكن يوم الغدير مع النبي «ص» فانه كان باليمن ، ويرد عليه ان رجوعه من اليمن وحضوره الحج مع النبي «ص» مما تظافرت به الأخبار كما ستعرف بعضها في تحريم عمر المتعتين وقد عرفت إقرار ابن حجر بثبوت ذلك .

(الثالث) أن أكثر رواته لم يرووا مقدمة الحديث وهي (ألست أولى بكم من أنفسكم) وفيه أنه لو سلم عدم ذكر الأكثر لها كفانا وجودها في الصحاح الكثيرة والأخبار المتظافرة . وقد نص ابن حجر والذهبي والحاكم وغيرهم على صحتها كما سبق .

(الرابع) أن مفعل بمعنى افعل لم يذكره أحد من أئمة العربية مع أن الاستعمال على خلافه لجواز أن يقال هو أولى من كذا دون مولى من كذا ، ولو سلم فأين الدليل على ان المراد الأولى بالتصرف والتدبير بل يجوز أن يراد الاولى في أمر من الامور كما قال تعالى : (ان اولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه) وأراد الأولوية في الاتباع والاختصاص به والقرب منه لافي التصرف به ، ولصحة الاستفسار اذ يجوز أن يقال في أي شيء

هو أولى أفي نصرته أو محبته أو التصرف فيه ؛ واصحة التقسيم بأن يقال كونه أولى به إما في نصرته وإما في ضبط أمواله وإما في تدبيره والتصرف فيـــه ، وحينئذ لا يدل الحديث على إمامته ، هذا ماذكره في المواقف وشرحها ، وفيه (أولا) أن أبا عبيدة فسر المولى في قوله تعالى ومأواكم النار هي مولاكم بالاولى بكم كما حكاه عنه في شرح التجريد للقوشجي ، و (ثانياً) ان من يفسر المولى في الحديث بالاولى بالتصرف لم يرد انه إسم تفضيل مثله حتى يرد عليه أنه يقال هو أولى من كذا ولا يقال مولى من كذا بل أراد التفسير بحاصل المعنى بقرينة مقدمة الحديث وهي قوله : ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم فان هـذه المقدمة تدل على ان المراد بمولاهم الاولى بهم من أنفسهم ، وهو عبارة اخرى عن الاولى بالتصرف وإن شئت أن تفسر المولى بمالك الأمر كما هو معناه الحقيقي كان أحسن فيكون معنى الحديث من كنت مالك أمره لكوني أولى به من نفسه فعلي مثلي مالك أمره كقوله : (أيما امرأة نكحت بغير إذن مولاها) أي مالك أمرها ، وكيف كان فالنتيجة واحدة وهي ان علياً «ع» مالك أمر الامة وإمامها وأولى بها من أنفسها في التصرف كالنبي «ص» ؛ واما مازعماه من جواز أن يراد الاولى في امر من الامور غير التصرف وما زعماه من صحة الاستفسار والتقسيم فخطأ ظاهر لابتناء ذلك على إجمال الحديث ، وقد عرفت ان مقدمته وغيرها من القرائن تدل على أن المراد بالمولى الاولى بهم من انفسهم في التصرف ومالك امرهم وإمامهم ، كيف ولو كان الحديث مجملا مع تلك القرائن حتى يدخله الاحتمال المذكور ويجوز فيه الاستفسار والتقسيم لكانت كلمة الشهادة أولى بالاجمال لامكان الاستفسار فيها بأن المراد هل هو لا إله إلا الله في السماء او في الأرض او لا إله إلا الله في آسيا او اوربا او غيرهما إلى غير ذلك ، ولامكان التقسيم أيضاً بنحو ذلك ، وهذا لا يقوله ذو معرفة .

(الخامس) انه لو سلم دلالة الحديث على إمامة علي «ع» فلا نسلم دلالته على كونها بعد النبي «ص» بلا فصل حتى تنتفي إمامة الثلاثة ، وفيه ان هذا مكابرة ظاهرة إذ كيف يترك النبي «ص» في حال نصب إمام للمسلمين لحضور اجله ذكر ثلاثة وينص على من بعدهم الذي يكون إماماً بعد خمس وعشرين سنة من وفاته ، ولو جاز ذلك لكان جميع

ولاة العهد محل كلام إذ لا يقـول السلطان هذا ولي عهدي بلا فصل ؛ بل على احتمالات القوم لو قال رسول الله «ص» من كنت مولاه فعلي مولاه بعدي ، لقالوا لامنافاة بين البعدية والفصل بغيره ، كما صنع القوشجي في قوله «ص» أنت وصيي وخليفتي من بعدي ، بل لو قال فعلي مولاه بعدي بلا فصل لقالوا يحتمل ان يكون المعنى بلا فصل من غير الثلاثة ، ولا عجب ممن نشأ على التعصب وحب العاجلة وقال إنا وجدنا آباءنا على ملة .

(بقي شيء) وهو ماذكره الفضل في تأويل الحديث فنقول : يظهر منه ان المراد بالمولى في الحديث المحبوب والمنصور لأنه قال : (أراد ان يوصي العرب بحفظ محبة اهل بيته وقبيلته) إلى ان قال : (وساواه بنفسه في وجوب الولايه والنصرة والمحبة معه ليتخذه العرب سيداً) الى آخره ، فان هذا يقتضي ان يكون معنى قوله « ص » من كنت مولاه فعلي مولاه من كنت محبوبه او منصوراً له فعلي كذلك ، وفيه مع ان المولى لم يستعمل بمعنى المحبوب والمنصور انك عرفت ان القرائن الحالية والمقالية تقتضي إرادة مالك الأمر كما هو واضح حتى ظهر الحق على لسان قلمه من حيث يريد إخفاءه فان مساواة علي بنفس النبي في وجوب محبته ونصرته على الاطلاق لاتتم إلا بثبوت منزلته له من الرياسة العامة والعصمة ولذا كانت النتيجة كما ذكرها الفضل ان يتخذه العرب سيداً

واما ماعرض به من الانصاف فياحبذا لو سلك سبيله فانه اذا أقر بجلافة اولئك العرب وكفرهم بعد النبي «ص» واتخاذهم الأنبياء فيهم كمسيلمة وسجاح فقد كان الأنسب بهم مخالفة النص الصريح واتخاذ خليفة غير الخليفة الحق ولا سيما أن أبا بكر كان مستعيناً بظاهر الصحبة وتمويه الأقران ؛ وما ادري من اين فهم الفضل إرادة النبي الوصية بحفظ محبة مطلق قبيلته لولا عدم الانصاف وكراهة تخصيص امير المؤمنين «ع» بالفضل والنص ، ولو رأيت ماذكره ابن حجر في الصواعق بالنسبة الى الجواب عن الحديث من الخرافات والآراء السخيفة وأخبارهم الكاذبة لعرفت الى أين يبلغ عنادهم للحق وتعصبهم للهوى .

(آية التطهير)

قال المصنف أعلى الله درجته

(الثالثة) قوله تعالى : (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيراً) أجمع المفسرون وروى الجمهور كأحمد بن حنبل وغيره انها نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين وروى ابو عبد الله محمد بن عمران المرزباني عن ابي الحمراء قال : خدمت النبي «ص» تسعة اشهر او عشرة وكان عند كل فجر لايخرج من بيته حتى يأخذ بعضادتي باب علي فيقول : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فيقول علي وفاطمة والحسن والحسين : عليك السلام يانبي الله ورحمة الله وبركاته ؛ ثم يقول الصلاة رحمكم الله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا . ثم ينصرف الى مصلاه ، والكذب من الرجس ولا خلاف في ان امير المؤمنين «ع» ادعى الخلافة لنفسه فيكون صادقا .

وقال الفضل

اما إجماع المفسرين على ان الآية نزلت في علي فخلاف الواقع ولم يجمعوا على ذلك بل اكثر المفسرين على ان الآية نزلت في شأن الأزواج وهو المناسب لنظم القرآن قوله تعالى : (يانساء النبي لستن كأحد من النساء ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولا معروفا وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى واقمن الصلاة وآتين الزكاة واطعن الله ورسوله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا) هذا نص القرآن يدل على انها نزلت في ازواج النبي «ص» لأنه مذكور في قرن حكاياتهن والمخاطبة معهن ولكن لما عدل عن صيغة خطاب الاناث الى خطاب الذكور فلا يبعد ان تكون نازلة في شأن كل اهل بيت النبي «ص» من الرجال والنساء فشملت علياً وفاطمة والحسن والحسين وازواج النبي « ص » وعلى هذا فليس الرجس ههنا محمولا على الطهارة من كل الذنوب بل المراد من الرجس الشرك

وكبائر الفواحش كالزنا كما يدل عليه سابق الآية وهو قوله تعالى : (فيطمع الذي في قلبه مرض) ولو سلمنا هذا فلا نسلم ان علياً ادعى الامامة لنفسه ولو كان يدعيها لما كان يدعيها بالعجز والخفية لوجود القوة والشجاعة والأعوان وكثرة القبائل والعشائر وشرف القوم وغيرها من الفضائل ، ثم لو كان الرجس محمولا على الذنب لما كانت عائشة مؤاخذة بذنبها في وقعة الجمل لأن الآية نزلت فيها وفي ازواج النبي غيرها على قول اكثر المفسرين فلا يتم له الاستدلال بهذه الآية .

واقول

لم يبعد ان يكون مراد المصنف باجماع المفسرين على ذلك هو اجماع الشيعة والسنة على القول به أي انه من مقول الطرفين معاً وان لم يجمع عليه السنة ، او يكون مراده إجماع من يعتد بقوله في مثل ذلك فان المخالف هو عكرمة ومقاتل واشباههما ممن لا يجوز حتى للقوم الاعتداد بقوله في مقام النزول وشبهه ، لأن قول المفسر إنما يؤخذ به في ذلك اذا كان رواية عن النبي « ص » او من يعتبر قوله من الصحابة لأنه من باب الاخبار ، وعكرمة كذاب خارجي كما سبق بعض ترجمته في مقدمة الكتاب فلا يعتد بخبره في ذلك فضلا عن رأيه ولا سيما انه متعلق بفضل آل محمد وكذا مقاتل كان كذابا حتى قال النسائي الكذابون المعروفون بوضع الحديث على رسول الله « ص » اربعة وعدّه منهم وكان يأخذ علم القرآن من اليهود والنصارى وكان دجالاً جسوراً اسند ظهره الى القبلة وقال سلوني عما دون العرش ، فسئل عن النملة اين امعاؤها في مقدمها اومؤخرها ؟ فلم يحرجوابا ، وسئل عن آدم حين حج من حلق رأسه ؟ فبقي ضالا راجع ميزان الاعتدال وتهذيب التهذيب ووفيات الأعيان تجد ماذكرناه من بعض احواله الخبيثة ، وقس على هذين الكذابين اللذين هما من رؤس مفسريهم غيرهما .

واما قول الفضل : (اكثر المفسرين على ان الآية نزلت في شأن الأزواج) فغير صحيح لأن ابن حجر اكثرمنه اطلاعاً ، قال في الصواعق عند ذكر الآية في فضائل اهل البيت « ع » : (اكثر المفسرين على انها نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين)

بل الحق ان القائلين بنزولها في شأن الأزواج خاصة أقل القليل بالنسبة إلى غيرهم لأن جميع مفسري الشيعة وأكثر مفسري السنة قالوا كما عرفت بنزولهـا في علي وفاطمة والحسنين لـكن مع النبي «ص» عندنا ، وقال بعض مفسريهم في بني هاشم ، وقال جملة منهم بنزولها في آل النبي الأربعة المذكورين والأزواج ، فلم يبق من المفسرين من يقول بنزولها في الأزواج خاصة إلا القليل ، وكيف كان فلا عبرة بهم حتى لو كانوا الأكثر لامتناع إرادة الأزواج ولو منظمّات لأنهن غـير مطهرات من الرجس حتى لو اريد به الشرك وكبائر الذنوب لتقدم الشرك منهن وحدوث الـكبائر من بعضهن كعائشة حيث خرجت على إمام زمانها الذي قال فيه رسول الله «ص» (حربك حربي) ، وقتلت الآلاف العديدة وخالفت أمر الله سبحانه في نص كتابه بقرارها في بيتها كما تظاهرت مع صاحبتها على رسول الله «ص» وكذبتا عليه فأنزل الله تعالى به قرآناً مبيناً لعظيم مكرها وفعلها وضرب لأجلها المثل بامرأتي نوح ولوط .

مع ان إرادة الأزواج مخالفة للأخبار المتواترة المشتملة على الصحيح الـكثير عندهم الدالة على نزول الآية في خصوص أمير المؤمنين وفاطمة وابنيها «ع» وبعضها نص بخروج الأزواج .

(فنها) مارواه مسلم في باب فضائل أهل البيت «ع» عن عائشة قالت : (خرج رسول الله «ص» غداة وعليه مرط مرجل من شعر أسود فجاء الحسن بن علي فأدخله ثم جاء الحسين فدخل معه ثم جاءت فاطمة فأدخلها ثم جاء علي فأدخله ثم قال : إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) ونقله السيوطي في الدر المنثور أيضاً عن أحمد وابن أبي شيبة وابن جرير وابن أبي حاتم ورواه الحاكم (١) بسند آخر عن عائشة وصححه على شرط الشيخين .

(ومنها) مارواه الحاكم أيضاً قبل الحديث المذكور عن ام سلمة قالت : (في بيتي نزلت إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت فأرسل رسول الله إلى علي وفاطمة والحسن والحسين فقال هؤلاء أهل بيتي) ثم قال الحاكم هذا صحيح على شرط البخاري

(١) ص ١٤٧ من الجزء الثالث .

ورواه أيضاً في تفسير سورة الأحزاب (١) بسند آخر عن ام سلمة وصححه على شرط البخاري وزاد فيه : (قالت ام سلمة يارسول الله ماأنا من أهل البيت ؟ قال انك على خير وهؤلاء أهل بيتي اللهم أهلي أحق) .

و (منها) مارواه الحاكم أيضاً عن واثلة قال : (أتيت علياً فلم أجده فقالت لي فاطمة انطلق إلى رسول الله «ص» يدعوه فجاء مع رسول الله «ص» فدخلا ودخلت معهما فدعا رسول الله «ص» الحسن والحسين فأقعد كل واحد منهما على فخذيه وأدنى فاطمة من حجره وزوجها ثم لف عليهم ثوبا وقال : إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا ، ثم قال : هؤلاء أهل بيتي اللهم أهل بيتي أحق) ثم قال الحاكم : (هذا حديث صحيح على شرط الشيخين) وروى مثله في تفسير سورة الأحزاب بسند آخر عن واثلة وصححه على شرط مسلم وروى نحوه أحمد في مسنده عن واثلة أيضاً (٢) ونقل السيوطي في الدر المنثور نحوه عن ابن أبي شيبة وابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني والبيهقي كلهم عن واثلة .

و (منها) مارواه الحاكم بعد الحديث الأول عن أبي سعيد (نزل على رسول الله الوحي فأدخل علياً وفاطمة وابنيهما تحت ثوبه ثم قال : اللهم هؤلاء أهلي وأهل بيتي) وناقش الذهبي في سنده حيث ان فيه بكير بن مسمار وعلي بن ثابت فقال (علي وبكير تكلم فيهما) وفيه ان بكيراً من رجال صحيح مسلم وعلياً لم يضعفه سوى الأزدي ، ونقل السيوطي في الدر المنثور نحو هذا الحديث عن ابن مردويه وابن جرير وابن سعد .

و (منها) مارواه الحاكم أيضاً وصححه عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب (لما نظر رسول الله « ص » إلى الرحمة هابطة قال ادعوا لي ادعوا لي فقالت صفية مَن يارسول الله ؟ قال أهل بيتي علياً وفاطمة والحسن والحسين فجيء بهم فألقى عليهم النبي «ص» كساءه ثم رفع يديه ثم قال اللهم هؤلاء آلي فصل على محمد وآل محمد ، وأنزل الله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) .

و (منها) مارواه الترمذي في مناقب أهل البيت عن عمر بن أبي سلمة (نزلت هذه

(١) ص ٤١٦ من الجزء الثاني . (٢) ص ١٠٧ من الجزء الرابع .

الآية على النبي «ص» إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا في بيت ام سلمـة فدعا النبي « ص » فاطمة وحسناً وحسيناً بكساء وعلي خلف ظهره فجلله بكساء ، ثم قال اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ، قالت ام سلمة وأنا معهم يانبي الله قال أنت على مكانك وأنت إلى خير) ثم قال وفي الباب عن ام سلمة ومعقل بن يسار وأبي الحمراء وأنس بن مالك ورواه الترمذي أيضاً في سورة الأحزاب وروى معه عن أنس وحسّنه (ان رسول الله «ص» كان يمر بباب فاطمة ستة أشهر اذا خرج إلى صلاة الفجر يقول : الصلاة ياأهل البيت إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) ومثله في مسند أحمد عن أنس (١) وكذا في مستدرك الحاكم (٢) وصححه على شرط مسلم ونقله في الدر المنثور عن ابن جرير وابن أبي شيبة وابن المنذر والطبراني وابن مردويه كلهم عن أنس ونقل نحوه أيضاً عن الطبراني عن أبي الحمراء ونقل أيضاً عن ابن جرير وابن مردويه عن أبي الحمراء قال : (حفظت من رسول الله «ص» ثمانية أشهر بالمدينة ليس من مرة يخرج إلى صلاة الغداة إلا أتى إلى باب علي فوضع يده على جنبتي الباب ثم قال الصلاة الصلاة إنما يريد الله ، الآية) ونقل أيضاً عن ابن مردويه عن ابن عباس قال : (شهدنا رسول الله «ص» تسعة أشهر يأتي كل يوم باب علي بن أبي طالب عند وقت كل صلاة فيقول السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أهل البيت إنما يريد الله ، الآية رحمكم الله كل يوم خمس مرات) .

و (منها) مارواه الترمذي في باب ماجاء في فضل فاطمة «ع» عن ام سلمة (ان النبي «ص» جلل على الحسن والحسين وعلي وفاطمة كساء ثم قال اللهم هؤلاء أهل بيتي وحامتي اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا فقالت ام سلمة وأنا معهم يارسول الله قال انك إلى خير) ثم قال الترمذي (هذا حديث حسن صحيح وهو أحسن شيء روي في هذا الباب) وفي الباب عن أنس وعمرو بن أبي سلمة وأبي الحمراء .

و (منها) مارواه أحمد في مسنده (٣) عن ام سلمة بثلاثة طرق (ان النبي « ص »

---

(١) ص ٢٥٩ و ص ٢٨٥ من الجزء الثالث . (٢) ص ١٥٨ من الجزء الثالث

(٣) ص ٢٩٢ من الجزء السادس .

كان في بيتها فأتته فاطمة ببرمة فيها حريرة فدخلت بها عليه فقال لها ادعي زوجك وابنيك قالت فجاء علي والحسن والحسين فدخلوا عليه فجلسوا يأكلون من تلك الحريرة وهو على منامة له على دكان تحته كساء له خيبري قالت وأنا اصلي في الحجرة فأنزل الله هذه الآية إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا ، قالت فأخذ فضل الكساء فغشاهم به ثم أخرج يده فألوى بها إلى السماء ثم قال اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا قالت فأدخلت رأسي البيت فقلت وأنا معكم يارسول الله قال إنك إلى خير إنك إلى خير) ونحوه في أسباب النزول للواحدي وفي الدر المنثور عن ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه عن ام سلمة أيضاً .

و (منها) مارواه أحمد أيضاً (١) عن ام سلمة (ان النبي «ص» جلل على علي وحسن وحسين وفاطمة كساء ثم قال : اللهم أهل بيتي وخاصتي اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا فقالت ام سلمة أنا معهم قال انك الى خير)

و (منها) مانقله السيوطي في الدرالمنثور عن ابن مردويه عن ام سلمة قالت :(نزلت هذه الآية في بيتي إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا ، وفي البيت سبعة جبرئيل وميكائيل وعلي وفاطمة والحسن والحسين وأنا على باب البيت قلت يارسول الله ألست من أهل البيت ؟ قال : إنك إلى خير إنك من أزواج النبي) .

و (منها) مافي الدر المنثور عن ابن مردويه والخطيب عن أبي سعيد الخدري (كان يوم ام سلمة ام المؤمنين فنزل جبرئيل على رسول الله «ص» بهذه الآية إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا ، قال فدعا رسول الله «ص» بحسن وحسين وفاطمة وعلي فضمهم اليه ونشر عليهم الثوب والحجاب على ام سلمة مضروب ، ثم قال : اللهم أهل بيتي اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ، قالت : فأنا معهم يانبي الله ؟ قال : إنك على مكانك وإنك على خير) .

و (منها) مافي الدر المنثور عن الترمذي قال وصححه وعن ابن جرير وابن المنذر

(١) ص ٣٠٤ من الجزء السادس .

وابن مردويه والبيهقي من طرق عن ام سلمة قالت : (في بيتي نزلت إنما يريد الله ، الآية وفي البيت فاطمة وعلي والحسن والحسين فجللهم رسول الله «ص» بكساء كان عليه ، ثم قال : هؤلاء أهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا) .

و (منها) مافي الدر المنثور عن ابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني عن أبي سعيد الخدري (قال رسول الله «ص» نزلت هذه الآية في خمسة فيّ وفي علي وفاطمة وحسن وحسين إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس ، الآية) ومثله في الصواعق عن أحمد بن حنبل عن أبي سعيد ، وفي أسباب النزول للواحدي عن أبي سعيد .

و (منها) مافي الدر المنثور قال : أخرج الحكيم الترمذي والطبراني وابن مردويه وأبو نعيم والبيهقي عن ابن عباس (قال رسول الله (ص) إن الله قسم الخلق قسمين فجعلني في خيرهما قسما) إلى أن قال : (ثم جعل القبائل بيوتاً فجعلني في خيرها بيتاً فذلك قوله تعالى : إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا فأنا وأهل بيتي مطهرون من الذنوب) إلى غير ذلك من الأخبار التي لا تحصى الدالة على نزول الآية الكريمة في الخمسة الأطهار أو في الأربعة ، فلا تشمل الأزواج قطعاً ، بل يستفاد من تلك الأخبار أن المراد بأهل البيت عند الاطلاق هو خصوص الخمسة أو الأربعة فضلا عن نزول الآية بهم فلا تدخل الأزواج فيهم بكل مقام إلا أن يراد القرينة بيت السكنى فيدخلن مع الاماء .

ويدل على عدم كونهن من أهل البيت ، مارواه مسلم في باب فضائل علي (ع) (انه قيل لزيد بن أرقم بعدما روى حديث الثقلين : من أهل بيته ؟ نساؤه ؟ قال : لا وأيم الله إن المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر ثم يطلقها فترجع الى أبيها وقومها ، أهل بيته أصله وعصبته الذين حرموا الصدقة بعده) وفي رواية اخرى لمسلم (فقال له حصين : ومن أهل بيته يازيد ؟ أليس نساؤه من أهل بيته ؟ قال : نساؤه من أهل بيته ! ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده) فانه أراد بقوله : (نساؤه من أهل بيته) الانكار على من تخيل دخولهن في أهل بيت النبي (ص) ، ولذا استدرك وقال ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده . ولا تنافي هاتان الروايتان تلك الأخبار السابقة

الدالة على نزول آية التطهير في الخمسة أو الأربعة لأن هاتين الروايتين إنما تدلان على دخول غير الأربعة من عشيرة النبي (ص) في مسمى أهل بيته فلا تنافيان مايدل على اختصاص نزول الآية بالأربعة ، على انا لا نسلم لزيد اجتهاده في شمول أهل البيت لغير الأربعة لأن غيرهم بالضرورة ليس من الثقل الذي هو قرين القرآن وعديله في لزوم التمسك به وان من تمسك به لا يضل أبداً لاشتمالهم على الجهلة والعصاة والفساق فكيف يدخلون في حديث الثقلين وكذا في آية التطهير بالضرورة .

ويدل أيضاً على خروج الأزواج عن مسمى أهل البيت فضلا عن الآية مارواه أحمد (١) عن ام سلمة قالت : (بينا رسول الله (ص) في بيتي يوماً إذ قالت الخادم إن علياً وفاطمة بالسدة فقال لي قومي فتنحي عن أهل بيتي ، قالت فقمت فتنحيت في البيت قريباً فدخل علي وفاطمة ومعهما الحسن والحسين وهما صبيان صغيران فأخذ الصبيين فوضعهما في حجره فقبلهما واعتنق علياً باحدى يديه وفاطمة باليد الاخرى فقبل فاطمة وقبل علياً فأغدف عليهم خميصة سوداء فقال : اللهم اليك لا إلى النار أنا وأهل بيتي) قالت : (فقلت وأنا يارسول الله ؟ فقال وأنت) ومثله في محل آخر عن ام سلمة (٢) وأراد (ص) بقوله (وأنت) انك أيضاً الى الله لاإلى النار لا أنها من أهل بيته لقوله تنحي عن أهل بيتي ، ويدل أيضاً على خروج الازواج عن مسمى أهل البيت مارواه أحمد (٣) عن ام سلمة أيضاً (ان رسول الله (ص) قال لفاطمة ائتيني بزوجك وابنيك فجاءت بهم فألقى عليهم كساء فدكياً ثم وضع يده عليهم ثم قال اللهم ان هؤلاء آل محمد فاجعل صلواتك وبركاتك على محمد وآل محمد إنك حميد مجيد) قالت ام سلمة : (فرفعت الكساء لا دخل معهم فجذبه من يدي وقال إنك على خير) ومثله في الدر المنثور عن الطبراني ، وإنما لم نجعل هذه الأحاديث في طي الاخبار السابقة لأنها لم تتعرض لنزول الآية وإنما دلت على خروج الازواج من أهل البيت وان كان الظاهر تعلقها في قصة نزول الآية بقرينة الاخبار السابقة .

(١) ص ٢٩٦ من الجزء السادس . (٢) ص ٣٠٤ من الجزء المذكور .
(٣) ص ٣٢٣ من الجزء المذكور .

وبالجملة لاريب بأن الآية الكريمة مختصة بالخمسة الأطهار ولا تشمل الازواج ولا بقية أقارب النبي (ص) لاختصاص أخبار النزول بالخمسة الأطهار ولكون غيرهم غير مطهرين من الرجس .

ولا يعارض تلك الاخبار مارواه ابن حجر في الصواعق من ان النبي (ص) اشتمل على العباس وبنيه بملاءة ثم قال : يارب هذا عمي وصنو أبي وهؤلاء أهل بيتي فاسترهم من النار كستري إياهم فأمّنت أسكفة الباب وحوائط البيت فقال آمين وهي ثلاثاً ، وذلك لأن هذا الحديث لايدل على نزول الآية بالعباس وبنيه وإنما تدل على صدق أهل البيت عليهم فقط على انه ضعيف السند واضح الكذب ظاهر التصنع رعاية للملوك العباسيين وإلا فما هذا الاهتمام بالعباس وبنيه حتى تؤمن أسكفة الباب وحيطان البيت ثلاثاً مع النبي (ص) .

هذا وقد استدل من زعم نزول الآية بالازواج بمناسبة نظم القرآن كما بينه الفضل وفيه (أولا) ان مناسبة النظم لاتعارض ماتواتر بنزولها في الخمسة الطاهرين أو الاربعة خاصة ، و (ثانياً) انا نمنع المناسبة لتذكير الضمير بعد التأنيث ولتعـــدد الخطاب والمخاطب ، وإنما جعل سبحانه هذه الآية في أثناء ذكر الازواج وخطابهن للتنبيه على انه سبحانه إنما أمرهن ونهاهن وأدبهن إكراماً لأهل البيت وتنزيهاً لهم عن أن تنالهم بسببهن وصمة وصوناً لهم عن أن يلحقهم من أجلهن عيب ورفعاً لهم عن أن يتصل بهم أهل المعاصي ، ولذا استهل سبحانه الآيات بقوله يانساء النبي لستن كأحد من النساء ، ضرورة ان هذا التمييز إنما هو للاتصال بالنبي وآله لالذواتهن فهن في محل وأهل البيت في محل آخر فليست الآية الكريمة إلا كقول القائل يازوجة فلان لست كأزواج سائر الناس فتعففي وتستري وأطيعي الله تعالى إنما زوجك من بيت أطهار يريد الله حفظهم من الادناس وصونهم عن النقائص .

وقد يستدل أيضاً للقائل بنزولها في الازواج بما رواه الواحدي في أسباب النزول عن ابن عباس قال : (انزلت هذه الآية في نساء النبي «ص») وفيه مع ضعفه بجماعة متروكين منهم صالح بن موسى الذي سبق بعض ترجمته في مقدمة الكتاب انه معارض

بما مر عن ابن عباس نفسه من أن المراد بأهل البيت ، البيت من القبيلة ، وبالأخبار السابقة الصحيحة المستفيضة الدالة على نزولها في الخمسة أو الاربعة خاصة ، وقد روى القوم أيضاً نزولها فيهن عن ابن عباس من طريق عكرمة ؛ وقد عرفت حاله وانه كذاب خارجي ؛ ورووه أيضاً عن عروة بن الزبير وهو معلوم العداوة لآل محمد ومتهم بارادة جلب الفضل لخالته في أمر لم تدَّعه هي لنفسها لو صح السند اليه ؛ على ان رأي عروة وغيره لا يزاحم تلك الاخبار المتواترة الحاكية لفعل النبي (ص) وقوله المأخوذ عن جبرئيل عن الله تعالى .

واستدل من زعم نزول الآية بالازواج وعشيرة النبي (ص) بما رواه ابن حجر في الصواعق من ان النبي (ص) ضم الى الاربعة الأطهار بقية بناته وأقاربه وأزواجه ، وأثر الوضع على هذه الرواية ظاهر فانا لم نعهد وجود كساء يسع مقدار بني هاشم وأزواج النبي (ص) الذين يبلغ عددهم في ذلك الوقت تقريباً مائة نفس صغيراً وكبيراً ، ولو وجد فما حاجة النبي (ص) الى اقتناء مثله ؛ ولو كان مع الخمسة الاطهار غيرهم لاشتهر وذاع وافتخر به مفتخرهم لانه مما يتنافس به المتنافسون ، أترى ان حفصة تترك ذكره وعائشة ترويه للخمسة وتدع نفسها وهل يغفل حساد أمير المؤمنين (ع) عنه : هذا كله مع الاعراض عما في سند الحديث ومعارضته بتلك الاخبار المتواترة .

واستدلوا أيضاً بما رواه بعضهم عن واثلة أن النبي (ص) لما جمع الاربعة الطيبين وتلا الآية قال واثلة وأنا من أهلك قال وأنت من أهلي ؛ فانه اذا كان واثلة من أهل النبي (ص) فأقاربه وأزواجه أولى ، وفيه انه لو صح السند فدخول واثلة مبني على ضرب من التجوز فلا تلزم الاولوية على ان هذه الرواية معارضة بالرواية السابقة عن واثلة الدالة على خروجه وهي أشهر وأصح مع اعتضادها بالاخبار المتواترة .

وقد يستدل لهم بما رواه أحمد في مسنده [1] عن ام سلمة من حديث ذكرت فيه ان النبي (ص) اجتبذ من تحتها كساء خيبرياً فلفه عليه وعلى علي وفاطمة والحسن والحسين وأخذ بشماله طرفي الكساء وألوى بيده اليمنى الى ربه عز وجل ودعالهم بالتطهير

(١) ص ٢٩٨ من الجزء السادس .

ثلاثاً قالت قلت يارسول الله ألست من أهلك قال بلى فادخلي في الكساء قالت فدخلت في الكساء بعدما قضى دعاءه لابن عمه وابنيه وابنته فاطمة ؛ وفيه مع ضعف سنده بجماعة منهم شهر بن حوشب الذي سبق بعض ترجمته في المقدمة ان المراد انها من أهله دون أن تشملها آية التطهير ولذا جذب الكساء من تحتها وخصهم بدعائه فهي من اهله بوجه التجوز لانها من المطيعات لله تعالى وله او من اهل بيت سكناه .

فاتضح ان الآية الكريمة مختصة بالخمسة الطاهرين او الاربعة وقد كان هذا معروفا في الصدر الأول وإنما حدث الخلاف من عكرمة الكذاب الخارجي واشباهه كما يشهد له مافي الدر المنثور عن ابن جرير وابن مردويه عن عكرمة في الآية قال ليس بالذي تذهبون اليه إنما هو نساء النبي (ص) فان قوله ليس بالذي تذهبون اليه دال على معروفية نزولها في علي وفاطمة والحسن والحسين بين أهل الصدر الأول ولذا احتاج عكرمة الى ان ينادي في الأسواق بنزولها في الازواج كما في الصواعق واحتاج ان يقول من شاء باهلته انها في ازواج النبي (ص) كما في الدر المنثور ، وقد اجتهد في اطفاء انوار آل محمد «ص» ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون .

ثم انه لاريب بدلالة الآية الكريمة على عصمتهم عن جميع الذنوب لاطلاق الرجس فيها مع معونة بعض الاخبار السابقة حيث قال النبي «ص» فيه فأنا واهل بيتي مطهرون من الذنوب فان الذنوب جمع محلى باللام وهو يفيد العموم ولأن الآية الشريفة دالة على مدحهم والعناية العظمى بشأنهم ولا يحسن مثله بحيث انزل الله تعالى به قرآناً يتلى الى آخر الدهر إلا بعصمتهم وطهارتهم عن كل ذنب لاعن خصوص الشرك وكبائر الفواحش كما زعمه الفضل ولا سيما وهو مما يشاركهم فيه كثير من المؤمنين فكيف يخصهم بالثناء ويأتي بما يفيد الحصر .

واما مااستند اليه الفضل من سبق قوله تعالى فيطمع الذي في قلبه مرض فباطل لانه لو كان سبق مثله قرينة على إرادة الطهارة عنه لكان اللازم أيضاً القول بالطهارة عن مخالفة كل ماسبق في الآية من الأمر بقولهن المعروف وبالقرار في بيوتهن وإقامة الصلاة وايتاء الزكاة وطاعة الله ورسوله وذلك في معنى العصمة عن كل الذنوب ، والفضل لايقول

بها ولا يمكن ان يدعيها الازواج لما يعلمه هو وغيره من ان عائشة لم تقر في بيتها وعصت الله ورسوله بحرب إمام زمانها وشقت عصى المسلمين وشتتت امرهم وتظاهرت هي وحفصة على النبي وعصتا ربهما كما يدل عليه قوله تعالى : (ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما) الى غير ذلك مما ستعرفه في المطاعن .

فاذا ثبت نزول الآية في الخمسة الأطهار ودلت على عصمتهم من الذنوب ثبتت إمامة امير المؤمنين «ع» دون من تقدمه في الخلافة لما سبق من ان العصمة شرط الامامة وغير علي ليس معصوماً بالاجماع والضرورة ولأن امير المؤمنين « ع » ادعى الامامة لنفسه وانها حقه وان لم يتمكن من حرب من تقدم عليه كما سبق فيكون صادقا لأن الكذب ولا سيما في مثل دعوى الامامة من اعظم الرجس ، وقوله لا نسلم ان علياً ادعى الامامة لنفسه مكابرة ظاهرة كما مر توضيحه وإلا فما الموجب لتأخره عن بيعتهم الى ان قهروه عليها وبقي يتظلم منهم مدة حياته وجرد الزبير سيفه لأجله الى غير ذلك مما سبق .

(آية المودة في القربى)

قال المصنف قدس الله روحه

(الرابعة) قوله تعالى : « قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى » روى الجمهور في الصحيحين وأحمد بن حنبل في مسنده والثعلبي في تفسيره عن ابن عباس قال : لما نزل قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى قالوا : يارسول الله من قرابتك الذين وجبت علينا مودتهم ؟ قال (علي وفاطمة وابناهما) ووجوب المودة يستلزم وجوب الطاعة

وقال الفضل

اختلفوا في معنى الآية فقال بعضهم الاستثناء منقطع والمعنى لا أسألكم على تبليغ الرسالة أجراً لكن المودة في القربى حاصلة بيني وبينكم فلهذا أسعى وأجتهد في هدايتكم

وتبليغ الرسالة اليكم وقال بعضهم الاستثناء متصل والمعنى لا أسألكم عليه أجراً من الاجور إلا مودتكم في قرابتي وظاهر الآية على هذا المعنى شامل لجميع قرابات النبي ولو خصصناه بمن ذكر لايدل على خلافة علي بل يدل على وجوب مودته ونحن نقول ان مودته واجبة على كل المسلمين والمودة تكون مع الطاعة ولا كل مطاع يجب أن يكون صاحب الزعامة الكبرى والعجب من هذا الرجل انه يستدل على المطلوب وكلامه في غاية البعد عنه وهو لا يفهم هذا .

وأقول

ينبغي قبل الكلام في الآية ذكر بعض الأخبار التي رواها القوم الدالة على ان المراد بالقربى آل محمد «ص» . (فمنها) الحديث الذي ذكره المصنف (ره) وقد رواه الزمخشري في تفسيرالآية واستدل لصحته بأخبار كثيرة تستلزم معناه ، ونقله السيوطي في الدر المنثور عن ابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه ونقله في ينابيع المودة عند ذكر الآية عن أحمد والثعلبي والحاكم في المناقب والواحدي في الوسيط وأبي نعيم في الحلية والحمويني في فرائد السمطين ونقله في الصواعق في الآية الرابعة عشرة من الآيات الواردة في أهل البيت عن أحمد والطبراني وابن أبي حاتم والحاكم .

و (منها) مانقله الحاكم في المستدرك في تفسير حم عسق من كتاب التفسير (١) عن البخاري ومسلم قال : اتفقا في تفسير هذه الآية - أي آية المودة - على حديث عبد الملك بن ميسرة الزراد عن طاوس عن ابن عباس انه في قربى آل محمد (ص) ، ولعل هذا هو الذي أراده المصنف بما عن البخاري ومسلم .

و (منها) مافي الدر المنثور أيضاً قال : أخرج ابن جرير عن أبي الديلم لما جيء بعلي بن الحسين (ع) فاقيم على درج دمشق قام رجل من أهل الشام فقال الحمد لله الذي قتلكم واستأصلكم فقال له علي بن الحسين (ع) : أقرأت القرآن ؟ قال نعم ، قال : أما قرأت قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى ؟ قال : فانكم لأنتم هم ! قال نعم ،

(١) ص ٤٤٤ من الجزء الثاني .

ونحوه في الصواعق عن الطبراني .

و (منها) مافي الصواعق قال : روى أبو الشيخ وغيره عن علي (ع) فينا الحم آية لايحفظ مودتنا إلا كل مؤمن ثم قرأ : قل لاأسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى .

و (منها) مافي الصواعق أيضاً قال : أخرج البزار والطبراني عن الحسن (ع) من طرق بعضها حسان انه خطب خطبة من جملتها (من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن محمد) ثم تلا (واتبعت ملة آبائي ابراهيم) الآية ، ثم قال : (أنا ابن البشير أنا ابن النذير) ثم قال : (وأنا من أهل البيت الذين افترض الله عزوجل مودتهم وموالاتهم فقال فيما انزل على محمد (ص) : قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى) قال : (وفي رواية :الذين افترض الله مودتهم على كل مسلم وأنزل فيهم قل لاأسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسناً واقتراف الحسنة مودتنا أهل البيت) وروى الحاكم هذه الخطبة في فضائل الحسن (ع) من المستدرك (١) قال الحسن (ع) في آخرها : وأنا من أهل البيت الذين افترض الله مودتهم على كل مسلم فقال تبارك وتعالى لنبيه (ص) قل لاأسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسناً فاقتراف الحسنة مودتنا أهل البيت .

و (منها) مافي الصواعق أيضاً عن الثعلبي والبغوي عن ابن عباس انه لما نزل قوله تعالى قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى قال قوم في نفوسهم مايريد إلا أن يحثنا على قرابته من بعده فأخبر جبرئيل النبي (ص) انهم اتهموه فأنزل (أم يقولون افترى على الله كذبا) الآية ، فقال القوم يارسول الله إنك لصادق فأنزل الله (وهو الذي يقبل التوبة عن عباده) الى غير ذلك من الأخبار .

ويؤيدها الأخبار المستفيضة الدالة على وجوب حب أهل البيت وانه مسؤل عنه يوم القيامة ، وذكر في الكشاف أخباراً اخر جعلها دليلا لارادة علي وفاطمة والحسنين من القربى ، وكذا يؤيدها الأخبار المفسرة للحسنة في تتمة الآية بحب أهل البيت كما سمعته في بعض الروايات المذكورة ، وقال ابن حجر عند كلامه في الآية أخرج أحمد

(١) ص ١٧٢ من الجزء الثالث .

عن ابن عباس ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسناً قال المودة لآل محمد : ومثله في الدر المنثور عن ابن أبي حاتم عن ابن عباس ، وقال في الكشاف ومن يقترف حسنة عن السدي انها المودة في آل رسول الله «ص» .

ولكن يالأسف ماهان على القوم رواية تلك الأخبار حتى رووا عن ابن عباس ماينافي رواياته السابقة فنسبوا اليه مخالفة النبي والوحي ، روى البخاري في كتاب التفسير من صحيحه في تفسير الآية (انه سئل ابن عباس عنها فقال سعيد بن جبير قربى آل محمد فقال ابن عباس عجلت لم يكن بطن في قريش إلا كان له فيهم قرابة فقال إلا أن تصلوا مابيني وبينكم من القرابة) والمعنى على حسب ظاهر هذا التفسير لاأسألكم على التبليغ أجراً إلا صلتكم لي لما بيني وبينكم من القرابة حيث ان له قرابة في بطون قريش كلها ، و (فيه) مع مخالفته لقول من انزل عليه القرآن ولظاهر اللفظ انه لامعنى لسؤال الأجر على التبليغ ممن لم يعترف له بالرسالة لأن المقصود على هذا التفسير هو السؤال من الكافرين ، ولذا قال في الكشاف في بيانه (والمعنى ان أبيتم تصديقي فاحفظوا حق قرابتي ولا تؤذوني) أقول : وفي جعل معنى لا أسألكم عليه أجراً ان أبيتم تصديقي نظر ظاهر .

ومثل هذا المحكي عن ابن عباس في البطلان ماذكره الفضل من المعنى على الاستثناء المنقطع فان المنقطع عبارة عن اخراج مالولا اخراجه لتوهم دخوله في حكم المستثنى منه نظير الاستدراك وأنت تعلم ان المستثنى الذي ذكره الفضل أجنبي عما قبله بكل وجه فلا يتوهم دخوله في حكمه حتى يستثنى منه .

وأعظم من هذين التفسيرين في البطلان مارواه بعض القوم عن ابن عباس من ان المعنى لاأسألكم أجراً على التبليغ إلا مودة الله بالتقرب اليه ، فان القربى لم تأت بمعنى التقرب ، مع انه مناف للاخبار السابقة المعتبرة عن ابن عباس .

والحق ان هذه التفاسير من تحريف الكلم عن مواضعه الذي يدعو اليه العناد والتعصب فلا ريب لكل منصف في ان المراد بالقربى القرابة وان المقصود علي وفاطمة والحسنان كما نطقت به الاخبار وقول الفضل : (وظاهر الآية على هذا المعنى شامل

لجميع قرابات النبي «ص») باطل لمنافاته للقرينة اللفظية وهي الاخبار السابقة وغيرها وللقرينة الحالية لأن المعلوم من حال النبي (ص) الاعتناء بعلي وفاطمة والحسنين لامن ناوأه من أقربائه ولم يسلموا إلا بحدود السيوف والغلبة وللقرينة العقلية إذ لا يتصور أن يكون ود من لم يوادّ الله ورسوله أجراً للتبليغ والرسالة . فلا بد أن يكون المراد مودة من يكمل الايمان بمودته وتحصل السعادة الأبدية بموالاته ، ولذا قال سبحانه في آية اخرى (قل ماسألتكم من أجر فهو لكم) بل بلحاظ شأن النبي (ص) إنما يعد قرابة له من هو منه لامن بان عنه معنى ومنزلة ، ولذا قال تعالى لنوح : (انه ليس من أهلك انه عمل غير صالح) وقال الرازي في تفسير آية المودة التي نحن فيها : (آل محمد (ص) هم الذين يؤول أمرهم اليه فكل من كان مآل أمرهم اليه أشد وأكمل كانوا هم الآل ، ولا شك ان فاطمة وعلياً والحسن والحسين كان التعلق بينهم وبين رسول الله أشد التعلقات ، وهذا كالمعلوم بالنقل المتواتر ، فوجب أن يكونوا هم الآل) .

أقول ونحو هذا آت في لفظ القربى ، فيتعين أن يكون المراد بالآية الأربعة الأطهار وهي تدل على أفضليتهم وعصمتهم وانهم صفوة الله سبحانه إذ لو لم يكونوا كذلك لم تجب مودتهم دون غيرهم ولم تكن مودتهم بتلك المنزلة التي مامثلها منزلة لكونها أجراً للتبليغ والرسالة الذي لا أجر ولا حق يشبهه ، ولذا لم يجعل الله المودة لأقارب نوح وهود أجراً لتبليغهما ، بل قال لنوح : (قل لا أسألكم عليه أجراً ان أجري على الله) وقال لهود : (وقل لا أسألكم عليه أجراً ان أجري إلا على الذي فطرني أفلا تعقلون) فتنحصر الامامة بقربى رسول الله (ص) إذ لاتصح إمامة المفضول مع وجود الفاضل لاسيما بهذا الفضل الباهر ، مضافا إلى ماذكره المصنف (ره) من ان وجوب المودة مطلقاً يستلزم وجوب الطاعة مطلقاً ، ضرورة ان العصيان ينافي الود المطلق ووجوب الطاعة مطلقاً يستلزم العصمة التي هي شرط الامامة ولا معصوم غيرهم بالاجماع فتنحصر الامامة بهم ولا سيما مع وجوب طاعتهم على جميع الامة .

وقد فهم دلالة الآية على الامامة الصحابة ولذا اتهم النبي (ص) بعضهم فقالوا مايريد إلا أن يحثنا على قرابته بعده كما سمعته في بعض الروايات السابقة وكل ذي فهم يعرفها

من الآية الشريفة إلا ان القوم أبوا أن يقروا بالحق ويؤدوا أجر الرسالة فاذا صدرت من أحدهم كلمة طيبة لم تدعه العصبية حتى يناقضها ولذا لما نطق الرازي بما حكيناه عنه سابقاً عقبه بقوله : (المسئلة الثالثة قوله تعالى إلا المودة فى القربى فيه منصب عظيم للصحابة لأنه تعالى قال والسابقون السابقون اولئك المقربون فكل من أطاع الله كان مقربا عند الله فدخل تحت قوله إلا المودة فى القربى ، والحاصل ان هذه الآية تدل على وجوب حب آل رسول الله وحب أصحابه) فانظر الى هذه الكلمات الهزلية بل لا يتصور لكلامه معنى إلا أن يراد بالقربى المقربون وهو ليس من معاني القربى ، ولو سلم فاللازم وجوب ود كل من أطاع الله بلا خصوصية للصحابة فكيف تدل الآية على عظيم منصب للصحابة .

ثم ان بعض القوم اورد على نزول الآية بعلي وفاطمة والحسنين (ع) بأن سورة الشورى مكية وعلي حينئذ لم يتزوج بفاطمة فضلا عن ولادة الحسنين (ع) ، وفيه ان اخبار نزول الآية الشريفة بالأربعة الطاهرين حجة قطعية وكثيرة معتبرة فلا يعتنى بدعوى كون السورة مكية على انه جاء فى بعض أخبارهم انها مدنية ، ولو سلم فكون السورة مكية إنما هو بلحاظ اكثرها فلا ينافى نزول آية منها بالمدينة .

(آية من يشري نفسه)

قال المصنف أعلى الله درجته

(الخامسة) قوله تعالى : (ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله) قال الثعلبي ورواه ابن عباس انها نزلت فى علي «ع» لما هرب النبي «ص» من المشركين الى الغار خلفه لقضاء دينه ورد ودايعه فبات على فراشه وأحاط المشركون بالدار فأوحى الله الى جبرئيل وميكائيل اني قد آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من الآخر فأيكما يؤثر صاحبه بالحياة فاختار كل منهما الحياة فأوحى الله اليهما ألا كنتما مثل علي بن أبي طالب آخيت بينه وبين محمد فبات على فراشه يفديه بنفسه ويؤثره بالحياة

اهبطا الى الأرض فاحفظاه من عدوه فنزلا فكان جبرئيل عند رأسه وميكائيل عند رجليه فقال جبرئيل : بخ بخ من مثلك يا ابن أبي طالب يباهي الله بك الملائكة .

وقال الفضل

اختلف المفسرون ان الآية نزلت فيمن ؟ قال كثير منهم نزلت في صهيب الرومي وانه كان غريباً بمكة فلما هاجر رسول الله «ص» قصد الهجرة فمنعه قريش من الهجرة فقال يامعشر قريش انكم تعلمون اني كثير المال واني تركت لكم أموالي فدعوني اهاجر في سبيل الله ولكم مالي فلما هاجر وترك الأموال أنزل الله هذه الآية فلما دخل صهيب على رسول الله «ص» قرأ عليه الآية وقال له ربح البيع ، واكثر المفسرين على انها نزلت في الزبير بن العوام ومقداد بن الأسود لما بعثهما رسول الله «ص» لينزلوا خبيب بن عدي من خشبته التي صلب عليها فكان صلب بمكة وحوله أربعون من المشركين ففديا أنفسهما حتى أنزلاه فأنزل الله الآية . ولو كان نازلا في شأن أمير المؤمنين علي فهو يدل على فضله واجتهاده في طاعة النبي «ص» وبذل الروح له وكل هذه مسلمة لا كلام لأحد فيه ولكن ليس هو بنص في إمامته كما لايخفى .

وأقول

ان استدلالنا بشيء لايتوقف على انحصار أقوالهم وأخبارهم فيه بل يكفينا وجوده في رواياتهم لنتخذه حجة عليهم من دون أن يعارضه مايخالفه من أقوالهم ورواياتهم لأنها ليست حجة علينا . وحينئذ يكفينا روايتهم نزول الآية في أميرالمؤمنين «ع» كما نقله المصنف «ره» عن الثعلبي ونقله في ينابيع المودة أيضاً عنه وعن ابن عقبة في ملحمته وأبي السعادات في فضائل العترة الطاهرة والغزالي في الاحياء عن ابن عباس وأبي رافع وهند بن أبي هالة ربيب النبي «ص» ، ورواه الرازي في تفسيره بمثل ماعن الثعلبي ، وروى الحاكم مايدل على ذلك في المستدرك (١) وصححه هو والذهبي عن ابن

(١) ص ٤ من الجزء الثالث .

عباس من حديث قال فيه (شرى علي نفسه ولبس ثوب النبي «ص» ثم نام مكانه) ومثله في مسند أحمد (١) ؛ وروى الحاكم بعد الحديث المذكور عن علي بن الحسين قال أول من شرى نفسه ابتغاء مرضاة الله علي بن أبي طالب وذكر شعراً لأمير المؤمنين في مبيته على فراش النبي «ص» ، ونقل في ينابيع المودة نزولها في أميرالمؤمنين «ع» عن أبي نعيم بسنده عن ابن عباس الى غير ذلك مما في الينابيع وغيرها ولو ضممت اليه أخبارنا كان متواتراً فكيف يعتني برواية الفضل في نزولها بصهيب .

واما ماذكره من قول اكثرالمفسرين بنزولها في الزبير والمقداد فكذب صريح كيف ولم يذكره الرازي في تفسيره وهو قد جمع فيه جميع أقوالهم ولا ذكره الزمخشري أيضاً ولا تعرض السيوطي في الدر المنثور لرواية تتعلق به مع انه قد جمع فيه عامة أخبارهم ولا سيما اذا كانت في فضل مثل الزبير ، وذكر في الاستيعاب بترجمة خبيب ان الذي أرسله النبي «ص» لانزاله هو عمرو بن امية الضمري وما ذكر الزبير ولا المقداد .

هذا في نزول الآية واما دلالتها على إمامة أمير المؤمنين «ع» فلأن نزولها فيه كاشف عن أفضليته وامتيازه بالمعرفة والاخلاص لأن كثيراً من المسلمين غيره قد بذلوا أنفسهم فى الجهاد وحفظ الرسول «ص» ونشر الدعوة ولم ينالوا مانال أميرالمؤمنين «ع» من شهادة الله له بأنه شرى نفسه ابتغاء مرضاته حتى باهى به سادة ملائكته وذكره بالاخوة لسيد أنبيائه وقال له جبرئيل من مثلك الدال على عدم المماثل له والأفضل هو الامام .

(آية المباهلة)

قال المصنف قدس سره

(السادسة) آية المباهلة ، أجمع المفسرون على ان أبناءنا إشارة الى الحسن والحسين ونساءنا إشارة الى فاطمة وأنفسنا إشارة الى علي «ع» ، فجعله الله نفس محمد «ص»

(١) ص ٣٣١ من الجزء الأول .

والمراد المساواة ومساوي الأكمل الاولى بالتصرف أكمل وأولى بالتصرف ، وهذه الآية أدل دليل على علو مرتبة مولانا أمير المؤمنين «ع» لأنه تعالى حكم بالمساواة لنفس الرسول «ص» وانه تعالى عينه في استعانة النبي «ص» في الدعاء ، وأي فضيلة أعظم من أن يأمر الله نبيه بأن يستعين به على الدعاء اليه والتوسل به ، ولمن حصلت هذه المرتبة؟

وقال الفضل

كان عادة أرباب المباهلة أن يجمعوا أهل بيتهم وقراباتهم ليشمل البهلة سائر أصحابهم فجمع رسول الله أولاده ونساءه والمراد بالأنفس ههنا الرجال كأنه أمر بأن يجمع نساءه وأولاده ورجال أهل بيته فكان النساء فاطمة والأولاد الحسن والحسين والرجال رسول الله وعلي واما دعوى المساواة التي ذكرها فهي باطلة قطعاً وبطلانها من ضروريات الدين لأن غير النبي من الامة لايساوي النبي أصلا ومن ادعى هذا فهو خارج عن الدين وكيف يمكن المساواة والنبي نبي مرسل خاتم الأنبياء وأفضل اولي العزم وهذه الصفات كلها مفقودة في علي نعم لأمير المؤمنين علي في هذه الآية فضيلة عظيمة وهي مسلمة ولكن لاتصير دالة على النص بامامته .

وأقول

دعوى العادة كاذبة ولا أدري متى اعتيد أصل المباهلة حتى يعتاد فيها جمع الأهل والأقارب ، ولو كانت هناك عادة بذلك لاعترض النصارى على النبي (ص) بمخالفتها حيث لم يجمع من أهله وأقاربه إلا القليل ولو سلم فمخالفة النبي (ص) للعادة دليل على ان محل العناية الالهية والكرامة النبوية هو من جمعهم النبي (ص) بأمر الله سبحانه ، دون بقية أقاربه كالعباس وبنيه وسائر بني هاشم وبناتهم وبنات الزهراء (ع) ودون زوجاته مع انهن من نسائه ومن أهل بيت سكناه ، وقد عرف انهم محل عناية الله والشرف عنده ومحل الخطر والعظمة لديه أسقف نجران حيث قال ، كما عن ابن اسحاق ورواه في الكشاف : إني لأرى وجوها لو شاء الله أن يزيل جبلا من مكانه لأزاله بها ، وفي

تفسيري الرازي والبيضاوي : لو سألوا الله أن يزيل جبلا من مكانه لأزاله بها ؛ ثم قال الرازي : (واعلم ان هذه الرواية كالمتفق على صحتها بين أهل التفسير والحديث) فياعجباً قد عرف ذلك لهم النصارى وانكره من يدعي الاسلام كالفضل وأمثاله حتى جعلوا جمعهم من العاديات لا لكرامتهم وفضلهم عند الله تعالى وعزتهم على الرسول (ص) وما اكتفى الفضل بمشاركة سائر أقارب النبي (ص) ونسائه لهم حتى اضاف اليهم اصحابه فقال : (لتشمل البهلة سائر اصحابهم) وهو ضروري البطلان لأن شمولها لهم ان كان باعتبار التبعية فلا حاجة الى احضار الأربعة الأطيبين لأن الكل اتباعه وان كان لأجل المباشرة فالأصحاب كبقية الأقارب غير مباشرين ؛ ولو شملت البهلة غير الأربعة لأحضر النبي (ص) من غيرهم ولو واحداً من افاضل الأقارب والأصحاب ، فلا بد أن يكون تخصيص الله والرسول للأربعة الطاهرين لعناية الله بهم وبيانه لفضلهم وكرامتهم عند النبي وعزتهم عليه واستعانته بدعائهم كما قال سبحانه : (ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين) وقال رسول الله «ص» : (اذا دعوت فأمّنوا) كما رواه الزمخشري والرازي والبيضاوي وغيرهم ، إذ كلما كثر محل العناية ومنجع الاستجابة كان أدخل بالاجابة لأن الاستكثار منهم اظهر فى اعظام الله والرغبة اليه ؛ ولذا يستحب فى الادعية كثرة تعظيم الله بأسمائه المقدسة وشدة اظهار الخضوع لجلاله وبذلك يعلم افضلية الحسن والحسين فضلا عن امير المؤمنين (ع) والزهراء (ع) على جميع الصحابة واقارب النبي (ص) فان استعانة سيد النبيين بهما فى الدعاء بأمر الله سبحانه مع صغرهما ووجود ذوي السن من اقاربه واصحابه لأعظم دليل على امتيازهما بالشرف عند الله وتميزهما مع صغرهما بالمعرفة والفضل ؛ ولذا قال : (ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين) فجعل الحسنين ممن تشمله اللعنة لو كانا من الكاذبين واشركهما فى تحقيق دعوة الاسلام وتأييد دين الله فكانا شريكي رسول الله وامير المؤمنين والزهراء فى ذلك ممتازين على الامة كما امتاز عيسى وهو صبي على غيره

فظهر دلالة الآية الكريمة على أفضلية الأربعة الأطهار ولا سيما امير المؤمنين (ع) لأنها جعلته نفس النبي وعبرت عنه بالأنفس بصيغة الجمع كما عبرت عن فاطمة

بالنساء للاعلام من وجه آخر يعظمهم .

وقول الفضل والمراد بالانفس ههنا الرجال باطل لوجهين (الأول) ان امر الشخص نفسه ودعوته لها مستهجن ومخالف لما ذكره الاصوليون من ان المتكلم لايشمله خطابه فاذا قال يأيهاالناس اتقوا الله لايكون من المخاطبين واذا دعا الجماعة لايكون من المدعوين

(الثاني) مانقله ابن حجر في صواعقه عند ذكر الآية وهي الآية التاسعة من الآيات النازلة في اهل البيت (ع) عن الدارقطني ان علياً يوم الشورى احتج على اهلها فقال لهم انشدكم بالله هل فيكم احد اقرب الى رسول الله (ص) في الرحم مني ومن جعله نفسه وابناءه ابناءه ونساءه نساءه غيري قالوا اللهم لا ، ونقل الواحدي وغيره عن الشعبي انه قال : ابناؤنا الحسن والحسين ونساؤنا فاطمة وانفسنا علي بن أبي طالب .

واما ماذكره الفضل من ان دعوى المساواة خروج عن الدين . فخروج عن سنن الحق المبين لأن مقصود المصنف (ره) هو المساواة في الخصائص والكمال الذاتي عدا خاصة اوجبت نبوته وميزته عنه ، وهو مفاد ماحكاه في كنز العمال في فضائل علي (١) عن ابن أبي عاصم وابن جرير قال وصححه ، وعن الطبراني في الاوسط وابن شاهين في السنة (ان النبي (ص) قال لعلي ماسألت الله لي شيئاً إلا سألت لك مثله ولا سألت الله شيئاً إلا أعطانيه غير انه قيل لي انه لا نبي بعدك) ، ويدل عليه ماروي مستفيضاً عن النبي «ص» (ان علياً مني وأنا منه) .

فتدل الآية الشريفة على إمامة امير المؤمنين «ع» لأن مساواته للنبي « ص » في خصائصه عدا مزية النبوة تستوجب ان يكون مثله أولى بالمؤمنين من انفسهم وافضل من غيره بكل الجهات وان يمتنع صيرورته رعية ومأموراً لغيره كالنبي «ص» ، بل يكفي في الدلالة على إمامته مجرد دلالتها على أفضليته من جميع الامة ، ويستفاد من الرازي في تفسير الآية تسليم دلالتها على أفضليته من الصحابة لأنه نقل عن الشيخ محمود بن الحسن الحمصي انه استدل بجعل علي «ع» نفس النبي «ص» على كونه أفضل من جميع الأنبياء سوى محمد « ص » لأن النبي أفضل منهم وعلي نفسه ، ونقل عن الشيعة قديماً

(١) ص ٤٠٧ من الجزء السادس .

وحديثاً الاستدلال بذلك على فضل علي على جميع الصحابة ، وما أجاب الرازي إلا عن الاول بدعوى الاجماع على ان الانبياء أفضل من غيرهم قبل ظهور الشيخ محمود ، وفيه ان الاجماع إنما هو على فضل صنف الانبياء على غيره من الاصناف وفضل كل نبي على جميع امته لا فضل كل شخص من الانبياء على كل من عداهم حتى لو كان من امم غيرهم ، فذلك نظير تفضيل صنف الرجال على صنف النساء حيث انه لم ينافِ فضل بعض النساء على كثير من الرجال ولم يختص تفضيل امير المؤمنين على من عدا محمد من الانبياء بالشيخ محمود حتى ينافي ما ادعاه الرازي من الاجماع ، بل قال به الشيعة قبل وجود الشيخ محمود وبعده مستدلين بالآية الكريمة وغيرها من الآيات والاخبار المتظافرة التي ليس المقام محل ذكرها وستعرف بعضها .

وكيف كان فقد استفاضت الاخبار بنزول الآية بأهل الكساء حتى روى مسلم والترمذي كلاهما في باب فضائل علي (ع) عن سعد بن أبي وقاص قال (لما نزلت هذه الآية « قل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم » دعا رسول الله (ص) علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال اللهم هؤلاء أهلي) ونقله السيوطي أيضاً عن ابن المنذر والحاكم والبيهقي في سننه ، ولا يخفى ما في قوله «ص» : (هؤلاء اهلي) من اختصاص اهل النبي «ص» في الأربعة الأطهار ، كما يدل عليه ايضاً حديث الكساء وغيره ، ونقل السيوطي ايضاً عن البيهقي في الدلائل ان رسول الله «ص» كتب الى اهل نجران وذكر خبراً طويلا قال في آخره : (فلما اصبح رسول الله (ص) اقبل مشتملا على الحسن والحسين وفاطمة تمشي خلف ظهره للملاعنة وله يومئذ عدة نسوة) الحديث وقد أشار بقوله : وله عدة نسوة ، إلى ان ازواجه لسن من اهل المباهلة ولا من محل العناية ، إلى غير ذلك من الأخبار المستفيضة او المتواترة التي تقدمت الاشارة إلى بعضها في كلام الرازي وغيره .

(آية فتلقى آدم)

قال المصنف رفع الله درجته

(السابعة) قوله تعالى : (فتلقى آدم من ربه كلمات) روى الجمهور عن ابن عباس قال سئل رسول الله عن الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فتاب عليه ؛ قال سأله بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين إلا تبت عليّ فتاب عليه .

وقال الفضل

اختلف المفسرون في هذه الكلمات فقال بعضهم هو التسبيح والتهليل والتحميد ، وقال بعضهم هي مناسك الحج فيها غفر ذنوب آدم ، وقال بعضهم هي الخصال العشرة التي سمي خصال الفطرة وقد امر آدم بالعمل بها ليتوب الله عليه ، ولو صح مارواه عن الجمهور ولا نعرف هذا الجمهور لدل على فضيلة كاملة لعلي ونحن نقول بها ونعلم ان التوسل بأصحاب العباء من اعظم الوسائل واقرب الذرائع : ولكن لايدل على نص الامامة نخرج الرجل من مدعاه ويقيم الدلائل على فضائل علي من نص القرآن وكل هذه الفضائل مسلمة .

وأقول

لامناسبة بين مناسك الحج ونحوها مما هو من قسم الافعال وبين الكلمات التي هي من الأقوال فكيف يحسن ان تفسر بها ، ولا يهمنا اختلافهم بعدما صرحت اخبارهم بالمدعى ، ففي الدر المنثور عن ابن النجار بسنده إلى ابن عباس قال : سألت رسول الله عن الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فتاب عليه قال سأله بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين إلا تبت علي فتاب عليه : ومثله في ينابيع المودة وفي منهاج الكرامة للمصنف عن ابن المغازلي بسنده إلى ابن عباس ، إلا انه قال سئل النبي (ص) بالبناء للمجهول

كما ذكره المصنف (ره) هنا ونقله ابن الجوزي عن الدارقطني بلفظ سألت النبي (ص) قال الدارقطني (حدثنا ابو ذر احمد بن أبي بكر الواسطي حدثنا محمد بن علي بن خلف العطار حدثنا حسين الاشقر حدثنا عمرو بن ثابت عن ابيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس سألت النبي) الحديث ؛ وزعم ابن الجوزي في الاحاديث الموضوعة انه موضوع قال : (تفرد به عمرو عن ابيه أبي المقدام وتفرد به حسين عنه وعمرو قال يحيى لاثقة ولا مأمون ، وقال ابن حبان يروي الموضوعات عن الاثبات) ، وفيه ان التفرد لو تم لايقتضي الوضع ولا سيما في فضائل آل الرسول (ص) الذين يخشى من يروي لهم فضيلة أسنة الضلال وألسنة الضلال .

واما ماحكاه عن يحيى فلو اعتبرناه فهو معارض بما حكاه عنه في ميزان الاعتدال انه قال : لايكذب في حديثه على ان ضعف الراوي لايقتضي وضع روايته ، واما ابن حبان فمع عدم اعتبار قوله كما عرفته في مقدمة الكتاب لايقتضي كلامه وضع هذا الحديث بعينه مع انه قد شهد لعمرو ابو داود بالصدق في الحديث قال : (ليس في حديثه نكارة) وقال : (هو رافضي خبيث وكان رجل سوء ولكنه كان صدوقاً في الحديث) وقال أيضاً : (رافضي خبيث ولكن ليس يشبه حديثه احاديث الشيعة) يعني انه مستقيم كما ذكر ذلك كله ابن حجر في تهذيب التهذيب ، وذكر بعضه في ميزان الاعتدال .

وبالجملة ان الرجل صدوق كما قاله ابو داود فلا يصح نسبة الوضع اليه وإنما طعن به القوم لتشيعه .

ويعضد هذا الحديث مانقله السيوطي في الدر المنثور عن الديلمي في مسند الفردوس بسند اخرجه عن علي قال : (سألت النبي (ص) عن قول الله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه ؛ فقال ان الله أهبط آدم بالهند ـ إلى ان قال ـ حتى بعث الله اليه جبرئيل ؛ قال قل اللهم اني أسألك بحق محمد وآل محمد سبحانك لا إله إلا أنت عملت سوءاً وظلمت نفسي فاغفر لي إنك أنت الغفور الرحيم اللهم اني أسألك بحق محمد وآل محمد سبحانك لا إله إلا أنت عملت سوءاً وظلمت نفسي فتب علي إنك أنت التواب

الرحيم فهذه الكلمات التي تلقى آدم) .

واما دلالة هـــذه الآية مع تفسيرها بهذه الاخبار على إمامة أمير المؤمنين « ع » فأوضح من أن تحتاج إلى بيان لأن توسل شيخ النبيين بمحمد وآله بتعليم الله سبحانه وهم في آخر الزمان والاعراض عن أعاظم المرسلين وهم أقرب اليه زماناً لأدل دليل على فضلهم على جميع العالمين وعلى عصمتهم من كل زلل وان كان مكروهاً فان آدم إنما عصى بارتكاب المكروه فلا يصح التوسل بهم في التوبة عما ارتكب إلا لأنهم لم يرتكبوا معصية ومكروهاً فلا بد أن تنحصر خلافة الرسول بآله لفضلهم على الأنبياء وعصمتهم دون سائر امة محمد «ص» ، وكيف يكون المعصوم من كل زلة الفاضل حتى على أعاظم الأنبياء رعية ومأموماً لسائر الناس ، ولا سيما من أفنى اكثر عمره بالشرك وعبادة الأوثان وقضى باقيه بالفرار من الزحف والعصيان .

(آية اني جاعلك للناس اماما)

قال المصنف نور الله ضريحه

(الثامنة) قوله تعالى : (إني جاعلك للناس إماماً قال ومن ذريتي) روى الجمهور عن ابن مسعود قال : قال رسول الله «ص» انتهت الدعوة إلي وإلى علي لم يسجد أحدنا لصنم قط فاتخذني نبياً واتخذ علياً وصياً .

وقال الفضل

هذه الرواية ليست في كتب أهل السنة والجماعة ولا أحد من المفسرين ذكر هذا وان صح دل على ان علياً وصي رسول الله «ص» والمراد بالوصاية ميراث العلم والحكمة وليست هي نصاً في الامامة كما ادعاه .

وأقول

قد نقل المصنف «ره» هذه الرواية في منهاج الكرامة عن ابن المغازلي ولم ينكرها

ابن تيمية ولكنه طالب بصحتها ؛ وفيه انه لاريب بصحتها لأن كل من يروي في ذاك الزمان فضيلة لآل محمد فقد أوقع نفسه في خطري الموت وسقوط الشأن ولا موجب له إلا الوثاقة وحب الصدق بتلك الرواية كما عرفته في مقدمة الكتاب على ان سند الحديث ليس بأيدينا فعلا ولعله صحيح عندهم .

واما دلالة الآية بضميمة الحديث على إمامة أمير المؤمنين «ع» فلأن الحديث قد دل على استجابة دعوة ابراهيم في بعض ذريته وصيرورتهم أئمة للناس لكونهم أنبياء أو أوصياء ودل على ان الدعوة انتهت إلى رسول الله «ص» وعلي «ع» فكانت إمامة رسول الله «ص» باتخاذ الله له نبياً وإمامة علي باتخاذه وصياً فوصايته لابد أن تكون بامامته للناس ومن أنواعها ؛ ولو سلم ان المراد بالوصاية وراثة العلم والحكمة فهي من خواص الأئمة لقوله تعالى : (أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أم من لايهدي إلا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون) .

ثم ان قوله «ص» : لم يسجد أحدنا لصنم قط ، إشارة إلى انتفاء مانع النبوة والامامة عنها أعني المعصية والظلم المذكور في تلك الآية بقوله سبحانه : (لاينال عهدي الظالمين) فيكون معنى كلامه «ص» انتهت إلي وإلى علي دعوة ابراهيم لذريته لانتفاء الظلم عنا الذي جعله الله مانعاً عن نيل الامامة فاتخذني نبياً وعلياً وصياً وإنما خص السجود للصنم بالذكر دون سائر الظلم والمعصية لأنه الفرد الأهم في الانتفاء وابتلاء عامة قومه به ، فالمقصود إنما هو بيان انتفاء المانع المذكور في الآية عنها لا بيان ان عدم السجود للصنم علة تامة لانتهاء الدعوة اليها حتى تلزم إمامة كل من لم يسجد لصنم وان كان جاهلا عاصياً ولا بيان كون عدم السجود للصنم فضيلة مختصة بها في دائم الدهر حتى يقال بمشاركة كل من ولد على الاسلام لها ، ولا بيان ان عدم السجود للصنم سبب تام للأفضلية حتى يقال ان بعض من تاب عن الكفر أفضل ممن ولد على الاسلام .

ثم ان المراد بانتهاء الدعوة اليها وصولها اليها لا إنقطاعها عندها لتعديته بالى فلا ينفي إمامة الحسن والحسين والتسعة من بعدها وقد ظهر بذلك بطلان مالفقه ابن تيمية في المقام ، ويظهر منه تجويز نبوة من كان كافراً بل وقوعها فانه لما انكر كون عدم

السجود للصنم موجباً للفضل على من كان كافراً ثم تاب استدل عليه بأن لوطاً آمن لابراهيم ثم بعثه الله نبياً وان شعيباً قال قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها وان الله سبحانه قال : (وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن في ملتنا) واذا كان هؤلاء أنبياء فمن المعلوم ان الانبياء أفضل من غيرهم فلا يكون عدم السجود للأصنام موجباً للأفضلية ، وفيه ان إيمان لوط لابراهيم لا يستدعي سبق الكفر منه وحاشاه لاحتمال ولادته بعد نبوة ابراهيم أو انه كان متديناً بشريعة سابقة وآمن به في أول نبوته واما إطلاق العود في الآيتين الأخيرتين فمن باب التغليب بلحاظ اتباعهم .

ثم ان مقتضى استدلال ابن تيمية بالآية الأخيرة كون الرسل كلهم أو أكثرهم بزعمه كانوا كفاراً وهو خلاف ضرورة الاسلام والمسلمين وما الداعي له إلى هذا الضلال إلا إنكار فضل أمير المؤمنين على أقوام افنوا اكثر أعمارهم في الكفر ولمزيد نصبه انكر عدم سجود أخ النبي «ص» للاصنام قبل إسلامه خلافاً لاجماع المسلمين حتى ان قومه السنيين اذا ذكروا علياً «ع» قالوا كرم الله وجهه إشارة إلى عدم سجوده للاصنام أصلا ولم يزل يتمحل لانكار فضل ولي المؤمنين تلك التمحلات ويتقلب بهاتيك الجهالات فالله حسيبه والنبي شاهده وعلي خصمه .

(آية سيجعل لهم الرحمن ودا)

قال المصنف اعلى الله درجته

(التاسعة) قوله تعالى : (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وداً) روى الجمهور عن ابن عباس قال : نزلت في أمير المؤمنين علي «ع» قال الود المحبة في قلوب المؤمنين .

وقال الفضل

ليست هذه الرواية في تفاسير أهل السنة وان صحت دلت على وجوب محبته وهو واجب بالاتفاق ولم يثبت به النص على الامامة وهو المدعى .

وأقول

قال السيوطي في الدر المنثور اخرج الطبراني وابن مردويه عن ابن عباس قال : (نزلت في علي بن أبي طالب ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا) قال : (محبة في قلوب المؤمنين) ، وقال السيوطي أيضاً أخرج ابن مردويه والديلمي عن البراء قال : (قال رسول الله «ص» لعلي : قل اللهم اجعل لي عندك عهداً واجعل لي عندك ودا واجعل لي في صدور المؤمنين مودة فأنزل الله تعالى ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا) قال : (نزلت في علي) ، وروى مثل الأخير في الكشاف ونقله سبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص عن تفسير الثعلبي ؛ وكذا نقله عنه المصنف « ره » في منهاج الكرامة مع الحديث الأول عن أبي نعيم ، وقال في الصواعق في المقصد الثاني من المقاصد المتعلقة بالآية الرابعة عشرة من الآيات النازلة في أهل البيت «ع» (أخرج الحافظ السلفي عن محمد بن الحنفية انه قال في تفسير هذه الآية لايبقى مؤمن إلا وفي قلبه ود لعلي وأهل بيته) والظاهر ان مارواه في الكشاف مذكور في تفسير الرازي كما نقله السيد السعيد عنه فان عمدة ماذكره الرازي هنا مأخوذ من الكشاف ، لكن نسخة تفسير الرازي التي رأيتها خالية عن تلك الرواية ، فلا يبعد ان فيها سقطاً .

واما دلالة الآية على إمامة أمير المؤمنين «ع» دون غيره فمحتاجة إلى بيان معناها أولا . قال في الكشاف : (المعنى سيحدث لهم في القلوب مودة ويزرعها لهم فيها من غير تردد منهم ولا تعرض للاسباب التي توجب الود ، ويكتسب بها الناس مودات القلوب من قرابة أوصداقة أواصطناع بمبرة أوغيرذلك : وإنما هواختراع منه ابتداءاً اختصاصاً

منه لأوليائه بكرامة خاصة ، كما قذف فى قلوب أعدائهم الرعب إعظاماً لهم وإجلالا لمكانهم) ومثله فى تفسير الرازي ، ولا يخفى ان هذه العناية الالهية والبشارة الربانية التي استحقت الذكر فى الكتاب المجيد ناشئة من أهلية من به العناية وامتيازه بالقرب إلى الله تعالى وارتقائه على كل المؤمنين بالفضل والطاعة وهي مختصة بأمير المؤمنين ، ولذا نزلت الآية به دون غيره من الصحابة ؛ فيكون أفضل الامة وإمامها بشهادة تعظيم الله سبحانه له حيث عبر عنه بالذين آمنوا وعملوا الصالحات كناية عن انه بمنزلتهم جميعاً في الايمان والعمل الصالح لكونه إمامهم وسبب ايمانهم وعملهم الصالحات ، ولذا قال رسول الله في حقه يوم الخندق : (برز الايمان كله) وقال : (ضربة علي تعدل عبادة الثقلين) ثم انه بمقتضى رواية الصواعق تكون العناية ثابتة أيضاً لأبناء أمير المؤمنين الطاهرين فتثبت لهم الامامة أيضاً .

واما ماذكر الفضل من دلالة الآية على وجوب محبته «ع» فخلاف الظاهر لأن المراد بالجعل فيها على الأظهر هو التكوين لا التكليف كما عرفته من كلام الكشاف ، ولو سلم فهو أيضاً دال على الامامة ، لأن ايجاب المودة على الاطلاق مستلزم لوجوب الطاعة مطلقاً ، المستلزم للامامة وللعصمة التي هي شرط الامامة فاذا فقد هذا الشرط عن غيره بالاجماع والضرورة تعينت إمامته «ع» .

(آية ولكل قوم هاد)

قال المصنف أعلى الله درجته

(العاشرة) قوله تعالى : (إنما أنت منذر ولكل قوم هاد) نقل الجمهور عن ابن عباس قال : قال رسول الله «ص» أنا المنذر وعلي الهادي وبك ياعلي يهتدي المهتدون .

وقال الفضل

ليس هذا فى تفاسير السنة ولو صح دل على ان علياً هادي وهو مسلم وكذا أصحاب

رسول الله «ص» هداة لقوله «ص» : أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم ولا دلالة فيه على النص .

وأقول

نقل الحديث المذكور بعينه في كنز العمال بفضائل علي «ع» (١) عن الديلمي في كتاب الفردوس ونقله عنه أيضاً المصنف (ره) في منهاج الكرامة وذكر السيوطي فى الدر المنثور أخباراً أربعة في نزولها بعلي «ع»

(الأول) ماأخرجه ابن جرير وابن مردويه وأبو نعيم فى المعرفة والديلمي وابن عساكر وابن النجار عن ابن عباس ، قال : (لما نزلت إنما أنت منذر ولكل قوم هاد وضع رسول الله (ص) يده على صدره فقال أنا المنذر وأومأ بيده إلى علي (ع) فقال أنت الهادي ياعلي بك يهتدي المهتدون من بعدي) ولعله هوحديث الديلمي السابق .

(الثاني) ماأخرجه ابن مردويه عن أبي برزة الأسلمي سمعت رسول الله يقول إنما أنت منذر ووضع يده على صدره ثم وضعها على صدر علي وهو يقول لكل قوم هاد .

(الثالث) ماأخرجه ابن مردويه والضياء فى المختارة عن ابن عباس قال (رسول الله المنذر وعلي بن أبي طالب الهادي) .

(الرابع) ماأخرجه عبد الله بن أحمد فى زوائد المسند وابن أبي حاتم والطبراني فى الأوسط والحاكم وصححه وابن مردويه وابن عساكر عن علي بن أبي طالب (ع) فى قوله تعالى : (إنما أنت منذر ولكل قوم هاد) قال (رسول الله المنذر وأنا الهادي) قال السيوطي (وفى لفظ «والهادي رجل من بني هاشم» يعني نفسه) وقد ذكر الحاكم هذا الحديث فى المستدرك (٢) وقال صحيح الاسناد ، وما تعقبه الذهبي إلا ببهت النصب وتحكم الضلالة ، فقال : (بل كذب قبح الله واضعه) ، وقد نقل جماعة هذا الحديث باللفظ الثاني عن الثعلبي مع أول الأحاديث التي ذكرها السيوطي منهم صاحب ينابيع المودة وهو أيضاً نقل الحديث الأخير باللفظ الثاني عن الحمويني ، قال أخرجه بسنده

(١) ص ١٥٧ من الجزء السادس . (٢) ص ١٢٩ من الجزء الثالث .

عن أبي هريرة ، ونقل أيضاً خبراً آخر عن الحاكم أبي القاسم الحسكاني بسنده عن بريدة الأسلمي ، قال : دعا رسول الله (ص) بماء للطهور فأخذ بيد علي بعدما تطهر فالصق يده بصدره فقال أنا المنذر ثم رد يده إلى صدر علي فقال أنت لكل قوم هاد ، ثم قال له أنت منادي الأنام وغاية الهدى وأمير الغر المحجلين أشهد لك انك كذلك ، ثم قال في الينابيع المالكي أيضاً أخرجه عن ابن عباس : ويعني بالمالكي علي بن أحمد صاحب الفصول المهمة ، ونقل أيضاً أخباراً كثيرة من هذا النحو ، ونقل الرازي في تفسيره الخبر الأول من أخبار السيوطي وذكر في الآية أقوالا ثلاثة ثالثها مادل عليه هذا الخبر ، ولا ريب انه المتبع لأنه تفسير بالرواية عن رسول الله (ص) والقولان الأولان تفسير بالرأي ، ولو فرض ورود رواية بها فلا تكون حجة علينا ولا تعارض تلك الروايات لاتفاق الفريقين عليها ، فقول الفضل ليس هذا في تفاسير السنة كما ترى ، وقد ذكر السيد السعيد (ره) ان ابن عقدة صنف كتابا في هذه الآية وروايات نزولها في شأن أمير المؤمنين (ع) .

واما دلالتها على إمامته دون غيره فأوضح من ان تحتاج إلى بيان لأن الله تبارك وتعالى جعله في قرن النبي (ص) بأن له الانذار ولعلي الهداية أي إراءة الطريق وعمم هدايته لكل قوم وذلك من آثار الامامة لاسيما وقد قال له رسول الله وبك يهتدي المهتدون من بعدي فانه بمقتضى تقديم الجار والمجرور دال على حصر الهداية به بعد وفاة النبي (ص) مع انه قد أثنى عليه في رواية الحسكاني بما يناسب الامامة ، ومما بينا يعلم مافي قول الفضل دل على ان علياً هاد مريداً به عدم دلالة الآية والرواية على اختصاص الهداية به .

واما مارواه من حديث أصحابي كالنجوم فهو باطل متناً وسنداً ، اما (الأول) فلأن عمومه لكل أصحابه مخالف للضرورة لأن اكثرهم من الجاهلين ، وكثيراً منهم من المرتدين بعده كما دلت عليه أخبار الحوض ، بل بعضها دال على ارتداد الكل إلا مثل همل النعم ، كما ان بعضهم من المنافقين في وقته ، قال تعالى : (ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لاتعلمهم نحن نعلمهم) وبعضهم من القاسطين والناكثين والمارقين ،

وبعضهم من الزنائين والفاسقين كالمغيرة والوليد وأشباههما ، فكيف يقول النبي (ص) بأيهم اقتديتم اهتديتم ، وهو يقتضي العصمة ولا أقل من العدالة ، ويقتضي العلم والاحاطة بما جاء به الرسول واكثرهم من الجاهلين ، فلا بد أن يكون المراد بالاصحاب في الحديث على فرض صحته ثقل النبي (ص) وسفينة النجاة وهم آله كما فسر بهم (ع)

واما (الثاني) فلما نقله السيد السعيد (ره) عن شارح الشفاء للقاضي عياض انه قال : « اعلم ان حديث أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم أخرجه الدارقطني فى الفضائل وابن عبد فى العلم من طريق من حديث جابر ، وهذا اسناد لايقوم به حجة لأن الحارث بن غضين مجهول ، ورواه عبد بن حميد فى مسنده من رواية عبد الرحيم ابن زيد عن أبيه عن المسيب عن عمر ؛ قال البزار منكر لايصح ، ورواه ابن عدي فى الكامل من رواية حمزة بن أبي حمزة الصبي عن نافع عن عمر بلفظ (بأيهم أخذتم بقوله) بدل (اقتديتم) واسناده ضعيف لاجل حمزة لانه متهم بالكذب ورواه البيهقي فى المدخل من حديث ابن عباس وقال : متنه مشهور وأسانيده ضعيفة لم يثبت منها فى هذا الباب اسناد وقال ابن حزم مكذوب موضوع باطل » انتهى كلام شارح الشفاء .

(آية وقفوهم انهم مسؤلون)

قال المصنف قدس الله روحه

(الحادية عشرة) قوله تعالى : (وقفوهم انهم مسؤلون) روى الجمهور عن ابن عباس وعن أبي سعيد الخدري عن النبي (ص) قال عن ولاية علي بن أبي طالب (ع) .

وقال الفضل

ليس هذا من رواية أهل السنة ولو صح دل على انه من أولياء الله تعالى فالولي هو المحب المطيع وليس هو بنص فى الامامة .

وأقول

قال ابن حجر في الصواعق في الآية الرابعة من الآيات النازلة في أهل البيت «ع» (اخرج الديلمي عن أبي سعيد ان النبي «ص» قال : وقفوهم انهم مسؤلون عن ولاية علي) وكأن هذا مراد الواحدي بقوله روي في قوله تعالى وقفوهم انهم مسؤلون أي عن ولاية علي وأهل البيت «ع» ، ونقل المصنف «ره» في منهاج الكرامة حديث الديلمي وحديثاً آخر مثله عن أبي نعيم بسنده عن ابن عباس ، ونقلها معاً في ينابيع المودة ، ونقل أيضاً في الينابيع عن المناقب عن ثمامة بن عبد الله بن أنس عن أبيه عن جده عن النبي «ص» قال : (اذا كان يوم القيامة ونصب الصراط على جهنم لم يجز عليه إلا من كان معه جواز فيه ولاية علي بن أبي طالب وذلك قوله تعالى وقفوهم انهم مسؤلون عن ولاية علي) وفي الينابيع أيضاً عن الحمويني بسنده عن علي «ع» عن النبي «ص» قال : (اذا نصب الصراط على جهنم لم يجز عنه أحد إلا من كانت معه براءة بولاية علي ابن أبي طالب) وفيها نحوه أيضاً عن موفق بن أحمد عن ابن مسعود من طريقين وعن ابن عباس من طريق ، وأيضاً عن ابن المغازلي عن ابن عباس من طريقين وعن أبي سعيد من طريق وعن أنس من طريق .

ويؤيد هذه الأخبار مافي ميزان الاعتدال بترجمة ابراهيم بن عبد الله الصاعدي ، قال (روى عن ذي النون عن مالك خبراً باطلا ومتنه اذا نصب الصراط لم يجز أحد إلا من كانت معه براءة بولاية علي) ثم قال (ذكره ابن الجوزي في الموضوعات ، وقال ابراهيم متروك الحديث) ولا سبب للحكم بوضعه وبطلانه إلا التعصب والاستبعاد وكيف يستبعد ذلك في حق أخ النبي «ص» ونفسه وثقله في امته ، وذكر السيوطي في اللئالي المصنوعة هذا الحديث نقلا عن الحاكم بسنده عن علي «ع» وذكر كلام ابن الجوزي والذهبي ، وتعقبهما بأن للحديث طريقاً آخر ذكره أبو علي الحداد في معجمه ثم بيّن الطريق ، وحينئذ فلابد للمنصف من الحكم بصدق مضمون الحديث بل تواتره ولاسيما بضميمة أخبارنا واقتضاء فضل أمير المؤمنين «ع» لمثله .

وكيف كان فهذه الآية على ذلك المعنى دالة على إمامة علي (ع) لأن الامامة أول مايسئل عنه بعد الوحدانية والرسالة وأحق مايحتاج إلى معرفته في الجواز على الصراط لأن من لا يعرف إمامة إمامه مات ميتة جاهلية كما سبق ، بخلاف سائر الواجبات فان من لا يقوم بها لايخرج عن الدين إذ ليست من اصوله ولذلك جاءت الآية الكريمة في أثناء ذكر الكافرين ، ومما بينا يعلم مافي قول الفضل (ولو صح دل على انه من أولياء الله تعالى) وأي عاقل يفهم هذا المعنى من تلك الرواية ، ولو سلم فالسؤال عن ولايته (ع) بهذا المعنى دون سائر الأولياء دليل على تميزه عليهم بالفضل والقرب إلى الله عز وجل وهو يستدعي الامامة ، ويبعد أيضاً أن يراد بالولاية في الأخبار الحب وان كان حبه واجباً وأجراً للرسالة ، اللهم إلا بلحاظ الملازمة بين الحب الخالص له والاقرار بامامته إذ لا ينكرها بعد وضوح أمرها إلا من يميل عنه ، مع ان السؤال عن حبه وتوقف الجواز على الصراط على وده دليل على ان له دون سائر الصحابة منزلة عظمى ومرتبة توجب ذلك لفضله عليهم والأفضل أحق بالامامة .

وقد نقل في الينابيع القول بارادة الحب من الولاية عن الحاكم والأعمش ومحمد بن اسحاق صاحب كتاب المغازي ، ويشهد لهم الأخبار الكثيرة الدالة على السؤال عن حب أهل البيت (ع) ، منها مافي الينابيع عن الثعلبي وابن المغازلي بسنديهما عن ابن عباس وعن الترمذي وموفق بن أحمد بسنديهما عن أبي برزة الأسلمي ، وعن موفق أيضاً بسنده عن أبي هريرة ، وعن الحاكم بسنده عن أبي سعيد ، وعن الحمويني بسنده عن أمير المؤمنين (ع) ، وعن المناقب بسنده عن الباقر (ع) قالوا : (قال النبي «ص» لاتزول قدم عبد عن قدم حتى يسأل عن عمره فيم أفناه وعن جسده فيما أبلاه — وفي رواية وعن شبابه بدل جسده — وعن ماله مما اكتسبه وفيما أنفقه وعن حبنا أهل البيت) وكل الروايات بهذا اللفظ أو بهذا المضمون إلى كثير من الأخبار التي يطول ذكرها وسبق بعضها في آية القربى ، وليت شعري أكان أبو بكر وعمر وعثمان أئمة لأمير المؤمنين وهم لايجوزون الصراط إلا ويسألون عن ولايته ولا يمرون عليه إلا ببراءة منه .

(آية ولتعرفنهم في لحن القول)

قال المصنف قدس سره

(الثانية عشرة) قوله تعالى : (ولتعرفنهم في لحن القول)«١» روى الجمهور عن أبي سعيد الخدري قال ببغضهم علياً عليه السلام .

وقال الفضل

ليس في تفسير أهل السنة وان صح دل على فضيلته لا نص على إمامته

وأقول

ذكره السيوطي في تفسيره الدر المنثور ونقله عن ابن مردويه وابن عساكر عن أبي سعيد ، ونقله المصنف (ره) في منهاج الكرامة عن أبي نعيم عن أبي سعيد أيضاً ، وقال السيوطي أيضاً أخرج ابن مردويه عن ابن مسعود قال ماكنا نعرف المنافقين على عهد رسول الله (ص) إلا ببغضهم علي بن أبي طالب . أقول وروى الترمذي في فضائل علي «ع» عن أبي سعيد قال : (قال انا كنا لنعرف المنافقين نحن معاشر الأنصار ببغضهم علي بن أبي طالب) وروى أيضاً عن ام سلمة قالت : (كان رسول الله (ص) يقول لايحب علياً منافق ولايبغضه مؤمن) وروى مسلم عن علي «ع» قال : (والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لعهد النبي الامي إلي انه لايحبني إلامؤمن ولا يبغضني إلامنافق) ونحوه في سنن النسائي في علامة الايمان من كتاب الايمان ، ورواه بسند آخر في علامة النفاق ، وأيضاً نحوه في سنن الترمذي في فضائل علي (ع) ، وكذا في كنز العمال في فضائل علي (٢) عن الحميدي وابن أبي شيبة وأحمد بن حنبل والعدني وابن ماجة وأبي نعيم في الحلية وابن أبي عاصم في السنة ، وروى الحاكم في المستدرك في مناقب أمير المؤمنين « ع » (٣) عن أبي ذر قال : (ما كنا نعرف المنافقين إلا بتكذيبهم الله

(١) سورة محمد ٣٠ . (٢) ص ٣٩٤ من الجزء السادس .

(٣) ص ١٢٩ من الجزء الثالث .

ورسوله والتخلف عن الصلوات والبغض لعلي بن أبي طالب) ثم قال هذا حديث صحيح على شرط مسلم ، ونقله في كنز العمال في فضائل علي (١) عن الخطيب في المتفق ، ونقل ابن حجر في الصواعق في المقصد الثالث من المقاصد المتعلقة بآية القربى عن أحمد والترمذي عن جابر (ماكنا نعرف المنافقين إلا ببغضهم علياً) ، والحصر في هذا الحديث ونحوه بلحاظ ان المنافق يتستر بجميع علائم النفاق إلا ببغض علي (ع) لكثرة مبغضيه حتى ان النبي (ص) كان يعرفه منهم بلحن القول مع علمهم بحبه له وشدة اختصاصه به ، ولذا لما قبض رسول الله (ص) وجدوا الفرصة فاتفق عليه اكثر قريش وكثير من الأنصار ، وهذه الأحاديث وان لم تذكر نزول الآية لكنها تؤيد رواية أبي سعيد التي أشار اليها المصنف ودلالتها على إمامة أمير المؤمنين (ع) ظاهرة ، لأن من كان حبه إيماناً وبغضه نفاقاً وكفراً لابد أن يكون متصفاً بأصل من اصول الدين الذي يشترط في الايمان الاقرار به ، إذ ليس المدار في الايمان والنفاق على ذات الحب والبغض بل على مايلزمها عادة من الاقرار بخلافته المنصوصة وإنكارها فان من أبغضه أنكر إمامته عادة فيكون باظهاره الايمان منافقاً ومن أحبه قال بامامته ، إذ لاداعي له لانكارها بعد اتضاح ثبوتها بالكتاب والسنة ، ولا ينافي المدعى مارواه القوم من أن حب الأنصار إيمان وبغضهم نفاق ، فانه لو صح كان مفاده ان حبهم وبغضهم إيمان ونفاق لنصرتهم لرسول الله (ص) لأن الأنصار وصف وتعليق الحكم بالوصف مشعر بالحيثية ، وهذا بخلاف تعليق الحكم بعلي (ع) فانه ليس لوصف النصرة بل لذاته الشريفة ويلزمه ان المنشأ هو الامامة لا النصرة وإلا لعاد الأمر إلى الايمان بالنبي وعدمه ولم يكن لعلي دخل وهو خلاف ظاهر الحديث .

---

(١) ص ٣٩٠ من الجزء السادس .

(آية والسابقون السابقون)

قال المصنف رفع الله درجته

(الثالثة عشرة) قوله تعالى : (والسابقون السابقون اولئك المقربون)«١» روى الجمهور عن ابن عباس قال سابق هذه الامة علي بن أبي طالب (ع) .

وقال الفضل

هذا الحديث جاء في رواية أهل السنة ، ولكن بهذه العبارة سباق الامم ثلاثة : مؤمن آل فرعون وحبيب بن النجار وعلي بن أبي طالب ، ولا شك في ان علياً سابق في الاسلام وصاحب السابقة والفضائل التي لا تخفى ، ولكن لا تدل الآية على نص إمامته وذلك المدعى .

وأقول

اذا كان أمير المؤمنين (ع) سابق هذه الامة كان خيرهم وأفضلهم لأن السبق إلى الاسلام إمارة الاعرفية والأفضلية كما يشهد له قوله تعالى : (اولئك المقربون) لافادته الحصر وانه المقرب دون غيره من الصحابة لجعل قرب غيره كلاقرب بالنسبة اليه فيكون بينه وبينهم في المعرفة والفضل والتقوى بون شاسع ، ولا ريب ان من كان كذلك فهو الامام ، لاسيما وهو افضل السابقين الثلاثة ، كما يدل عليه ماذكره السيوطي في تفسير الآية قال أخرج ابن مردويه عن ابن عباس في قوله تعالى : (والسابقون السابقون) قال : (نزلت في حزقيل مؤمن آل فرعون وحبيب النجار الذي ذكر في يس وعلي بن أبي طالب وكل رجل منهم سابق امته ، وعلي أفضلهم سبقاً) وفي رواية اخرى عبر عنهم بالصديقين وذكر علياً وقال وهو أفضلهم ، نقلها السيوطي في تفسير سورة يس عن أبي داود وأبي نعيم والديلمي وابن عساكر كما ستسمعها في الآية الثالثة والعشرين ان شاء الله تعالى ، ولا ينافي ماذكرنا ان حزقيل سابق امة موسى ولم يكن امامهم وذلك

(١) الواقعة . الآية ١٠ .

لأنه مات في حياة موسى ولو بقي بعده لكان هو الامام لا يوشع ، على ان الموجود في بعض الأخبار يوشع بدل حزقيل ولعله الأصوب فيرتفع الاشكال ، روى السيوطي في المقـام عن ابن أبي حاتم وابن مردويه انهما أخرجا عن ابن عباس في قوله والسابقون السابقون قال (يوشع بن نون سبق إلى موسى ومؤمن آل يس سبق إلى عيسى وعلي ابن أبي طالب سبق إلى رسول الله) وروى السيوطي في تفسير سورة يس عن الطبراني وابن مردويه عن ابن عباس قال : (السبّق ثلاثة فالسابق إلى موسى يوشع بن نون والسابق إلى عيسى صاحب يس والسابق إلى محمد علي بن أبي طالب) وحكى المصنف في منهاج الـكرامة عن ابن المغازلي عن مجاهد عن ابن عباس قال : (سبق يوشع بن نون إلى موسى وهرون وسبق صاحب يس إلى عيسى وسبق علي إلى محمد « ص ») ويحتمل أن يكون يوشع وحزقيل سابقين معاً إلى موسى وكل قسم من الاخبار خص واحداً بالذكر لخصوصية والامام هو يوشع لأفضليته بجهات اخر ، ثم ان الرواية التي ذكرها المصنف (ره) هنا قد نقلها بعبارتها في منهاج الـكرامة عن أبي نعيم ، هذا وروى الزمخشري في تفسير سورة يس عن رسول الله «ص» (سبّاق الامم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين علي بن أبي طالب وصاحب يس ومؤمن آل فرعون) وهي دالة على فضل آخر لامير المؤمنين «ع» على غيره من الصحابة وهو انه لم يكفر بالله طرفة عين مع صغر سنه ونشأته بين عبدة الاصنام فيكون أحق بالامامة ممن عبدها في كثير من عمره لقصور عقله ووفور جهله .

(آية أجعلتم سقاية الحاج)

قال المصنف طاب ثراه

(الرابعة عشرة) قوله تعالى : (أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام)«١» إلى قوله تعالى : (ان الله عنده أجر عظيم) روى الجمهور في الجمع بين الصحاح الستة انها نزلت في علي بن أبي طالب لما افتخر طلحة بن شيبة والعباس فقال طلحة أنا أولى

(١) براءة . الآية ٢٠ .

بالبيت لان المفتاح بيدي ، وقال العباس أنا أولى أنا صاحب السقاية والقائم عليها فقال علي أنا أول الناس إيماناً واكثرهم جهاداً فأنزل الله هذه الآية لبيان أفضليته .

وقال الفضل

هذا صحيح من رواية الجمهور من أهل السنة وقد عدها العلماء في فضائل أمير المؤمنين وفضائله اكثر من أن تحصى وليس هذا محل الخلاف كما مر حتى يقيم عليه الدلائل بل الكلام فى النص على إمامته وهذا لايدل عليه .

وأقول

دلالة الآية على المطلوب تتم بضميمة الرواية ، لأن أمير المؤمنين «ع» فضل نفسه عليهما بما يقتضي الفضل على جميع الامة حيث قال أنا أول الناس إيماناً واكثرهم جهاداً وأقره الله سبحانه على دعوى الفضل بذلك وانكر على من لايرى له الفضل به ، فيكون أفضل الامة وأولاها بالامامة ، على ان الآيات متضمنة للبشارة له بالرحمة والرضوان من الله تعالى والخلود بالجنة وستعرف ان شاء الله فى الآية الثانية والثلاثين اقتضاء البشارة لشخص بعينه واعلامه بالجنة كونه معصوماً أو قريباً منه فيكون أولى من الخلفاء الثلاثة بالامامة ، ثم ان الرواية المذكورة قد نقلها السيوطي فى الدر المنثور عن ابن مردويه وعبد الرزاق وابن عساكر وأبى نعيم وابن جرير وأبى الشيخ وابن أبي حاتم وابن المنذر وابن أبى شيبة عن ابن عباس وأنس والشعبي والحسن وابن كعب ونقله فى ينابيع المودة عن النسائى فى سننه عن محمد بن كعب ونقله أيضاً عن جماعة آخرين : وقال الواحدي فى أسباب النزول (قال الحسن والشعبي والقرضي نزلت الآية فى علي والعباس وطلحة بن شيبة وذلك انهم افتخروا فقال طلحة أنا صاحب البيت بيدي مفتاحه وإلي ثياب بيته ، وقال العباس أنا صاحب السقاية والقائم عليها ، وقال على ماأدري ماتقولان لقد صليت ستة أشهر قبل الناس وأنا صاحب الجهاد فأنزل الله هذه الآية) ولا اشكال بأن نزولها فى علي والعباس وطلحة بقصة الافتخار بينهم من المشهورات فلا حاجة إلى الاطالة

زاد الله فضل سيد الوصيين (ع) فقد أعان الكتاب المجيد بتفضيله بشتى الوجوه فأين القلوب الواعية .

(آية المناجاة)

قال المصنف أعلى الله مقامه

(الخامسة عشرة) آية المناجاة لم يفعلها غير علي «ع» قال ابن عمر كان لعلي ثلاثة لو كانت لي واحدة منها كانت أحب إلي من حمر النعم : تزويجه بفاطمة وإعطاء الراية يوم خيبر وآية النجوى .

وقال الفضل

هذا من روايات أهل السنة وان آية النجوى لم يعمل بها إلا علي ولا كلام في ان هذا من فضائله التي عجزت الالسن عن الاحاطة بها ولكن لايدل على النص على إمامته

وأقول

ينبغي أولا ذكر بعض الأخبار الواردة من طرق القوم في نزول هذه الآية الكريمة تيمناً بذكر فضله (ع) ، روى الحاكم في المستدرك (١) في تفسير سورة المجادلة عن أمير المؤمنين (ع) قال : (ان في كتاب الله آية ماعمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي آية النجوى : يأيها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة ، الآية) قال : (كان عندي دينار فبعته بعشرة دراهم فناجيت النبي (ص) وكنت كلما ناجيت النبي قدمت بين يدي نجواي درهما ثم نسخت فلم يعمل بها أحد فنزلت « أءشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات » الآية) ثم قال الحاكم : (هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ولم يتعقبه الذهبي بشيء) ونقله السيوطي في الدر المنثور عن الحاكم أيضاً وعن سعيد بن منصور وابن راهويه وابن أبي

(١) ص ٤٨٢ من الجزء الثاني .

شيبة وعبد بن حميدوابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه .

ومثل هذا الحديث باختصار فى تفسيري الزمخشري والرازي وفى أسباب النزول للواحدى وعن معالم البغوي وتفسيري الثعلبي والطبري ، وقال السيوطي (أخرج عبد ابن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد قال نهوا عن مناجاة النبي «ص» حتى يقدموا صدقة فلم يناجه إلا علي بن أبي طالب فانه قد قدم ديناراً فتصدق به ثم ناجى النبي «ص» فسأله عن عشر خصال ثم نزلت الرخصة) وقال السيوطي أيضاً : (قال الكلبي تصدق به في عشر كلمات سألهن رسول الله «ص») ثم نقل عن ابن عمر مانقله المصنف « ره » إلى غير ذلك من الأخبار التي لاتحصى من طرقهم فضلا عن طرقنا حتى ان ابن تيمية مع شدة نصبه قال في رد منهاج الكرامة (ثبت ان علياً تصدق وناجى ، ثم نسخت الآية قبل أن يعمل بها غيره) .

ولا يعارض ذلك ماحكاه السيوطي عن الطبراني وابن مردويه عن سعد بن أبي وقاص قال : (نزلت يأيها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة ، فقدمت شعيرة فقال رسول الله «ص» إنك لزهيد ، فنزلت الآية الاخرى أءشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات) فان خبر سعد إنما يدل على شحه وعدم قيامه بالصدقة المطلوبة لاعلى مناجاته : ولذا نزلت الآية الاخرى بعد قول النبي «ص» له إنك لزهيد ، فكان ممن أشفق وتعلق به اللوم والانكار .

هذا ولا ريب بدلالة الآية الشريفة على إمامة أمير المؤمنين «ع» دون غيره ممن يقدر على الصدقة من الصحابة كالخلفاء الثلاثة وذلك لدلالتها على فضله عليهم وعلى معصيتهم بما يقتضي عدم صلوحهم للامامة حتى لو لم نعتبر العصمة في الامام : اما دلالتها على فضله فلمسارعته للطاعة وعدم تساهله في طلب العلم بخلاف غيره : واما على معصية من يقدر على الصدقة فلقوله تعالى : (أءشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات) فانه إنكار ولوم وهو يقتضي المعصية ، وقوله تعالى : (فاذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم) فان التوبة تستدعي المعصية ، وقوله تعالى : (فقدموا بين يدي نجواكم صدقة) فان الأمر بتقديم الصدقة ظاهر في وجوبها فتجب المناجاة أيضاً ، وإلا لم يحصل عصيان بترك الصدقة لأن

وجوب الصدقة مشروط بالمناجاة فاذا تركا معاً لم يثبت عصيان ، وهو خلاف مايقتضيه الانكار والتوبة ، فلا بد من الالتزام بوجوبها معاً وبالعصيان بتركها .

ومن الواضح ان المعصية بترك الصدقة اليسيرة ذات المصلحة الكبيرة الحاصلة بمناجاة الرسول «ص» لا أكبر دليل على البخل والشح ، ولذا عبر سبحانه بالاشفاق ، والبخيل لا يصلح للامامة لاسيما بهذا البخل ، ومما صرح ببخلهم ماحكاه المصنف «ره» في منهاج الكرامة عن أبي نعيم عن ابن عباس قال : (ان الله حرم كلام رسول الله إلا بتقديم الصدقة وبخلوا أن يتصدقوا قبل كلامه وتصدق علي ولم يفعل ذلك أحد من المسلمين غيره) واجيب عن اشكال معصيتهم بضيق الوقت ، وفيه انه لو ضاق لم يكن معنى للنسخ ولا للتوبة والانكار بالاشفاق على ان الوقت متسع وهو عشر ليال أو نحوها بل الوقت الذي يتسع لمناجاة أمير المؤمنين ولو مرة وتقديم صدقته متسع لمناجاة غيره معه وتقديم صدقته .

ومن ذلك يظهر كذب ماروره من بذل أبي بكر لماله الكثير في سبيل الله وان النبي «ص» قال مانفعني مال مثل ماله ، فان من يشفق أن يتصدق بالقليل في الفائدة الكثيرة لحري أن لا يبذل المال الكثير ، وكذا يظهر ان عثمان لم يبذل مابذل في جيش العسرة كما زعموه إلا للسمعة التي لم يكن يحسب انها تحصل في صدقة النجوى .

هذا وقد ذكر الرازي هنا مايفيد العجب قال : (أقول على تقدير ان أفاضل الصحابة وجدوا الوقت ومافعلوا ذلك فهذا لم يجر اليهم طعناً لأن ذلك الاقدام على هذا العمل مما يضيق قلب الفقير فانه لا يقدر على فعله ويوحش قلب الغني فانه لما لم يفعل الغني ذلك وفعله غيره صار سبباً للطعن فيمن لم يفعل فهذا الفعل لما كان سبباً لحزن الفقراء ووحشة الأغنياء لم يكن في تركه كبير مضرة لأن الذي يكون سبباً للألفة أولى مما يكون سبباً للوحشة) وفيه « أولا » ان هذا يستلزم تخطئة الله سبحانه في الايجاب أو الندب وهو كفر ، و « ثانياً » انه يرفع فضل أبي بكر في بذل ماله وفضل عثمان في تجهيز جيش العسرة وهو خلاف رأي أصحابه ، و « ثالثاً » انه يستلزم عذر الغني في ترك الحج والزكاة وجميع المطلوبات المالية لأن فعلها يضيق قلب الفقير ويوحش الغني ، و «رابعاً »

انه لاضيق على قلب الفقير لعلمه بأنه معذور عند الله وعند الناس مع دخول فائدة عليه بالصدقة ، و « خامساً » ان قوله لم يكن في تركه كبير مضرة اقرار بثبوت أصلها وهو مناف لباقي كلامه على ان إثبات أصلها إثبات للطعن .

ثم قال الرازي : (وأيضاً فهذه المناجاة ليست من الواجبات ولا من الطاعات المندوبة بل قد بينا انهم إنما كلفوا بهذه الصدقة ليتركوا هذه المناجاة ولما كان الأولى بهذه المناجاة أن تكون متروكة لم يكن تركها سبباً للطعن) وعليه فالطعن على أمير المؤمنين «ع» بفعل المناجاة لأنه خلاف الأولى ، وهذا لعمر الله هو النصب والجور والاستهزاء بآيات الله والتلاعب بكتابه وأحكامه ، وأي مسلم ينكر رجحان المناجاة بعد الصدقة ولم يدّع أحد ان الداعي لوجوب الصدقة ترك المناجاة بالكلية ، على انك عرفت دلالة الآية على وجوب المناجاة فضلا عن استحبابها وما كنت أحسب أن يبلغ هنا العناد بالرازي حتى يجعل الفضيلة التي تمناها ابن عمر منقصة .

ثم قال الرازي : (واما قوله « وتاب عليكم » فليس في الآية انه تاب عليكم من هذا التقصير بل يحتمل انكم اذا كنتم تائبين راجعين إلى الله سبحانه وأقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة فقد كفاكم هذا التكليف) وكأنه يرى ان الله تعالى قد أوكل اليه معاني الكتاب العزيز وان يحدث له معاني لاتنطبق على ألفاظه ، فان الجملة الشرطية التي احتملها لا أثر لها في الآية أصلا ولا تدل عليها باحدى الدلالات ، وظاهر الآية أو صريحها هو التوبة عليهم من عدم فعلهم للصدقة ، وان المعنى فاذ لم تفعلوا ماأمرتم به وتاب الله عليكم فلا تخلوا بالواجبات الاخر وهي إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وطاعة الله ورسوله ، ومن تأمل في الحقيقة وتدبر في ايجاب عالم الغيب للصدقة على من يعلم انهم لم يعملوا مع نسخه عنهم قريباً بعد فعل أمير المؤمنين «ع» حتى انزل بذلك قرآناً يتلى على مرور الأيام وانكر على المسلمين اشفاقهم وبخلهم ، علم ان المقصود كشف أحوال المسلمين وبيان فضل أميرهم عليهم .

(آية واسأل من أرسلنا)

قال المصنف قدس الله روحه

(السادسة عشرة) روى ابن عبد البر وغيره من السنة في قوله تعالى : (واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا) «١» قال : ان النبي ليلة اسري به جمع الله بينه وبين الأنبياء ثم قال له : سلهم يا محمد على ماذا بعثتم ؟ قالوا بعثنا على شهادة أن لا إله إلا الله وعلى الاقرار بنبوتك والولاية لعلي بن أبي طالب .

وقال الفضل

ليس هذا من رواية أهل السنة ، وظاهر الآية آب عن هذا لأن تمام الآية (واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا اجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون) والمراد ان إجماع الأنبياء واقع على وجوب التوحيد ونفي الشرك ، هذا مفهوم الآية وهذا النقل من المناكير وإن صح فلا يثبت به النص الذي هو المدعى لما علمت ان الولاية تطلق على معان كثيرة .

وأقول

نقل المصنف في منهاج الكرامة هذا الحديث عن ابن عبد البر وعن أبي نعيم ونقل جماعة نحوه عن الثعلبي عن ابن مسعود ، قال : (قال رسول الله «ص» أتاني ملك فقال يا محمد واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا على مابعثوا قلت على مابعثوا قال على ولايتك وولاية علي بن أبي طالب) وفي ينابيع المودة في الباب الخامس عشر (٢) عن أبي نعيم والحمويني وموفق بن أحمد بأسانيدهم عن ابن مسعود قال : (قال رسول الله «ص» لما عرج بي إلى السماء انتهى بي السير مع جبرئيل إلى السماء الرابعة فرأيت بيتاً من ياقوت أحمر فقال جبرئيل هذا البيت المعمور قم يا محمد فصل اليه قال النبي «ص» جمع

---

(١) الزخرف الآية ٤٥ .　(٢) ص ٨٢ طبع اسلامبول .

الله النبيين فصفوا ورائي صفاً فصليت بهم فلما سلمت أتاني آت من عند ربي فقال : يامحمد ربك يقرئك السلام ويقول سل الرسل على ماأرسلتهم من قبلك فقلت معاشر الرسل على ماذا بعثكم ربكم قبلي ؟ فقالت الرسل على نبوتك وولاية علي بن أبي طالب وهو قوله واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا ، الآية) ثم قال في الينابيع رواه أيضاً الديلمي عن ابن عباس ثم قال عن طلحة بن زيد عن جعفر الصادق عن آبائه عن أمير المؤمنين علي قال : (قال رسول الله ماقبض الله نبياً حتى أمره الله تعالى أن يوصي إلى أفضل عشيرته من عصبته وأمرني أن أوص إلى ابن عمك علي أثبته في الكتب السالفة وكتبت فيها انه وصيك وعلى ذلك أخذت مواثيق الخلائق وميثاق أنبيائي ورسلي وأخذت مواثيقهم لي بالربوبية ولك يامحمد بالنبوة ولعلي بالولاية والوصية) ودلالتها على إمامة أمير المؤمنين «ع» واضحة فان بعث الرسل وأخذ الميثاق عليهم في القديم بولاية علي «ع» وجعلها محل الاهتمام العظيم في قرن أصلي الدين الربوبية والنبوة لايمكن أن يراد بها إلا إمامة من له الفضل عليهم كفضل محمد «ص» ولا سيما مع عطف الوصية عليها في رواية طلحة فلا يضر حينئذ إطلاق الولاية على معان كثيرة بعد هذه القرينة الصريحة في إرادة الامامة .

(فان قلت) لم تذكر الآية الكريمة النبوة والامامة بل ولا الارسال بشهادة أن لاإله إلا الله ، فانها قالت أجعلنا ولم تقل أءرسلناهم بالشهادة (قلت) السؤال والاستفهام في الآية للتقرير بمعنى تقرير الرسل عن أمر استقر عندهم نفيه وهو جعل آلهة من دون الرحمن يعبدون ، لكن لما كان المناسب لتقرير الرسل بما هم رسل هو تقريرهم عما أرسلوا به كان الظاهر إرادة تقريرهم عن ذلك بما هم رسل بنفيه وهو راجع إلى الارسال بالشهادة بالوحدانية ، فصح ماأفادته الروايات من ان المراد بالآية السؤال عما بعث به الرسل من الشهادة بالوحدانية ، ولما كان بعثهم بهذا معلوماً للنبي «ص» ألبتة لم يحسن أن يراد أن يقررهم به خاصة ، بل ينبغي أن يراد تقريرهم به بضميمة مالا يعلم النبي «ص» إقرارهم به لعدم علمه بارسالهم عليه ، وهو الذي ذكرته الروايات ؛ أعني إرسالهم على نبوته وإمامة أمير المؤمنين «ع» ، وإنما لم تذكره الآية الشريفة للاكتفاء بذكر الأصل وهو

البعث على الشهادة بالوحدانية ، كما ان بعض الروايات المذكورة اكتفت بذكر نبوة نبينا وإمامة ولينا لأنها الداعي الى السؤال والتقرير مع وضوح بعثهم على الشهادة بالوحدانية لكونه الأصل ولذكر الآية له ، فما أعظم قدر نبينا الأطيب وأخيه الأطهر عند الله تبارك وتعالى حتى ميزهما على جميع عباده واكرمهما ببعث الرسل الاكرمين على الاقرار بفضلها ورسالة محمد وإمامة علي وأخذ الميثاق عليهم بهما مع الشهادة بالوحدانية فحق لذريتهما أن يفتخروا بما افتخر الشريف الرضي به وهو قول الفرزدق :

اولئك آبائي فجئني بمثلهم   اذا جمعتنا ياجرير المجامع

(آية وتعيها اذن واعية)

قال المصنف نور الله ضريحه

(السابعة عشرة) قوله تعالى : (وتعيها اذن واعية) «١» روى الجمهور انها نزلت في علي عليه أفضل الصلاة والسلام .

وقال الفضل

روى المفسرون انه لما نزلت هذه الآية قال رسول الله «ص» لعلي «ع» : سألت الله أن يجعلها اذنك : قال علي فما نسيت بعد هذا شيئاً ، وهذا يدل على علمه وحفظه وفضيلته ولا يدل على النص بامامته .

وأقول

لم يدل على علمه وفضيلته فقط بل على أعلميته وأفضليته لدلالته على ان اذن علي «ع» هي الواعية دون غيرها ، نعم المسلمين التذكرة فقط ، قال تعالى : (لنجعلها لكم تذكرة وتعيها اذن واعية) فيكون هو الأحق بالامامة ، وفي بعض الأخبار الآتية (وحق على الله أن تعي) وهو دال على وجوب أن يكون علي واعياً إشارة الى وجوب نصب الامام الواعي على الله تعالى ، ولذا أمر الله سبحانه نبيه بتعليمه كما في

(١) الحاقة الآية ١٢ .

الأخبار الآتية ، فيكون علي هو الامام وغيره مأموماً ، وكيف يكون من لا يعي والياً لامور المسلمين وحاكما في امور الدين وواجب الطاعة على من له الاذن الواعية . أفمن يهدي الى الحق أحق أن يتبع أم من لا يهدي إلا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون .

ويقرب إرادة خصوص علي من الآية افراد الاذن وتنكيرها فانه دال على الوحدة كما صرحت بارادة علي «ع» الأخبار الكثيرة ، فقد حكى السيوطي في الدر المنثور عن ابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه وابن عساكر وابن النجار بأسانيدهم عن بريدة قال : (قال رسول الله «ص» لعلي إن الله أمرني أن ادنيك ولا اقصيك وان اعلمك وتعي وحق لك أن تعي فنزلت الآية) ومثله فى أسباب النزول للواحدي إلا انه قال (وحق على الله أن تعي) وعن الثعلبي (وحق على الله أن تسمع وتعي) وفي كنز العمال (١) عن ابن عساكر (وان حقاً على الله أن تعي ونزلت وتعيها اذن واعية قال اذن عقلت عن الله) وحكى السيوطي أيضاً عن أبي نعيم في الحلية عن علي «ع» قال : (قال رسول الله «ص» ان الله أمرني ان ادنيك واعلمك لتعي فأنزلت هذه الآية وتعيها اذن واعية فأنت اذن واعية لعلمي) ومثله في كنز العمال (٢) عن أبي نعيم أيضاً ولا ينافي كون المراد بالاذن الواعية هي اذن علي «ع» ان اذن الحسن والحسين أيضاً واعية وذلك لأنهما منه وهو منهما أو لأنهما اذن واعية في رتبة الاخذ من أبيهما وهو اذن واعية في رتبة الاخذ من النبي «ص» .

(سورة هل أتى)

قال المصنف اعلى الله درجته

(الثامنة عشرة) سورة (هل أتى) روى الجمهور ان الحسن والحسين مرضا فعادهما رسول الله «ص» وعامة العرب فنذر علي صوم ثلاثة أيام وكذا امهما فاطمة وخادمتهم فضة لئن برئا ، فبرئا وليس عند آل محمد قليل ولا كثير ، فاستقرض أمير المؤمنين «ع»

(١) ص ٣٩٨ من الجزء الثالث .　(٢) ص ٤٠٨ من الجزء المذكور .

ثلاثة أصوع من شعير وطحنت فاطمة منها صاعا فخبزته خمسة أقراص لكل واحد قرص ، وصلى علي المغرب ثم أتى المنزل فوضع الطعام بين يديه للافطار فأتاهم مسكين وسألهم فأعطاه كل منهم قوته ومكثوا يومهم وليلتهم لم يذوقوا شيئاً ، ثم صاموا اليوم الثاني فخبزت فاطمة صاعاً آخر فلما قدمته بين أيديهم للافطار أتاهم يتيم وسألهم القوت فتصدق كل منهم بقوته ، فلما كان اليوم الثالث من صومهم وقدم الطعام للافطار أتاهم أسير وسألهم القوت فأعطاه كل منهم قوته ولم يذوقوا في الأيام الثلاثة سوى الماء فرآهم النبي «ص» في اليوم الرابع وهم يرتعشون من الجوع وفاطمة «ع» قد التصق بطنها بظهرها من شدة الجوع وغارت عيناها ، فقال «ص» : واغوثاه يالله ، أهل محمد يموتون جوعا ! فهبط جبرئيل فقال خذ ماهنأك الله في أهل بيتك ، فقال وما آخذ ياجبرئيل فأقرأه « هل أتى » .

وقال الفضل

ذكر بعض المفسرين في شأن نزول السورة ماذكره ، ولكن انكر على هذه الرواية كثير من المحدثين وأهل التفسير ، وتكلموا في انه هل يجوز أن يبالغ الانسان في الصدقة الى هذا الحد ويجوع نفسه وأهله حتى يشرف على الهلاك ، وقد قال الله تعالى ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو والعفو ما كان فاضلا من نفقة العيال ، وقال رسول الله خير الصدقة ما كان صنواً عفواً ، وان صح الرواية لاتدل على النص كما علمته .

وأقول

روى جماعة من القوم ماذكره المصنف «ره» كالزمخشري فى الكشاف والبيضاوي وعن الواحدي فى كتاب البسيط والبغوي فى معالم التنزيل والثعلبي وأبي السعادات العمادي وغيرهم ، وروى الواحدي نحوه فى أسباب النزول إلا انه إنما ذكر نزول قوله : (ويطعمون الطعام ، الآية) فيهم ولم يذكر النذر ، وحكى السيوطي فى الدر المنثور عن بعض اصحابه نزول هذه الآية فيهم ؛ وذكر نظام الدين الحسن بن محمد بن الحسين

النيشابوري فى تفسيره غرائب القرآن ورغائب الفرقان القصة التي ذكرها المصنف(ره) ونزول السورة فيهم ، ثم قال : ويروى ان السائل لهم فى الليالي الثلاث جبرئيل ازاد بذلك ابتلاءهم باذن الله سبحانه .

ونقل الرازي فى تفسيره عن الزمخشري والواحدي فى البسيط القصة ونزول السورة بهم ثم اشكل عليه بأمرين :

(الأول) ان السورة مشتملة على امور اخر خارجة عن القصة وغير متعلقة بمدحهم كبيان خلق الانسان وابتلائه وانه تعالى هداه السبيل وانه اما شاكر واما كفور وكوعيد الكفار الى غير ذلك مما اشتملت عليه السورة ، وفيه ان المقصود كونهم سبباً لنزول السورة فلا يضر اشتمالها على امور اخر على ان هذه الامور المذكورة دخيلة فى مدحهم لدلالتها عند بيان قصتهم واخلاصهم على فضلهم وامتيازهم على غيرهم .

(الثاني) أن الممدوحين فى الآيات ذكروا بصيغة الجمع كقوله تعالى : ان الأبرار يشربون ويوفون بالنذر ويخافون ويطعمون الى آخر الآيات ، فتخصيصه بجمع معينين خلاف الظاهر ويدخل فيهم اتقياء الصحابة والتابعين ولا يبقى للتخصيص معنى ألبتة اللهم إلا أن يقال السورة إنما نزلت عند صدور طاعة مخصوصة منهم ، ولكنه قد ثبت فى اصول الفقه ان العبرة بعموم اللفظ لابخصوص السبب ، وفيه ان التخصيص وان كان خلاف الظاهر لكن لابد من الالتزام به اذا وردت به الرواية وإلا لم تصح دعوى نزول شيء من القرآن فى مدح احد ، واما قوله العبرة بعموم اللفظ لابخصوص السبب فانما يسلم فى مقام التكليف والمدح والذم المطلقين لاالمدح الناشيء من سبب خاص لم يتفق صدوره من غيرهم لاسيما فى خصوصياته من الحب والحاجة لما انفقوا ووقوعه على وجه الاخلاص التام لله تعالى والخوف منه حتى وقاهم الله تعالى بسببه شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسروراً ، ولا ادري متى كان للصحابة فى هذا الميدان اثر ولا سيما الذين عناهم الرازي

دع المكارم لاترحل لبغيتها واقعد فانك أنت الطاعم الكاسي

واما ماذكره الفضل من إنكار كثير من المحدثين وأهل التفسير على هذه الرواية

وتكلمهم في جواز مبالغة الانسان في الصدقة الى هذا الحد ، فلم أجده في كلامهم ، ولو كان له اصل لذكره شيخ المشككين الرازي ولاسيما في مايتعلق بفضائل اميرالمؤمنين «ع» على انه سبحانه قد مدح أولياءه بأنهم يؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ، فما لأهل البيت لايجوز لهم ذلك .

واما قوله تعالى : (يسألونك ماذا ينفقون قل العفو) فمعنى العفو فيه أجل المال وأطيبه لاالفضل كما زعمه الفضل ، لقوله تعالى : (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) كان المراد بالصنو في الحديث الصدقة المكررة الموصولة بصدقة قبلها وهي أجل المال وأطيبه لانتهاء التكرير اليه عادة ، ولذا وصف الصنو وبيّنه في الحديث بالعفو أي الأجل الأطيب : ويحتمل ان يكون العفو في الحديث قيداً آخر فيكون المعنى ان خير الصدقة ماجمع وصفين ان تكون لاحقة لصدقة قبلها وان تكون من أجلّ المال وأطيبه فلا تنافي هذه الآية والرواية مافعله أمير المؤمنين عليه السلام .

ثم انه ليس المنفق لكل الطعام في تلك القصة هو امير المؤمنين وحده حتى يكون اجاع اهله كما زعم الفضل بل كل منهم انفق قوته كما صرحت به الرواية .

واما قوله وان صح الرواية لاتدل على النص ، ففيه ان القصة دالة على فضل الحسنين وبلوغهما في المعرفة الى منتهى الغايات لصدورها عنهما حال صغرهما بنحو استحقا من الله سبحانه الثناء عليهما في كتابه المجيد وشهد لهما فيه بأنهما اطعما لوجهه وكانا يخافان منه ، ولا ريب في ان الصغير الذي يصدر منه ذلك اكبر من الكبير الذي لم يعرف الله تعالى اكثر عمره وعصاه في عظام الامور كالفرار من الزحف فيكون الحسنان افضل من شيوخ الصحابة ، ولا شك ان امير المؤمنين افضل من الحسنين بالنص والاجماع فيكون افضل من الصحابة جميعاً فيكون هو الامام .

هذا والعجب من تمالؤ هؤلاء القوم على محو فضائل آل الرسول «ص» بالأوهام الكاسدة والخيالات الفاسدة ، دون مايروونه في فضائل غيرهم ، وان كان ظاهر الكذب والبهتان ، فقد رأيت الفضل كيف استشكل من جواز تلك الصدقة ، وهو قد ذكر في مبحث الحلول ان أبا يزيد البسطامي ترك شرب الماء سنة تأديباً لنفسه وعده منقبة له ،

فليت شعري لم لايجوز التصدق لأهل البيت بعد السؤال منهم رغبة فى الثواب بالايثار على انفسهم ، وجاز لأبي يزيد ترك شرب الماء سنة وهو من المحالات بلا سؤال أحد منه ولا ايثار ولا هو من أفعال سيد المرسلين والأنبياء الأولين ولا ورد بنحوه الكتاب والسنة ، وقال الغزالي فى احياء العلوم فى كسر شهوة البطن (١) الوظيفة الثانية فى وقت الأكل ومقدار تأخيره ، وفيه اربع درجات الدرجة العليا ان يطوي ثلاثة ايام فما فوقها وفى المريدين من رد الرياضة الى الطي لا الى المقدار حتى انتهى بعضهم الى ثلاثين يوماً واربعين يوماً ، وانتهى اليه جماعة من العلماء يكثر عددهم منهم محمد بن عمرو القرني ، وذكر جماعة ، ثم قال : وكان ابو بكر الصديق يطوي ستة ايام وكان عبد الله بن الزبير يطوي سبعة ايام ، وكان ابو الجوزاء صاحب ابن عباس يطوي سبعاً ، وروي ان الثوري وابراهيم بن ادهم كانا يطويان ثلاثاً ثلاثاً كل ذلك يستعينون بالجوع على طريق الآخرة ، ثم نقل عن متصوف انه طوى ستين يوما ، فانظر الى هذه الحكايات التي ماجاء بها الشرع وماكانت من فعل سيد المرسلين يروونها فى كتبهم ويصدقون استمرار اوليائهم عليها ، ويكذبون ان يتصدق اهل البيت اتفاقاً بطعامهم ثلاثة ايام لسؤال من سأل ايثاراً على انفسهم ، فهل الفرق إلا اتباع الهوى والجفاء لمن طهرهم الله تعالى من الرجس تطهيرا وأوجب على الامة التمسك بهم .

ثم ان المصنف « ره » قد ذكر هذه القصة فى منهاج الكرامة نقلا عن الثعلبي ورده ابن تيمية بكل ماتبلغه همة النصب وذكر اموراً اشبه باللغو كالمطالبة بصحة الحديث وقد مر مراراً جوابه ولا سيما ان شهرته كافية فى اعتباره ، وكزعم ان الحسنين صغيران لايشرع ابقاؤهما ثلاثة ايام جياعا ، وقد عرفت انهما بذاتيهما آثرا بطعامهما لمعرفتهما وكمالهما ، وكزعم عدم حاجة أيتام المسلمين وأسراهم الى الصدقة والسؤال لأن اليتيم مكفى بالنبي والاسير بآسره ، وهو كما ترى تكذيب للآية الكريمة ، وكزعم انه لم يكن فى العقبة قتال ، فكيف يقول اليتيم كما فى حديث الثعلبي استشهد والدي يوم العقبة ، وفيه ان العقبات كثيرة والعقبة هي المرقى الصعب من الجبال كمرقى أحد

(١) ص ٧٢ من الجزء الثالث .

لا خصوص عقبة مكة التي بايع النبي «ص» فيها الأنصار قبل الهجرة ، وكزعم ان السورة مكية بالا تفاق ، والحال ان مجاهداً وقتادة قالا انها مدنية ، وكزعم ان النذر منهي عنه ، والحال ان الآية الكريمة نزلت في الثناء على الناذرين فيكون تخطئة للكتاب المجيد ، وكزعم انه ليس للزهراء «ع» جارية تسمى فضة وان انفاق أبي بكر أفضل من إنفاقهم الى نحو ذلك مما هو بالهذيان أشبه .

(آية والذي جاء بالصدق)

قال المصنف أعلى الله درجته

(التاسعة عشرة) قوله تعالى : (والذي جاء بالصدق وصدق به) «١» روى الجمهور عن مجاهد قال : هو علي بن أبي طالب عليه السلام .

وقال الفضل

جماهير أهل السنة على ان الآية نزلت في أبي بكر الصديق وان صح نزوله في علي المرتضى فهو من فضائله ولا يدل على النص .

وأقول

حكى السيوطي في الدر المنثور عن ابن مردويه انه أخرج عن أبي هريرة والذي جاء بالصدق رسول الله «ص» وصدّق به علي بن أبي طالب «ع» ، ونحوه في منهاج الكرامة للمصنف عن مجاهد من طريق ابن المغازلي ، وفيه أيضاً عن مجاهد من طريق أبي نعيم مثل ماهنا ، فيكون الجميع متحداً في المراد وان المقصود بثاني الوصفين أمير المؤمنين «ع» ، لا انه مقصود بهما معاً كما يتوهم مما نقله أبو نعيم ، فاذا اريد بمن صدق به أمير المؤمنين ، دل على إمامته لأن ذكره خاصة بالتصديق مع كثرة المصدقين يدل على أنه الكامل في التصديق وانه الصديق الاكبر ، ولا ريب ان الكامل فيه دون

(١) الزمر الآية ٣٢ .

غيره هو الأفضل والأفضل أحق بالامامة ، ولا سيما ان كامل التصديق أرعى لما صدق به وأمس في حفظ الدين والحوزة ، على ان الله سبحانه قد شهد لمن جاء بالصدق ولمن صدق به بالتقوى على الاطلاق ، فقال في تتمة الآية (اولئك هم المتقون) وهو يقتضي العصمة ولا معصوم مع النبي «ص» غير علي «ع» بالاجماع فيكون هو الامام لما سبق من اشتراط العصمة بالامام ، ولا ينافي دلالته على العصمة قوله تعالى بعد هذه الآية : (لهم مايشاؤن عند ربهم ذلك جزاء المحسنين ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا ويجزيهم بأحسن الذي كانوا يعملون) إذ ليس المراد بأسوأ الذي عملوا هو المحرمات لعصمة النبي «ص» جزماً بل المراد أسوأه عند قومهم فان الله سبحانه يكفره أي يغطيه عنهم بنصرهم على الكافرين وإحسانهم اليهم وإظهار شرفهم وفضلهم ، ولذا قال تعالى في الآية التي بعدها (أليس الله بكاف عبده ويخوفونك بالذين من دونه) .

واما مانسبه الفضل الى الجماهير فكذب عليهم ، ولذا لم يذكره الزمخشري في الكشاف وهو حقيق بذكره لو كان قولا لجماهيرهم ، لاسيما وهو في فضل أبي بكر ولم يذكره أيضاً غيره ممن اطلعنا على تفسيره ، نعم نسبه الرازي إلى جماعة وهو غير معنى الجماهير ، ولو سلم فأي عبرة بقول جماهيرهم الناشيء من الهوى ، فانه كما ورد عندهم نزولها في أبي بكر ورد عندهم نزولها في أمير المؤمنين «ع» ، فلم اختار الجماهير أو الجماعة نزولها في أبي بكر مع عدم صحة الرواية الدالة عليه كما اطلعنا على سندها ، فان الطبري رواها في تفسيره جامع البيان عن عمر بن ابراهيم بن خالد عن عبد الملك بن عمير عن اسيد بن صفوان ، وقد نقل الذهبي في ميزان الاعتدال عن الدارقطني ان عمر بن ابراهيم كذاب ، وعن الخطيب انه غير ثقة ، ثم ذكر بترجمة عمر أن اسيداً مجهول ، ونقل بترجمة عبد الملك عن أحمد انه ضعّف عبد الملك جداً ، وقال أيضاً ضعيف يغلط ، وقال ابن معين مخلط ، مضافاً الى ان لفظ الرواية كما صرح به السيوطي في الدر المنثور الذي جاء بالحق محمد وصدّق به أبو بكر وهو غير لفظ الآية لأن لفظها الذي جاء بالصدق .

هذا ومن المضحك ماذكره الرازي في المقام ، قال : (أجمعوا على أن الاسبق الأفضل اما أبو بكر واما علي وحمل هذا اللفظ على أبي بكر أولى لأن علياً كان وقت

البعثة صغيراً فكان كالولد الصغير الذي يكون في البيت ، ومعلوم ان إقدامه على التصديق لا يفيد مزيد قوة وشوكة ، اما أبو بكر كان رجلا كبيراً في السن كبيراً في المنصب فاقدامه على التصديق يفيد مزيد قوة وشوكة في الاسلام فكان حمل اللفظ على أبي بكر أولى) فان مزيد الشوكة لا ربط له بالأولوية المذكورة لأن التصديق فرع المعرفة والتقى لا الشوكة ، ولذا مدح الله سبحانه من جاء بالصدق وصدق به بالتقوى ، فقال : (اولئك المتقون) ومن المعلوم ان أمير المؤمنين «ع» أقرب إلى المعرفة والتقوى من أبي بكر فانه لم يعبد صنماً قط خلافاً لقومه وعبدها أبو بكر مدة من عمره ، وطهره الله سبحانه من الرجس ولم يطهر أبا بكر ، وصلى مع رسول الله «ص» سبع سنين قبل أبي بكر وغيره ، ولا منافاة بين الصغر والمعرفة والكمال ، ولذا دعاه رسول الله «ص» الى الاسلام وهو صبي فكان أخص الناس به واطوعهم له وجعله خليفته ووزيره عندما جمع عشيرته الأقربين في اول البعثة ودعاهم الى الاسلام كما سيجيء ، كما جعل الله يحيى نبياً وآتاه الحكم صبياً ، وكذلك عيسى ويوسف وسليمان ، وقد مدح الله الحسنين وهما طفلان بقوله سبحانه : ان الأبرار يشربون . ويخافون يوما . ويطعمون الطعام على حبه . إنما نطعمكم لوجه الله . . . الآيات . ولو سلم دخل الشوكة والقوة والمنصب بأولوية الوصف بالتصديق فأي قوة وشوكة لأبي بكر وهو من ارذل بيت في قريش ـ كما قاله أبو سفيان ـ وأي منصب له وهو كان خياطاً ومعلماً للصبيان فأين هو من أسد الله ورسوله وابن سيد البطحاء الذي إن لم يزد الاسلام بنفسه قوة فباتصاله بأبيه وتعلقه به ، بل قد عرفت ان شهادة الله سبحانه بالتقوى لمن صدق بالصدق تدل على عصمته ولا معصوم غير علي بالاجماع فتتعين إرادته بالآية .

(آية هو الذي أيدك بنصره)

قال المصنف نور الله ضريحه

(العشرون) قوله تعالى : (هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين) «١» عن أبي هريرة قال : مكتوب على العرش لا إله إلا الله وحده لاشريك له محمد عبدي ورسولي أيدته بعلي بن أبي طالب .

وقال الفضل

جاء هذا في روايات اهل السنة ، ولا شك ان علياً من افاضل المؤمنين ومن خلفائهم وأئمتهم ولما كان رسول «ص» مؤيداً بالمؤمنين كان تأييده بعلي من باب الأولى ولكن لا يدل على النص المدعى .

وأقول

قال السيوطي في الدر المنثور: أخرج ابن عساكر عن أبي هريرة مكتوب على العرش لا إله إلا أنا وحدي لاشريك لي محمد عبدي ورسولي ايدته بعلي ، ونقل في كنز العمال نحوه(٢) عن ابن عساكر عن أبي الحمراء وعن الطبراني عن أبي الحمراء وعن العقيلي عن جابر ، ونقل المصنف الحديث عن أبي نعيم عن أبي هريرة ، ثم قال أبو هريرة : وذلك قوله تعالى هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين - يعني بعلي - ونقل في ينابيع المودة عن أبي نعيم بأسانيده عن ابي هريرة وابن عباس وإمامنا الصادق «ع» انهم قالوا نزلت هذه الآية في علي «ع» وان رسول الله (ص) قال : رأيت مكتوبا على العرش . . . الحديث بعينه ؛ وذكر في الينابيع أيضاً ان أبا نعيم روى نحوه عن أنس بن مالك ، فاذا كان امير المؤمنين (ع) هو المراد بالمؤمنين في الآية دل على انه بمنزلة جميع المؤمنين في الايمان والتأييد للنبي للتعبير عنه بصيغة الجمع العامة فيكون أفضلهم وإمامهم خصوصاً مع كتابة اسمه الشريف

(١) سورة الأنفال الآية ٦٣ . (٢) ص ١٥٨ من الجزء السادس .

وتأييده على العرش ، فقول الفضل لاشك ان علياً من أفاضل المؤمنين الخ ظلم لأمير المؤمنين بجعله من الأفاضل والآية والرواية تدلان على الأفضلية ، كما ان قوله : ولما كان رسول الله (ص) مؤيداً بالمؤمنين الخ خلاف مقصود الآية والرواية من كونه بمنزلة جميع المؤمنين في التأييد لأنه العمدة والمتبع ، ولذا قرنه الله سبحانه بنصره وزينه عرشه ولا ينافي إرادة امير المؤمنين من المؤمنين في الآية قوله تعالى بعدها :(وألف بين قلوبهم) الآية وذلك لأن الاستخدام باب واسع .

(آية يأيها النبي حسبك الله)

قال المصنف قدس الله روحه

(الحادية والعشرون) قوله تعالى : (يأيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين) «١» روى الجمهور انها نزلت في علي (ع) .

وقال الفضل

ظاهر الآية انها في كافة المؤمنين ولو صح نزوله في علي يكون من فضائله ولا دلالة لها على النص المدعى .

وأقول

مع ان الدليل مفسر للمراد فيقدم على الظهور انا نمنع ظهورها بما ذكره بل ظاهرها الخصوص إذ ليس كل مؤمن متبعاً على الاطلاق فتكون من للتبعيض لا للبيان ، وحينئذ فينبغي إرادة امير المؤمنين (ع) خاصة حتى لو لم ترد الرواية بارادته إذ لا اتباع على الاطلاق من غيره ، وحينئذ فتدل الآية على إمامته لأن الاتباع المطلق يقتضي العصمة وهي شرط الامامة ولا عصمة لغيره بالاجماع ، على ان الله سبحانه لما قرنه بنفسه المقدسة واخبر عنه بأنه حسبه دلنا على فضله وامتيازه على كل أحد فيكون هو الامام

(١) سورة الأنفال الآية ٦٤ .

والمراد حسبك الله ناصراً وعلي متبعاً فلا تذهب نفسك حسرات على من لم يتبعك ، ويحتمل كما هو الأقرب ان يكون المراد انها حسبه فى النصرة ، ولا يلزم الشرك كما زعم ابن تيمية ، لأنه كقوله تعالى : (فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين) وليست نصرة غير الله عز وجل إلا باقداره ، وكون علي حسب النبي فى النصرة لا ينافى حاجة النبي «ص» الى غيره ولا حاجة علي «ع» الى الناصر بعد النبي «ص» إذ هو ككون الله حسبه اريد به عدم الاعتداد بنصرة غيره لضعفها أو لعدم الخلوص التام بها ؛ ولذا فر المسلمون عن النبي «ص» في عدة مواطن ؛ فلا يرد ما أشكله ابن تيمية وقد أساء القول وجاهر بنصبه ، ثم ان الرواية التي ذكرها المصنف «ره» هنا قد نقلها هو في منهاج الكرامة عن أبي نعيم ونقلها غيره كصاحب كشف الغمة عن عز الدين عبد الرزاق المحدث الحنبلي .

(آية فسوف يأتي الله بقوم يحبهم)

قال المصنف اعلى الله درجته

(الثانية والعشرون) قوله تعالى : (فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه)«١» قال الثعلبي نزلت في علي عليه السلام .

وقال الفضل

ذهب المفسرون الى انها نزلت في أهل اليمن وقيل لما نزلت هذه الآية سئل رسول الله « ص » عن هذا القوم فضرب بيده على ظهر سلمان فقال : هذا وقومه ، والظاهر انها كانت نازلة لقوم لم يؤمنوا بعد لدلالة سوف يأتي الله على هذا ، وعلي كان ممن آتاه الله من أول الاسلام فكيف يصح نزوله فيه ، وإن سلمنا فهو من فضائله ولا يدل على النص المدعى .

(١) سورة المائدة الآية ٥٨ .

وأقول

ينبغي هنا بيان أمرين : (الأول) معنى الارتداد والظاهر ان له معنيين حقيقياً وهو الانقلاب عن الدين بمخالفة بعض اصوله كالشهادتين عند الجميع والامامة عند الامامية ، ومجازيا وهو مخالفة بعض أحكام الدين المهمة ، ويحتمل أن يراد بالآية الأول لأنه الأصل في الاستعمال والثاني بدعوى القرينة ، بأن يراد بالارتداد تولي الكافرين والتقاعد عن الجهاد بقرينة حكم الآية التي قبلها بأن من تولاهم منهم .

(الثاني) مورد نزولها وقد اختصت أخبارنا في نزولها بأمير المؤمنين «ع» أو المهدي عجل الله فرجه ولا يبعد إرادتهما معاً ، واما روايات القوم فقد جاءت بنزولها بعلي كما نقله المصنف « ره » عن الثعلبي ، وبنزولها في أهل اليمن ، ونزولهـا في الفرس ، وقيل بنزولها في الأنصار ، وقيل بأبي بكر ، ولم يرو أحد التفسير بهذين القولين الأخيرين عن النبي «ص» ، واختار أولها السدي كما ذكره الرازي بحجة أن الأنصار هم الذين نصروا رسول الله «ص» ، وفيه ان المراد بالآية النصرة في المستقبل وهي لم تختص بالأنصار بل لم تختص بهم في أول الأمر لمشاركة المهاجرين لهم في النصرة ، واما من زعم نزولها بأبي بكر فبحجة انه حارب المرتدين وستعرف ما فيه . والحق أنها نازلة بأمير المؤمنين لأمور:

(الأول) ورود رواية الفريقين به فقد عرفت رواية الثعلبي له ولكن ابن تيمية انكرها ولم يحضرني تفسير الثعلبي حتى أظهر بطلان إنكاره ، إذ لا شك ان المصنف «ره» لا يتعمد الكذب بخلاف ابن تيمية فانا سبرنا أحوالها وعرفنا صحة نقل المصنف دونه كما ستعرف ، ويؤيد صحة رواية الثعلبي ماورد عن أمير المؤمنين انه قال يوم البصرة والله ماقوتل أهل هـذه الآية قبل اليوم ثم تلاها ومثله عن عمار وابن عباس كما سيأتي ان شاء الله تعالى .

(الثاني) انطباق أوصاف من يأتي به الله المذكورة في الآية على أمير المؤمنين «ع» دون غيره ، اما عدم انطباقها على أبي بكر فظاهر ولو لقوله تعالى : يحبهم ويحبونه ، فان النبي «ص» قال يوم خيبر بعدما رجع أبو بكر وعمر منهزمين : لأعطين الراية غداً إلى

رجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله كرار غير فرار ، وهو ظاهر بل صريح في التعريض بمن فر وانه ليس على هذه الأوصاف ، واما عدم انطباقها على الأنصار وأهل اليمن والفرس ، فلظهور الآية في انه من يأتي به الله إمام شجاع ذو حزم وتقوى وتواضع لأن قوله تعالى : (أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم) بمعنى انه متواضع للمؤمنين تواضع وال عليهم وإمام لهم إذ لا معنى لتعدية الأذلة بعلى المفيدة للعلو لولا تضمن الأذلة معنى الولاية ، وهو أيضاً عزيز على الكافرين أي ظاهر العزة عليهم والعظمة في أعينهم لكونه ذا سلطان ، وهو أيضاً يجاهد في سبيل الله لكونه مقداما شجاعا تقياً ولا يخاف لومة لائم لحزمه ومقدرته ، واذا ضممنا إلى ذلك قوله تعالى (يحبهم ويحبونه) تعينت إرادة أمير المؤمنين . ولا ينافي إرادته التعبير بالقوم وصيغ الجمع اما لصحة القصد إلى تعظيمه بذلك كما هو في القرآن وغيره كثير كما تشهد له آية المباهلة ، أو للاشارة إلى انه ذو أتباع ، كما لا ينافيها التعبير بسوف خلافاً للفضل لما عرفت من دلالة الآية على انه سبحانه يأتي بذي ولاية وسلطان وعلي «ع» إنما صار كذلك في المستقبل فجاهد حينئذ ، وبنحوه أجاب الرازي عن اشكال إرادة أبي بكر من الآية لأن جهاده متأخر .

(الثالث) ان الآية التي بعدها وهي قوله تعالى : (إنما وليكم الله ورسوله) الآية نازلة بأمير المؤمنين «ع» ، فينبغي أن تكون هذه الآية كذلك لترتبط الآيتان ولدخولها في خطاب واحد منفرد عما قبله وبعده وهو : (يأيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه) الآيتان .

(الرابع) الأخبار المقتضية لنزولها بعلي «ع» (فمنها) المصرحة بأن النبي «ص» قال : ان منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله ، قال أبو بكر وعمر أنا هو ؟ قال لا ولكنه خاصف النعل ـ يعني علياً ـ أخرجه أحمد في مسنده عن أبي سعيد من طريقين (١) ، وأخرجه الحاكم عنه أيضاً من طريقين في المستدرك (٢) وصححه

(١) ص ٣٣ من الجزء الثالث من طريق ، وص ٨٢ منه من طريق آخر .

(٢) ص ١٢٣ من الجزء الثالث .

على شرط الشيخين ، ونقله في كنز العمال (١) عن أبي يعلى في مسنده وابن أبي شيبة وأبي نعيم في الحلية وابن حبان في صحيحه والضياء في المختارة كلهم عن أبي سعيد ، ورواه النسائي في خصائصه ، وهو يستلزم أن يكون من يأتي به الله لحرب المرتدين هو علي لاأبو بكر لأن حرب أمير المؤمنين على التأويل دون أبي بكر فلا بد أن يكون المنذر في الكتاب العزيز بحربه هو علي عليه السلام .

و (منها) الأخبار الكثيرة التي أنذر رسول الله «ص» فيها الناس بعلي خاصة وقال لتنتهن أو ليبعثن الله رجلا ـ يعني به علياً ـ : فالأنسب أن يكون هو المنذر به في الآية ، نقل في كنز العمال (٢) عن أحمد وابن جرير قال وصححه وعن سعيد بن منصور في سننه عن علي «ع» قال : (جاء النبي «ص» اناس من قريش فقالوا يا محمد إنا جيرانك وحلفاؤك وان ناساً من عبيدنا قد أتوك ليس بهم رغبة في الدين ولا رغبة في الفقه إنما فروا من ضياعنا وأموالنا فارددهم الينا فقال لابي بكر ماتقول قال صدقوا انهم لجيرانك وحلفاؤك فتغير وجه رسول الله «ص» ثم قال لعمر ماتقول قال صدقوا انهم لجيرانك وحلفاؤك فتغير وجه رسول الله «ص» فقال يامعشر قريش والله ليبعثن الله عليكم رجلا قد امتحن الله قلبه بالايمان فيضربكم على الدين أو يضرب بعضكم فقال أبو بكر انا يارسول الله ؟ قال لا قال عمر أنا يارسول الله ؟ قال لا ولكنه الذي يخصف النعل وكان اعطي علياً نعلا يخصفها) ومثله في خصائص النسائي ، ونقل في الكنز نحوه عن الخطيب (٣) وعن الترمذي قال وقال حسن صحيح ، وعن ابن جرير قال وصححه وعن الضياء في المختارة (٤) وعن ابن أبي شيبة وابن جرير والحاكم في المستدرك ويحيى بن سعيد (٥) ، وقد قال النبي «ص» في بعضها : (يا معشر قريش لتنتهن أو ليبعثن الله عليكم من يضرب رقابكم بالسيف على الدين قد امتحن الله قلبه على الايمان) وفي بعضها (لن تنتهوا يامعشر قريش حتى يبعث الله عليكم رجلا امتحن الله قلبه بالايمان يضرب

(١) ص ٣٩١ من الجزء السادس . (٢) ص ٣٩٦ من الجزء السادس .

(٣) ص ٣٩٣ من الجزء المذكور . (٤) ص ٤٠٧ منه أيضاً .

(٥) ص ٤٠٨ منه أيضاً .

أعناقكم وأنتم مجفلون عنه إجفال النعم) وروى في الاستيعاب بترجمة أميرالمؤمنين «ع» عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن المطلب بن عبد الله بن حنطب قال : (قال رسول الله «ص» لوفد ثقيف حين جاءه : لتسلمن أو لأبعثن رجلا مني ـ أو قال مثل نفسي ـ فليضربن أعناقكم وليسبين ذراريكم وليأخذن أموالكم ، قال عمر فوالله ماتمنيت الامارة إلا يومئذ وجعلت أنصب صدري له رجاء أن يقول هو هذا ، فالتفت إلى علي فأخذ بيده ثم قال هوهذا) وفي الصواعق بعد الحديث الاربعين من أحاديث فضل علي عن ابن أبي شيبة عن عبد الرحمن بن عوف قال : (لما فتح رسول الله مكة انصرف إلى الطائف إلى أن قال ثم قام خطيباً وقال : والذي نفسي بيده لتقيمن الصلاة ولتؤتن الزكاة أو لأبعثن اليكم رجلا مني ـ أو كنفسي ـ يضرب أعناقكم ثم أخذ بيد علي «ع» ثم قال هو هذا) وعن مسند أحمد وغيره (ان رسول الله «ص» قال لتنتهن يابني وليعة أو لأبعثن اليكم رجلا كنفسي يقتل المقاتلة ويسبي الذرية فالتفت إلى علي فأخذ بيده وقال هو هذا) .

إلى غير ذلك من الاخبار التي تفيد ان عادة النبي «ص» الانذار بعلي فتحمل عليه الآية لأن إنذاره من إنذار الله تعالى وما كان ينطق عن الهوى ؛ ولو كان أبو بكر صالحاً لذلك لما رده النبي «ص» مع انه يعلم من قول أبي بكر صدقوا انهم جيرانك وحلفاؤك انه ليس ممن لا يخاف لومة لائم فلا يكون مراداً بالآية ، وأيضاً فقد جعل النبي «ع» في بعض هذه الاحاديث وغيرها علياً منه أو كنفسه فيكون هو الاحق بالاوصاف المذكورة في الآية وبارادته منها .

هذا ومما يستوقف الفكر ويستثير العجب قول عمر صدقوا بعدما تغير وجه رسول الله «ص» من قول أبي بكر ، وما أدري كيف استباح هو وصاحبه أن يجعلا للكافرين على المؤمنين سبيلا ويردا من آمنوا بالله ورسوله ملكا وخدماً لمن كفر بهما ، وكيف مع هذا يكونان إمامين للناس ويؤمنان على الامة ونفوسها وأموالها .

ثم ان حجتهم على إرادة أبي بكر من الآية بحربه للمرتدين ممنوعة لان من حاربهم اما كافر بالاصل كأصحاب مسيلمة وسجاح أو مؤمن حقاً كبني حنيفة ؛ فانه حاربهم

لامتناعهم من أداء الزكاة اليه إنكاراً لخلافته وتمسكا ببيعة أمير المؤمنين «ع» يوم الغدير كما ستعرفه ان شاء الله تعالى .

هذا وقد ناقش الرازي بارادة أمير المؤمنين «ع» من الآية بل زعم دلالتها على فساد مذهب الشيعة قال ماحاصله : (انه لو كان المقصود بالآية علياً وكان هو الامام ومن لم يقل بامامته ليس بمؤمن كما يزعم الشيعة لحارب أبا بكر لقوله تعالى « ومن يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله » الآية فان كلة من فى معرض الشرط فتفيد العموم فيقتضي ان كل من ارتد يأتي الله بقوم يردونهم عن كفرهم ويبطلون شوكتهم ولم نجد الامر كذلك فان أبا بكر وأصحابه على شوكتهم بل وجدنا الامر على الضد فان الشيعة هم المقهورون) وفيه ان الانذار إنما هو بذي الولاية والسلطان كما عرفت فلا تلزم محاربة أمير المؤمنين (ع) لابي بكر ، وأجاب به الرازي بنفسه عن اشكال إرادة أبي بكر من الآية ، حيث انه لم يحارب المرتدين حين نزول الآية إلى أن تولى الخلافة ، فالمراد اتيان ذي سلطان لحرب كل من ارتد عن دينه فى وقت سلطانه ، ولذا صح عندهم إرادة أبي بكر مع انه لم يحارب كل مرتد كالأسود العنسي لأنه قتل زمن النبي (ص) وكغسان فان عمر حاربهم فى وقته كما قيل ، مضافا إلى إمكان أن يكون معنى الآية مجرد تحذير من يرتد انذاره بالحرب أعم من أن يقع أو لا يقع والله العالم .

(آية اولئك هم الصديقون)

قال المصنف قدس سره

(الثالثة والعشرون) قوله تعالى : (والذين آمنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون) «١» روى أحمد بن حنبل انها نزلت فى علي عليه السلام .

---

(١) الحديد . الآية ١٩ .

وقال الفضل

لاشك ان علياً من الصديقين والشهداء والظاهر ان الآية نزلت في جماعة من الصديقين والشهداء ، ويمكن أن تكون نازلة في الخلفاء وإن صح نزولها في علي فهي من فضائله وليس دليلا على مدعى النص .

وأقول

لاشك ان ليس كل مؤمن صديقاً لان الصديق كثير التصديق وكامله ، ولاشهيداً وهو ظاهر ، فلا بد أن يراد الخصوص ، وقد علمنا من الاخبار انه ليس في هذه الامة صديق غير علي (ع) ، فلا بد أن يكون هو المراد بخصوصه من الآية أو الاعم منه ومن صديقي الامم الثلاثة ، فقد نقل السيوطي في الدر المنثور بتفسير سورة يس عن أبي داود وأبي نعيم وابن عساكر والديلمي بأسانيدهم عن أبي ليلى قال : (قال رسول الله الصديقون ثلاثة حبيب النجار مؤمن آل يس الذي قال ياقوم اتبعوا المرسلين وحزقيل مؤمن آل فرعون الذي قال أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله ، وعلي بن أبي طالب وهو أفضلهم) ورواه الرازي باختصار في تفسير سورة المؤمن عند قوله تعالى : (وجاء رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه) وحكى السيوطي أيضاً في تفسير سورة يس عن البخاري في تاريخه عن ابن عباس قال : (قال رسول الله «ص» الصديقون ثلاثة حزقيل مؤمن آل فرعون وحبيب النجار صاحب آل يس وعلي بن أبي طالب) وحكاه في كنز العمال (١) عن ابن النجار عن ابن عباس ، ونقل المصنف «ره» حديث أبي ليلى في منهاج الكرامة عن أحمد في مسنده والديلمي وابن المغازلي وانكر ابن تيمية كونه من أصل المسند وزعم انه من زيادات القطيعي أخرجه من طريقين ثم ناقش في سندها ، وقد عرفت ان المناقشة في سند الاخبار الواردة في فضل أمير المؤمنين «ع» غير صحيحة لما أوضحناه في المقدمة من ان الاعتبار يشهد بوثاقة رجالها في تلك الأخبار ، على ان

(١) ص ١٥٢ من الجزء السادس .

الرواية اذا كثرت طرقها حكم باعتبارها وإن لم تصح أسانيدها فقد سمعت من تعرض لها ومر في الآية الثالثة عشرة ماهو بمعناها ؛ وهو كثير من الأخبار القائلة ان سبّاق الامم ثلاثة ، فلا وجه للتشكيك بها ؛ ويشير إلى هذه الروايات الأخبار المصرحة بأن الصديق الاكبر هو أمير المؤمنين «ع» كرواية الحاكم في المستدرك (١) عن عباد بن عبد الله الاسدي عن علي «ع» قال اني عبد الله وأخو رسوله وأنا الصديق الاكبر لايقولها بعدي إلا كاذب الحديث ؛ ثم قال الحاكم صحيح على شرط الشيخين وتعقبه الذهبي بقوله : (ليس هو على شرط واحد منهما بل ولا بصحيح بل حديث باطل وعباد قال ابن المديني ضعيف) وفيه انه لااعتبار بتضعيف ابن المديني له مع توثيق غيره له كالحاكم ، ولو التفتنا إلى هذه التضعيفات لم يصح لهم حديث ؛ ولا أدري ماالذي انكره الذهبي من الحديث حتى حكم ببطلانه مع شواهد صحته الكثيرة ؛ وقد نقل في كنز العمال هذا الحديث (٢) عن ابن أبي شيبة والنسائي في الخصائص وابن أبي عاصم في السنة والعقيلي وأبي نعيم في المعرفة ، ونقل أيضاً (٣) عن العقيلي ومحمد بن أيوب الرازي ان أمير المؤمنين «ع» قال على منبر البصرة : (أنا الصديق الأكبر) ، ونقل في الكنز أيضاً (٤) عن الطبراني عن سلمان وأبي ذر معاً وعن البيهقي وابن عدي عن حذيفة ان النبي (ص) قال في حق علي «ع» : (ان هذا أول من آمن بي وهو أول من يصافحني يوم القيامة وهذا الصديق الأكبر وهذا فاروق هذه الامة يفرق بين الحق والباطل وهذا يعسوب الدين والمال يعسوب الظالمين) ونحوه باصابة ابن حجر بترجمة أبي ليلى الغفاري ؛ وزاد في أوله (ستكون بعدي فتنة فاذا كان كذلك فالزموا علي بن أبي طالب فانه أول من آمن بي) الحديث ، فاذا ثبت ان علياً «ع» هو اكمل الامة تصديقاً وجب أن يكون أفضلهم ولا سيما هو أفضل صديقي أمم الانبياء والافضل هو الامام ، ولكن القوم سرقوا هذا الاسم ونحلوه إلى أبي بكر فسموه صديقاً ؛ ولما علم الله سبحانه ذلك منهم أثبت دليلا واضحاً على كذبهم وهو ماألحقه بهذا الوصف من وصف

---

(١) ص ١١٢ من الجزء الثالث . (٢) ص ٣٩٤ من الجزء السادس .

(٣) ص ٤٠٥ من الجزء المذكور . (٤) ص ١٥٦ منه أيضاً .

الشهداء : وهذه السرقة ليست بغريبة منهم فانهم سرقوا أيضاً وصف الفاروق من أمير المؤمنين «ع» إلى عمر فقد صرح بأن علياً هو الفاروق الحديث المتقدم وغيره ، كالذي نقله في كنز العمال (١) عن أبي نعيم عن أبي ليلى ان النبي «ص» قال : ستكون بعدي فتنة فاذا كان ذلك فالزموا علي بن أبي طالب فانه الفاروق بين الحق والباطل ، وقال الطبري في المنتخب من كتاب ذيل المذيل المطبوع في ذيل تاريخه ص ٩ : (قال ابن سعد أخبرنا يعقوب بن ابراهيم بن سعد عن أبيه عن صالح بن كيسان قال : قال ابن شهاب : بلغنا ان أهل الكتاب كانوا أول من قال لعمر الفاروق ، وكان المسلمون يؤثرون ذلك من قولهم وما بلغنا ان رسول الله «ص» ذكر من ذلك شيئاً) .

آية الذين ينفقون أموالهم

قال المصنف طاب ثراه

(الرابعة والعشرون) قوله تعالى : (الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية) «٢» روى الجمهور انها نزلت في علي «ع» كانت معه أربعة دراهم أنفق في الليل درهما وبالنهار درهما وفي السر درهما وفي العلانية درهما .

وقال الفضل

ذكر المفسرون من أهل السنة ان الآية نزلت في علي وهو من فضائله ولا يثبت به مدعى النص .

وأقول

روى الواحدي في أسباب النزول ذلك عن ابن عباس ومجاهد والكلبي ونسب السيوطي في الدر المنثور روايته إلى ابن جرير وعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وابن عساكر ونسبه المصنف « ره » في منهاج الكرامة إلى

---

(١) ص ١٥٥ من الجزء السادس . (١) البقرة . الآية ٢٧٥ .

الثعلبي وأبي نعيم ورواه أيضاً الزمخشري والرازي وغيرهم ، لكن ابن تيمية كعادته زعم كذب الحديث بحجة ان الانفاق في السر والعلانية لايخرج عن الانفاق بالليل والنهار فكيف يكون مقابلا له ؛ وأظهر التبجح بكلامه كعادته : وفيه ان المراد هو الانفاق بالليل سراً وعلانية وبالنهار كذلك ؛ وان المراد انه أنفق درهمين بالليل والنهار ثم أنفق درهمين سراً وعلانية ؛ فلحظ أولا خصوصية الوقت ولحظ ثانياً خصوصية الوصف ، ووجه الدلالة على المطلوب أن ذكر الله سبحانه لهذه الصدقة الخاصة وبشارته لأجلها مع قلتها وكثرة المتصدقين بنحوها وأضعافها أقوى دليل على فضله على غـيره بالمعرفة والاخلاص فيكون أتقى الناس وأفضلهم وأولاهم بالامامة .

هذا ونقل الزمخشري عن بعضهم انها نزلت في أبي بكر حيث تصدق بأربعين الف دينار عشرة بالليل وعشرة بالنهار وعشرة في السر وعشرة في العلانيـة ، ولا أدري أأعجب من تخيل القائل ان مدار الفضل على الـكثرة دون الاخلاص حتى نسب لأبي بكر الصدقة بهذا المقدار ليعارض صدقة أمير المؤمنين «ع» ويفوقها ، أم أعجب من إرادته إثبات منقبة هي بالمنقصة أشبه إذ لايجتمع هذا المال مع ضعف المسلمين إلا من نهاية الامساك ، أم أعجب من دعوى وجود هذا المال عند أبي بكر البالغ أربعمائة الف درهم وهو كان معلماً للصبيان في الجاهلية وخياطاً في الاسـلام ، ولم يكن قسمه من الغنائم إلا كواحد من المسلمين وقد كان ماله عند الهجرة خمسة آلاف درهم أو ستة آلاف كما رواه الحاكم عن ابنته أسمى (١) ورواه أحمد عنها في مسنده (٢) فمن أين اجتمع له ذلك المال ؟ أم أعجب من خفاء الصدقة بهذا المال على عامة الناس حتى أظهرها هـذا الراوي وهي مما ينبغي أن تغني اكثر أهل المدينة في ذلك اليوم ، أم أعجب من سماحة نفسه بهذا المال وهو قد ضن على أهله بالقليل فقد ذكرت أسمى في تتمة الحديث المذكور ان أبا بكر انطلق بذلك المال لما هاجر ولم يترك لهم شيئاً : ولو كان من أهل الصدقة بمثل ذلك المقدار فلمَ أشفق من تقديم الصدقة اليسيرة في النجوى و لم أخذ من رسول الله حين الهجرة والضيق قيمة البعير الذي ابتاعه منه فانظر واعتبر .

(١) ص ٥ من الجزء الثالث من المستدرك . (٢) ص ٣٥٠ من الجزء السادس .

(آية الصلاة على النبي)

قال المصنف أعلى الله مقامه

(الخامسة والعشرون) قوله تعالى : (ان الله وملائكته يصلون على النبي يأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) «١» في صحيح مسلم قلت يارسول الله اما السلام عليك فقد عرفناه واما الصلاة عليك فكيف هي؟ فقال :قولوا اللهم صلّ على محمد وآل محمد كما صليت على ابراهيم وآل ابراهيم .

وقال الفضل

كأنه نسي المدعى وهو إثبات النص وأخذ يذكر فضائل علي وهذا أمر مسلم واتفق العلماء على انه نزلت فيهم آيات كثيرة ومن يظن انه ينكر فضل محمد وآله ما ينكره إلا من ينكر ضوء الشمس والقمر .

وأقول

جهل المعترض أو تجاهل مقصود المصنف « ره » فانه يستدل بالآيات والروايات على إمامة أمير المؤمنين اما لدلالتها عليها بالمطابقة أو بالالتزام لدلالتها على أفضليته المستلزمة للامامة ، وأنت تعلم دلالة هذه الآية على أفضلية آل محمد لأنها أوجبت الصلاة على النبي «ص» وأرادت بها الصلاة عليه وعلى آله معاً مشيرة بالاكتفاء بذكره إلى انه وإياهم كنفس واحدة وانه منهم وهم منه ؛ فلا بد أن يكونوا أفضل من سائر الامة على ان مجرد وجوب الصلاة عليهم كالنبي «ص» دليل على ان لهم فضلا ومنزلة يستحقون بها الصلاة وايجابها على الامة كالنبي «ص» ، وكفى بذلك فضلا باذخا . والمراد بآل محمد (علي وفاطمة والحسن والحسين) كما نطقت به الأخبار المتواترة كحديث الكساء وغيره ، ولا شك ان علياً أفضلهم فيكون هو الامام ؛ وإنما قلنا ان الآية أرادت الصلاة عليه وعلى

(١) الاحزاب . الآية ٥٤ .

آ له معاً لتصريح الأخبار المفسرة لكيفية الصلاة على النبي «ص» بذلك كالرواية التي نقلها المصنف «ره» عن مسلم فانه رواها من طرق في باب الصلاة على النبي بعد التشهد من كتاب الصلاة ونحوها في صحيح البخاري في تفسير سورة الأحزاب ولا يبعد عن الصواب من ادعى تواترها .

واما قوله : (ومن يظن انه ينكر فضل محمد وآ له) الخ ، ففيه انه ليس الكلام في فضلهم بل أفضليتهم وإمامتهم ، والقوم كما ترى قد اجتهدوا في إنكارها مراغمة للأدلة الواضحة ، بل اجتهدوا في درس فضائلهم كل ما تناله أوهامهم وجدّوا في الازراء بهم والغض من شأنهم ، كما يشهد له انهم مع وجود هذه الآية الشريفة وتلك الأخبار المستفيضة وهي بمرأى منهم ومسمع تراهم اذا ذكروا رسول الله «ص» أفردوه عن آ له بالصلاة ، واذا ذكروا واحداً من آ له الطاهرين لم يصلوا أو لم يسلموا عليه كما أمر الله ورسوله بل يترضّون عليه كسائر المسلمين ، مع انه قد ورد عندهم ان النبي «ص» نهى عن الصلاة البتراء فقيل له : وما الصلاة البتراء ؟ قال : تقولون اللهم صلِّ على محمد وتمسكون بل قولوا اللهم صلّ على محمد وآ ل محمد ، كما ذكره ابن حجر في الصواعق في الآية الثانية من الآيات الواردة في أهل البيت ، نعم ربما يصلون على آ له معه في أوائل مصنفاتهم أوأواخرها ولكن يضيفون اليه صحبه كراهة لافرادهم وتمييزهم على صحبه بالاقتران مع النبي (ص) كما ميزهم الله ورسوله .

ويشهد له أيضاً ماذكره الزمخشري في تفسير الآية فانه بعدما ذكر الخلاف في وجوبها كلما يذكر رسول الله (ص) أو في كل مجلس مرة أو في العمر مرة قال (القياس جواز الصلاة على سائر المؤمنين لقوله تعالى : « هو الذي يصلي عليكم » وقوله تعالى : « وصلّ عليهم ان صلاتك سكن لهم » وقوله (ص) : « اللهم صلّ على آل أبي أوفى » ولكن للعلماء تفصيلا في ذلك وهو انه ان كانت على سبيل التبع كقولك : صلى الله على النبي وآ له فلا كلام فيها ، واما اذا أفرد غيره من أهل البيت بالصلاة كما يفرد هو فمكروه لأن ذلك صار شعاراً لذكر رسول الله (ص) ولأنه يؤدي إلى الاتهام بالرفض وقال رسول الله (ص) من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقفن مواقف التهم) ويرد

عليه (أولا) انه اذا لم يكن لهم كلام في الصلاة عليهم على سبيل التبع فلم التزموا بتركها اذا ذكروه (ص) كما سبق فهل المنشأ غير الانحراف عن آل محمد و (ثانياً) لا تصح كراهتها عند انفرادهم بالذكر وما ذكره من صيرورتها شعاراً لذكر رسول الله (ص) فهو لا يوجب الكراهة لأنهم منه وهو منهم وتعظيمهم تعظيمه وما بالهم جعلوها شعاراً لذكره (ص) دونهم وهم شركاؤه في أمر الله بالصلاة عليهم ، واما الاتهام بالرفض فهو لو اقتضى كراهة الصلاة على آل محمد وتغيير حكم الله تعالى لأدى إلى كراهة حبهم ، ولعله لهذا تظهر منهم آثار العداوة لآل محمد ، على ان الاتهام إنما يقتضي الكراهة في مقام التهمة فما بالهم تركوا الصلاة على آل محمد في كل مقام ، واما الحديث فلو صح لم يمكن أن يفهم منه مسلم إرادة النبي (ص) النهي عن تعظيم آله الطاهرين الذي هو من علائم الايمان ومأمور به في الكتاب العزيز .

(آية مرج البحرين يلتقيان)

قال المصنف رفع الله درجته

(السادسة والعشرون) قوله تعالى : (مرج البحرين يلتقيان) «١» روى الجمهور قال ابن عباس : علي وفاطمة ، وبينهما برزخ لا يبغيان النبي (ص) ، يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان الحسن والحسين ولم يحصل لغيره من الصحابة هذه الفضيلة .

وقال الفضل

ليس هذا من تفاسير أهل السنة ثم ماذكره من ان النبي برزخ بين فاطمة وعلي فلا وجه له وإن صح التفسير دل على فضيلته لا على النص المدعى .

وأقول

ذكره السيوطي في تفسيره في الدر المنثور نقلا عن ابن مردويه عن ابن عباس وأنس

(١) الرحمن . الآية ٢٠ .

ابن مالك إلا ان أنساً لم يذكر تفسير البرزخ بالنبي (ص) ، ونقله في ينابيع المودة عن الثعلبي وأبي نعيم والمالكي عن أبي سعيد وابن عباس وأنس ، ثم نقله عن الصادق (ع) عن أبي ذر ، ونقله عن سفيان الثوري ، ونقله أيضاً ابن تيمية عن الثعلبي عن سفيان الثوري ، وناقش في سنده بما سبق جوابه في مقدمة الكتاب وغيرها ، وأورد عليه بما شاه الجهل والنصب وفي نقله ورده ضياع المداد والقرطاس . واما دلالته على المطلوب فظاهرة لأن الله سبحانه شبه علياً (ع) بالبحر لغزارة علمه ولا مبالغة في قول الله سبحانه وشهادته لمدحه فيكون امير المؤمنين ظاهر الامتياز على من لم يعرف الاب والكلالة ومن كانت المخدرات أفقه منه ؛ فيكون هو الامام . واما تشبيه النبي (ص) بالبرزخ بينهما فلأنه الهادي لهما ولا بد أن يتبعاه لعصمتهما فلا يبغي احدهما على الآخر ويقرب إرادة علي وفاطمه عليهما السلام من البحرين انه لو اريد ظاهرهما احتاج الحكم بخروج اللؤلؤ والمرجان منهما إلى توسع لأنهما إنما يخرجان من احدهما كما قيل .

(آية ومن عنده علم الكتاب)

قال المصنف قدس الله روحه

(السابعة والعشرون) قوله تعالى : (ومن عنده علم الكتاب) (١) روى الجمهور عن عبد الله بن سلام قال هو علي .

وقال الفضل

جمهور المفسرين على ان المراد به علماء اليهود الذين أسلموا كعبد الله بن سلام وأضرابه ؛ وقيل المراد به هو الله تعالى ويكون جمعا بين الوصفين واما نزوله في شأن علي فليس في التفاسير وإن سلمنا لا يستلزم المطلوب .

وأقول

نقله المصنف (ره) في منهاج الكرامة عن الثعلبي ونقل فيه ايضاً مثله عن ابي نعيم

(١) آخر سورة الرعد .

عن ابن الحنفية ونقله في ينابيع المودة عن الثعلبي وابى نعيم عن ابن الحنفية ، ونقل أيضاً عن الثعلبي وابن المغازلي عن عبد الله بن عطاء قال : (كنت مع محمد الباقر في المسجد فرأيت ابن عبد الله بن سلام فقلت هذا ابن الذي عنده علم الكتاب قال إنما ذلك علي ابن ابى طالب «ع») ثم ذكر في الينابيع انه روى ايضاً عن ابى سعيد الخدري والامام موسى ابن جعفر (ع) وزيد بن علي واسماعيل السدي انهم قالوا هو علي بن ابى طالب إلى غير ذلك مما في الينابيع ويؤيده الاخبار الكثيرة الآتية في الآية ال ٣٩ الواردة في تفسير الشاهد بقوله تعالى : (أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه) إذ فسرته بعلي ، فانهما تؤيد ان يكون الذي عنده علم الكتاب المجهول شهيداً مع الله تعالى في قوله عز وجل : (كفى بالله شهيداً ومن عنده علم الكتاب) هو امير المؤمنين .

ويشهد لارادة علي «ع» في الآية التعبير عنه بمن عنده علم الكتاب الدال على إحاطة علمه بما في الكتاب اعني القرآن كما هو المنصرف ، إذ لايحيط به علماً غير قرينه الذي امر رسول الله (ص) بالتمسك به معه ، كما يشهد لعدم إرادة ابن سلام مافي الدر المنثور عن سعيد بن منصور وابن جرير وابن المنذر وغيرهم انهم اخرجوا عن سعيد بن جبير انه سئل عن قوله تعالى : ومن عنده علم الكتاب ، أهو عبد الله بن سلام قال وكيف وهذه السورة مكية ، وفي الدر المنثور ايضا عن ابن المنذر انه اخرج عن الشعبي قال : مانزل في عبد الله ابن سلام شيء من القرآن .

واما ماحكاه من قول بعضهم ان المراد به هو الله سبحانه فغير متجه لأن ظاهر العطف التعدد مع انه يبعد التعبير عن الله سبحانه بمن عنده علم الكتاب ولا سيما مع عطفه على لفظ الجلالة فانه لايحسن او لا يصح عطف الصفة على الموصوف ، ولا اشكال بدلالة الآية الكريمة على إمامة امير المؤمنين لاقتضائها فضله الظاهر على غيره وعصمته لجعل الله سبحانه شهادته كافية في ثبوت نبوة نبينا «ص» من حيث ظهور فضله ومعرفته وفهمه وكماله وعصمته واجتنابه الكذب والنقائص حتى عدت شهادته بقرن شهادة الله تعالى فلابد ان يكون هو الامام ولا سيما ان عنده علم الكتاب .

(آية يوم لايخزي الله النبي)

قال المصنف نور الله ضريحه

(الثامنة والعشرون) قوله تعالى : (يوم لايخزي الله النبي والذين آمنوا معه)«١» قال ابن عباس علي وأصحابه .

وقال الفضل

ظاهر الآية يدل على انها في جماعة يكونون مع النبي في الآخرة وعلي من جملتهم لأن عدم الخزيان في القيامة لايختص بالنبي وعلي بل خواص أصحابه داخلون في عدم الخزيان إن سلم لايثبت النص المطلوب .

وأقول

قال المصنف في منهاج الكرامة : روى أبو نعيم مرفوعا إلى ابن عباس قال : (أول من يكسى من حلل الجنة ابراهيم لخلته ومحمد لأنه صفوة الله ثم علي يزف بينهما إلى الجنان ، ثم قرأ ابن عباس « يوم لايخزي الله النبي والذين آمنوا معه » قال علي وأصحابه) وحكاه في كشف الغمة عن ابن مردويه عن ابن عباس ، وحكى أيضاً عن العز الحنبلي نزول الآية بعلي وأصحابه فالمراد بالذين آمنوا فيها علي وأصحابه ؛ والمراد بأصحابه أتباعه كما هو المنصرف ولذا ذكر باسمه الشريف وهم بالصحبة فلا يدخل فيهم الخلفاء الثلاثة لأنهم على مازعم القوم أئمة لعلي ومتبوعون له فلا تشملهم الآية ؛ فيتعين على للفضل والامامة إذ لاأقل من دلالة الرواية على انه رأس المؤمنين ورئيسهم .

واما قوله ظاهر الآية يدل على انها في جماعة الخ فصحيح وهو صريح الرواية فتشمل الآية النبي «ص» وعلياً «ع» وأصحابه وهم شيعته من خواص الصحابة وغيرهم ؛ ولا ينافي صحة رواية أبي نعيم تصريحها بزفاف علي بين الرسولين الكريمين فانه لايقتضي

(١) التحريم . الآية ٨ .

فضله على نبينا «ص» بل هو لخصوصية كتقديم ابراهيم والنبي «ص» معاً بالكسوة لخصوصية الخلة لا للمساواة بينهما ويعرف ذلك من جعل النبي «ص» في الحديث صفوة الله فانه ينفي احتمال مساواته لابراهيم وفضل علي «ع» على النبي .

(آية اولئك هم خير البرية)

قال المصنف أعلى الله درجته

(التاسعة والعشرون) قوله تعالى : (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية) «١» روى الجمهور عن ابن عباس قال : لما نزلت هذه الآية قال رسول الله «ص» : هم أنت ياعلي وشيعتك ، تأتي أنت وشيعتك راضين مرضيين ويأتي أعداؤك غضاباً مقمحين .

وقال الفضل

هذا غير مذكور في التفاسير بل الظاهر العموم وإن سلم فلا نص .

وأقول

نقل السيوطي في الدر المنثور نحو الحديث المذكور عن ابن عدي عن ابن عباس ، ونقل مثله أيضاً ابن حجر في الصواعق في الآية الحادية عشرة وهي الآية المذكورة عن الحافظ جمال الدين الزرندي عن ابن عباس أيضاً ، كما نقله المصنف (ره) في منهاج الكرامة عن أبي نعيم عن ابن عباس ، ونقل السيوطي أيضاً عن ابن مردويه انه أخرج عن علي «ع» قال : (قال لي رسول الله «ص» ألم تسمع قول الله تعالى : « ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية » أنت وشيعتك موعدي وموعدكم الحوض اذا جئت الامم للحساب تدعون غراً محجلين) ؛ ونقل السيوطي أيضاً عن ابن عساكر انه أخرج عن جابر بن عبد الله قال : (كنا عند النبي «ص» فأقبل علي «ع» فقال النبي :

(١) البينة . الآية ٧ .

والذي نفسي بيده ان هـذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة ونزلت « ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية » فكان أصحاب النبي «ص» إذا أقبل علي «ع» قالوا جاء خير البرية) ؛ ونقل أيضاً عن ابن عدي وابن عساكر عن أبي سعيد مرفوعا (علي خير البرية) ؛ إلى غير ذلك من الأخبار المعتبرة ولو لاعتضاد بعضها ببعض : مع موافقتها لأخبارنا الدالة على نزول الآية بعلي وشيعته خاصة ، فقول الفضل بل الظاهر العموم : لاوجه له ولا سيما ان غير علي وشيعته هم مخالفوه وأعداؤه وهم شر البرية لما استفاض من ان من عاداه عادى الله ورسوله .

ومن الغريب دعوى ابن حجر ان السنة شيعته فانها مع مخالفتها لما يتبادر من لفظ الشيعة مكابرة لما أكنته ضمائرهم من الميل عنه ، وكيف يكونون من شيعته وهم لايروون نصاً في إمامته ولامنقبة توجب أفضليته إلا واحتالوا لردها بكل حيلة وتشكيك وإن خالفوا العدل والانصاف ، واستشهد لدعوى انهم شيعته بأخبارهم وهو كما ترى ، على انه لاريب ان المراد بشيعة علي «ع» أتباعه فان كان الخلفاء الثلاثة أتباعه تم مطلوبنا وإن لم يكونوا أتباعه بل أئمته كما يزعم القوم فلا يكونون شيعته ومن خير البرية فلا يعقل أن يكونوا أئمته ، فالآية الشريفة تدل على إمامته أحسن دلالة . هذا وقد أعرب ابن تيمية هنا عما في ضميره وسود وجه صحيفتين يغني في رد ماقـد يحتاج منها إلى الرد ماذكرناه ويكفي في فساد الباقي مجرد النظر فيه .

آية هو الذى خلق من الماء بشرا

قال المصنف أجزل الله ثوابه

(الثلاثون) قوله تعالى : (هو الذي خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً)«١» قال ابن سيرين نزلت في النبي وعلي ، زوّج فاطمة علياً .

---

(١) الفرقان . الآية ٥٤ .

وقال الفضل

ليس هذا من تفاسير أهل السنة وإن صح دل على فضيلته وهي مسلمة ولا تثبت النص

وأقول

نقله المصنف (ره) في منهاج الكرامة عن الثعلبي ونقله غيره عن ابن مردويه وقال في ينابيع المودة: « أبو نعيم الحافظ وابن المغازلي أخرجا بسنديهما عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: (نزلت هذه الآية في الخمسة أهل العبا) ثم قال ـ أي ابن عباس ـ (المراد من الماء نور النبي «ص» الذي كان قبل خلق الخلق ثم أودعه في صلب آدم ثم نقله من صلب إلى صلب إلى أن وصل إلى صلب عبد المطلب فصار جزءين جزأ إلى صلب عبدالله فولد النبي «ص» وجزأ إلى صلب أبي طالب فولد علياً ثم ألف النكاح فزوج علياً بفاطمة فولد حسناً وحسيناً) أيضاً الثعلبي وموفق بن أحمد الخوارزمي عن أبي صالح عن ابن عباس، أيضاً ابن مسعود وجابر والبراء وأنس وام سلمة قالوا: (نزلت في الخمسة من أهل العبا) » انتهى ما في الينابيع، ويؤيد هذه الأخبار ما سيأتي في أول الأخبار من السنة من ان نور محمد وعلي خلق قبل خلق آدم ثم أودع في صلبه.

وعلى ذلك فحاصل معنى الآية الكريمة انه سبحانه خلق بشراً من الماء أي ما صار ماء وكان نوراً مودعاً في صلب آدم فجعل البشر نسباً وهو محمد لأنه نسب لفاطمة والحسنين وجعله صهراً وهو علي. وحينئذ فدلالة الآية الشريفة على إمامة أمير المؤمنين ظاهرة لأن اتحاد نورهما الذي سبق آدم دليل على امتياز علي بالفضل حتى على الأنبياء ومن كان كذلك يتعين للامامة لاسيما وفي بعض أخبار النور الآتية ان النبي (ص) قال: (فأخرجني نبياً وأخرج علياً وصياً) وفي بعضها (ففيَّ النبوة وفي علي الامامة) ولو سلم ان المراد بالماء في الآية غير النور فلا ريب ان جعل الآية الشريفة محمداً وعلياً خاصة بشراً واحداً بأي جهة من جهات الوحدة منقسما في الخارج إلى نسب وصهر دليل على فضل علي وانه نفس النبي (ص) ونظيره فيكون أفضل الخلق وأحقهم بالامامة

(آية وكونوا مع الصادقين)

قال المصنف اعلى الله درجته

(الحادية والثلاثون) قوله تعالى : (وكونوا مع الصادقين) «١» روى الجمهور انها نزلت في علي وكذا قوله تعالى : (واركعوا مع الراكعين) «٢» انها نزلت في رسول الله وعلي .

وقال الفضل

نزلت قوله تعالى : (وكونوا مع الصادقين) فى الثلاثة الذين تخلفوا فى غزوة تبوك وانهم صدقوا رسول الله (ص) فأنجاهم الله وكذب المنافقون فهلكوا ، فأنزل الله تعالى (كونوا مع الصادقين) وخاطب المؤمنين حتى لا يهلكوا بالكذب كالمنافقين وإن صح دل على الفضيلة لا على النص كسائر أخواته .

وأقول

حكى المصنف (ره) فى منهاج الكرامة ماذكره هنا فى شأن نزول الآيتين عن أبي نعيم عن ابن عباس ، ونقل السيوطي فى الدر المنثور عن ابن مردويه انه أخرج عن ابن عباس فى قوله تعالى : (وكونوا مع الصادقين) قال : مع علي بن أبي طالب ، ونقل مثله عن ابن عساكر بسنده إلى أبي جعفر الباقر (ع) ، والمراد بالكون معه ليس هو الحضور الخارجي بالضرورة ، بل المراد اتباعه فى كل مايراد به الاتباع والعمل شرعا لاقتضاء الاطلاق له ، فتدل الآية على عصمة أمير المؤمنين (ع) لوصفها له بالصدق أي فى الأعمال والأقوال كما يقتضيه الاطلاق ولقبح الأمر باتباع من لاتؤمن عليه مخالفة أحكام الله عمداً أو خطأ وللزوم اجتماع الضدين وجوب الاتباع وحرمته لوفعل المعصية ، فاذا أفادت الآية عصمة أمير المؤمنين (ع) ثبتت إمامته لأن العصمة شرط

(١) براءة الآية ١٢٠ . (٢) البقرة الآية ٤٣

الامامة كما سبق ، ولا عصمة لغيره من الصحابة بالاجماع . مع ان الأمر باتباع الامة لشخص على الاطلاق ظاهر فى إمامته لهم ؛ ومما ذكرنا يعلم بطلان حمل الصادقين على مطلق المهاجرين والأنصار أو خصوص الثلاثة الذين تخلفوا فى غزوة تبوك كما ذهب إلى كل منهما بعض المفسرين وذلك لعدم عصمة هؤلاء .

هذا والظاهر ان المخاطب بالاتباع فى قوله تعالى : (يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) هو جميع المؤمنين بكل زمان لا خصوص الصحابة ؛ فيدل على وجود معصوم واجب الاتباع بكل وقت فكان هو محمداً (ص) فى وقته وعلياً فى وقته والأئمة الطاهرين من آلهما بعدها ، كما يقتضيه أيضاً كون الصادقين صيغة جمع ، وإنما خصت الروايات السابقة علياً «ع» للفراغ عن وجوب اتباع النبي (ص) ولأن علياً «ع» أول الأئمة وأصلهم فوجوب اتباعهم فرع وجوب اتباعه . ويشهد لذلك مافى ينابيع المودة عن موفق ابن أحمد بسنده عن ابن عباس قال الصادقون محمد وأهل بيته ، وفيها نحوه عن أبي نعيم عن الصادق (ع) وفيها عن أبي نعيم وصاحب المناقب عن الباقر والرضا (ع) قالا : الصادقون هم الأئمة من أهل البيت (ع) ، وقد تنبه الرازي لدلالة الآية الكريمة على وجود المعصوم بكل وقت إلا انه زعم ان المعصوم هو مجموع الامة أي مجموع علمائها وأهل الحل والعقد ؛ فتدل الآية على حجية الاجماع ، وفيه مع عدم تيسر تحصيل الاجماع فى كل وقت أو امتناعه فلا يوجد حتى يأمر باتباعه ، أن المجموع بما هو مجموع لا يوصف بالصادق ، ولو سلم فالمجموع من حيث هو مجموع ليس ممن يعقل فلا يجمع وصفه جمع المذكر السالم ، ولو سلم جوازه ولو مسامحة بلحاظ ان اجزاء المجموع وهي الافراد ممن يعقل فلا ريب ان إرادة المجموعات خلاف الظاهر فان المنصرف من الصادقين هو الافراد لا المجموعات ، فتدل الآية على وجوب الكون مع الافراد الصادقين المعصومين واتباعهم فى كل وقت وهو المطلوب ونحن متبعون لامام زماننا بالاقرار بامامته والاخذ بأحكامه وإن لم نجتمع معه ونسعد بطلعته .

وقد أشكل الرازي على إرادة أئمتنا من الصادقين بقوله : (انه تعالى أوجب على كل واحد من المؤمنين أن يكون مع الصادقين وإنما يمكنه ذلك لو كان عالماً بأن ذلك

الصادق من هو، لا الجاهل بأنه من هو، فلو كان مأموراً بالكون معه كان ذلك تكليف مالا يطاق وانه لايجوز لأنا لا نعلم انساناً معيناً موصوفاً بوصف العصمة) وفيه انه يمكن معرفته فيجب البحث عنه مقدمة لاتباعه وقد أوضح الله سبحانه السبيل إلى معرفته بقيام الادلة الكثيرة الواضحة ولم يجهلها إلا معاند كما عرفت ويأتي .

ثم ان ابن تيمية قد سرد هنا من الخرافات والأغاليط مايقبح بكل أحد نقله والتعرض لرده ولا أدري كيف يفوه بها وهو قد صور نفسه بصورة الفضلاء وقرن نفسه بالعلماء .

واعلم ان الفضل لم يتعرض للجواب عن قوله تعالى : (واركعوا مع الراكعين) ولا يبعد انه اكتفى عنه بما ذكره في أخواته من انه إن صح لايدل على النص ، وفيه ان الآية لما ساوت بين النبي (ص) وعلي في الأمر باتباعها فقد دلت على ان علياً بمنزلة النبي (ص) في وجوب اتباعه فيكون أفضل من غيره ويكون هو الامام ، على ان الآية لما عبرت عن وجوب اتباعها بايجاب الركوع مع الراكعين فقد دلت على انهما أسبق من غيرهما في العبادة لله تعالى كما تقتضيه التبعية وصرحت به الرواية فانها كما ذكرها المصنف (ره) في منهاج الكرامة هكذا من طريق أبي نعيم عن ابن عباس (انها نزلت في رسول الله وعلي خاصة وهما أول من صلي وركع) ومن المعلوم ان السبق إلى العبادة والطاعة فرع الفضل والفضل يستدعي الامامة .

(آية اخوانا على سرر متقابلين)

قال المصنف قدس سره

(الثانية والثلاثون) قوله تعالى : (اخواناً على سرر متقابلين) (١) في مسند أحمد ابن حنبل انها نزلت في علي .

(١) الحجر . الآية ٤٧ .

وقال الفضل

صح الرواية عندنا أن امير المؤمنين (ع) بعد وقعة الجمل كان يقول وأنا أرجو أن أكون أنا وطلحة والزبير كما يقول الله تعالى : (ونزعنا مافي صدورهم من غل اخواناً على سرر متقابلين) هكذا صح وان صح مارواه فهو من الفضائل المسلمة ولا دليل به على النص .

وأقول

ماصح عندهم سقيم عندنا وعند كل عاقل وإلا لكان التكليف لغواً والدين لعباً ، أترى ان احداً يخرج على إمام زمانه الذي يقول فيه رسول الله « ص » حربه حربي وينهب بيت مال المسلمين ويتلف بالالوف ويقتل مالايحصى منهم ثم يقتل في ميدان الحرب او خارجه على عناده من دون اصلاح لما افسد ، ومع هذا يكون عند الله تعالى قريناً لذلك الامام المصلح الأعظم ؟ ماأظن عاقلا يرتضيه ! ثم ان الحديث الذي ذكره المصنف هنا قد نقله في منهاج الكرامة مفصلا ونقله سبط ابن الجوزي عن أحمد في الفضائل وكذا صاحب كنز العمال (١) ولنذكر منه ماتتم به الفائدة قال المصنف (ره) من مسند احمد باسناده إلى زيد بن أوفى قال : دخلت على رسول الله (ص) مسجده ، وذكر قصة مؤاخاة رسول الله (ص) إلى أن قال فقال رسول الله :(ص) والذي بعثني بالحق ماأخرتك إلا لنفسي فأنت مني بمنزلة هرون من موسى إلا انه لانبي بعدي وانت اخي ووارثي وانت معي في قصري في الجنة ومع ابنتي فاطمة فأنت أخي ورفيقي ثم تلا رسول الله (ص) : اخواناً على سرر متقابلين : وزعم ابن تيمية انه من زيادات القطيعي لامن نفس المسند ، وذكر ان للحديث تتمة وهي ان علياً « ع » قال عند قول رسول الله (ص) وأنت أخي ووارثي : وما أرث منك يارسول الله ؟ قال : ما ورّث الأنبياء من قبلي ، قال وما ورث الأنبياء من قبلك ؟ قال كتاب الله وسنة نبيهم ، وذكر

(١) ص ٣٩٠ من الجزء السادس .

السبط هذه التتمة ايضاً ، وكذا صاحب كنز العمال ، وقد أطال ابن تيمية القول هنا كمادته ، وذكر مالا يحتج به عاقل على خصمه وأدى به النصب إلى إنكار مؤاخاة النبي (ص) لعلي «ع» مع انها من أصح الأخبار كما ستعرف . ولا يستحق ان يذكر من كلامه شيء إلا إنكار صحة الحديث لضعف سنده ؛ وقد عرفت جوابه مراراً في المقدمة وبعدها ؛ على ان السبط قد وثق رجال ماروا احمد في الفضائل وقال هو من غير رواية عبد المؤمن والضعيف مارواه عبد المؤمن ؛ وسيأتي ان شاء الله تعالى في الآية الخامسة والسبعين مايؤيد هذا الحديث ؛ وهو دال على إمامة امير المؤمنين (ع) من وجوه والآية تدل عليها من بعضها .

« الأول » مؤاخاة النبي (ص) له فانها تدل على فضله على سائر الصحابة بمناسبته للنبي دونهم والأفضل هو الامام .

« الثاني » قوله «ص» : { أنت مني بمنزلة هرون من موسى إلا انه لانبي بعدي } فانه أوضح دليل على إمامته كما ستعرف ان شاء الله تعالى .

« الثالث » انه ورث منه ميراث الأنبياء لخلفائهم وأوصيائهم من الكتاب والسنة .

« الرابع » انه { ص } اخبر انهما بقصر واحد وهو دليل الفضل والامتياز على الامة

« الخامس » انه { ص } أخبر بأنه من اهل الجنة وبين نزول الآية فيهم ، ومن الواضح انه لا يصح اخبار شخص بعينه بأنه من اهل الجنة إلا مع العلم بعصمته او ان له ملكة تحجزه عن الذنوب إعظاماً لله تعالى حتى مع أمانه من ناره وإن أذنب نادراً خطأ او عمداً مع التوبة . وإلا كان اخباره بأنه من اهل الجنة نقضاً للغرض وهو تجنب المحرمات ، وكان تشجيعاً له على الحرام . لأنه اذا كسب الأمان من العقاب لم يحجزه عن المعصية حاجز ، وبهذا يعلم كذب حديث تبشير العشرة بالجنة الذي رواه القوم لامتناع ان يبشر النبي { ص } بالجنة من لاملكة له تردعه عن الخروج على إمام زمانه وقتل النفوس المحترمة وغصب الاموال المحرمة ، على ان راوي حديث تبشير العشرة هو منهم هو موضع التهمة عندنا ؛ وفوق ذلك ضعف رواته ، ولذا لم يروه البخاري ومسلم وقال البخاري لم يصح كما حكاه عنه في ميزان الاعتدال بترجمة عبد الله بن ظالم ؛ وقال

العقيلي أيضاً لم يصح كما حكاه عنه ابن حجر في تهذيب التهذيب بترجمة عبد الله أيضاً ، مضافاً إلى القرائن الدالة على كذبه كتحريض بعض العشرة على عثمان يوم الدار حتى قتل فانه لايجتمع مع كون الجميع من أهل الجنة مستحقين للبشارة بها على لسان الرسول (ص) وكاتفاق جل المهاجرين والأنصار على خلع عثمان والحكم بأنه أتى من المحرمات مايستحق به العزل فانه يمتنع مع مازعمه أهل السنة من عدالة الصحابة جميعاً أن يفعلوا ذلك بمن بشره النبي (ص) بالجنة ؛ وكعدم احتجاج عثمان به يوم الدار إلى غير ذلك من القرائن على كذبه .

وكيف كان فاذا كانت بشارة الآية والرواية لأمير المؤمنين «ع» دليلا على عصمته أو ثبوت تلك الملكة له كان هو الأفضل والامام لأن أول الخلفاء الثلاثة وهو أعظمهم لم يكن كذلك فضلا عن صاحبيه لأنه كما قال في خطبته عن نفسه : (أطيعوني ماأطعت الله ورسوله فاذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم ألا وان لي شيطاناً يعتريني فاذا أتاني فاجتنبوني لا أؤثر في اشعاركم وابشاركم) ولا أدري كيف يبشر النبي (ص) بالجنة من كان كذلك وأمنه من النار حتى يكون ذلك سبباً لأن تهون عليه المعصية وظلم الامة ؛ والكلام في عمر وعثمان أعظم .

(آية وإذ أخذ ربك من بني آدم)

قال المصنف أعلى الله مقامه

(الثالثة والثلاثون) قوله تعالى : (وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على أنفسهم) «١» روى الجمهور قال رسول الله (ص) لو يعلم الناس متى سمي علي أمير المؤمنين ماانكروا فضله سمي أمير المؤمنين وآدم بين الروح والجسد ، قال الله عز وجل وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ؟ قالت الملائكة بلى ، فقال تعالى أنا ربكم ومحمد نبيكم وعلي أميركم .

(١) الأعراف . الآية ١٧١ .

وقال الفضل

هذا من تفاسير الشيعة وليس من تفاسير المفسرين . والعجب انه لم يتابع المعتزلة في هذه المسئلة فأنهم ينكرون اخراج الذر من ظهر آدم ويقولون هذا تمثيل وتخييل لاحقيقة له لأنه ينافي قواعدهم في نفي القضاء والقدر السابق وان صح النقل فيدل على ان علياً أمير المؤمنين وهذا مسلم لأنه كان من الخلفاء ولم يلزم منه نص على انه أمير المؤمنين بعد النبي (ص) حتى يثبت به مطلوبه .

وأقول

إنما نسبه المصنف «ره» إلى رواية الجمهور لا إلى تفسيرهم حتى ينفيه المعترض ، وقد ذكر المصنف راويه في منهاج الكرامة وهو الديلمي في الفردوس ، وهو ممن أقر له ابن تيمية بالعلم والدين ولم ينكر وجود الحديث في كتابه ، وإنما ناقش بامور اخر منها المطالبة بصحة الحديث وقدمر جوابه مراراً ومنهاماستعرف جوابه في طي الكلام الآتي

وينبغي قبل بيان المطلوب التعرض للخلاف في أمر الذر ، فنقول : ذهب الأشاعرة إلى وجوده واخراجه من ظهر آدم «ع» وأخذ الميثاق عليه ، وانكره الامامية والمعتزلة واستدل الأشاعرة برواية مسلم ان عمر سئل عن هذه الآية فقال سمعت رسول الله (ص) سئل عنها فقال ان الله سبحانه خلق آدم ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون ، وبما عن أبي هريرة قال : قال رسول الله (ص) لما خلق الله آدم مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة من ذريته إلى يوم القيامة ، وبما عن مقاتل ان الله تعالى مسح صفحة ظهر آدم اليمنى فخرج منه ذرية بيضاء كهيئة الذر فتحرك ثم مسح صفحة ظهره اليسرى فخرج منه ذرية سوداء كهيئة الذر فقال يا آدم هذه ذريتك ، ثم قال ألست بربكم قالوا بلى ، إلى أن قال : وقال تعالى فيمن نقض العهد الأول : (وما وجدنا لأكثرهم من عهد)

واستدل الامامية والمعتزلة على بطلانه بمخالفته للآية لأنه تعالى يقول : (وإذأخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم) ولم يقل أخذ من آدم من ظهره ذريته ، وبمخالفته لظواهر آيات اخر كقوله تعالى : (امتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين) فانه لو صح أخذ الميثاق على الذر لكانت الموتات ثلاثاً لأن أخذ الميثاق عليه يتوقف على حياته ولا ريب بموته بعد ذلك إذ لا يمكن القول باستمرار حياته إلى هذا العالم الحاضر لشهادة الوجدان بعدم الحياة للنطفة والعلقة والمضغة ، فهذه موتة ، والثانية موتة الدنيا وقبلها حياة والثالثة موتة القبر وبعدها حياة ، وكقوله تعالى : (خلق من ماء دافق) فانه ظاهر في خلق بني آدم من الماء الحادث وانه أصلهم لا الذر كما ان أصل آدم هو الطين الذي هو مبدأ خلق الانسان .

واستدلوا أيضاً بمخالفته للعقل من وجوه : (منها) ان أخذ الميثاق إنما يصح من العاقل ولو كان الذر ممن يعقل لما نسيه الناس كلهم وبهذا يبطل القول بالتناسخ ، ودعوى الفرق ـ بأن التناسخ مبني على دعوى نسيان ما مارسته كثيراً وبقيت فيه دهراً طويلا وهو محال جزما ، بخلاف أخذ الميثاق فانه لم يطل وقته ولا يمتنع عادة في مثله ان يتعلق النسيان ـ باطلة لأن نسيان الناس كلهم ماوقع منهم وإن لم يطل وقته أيضاً محال عادة ، و(منها) ان أخذ الميثاق على الذر ان كان ليصير حجة عليهم في ذلك الوقت فباطل لأنه ليس وقت تكليف بالاجماع ، وان كان ليصير عليهم حجة بعد البلوغ أو يوم القيامة فالمفروض عدم تذكر أحد له .

وأجاب الرازي بأنه يمكن أن يكون أخذ الميثاق لتميز الملائكة في ذلك الوقت السعيد من الشقي ، ويرده ان الآية قالت ان تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين وهو يدل على ان الفائدة في أخذ الميثاق عليهم هو كونه حجة عليهم لا تمييز الملائكة بين السعيد والشقي ، على ان التمييز ان كان بنقض العهد وحفظه فهما في هذه الحياة الفعلية لا حين أخذ الميثاق وإن كان بالبياض والسواد كان أخذ الميثاق لغواً فيبطل جعل التمييز فائدة لأخذ الميثاق ، اللهم إلا أن يقال ان الله سبحانه كما أرى الملائكة أخذ الميثاق على الناس في عالم الذر يمكن أن يكون أراهم أيضاً كيف ينقضون العهد أو يحفظونه في الحياة الدنيوية

فيكون التمييز فائدة لأخذ الميثاق بما يقترن به من إراءة نقض العهد وحفظه ؛ ولكن يشكل باغناء البياض والسواد عنه في التمييز مع دلالة الآية كما عرفت على ان الفائدة في أخذ الميثاق كونه حجة عليهم لا تمييز الملائكة ؛ فلا بد أن يكون معنى الآية ان الله عز وجل أخرج ذرية بني آدم من ظهورهم لكونهم نطفة في أصلابهم وأشهدهم على أنفسهم فقال لهم بما أراهم من عجائب الصنع في أنفسهم ألست بربكم ؟ فقالوا بلى شهدنا بلسان حالهم وحاجتهم إلى مدبر لهم يخرج النطفة ثم يجعلها علقة ثم مضغة ثم بشراً سوياً ، ولهذا نظائر في الكتاب العزيز وغيره قال تعالى : (فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرهاً قالتا أتينا طائعين) فان قولهما أتينا طائعين إنما هو بلسان الحال وقال الشاعر :

امتلأ الحوض وقال قطني　　مهلا رويداً قد ملأت بطني

فاذا عرفت هذا فنقول استدلال المصنف «ره» بما ذكره ، (اما) مبنى على إلزام الأشاعرة بمقتضى مذهبهم من صحة أخذ الميثاق على الذر ووقوعه فاذا دلت رواية الفردوس على أخذ الميثاق بامرة علي «ع» كان لازماً لهم وان لم تذكره الآية الشريفة لجواز الاكتفاء عن ذكره بذكر أخذ الميثاق بالربوبية لأن الامامة من توابع الربوبية ولوازمها لتكون بالامام لله الحجة على الناس ؛ لكن يبقى عليه سؤال ان الرواية تقول : (وآدم بين الروح والجسد) وفي هذه الحال لا وجود للذر ولا يقول الأشاعرة بأخذ الميثاق فيه فانهم إنما يقولون به بعد تعلق الروح بآدم ؛ وقد يجاب عنه بأنه مجاز في النسبة للمبالغة في تقدم أخذ الميثاق ؛ و (اما) مبني على مايقوله الامامية من الاشهاد بلسان حال ابداء الصنع العجيب والشهادة بلسان حال الحاجة فان البشر كما يحتاج إلى خالق يحتاج إلى حجة من رسول أو إمام . لكن يبقى عليه أيضاً سؤال ان هذا إنما يقتضي وجود حجة بلا تعيين فمن أين يتعين محمد وعلي كما ذكرته الرواية ، وقد يجاب عنه بأن التعيين إنما هو للتنصيص من الله تعالى الذي أظهره للملائكة .

وإنما أضاف النبوة والامرة إلى ضمير خطاب الملائكة فقال نبيكم وأميركم ، لأنه يجب عليهم الاقرار بنبوة محمد وإمرة علي فأضاف اليهم بهذا اللحاظ ، أولأن المراد بالضمير الأعم من الملائكة امة محمد فغلبت الملائكة بجهة الخطاب والامة بجهة ان النبوة والامرة

لهم ، ويبقى أيضاً سؤال ان الرواية تريد تطبيق ماذكرته على الآية وهوغير منطبق لان الآية بناءعلى تفسير الامامية إنماذكرت شهادة الذرية بلسان الحال المتأخر والرواية ذكرت شهادة الملائكة في القدم ، وقد يجاب عنه بجواز وقوع الشهادة منها فالذرية بلسان الحال المتأخر والملائكة بلسان المقال المتقدم .

وكيف كان فالرواية قاضية بامرة علي «ع» حتى على الخلفاء الثلاثة لانهم ممن أخذ عليه الميثاق ولأن أخذ الميثاق بامرته مع نبوة محمد «ص» دليل على انه خليفته بلافصل وإلا فلا وجه لترك السابقين عليه .

(آية وصالح المؤمنين)

قال المصنف نور الله ضريحه

(الرابعة والثلاثون) قوله تعالى : (وصالح المؤمنين) «١» أجمع المفسرون وروى الجمهور انه علي عليه السلام .

وقال الفضل

هذه الآية في سورة التحريم وهي نازلة في شأن عائشة وحفصة واتفق المفسرون ان المراد من صالح المؤمنين أبو بكر وعمر لأن صدر الآية هكذا : (وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين) يعني ان تظاهر عائشة وحفصة على جنب رسول الله «ص» من نسائه فان الله مولاه وجبريل بأن يخبره عن صنيعهما وصالح المؤمنين المراد به أبواهما فانهما كانا ينصحانهما بترك الأفعال التي تكون للضرات ، وان صح نزوله في أمير المؤمنين فلاشك انه صالح المؤمنين ولكن لايدل على النص المدعى

وأقول

أراد المصنف «ره» باجماع المفسرين عدم اختصاص مفسري الشيعة به وان كان

(١) التحريم . الآية ٤

الموافق لهم بعض خصومهم فقد نقل القول به عن مجاهد وقال ابن تيمية : (وقيل هو ـأي صالح المؤمنين ـ علي ، حكاه الماوردي) وقد استفاضت به رواية القوم فقد نقل السيوطي في الدر المنثور عن ابن أبي حاتم انه أخرج عن علي «ع» عن رسول الله (ص) ان صالح المؤمنين علي ، ونقله أيضاً عن ابن مردويه وابن عساكر بسنديهما عن ابن عباس ونقله أيضاً عن ابن مردويه بسنده عن أسماء بنت عميس عن رسول الله «ص» ، ونقله المصنف « ره » في منهاج الكرامة عن أبي نعيم عن أسماء . وحكاه محمد بن أبي طلحة الشافعي في كتابه مطالب السؤول عن الثعلبي عن أسماء ، قالت لما نزل قوله تعالى (وان تظاهرا) الآية ، سمعت رسول الله «ص» يقول صالح المؤمنين علي «ع» ، وحكاه في ينابيع المودة عن أبي نعيم والثعلبي عن أسماء ايضاً ، ونقله السيد السعيد « ره » عن السدي في تفسيره عن أبي مالك وابن عباس ، إلى غير ذلك من اخبارهم ، وهي حجة عليهم لكثرتها واعتضاد بعضها ببعض ، ولا يعارضها روايتهم عن ابن عباس ان صالح المؤمنين ابو بكر وعمر ، لأن الراوي لها هو عبد الوهاب بن مجاهد عن ابيه كما بينه في ميزان الاعتدال بترجمة عبد الوهاب ، وقد سبق في المقدمة بيان حاله وحال ابيه فراجع ، ولا يمكن ان تعارض هذه الرواية البالغة منتهى الضعف تلك الروايات المستفيضة مع ان المنصرف من صالح المؤمنين هو الأوحد في الصلاح كما يعرف من نظائره ، يقال شاعر القوم وعالمهم وشجاعهم ويراد به أوحدهم في الوصف ، ولا شك ان امير المؤمنين «ع» هو الأحق بهذا الوصف لآية التطهير وغيرها ، ولأن الله سبحانه جعل نصرة صالح المؤمنين للنبي «ص» في قرن نصرته ونصرة جبرئيل ، وبالضرورة ان اظهر المؤمنين في نصرة رسول الله «ص» هو امير المؤمنين «ع» ، على ان استعمال صالح المؤمنين في الاثنين خلاف الظاهر فان فاعلا ليس كفعيل في استعماله في الواحد والأكثر وبهذا يضعف ما حكاه السيوطي عن ابن عساكر عن مقاتل بن سليمان ان صالح المؤمنين ابو بكر وعمر وعلي ، وقد يستدل بقول مقاتل على ان المراد بصالح المؤمنين هو علي خاصة لما سبق من ان مقاتلا من اعداء امير المؤمنين «ع» فلا يكون ذكره له وهو من اعدائه إلا لمعلومية إرادته وليروج منه إدخال الشيخين فانه أدفع للتهمة

فاذا عرفت ان المراد بصالح المؤمنين أوحدهم صلاحا وانه علي «ع» عرفت انه الأحق بالامامة لأنها منزلة دينية لايليق لها إلا الأصلح الأقوى في النصرة

واما مازعمه الفضل من اتفاق مفسريهم على ان المراد بصالح المؤمنين ابو بكر وعمر فلا يعارض اخبارهم السابقة التي هي حجة عليهم وأي عبرة بالقول الناشيء عن الهوى المتفرع عن تلك الرواية الضعيفة لاسيما وهو مخالف للغة ؛ على ان دعوى اتفاقهم كاذبة لاختلاف مفسريهم في المراد به أهو الصحابة اوخيار المؤمنين اوالانبياء او الخلفاء إلى غير ذلك من اقوالهم كما ذكره الزمخشري والرازي وغيرهما .

واما مااحتج به الفضل لارادتهما بأنهما كانا يتناصحانها فغير نافع لأن الله سبحانه اراد بالآية تهديد المرأتين فأي دخل للمناصحة به ، كما ان حمله لنصرة جبرئيل على مجرد الاخبار باطل فان المراد بها مافوق الاخبار لقوله تعالى : (والملائكة بعد ذلك ظهير) فيالله ماأشد ايذاءهما لسيد النبيين «ص» واعظم مكرهما حتى يحتاج ردعها إلى التهديد بنصرة الله تعالى وجبرئيل وامير المؤمنين الذي لا تأخذه في نصرة رسول الله لومة لائم فلو اتكلتا على حلمهم فـكل الملائكة بعد ذلك ظهير ، والانسان لايأمن عقوبة هذا الجم الغفير وما اكبر خيانتها لنبيه «ص» حتى ضرب لهما مثلا بامرأتي نوح ولوط فتدبر واعجب .

(آية اليوم اكملت لكم دينكم)

قال المصنف رفع الله درجته

(الخامسة والثلاثون) قوله تعالى : (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي) «١» الآية ، روى الجمهور عن ابي سعيد الخدري ان النبي «ص» دعا الناس إلى علي « ع » في يوم غدير خم وأمر بما تحت الشجرة من الشوك فقم فدعا علياً فأخذ بضبعيه فرفعها حتى نظر الناس إلى بياض ابطي رسول الله « ص » وعلي « ع » ثم لم

(١) المائدة . الآية ٥ .

يتفرقوا حتى نزلت هذه الآية : (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا) فقال رسول الله «ص» : الله اكبر على إكمال الدين وإتمام النعمة ورضى الرب برسالتي والولاية لعلي بن أبي طالب من بعدي . ثم قال : من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله .

وقال الفضل

في صحيح البخاري ومسلم ان هذه الآية نزلت في حجة الوداع ليلة عرفة حين قام رسول الله « ص » في الموقف ولا خلاف في هذا والذي ذكره من مفتريات الشيعة وان صح فقد ذكرنا قبل هذا ان وصية غدير خم لم تكن نصاً بل توصية لأهله وأقاربه وتعريف علي بين العرب وليتخذوه سيد بني هاشم .

وأقول

حكاه المصنف «ره» في منهاج الكرامة عن ابي نعيم وقال السيوطي في الدرالمنثور (أخرج ابن مردويه وابن عساكر عن أبي سعيد الخدري قال لما نصب رسول الله (ص) علياً يوم الغدير فنادى له بالولاية هبط جبرئيل بهذه الآية اليوم اكملت لكم دينكم) وقال أيضاً : (أخرج ابن مردويه والخطيب وابن عساكر عن أبي هريرة قال : لما كان يوم غدير خم وهو يوم ثماني عشر ذي الحجة قال النبي «ص» : من كنت مولاه فعلي مولاه ، فأنزل الله : اليوم اكملت لكم دينكم) ونقل السيد السعيد «ره» مثل ذلك عن ابن جرير الطبري وابن عقدة فيما جمعاه من طرق حديث الغدير ؛ وعن الثعلبي وابن المغازلي والحافظ محمد الجزري الشافعي في رسالته المسماة بأسنى المطالب في مناقب علي ابن أبي طالب ؛ فظهر ان الذي ذكره المصنف « ره » من روايات القوم وهي كثيرة متعاضدة فهي حجة عليهم .

واما مانقله الفضل عن الصحيحين فهو من رواية عمر الذي هو أساس نقض عهد الغدير فكيف تعتبر روايته على ان رواية الفضل لاتقوم حجة على خصمه فكيف يحتج

علينا بهذه الرواية التي نعتقد انها من موضوعات عمر او اوليائه ، ثم ان قوله تعالى : (وأتممت عليكم نعمتي) ادل دليل على نصب إمام ، حيث أنه اعظم النعم على الامة وبدونه لن تتم النعمة ، وكذا إكمال الدين فانه إنما يحصل بنصب الامام بناء على ان الامامة من اصول الدين كما نقوله وسبق دليله ، وبالضرورة والاجماع ان كان ثمة إمام منصوب فهو امير المؤمنين عليه السلام .

واما قوله فقد ذكرنا قبل هذا الخ فقد عرفت ما فيه ، ومن المضحك قوله وتعريف علي بين العرب فان علياً «ع» أغنى الناس عن التعريف شخصاً وشأناً فان كان هناك تعريف فليس هو إلا بالامامة ، ولا أعرف وجهاً للتخصيص ببني هاشم في قوله وليتخذوه سيد بني هاشم إلا دفع سيادة امير المؤمنين لخلفائهم خلافاً لرسول الله «ص» إذ يقول من كنت مولاه فعلي مولاه فان المولى هو السيد الاولى بالتصرف بالمولّى عليه من نفسه كما يشهد له فهم الفضل لسيادته من الحديث وان خصها ببني هاشم ، والعجب منه حيث لم يقر بما أقر به إمامه عمر إذ قال لعلي «ع» : بخ بخ اصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة ، وفي رواية قال له الشيخان ذاك كما سبق ، ثم لا أدري أي عاقل يتصور أن تكون غاية النبي «ص» فيما فعله بغدير خم مجرد جعل علي «ع» سيداً لبني هاشم ، وما الفائدة في اتخاذ العرب له سيداً لبني هاشم ، فانظر إلى هؤلاء كيف خالفوا الضرورة لجحد فضل سيد المسلمين .

سورة النجم

قال المصنف طاب مرقده

(السادسة والثلاثون) قوله تعالى : (والنجم اذا هوى) روى الجمهور عن ابن عباس قال : كنت جالساً مع فئة من بني هاشم عند النبي (ص) اذ انقض كوكب فقال رسول الله (ص) : من انقض هذا النجم في منزله فهو الوصي من بعدي ، فقام فئة من بني هاشم فنظروا فاذا الكوكب قد انقض في منزل علي بن ابي طالب فقالوا :

يارسول الله لقد غويت في حب علي فأنزل الله : (والنجم اذا هوى ماضلّ صاحبكم وما غوى) .

وقال الفضل

آثار الوضع والافتراء على هذا النقل ظاهر لاخفاء به فان هذه السورة نزلت في أوائل بعثة النبي «ص» وابن عباس لم يولد فكيف روى هذا الحديث ، ثم نسبته الغواية إلى النبي «ص» في حب علي وربط الآية بها في غاية الركاكة ولا يخفى هذا ولو صح دل على وصايته والوصاية غير الخلافة .

وأقول

نقله المصنف «ره» في منهاج الكرامة عن ابن المغازلي الشافعي عن ابن عباس ، ونقله السيد السعيد «ره» عن أبي حامد الشافعي ، وذكر ابن تيمية روايتين أيضاً احداهما عن ابن عباس والاخرى عن أنس ، زعم أبوالفرج انهما من الموضوعات لضعف سنديهما وكون الاولى مروية عن ابن عباس وهي مصرحة بانقضاض النجم بأثر المعراج وابن عباس حينئذ ابن سنتين فكيف يشهد تلك الحالة أي حالة الانقضاض ويرويها ، وكون الثانية عن أنس وهو إنما خدم النبي «ص» بالمدينة والمعراج قبل الهجرة بسنة ، وفيه مع ماعرفت مراراً من ان ضعف سند الرواية عندهم في فضل أمير المؤمنين «ع» ولا سيما المتعلقة بخلافته غير ضائر في صحتها ، أن الرواية اذا تعددت أسانيدها قوي اعتبارها ولاسيما مع موافقتها للاخبار الكثيرة المصرحة بخلافة علي «ع» ووصايته .

واما قوله ان ابن عباس كان حين المعراج ابن سنتين فغير مسلم ذكر في الاستيعاب بترجمة ابن عباس من طريق عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه بسنده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : توفي رسول الله «ص» وأنا ابن خمس عشرة سنة ، قال عبدالله قال أبي وهذا هوالصواب ، فيكون ابن عباس حين الهجرة ابن خمس سنين ، كما قال ابن تيمية له نحو خمس سنين ، وقال به كثير منهم ، وحينئذ فله عند المعراج أربع سنين

ولا شك ان مثله في معرفته وذكائه يلتفت إلى مثل ذلك ، كيف لا وقد روى الروايات الكثيرة عن النبي «ص» المتعلقة بالأحكام والامور الخفية وهو صبي فكيف لايحسن أن يروي وهو ابن أربع سنين ماشاهده من الأمر الغريب الذي يلتفت اليه سائر الصبيان

واما أنس فيمكن أن يكون جاء بصحبة أحد إلى مكة قبل الهجرة بسنة فشاهد ما شاهد .

واما مازعمه الفضل وابن تيمية من ان سورة النجم نزلت في أوائل البعثة فممنوع نعم قيل انها مكية وهو لا يقتضي مازعماه ، وقد ذكر ابن تيمية هنا مالايستحق الجواب وان تكلفنا برد بعضه في طي الكلام الآتي .

واما مازعمه الفضل من الركاكة في نسبة الغواية إلى النبي «ص» وربط الآية بها ، ففيه ان الكافرين والمنافقين اذا لم ينسبوا الغواية له في حب علي فمن ينسبها اليه وليست هي بأعظم من نسبة الهجر له كما ان تلك النسبة ليست بغريبة من بني هاشم فانهم ليسوا بأعظم من أولاد يعقوب الذين صاروا بزعم القوم أنبياء وقد نسبوا إلى أبيهم الضلال في حب يوسف «ع» .

واما ربط الآية بنسبة الغواية إلى النبي «ص» في هوى علي «ع» وبيان وصيته فأوضح حالا من تجاهل الفضل .

واما قوله ان الوصاية غير الخلافة فباطل لأن غير الخلافة لايحتاج إلى هذا البرهان العظيم ولا يوجب نسبة النبي «ص» إلى الغواية ، مع ان روايتي ابن تيمية مصرحتان بالخلافة فان النبي «ص» قال في احداها في دار من وقع هذا النجم فهو خليفتي من بعدي وفي الاخرى من انقض في داره فهو الخليفة بعدي .

ثم ان النجم الذي هوى يحتمل أن يكون من نجوم السماء انزله الله تعالى بجرم صغير في دار علي «ع» معجزة ليجعله آية ظاهرة لامامة أمير المؤمنين «ع» كما شق القمر وانزله بجرم صغير إلى الأرض معجزة لرسالة النبي (ص) ، ويحتمل ان يكون من غيرها فان الآيات الآلهية لا يستبعد فيها شيء ممكن ، كما لا يستبعد بيان خلافة امير المؤمنين (ع) بمكة لتتظافر الحجج عليهم فانه يعلم عاقبة قريش مع علي (ع) ،

كما لايمنع من بيانها صغر سنه ولذا نص له بالخلافة في أول رسالته عندما انزل الله سبحانه وانذر عشيرتك الأقربين وجمع بني هاشم كما سيأتي ان شاء الله تعالى .

ثم انه لاينافي وجه النزول التي ذكرته تلك الروايات ماحكاه السيوطي في الدر المنثور عن ابن مردويه انه أخرج عن أبي الحمراء وحبة العرني قالا : (أمر رسول الله «ص» ان تسد الأبواب التي في المسجد فشق عليهم - إلى أن قالا - فقال رجل : مايألو يرفع ابن عمه ، فعلم رسول الله «ص» انه شق عليهم فدعا بالصلاة جامعة فلما اجتمعوا صعد المنبر ، فلم يسمع لرسول الله «ص» خطبة قط كان ابلغ منها تمجيداً وتوحيداً ، فلما فرغ قال : أيها الناس ماأنا سددتها ولا أنا فتحتها ولا أنا أخرجتكم وأسكنته ، ثم قرأ { والنجم اذا هوى ماضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى {) وإنما قلنا انه لا ينافيه لأن هذه الرواية لا تقتضي إلا استشهاد النبي (ص) بالآيات إذ لم يهو نجم حينئذ فلا تنافي نزولها سابقاً في أمر خلافة أمير المؤمنين (ع) .

(سورة العاديات)

قال المصنف قدس الله روحه

(السابعة والثلاثون) أقسم الله تعالى بخيل جهاده في غزوة السلسلة لما جاء جماعة من العرب واجتمعوا على وادي الرملة ليبيتوا النبي (ص) بالمدينة فقال النبي لأصحابه : من لهؤلاء ؟ فقام جماعة من أهل الصفة فقالوا : نحن فول علينا من شئت فأقرع بينهم فخرجت الرقعة على ثمانين رجلا منهم ومن غيرهم ، فأمر أبا بكر بأخذ اللواء والمضي إلى بني سليم وهم ببطن الوادي ، فهزموهم وقتلوا جمعاً من المسلمين وانهزم أبو بكر ، وعقد لعمر وبعثه فهزموه فساء النبي (ص) فقال عمرو بن العاص ابعثني يارسول الله فأنفذ فهزموه وقتلوا جماعة من اصحابه ، وبقي النبي (ص) أياماً يدعو عليهم ، ثم طلب امير المؤمنين (ع) وبعثه اليهم ودعا له وشيعه إلى مسجد الأحزاب وأنفذ معه جماعة منهم ابو بكر وعمر وعمرو بن العاص فسار الليل وكمن النهار حتى استقبل الوادي من

فه ، فلم يشك عمرو بن العاص انه يأخذهم فقال لأبي بكر هذه ارض سباع وذئاب وهي أشد علينا من بني سليم والمصلحة ان نعلو الوادي واراد إفساد الحال وقال قل ذلك لأمير المؤمنين فقال له ابو بكر فلم يلتفت اليه ثم قال لعمر فلم يجبه امير المؤمنين (ع) وكبس على القوم الفجر فأخذهم ، فأنزل الله تعالى (والعاديات ضبحاً) السورة ، واستقبله النبي (ص) فنزل امير المؤمنين وقال له النبي : لولا ان اشفق ان يقول فيك طوائف من امتي ماقالت النصارى في المسيح لقلت فيك اليوم مقالالاتمر بملأ منهم إلا أخذوا التراب من تحت قدميك ، اركب فان الله ورسوله عنك راضيان .

وقال الفضل

قصة غزوة ذات السلاسل منقولة في الصحاح وانها تصداها عمرو بن العاص بتأمير رسول الله إياه وكان الفتح بيده ، واما ماذكره فليس بمنقول في الصحاح بل اشتمل على المناكير فان النبي (ص) كيف يجوز أن يدعي ألوهية علي ، والمفهوم من هذا الخبر ان النبي كان يريد ان يقول بألوهية علي ولكنه خاف أن يعبده الناس ، وهذا كلام غلاة الرافضة ولا ينبغي نقل هذا لمسلم فضلا عن فاضل .

وأقول

لم يذكر البخاري ولا غيره ممن اطلعت على ذكره لهذه الغزوة كالطبري وابن الأثير ان الفتح على يد عمرو فلا يبعد انه من وضع الفضل ، واما نفيه لوجود ماحكاه المصنف (ره) في صحاحهم فلا يدل على عدم صحته إذ ليس كل مالم يكن فيها غير صحيح عندهم . واما قوله (والمفهوم من هذا الخبر ان النبي(ص) كان يريد) الخ فمنشأه اعوجاج فهمه او تغيير الكلام عن مواضعه فان صريح الخبر ان النبي (ص) اشفق من قولهم بآلهية علي (ع) التي لايقولها إلا مبطل كآلهية المسيح ، وهو حق فانه (ص) لو ذكر فضله الواقعي وان الله اقدره على خوارق العادات حيث انه اظهر مصاديق قوله تعالى في الحديث القدسي (عبدي أطعني تكن مثلي تقول للشيء كن فيكون) او بيّن فضائله الفاضلة التي يفوق بها الانبياء السابقين ويمتاز بها عن الامة اجمعين

لخاف (ص) من طوائف من امته ان يقولوا بربوبيته كما وقع لكثير منهم لما رأوا منه بعض خوارق العادة وقد ورد مضمون هـذا الخبر في جملة من اخبار القوم فضلا عن اخبارنا فقد حكاه في ينابيع المودة عن احمد في مسنده من طريقين وكذا عن موفق ابن احمد ، وقال الشافعي فيما نسب اليه :

لو ان المرتضى ابدى محله　　لصار الخلق طراً سجداً له
كفى في فضل مولانا علي　　وقوع الشك فيه انه الله

(آية أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا)

قال المصنف أعلى الله درجته

(الثامنة والثلاثون) قوله تعالى : (أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون) «١» المؤمن علي (ع) والفاسق الوليد نقله الجمهور .

وقال الفضل

جاء هذا في تفاسير اهل السنة والآية نازلة في علي وهو من فضائله التي لا تحصر .

وأقول

المراد بالفاسق في الآية الكافر ولو في وقت سابق بقرينة المقابلة مع المؤمن ، وإنما قلنا ولو في وقت سابق لأن الوليد كان حين نزول الآية مسلماً ، فاذا دلت الآية على عدم استواء الكافر ولو في وقت ما مع المؤمن في جميع أوقاته على وجه تفيد قاعدة كلية كما هو ظاهرها وان نزلت في مورد خاص ، فقد دلت على عدم استواء الخلفاء الثلاثة مع أمير المؤمنين «ع» لثبوت الكفر لهم في وقت فيتعين للامامة .

(فان قلت) لعل المراد بالفاسق هو المسلم الذي لم يدخل الايمان في قلبه بقرينة المقابلة مع المؤمن وهو الذي دخل الايمان في قلبه قال تعالى : (قالت الأعراب آمنا قل

(١) السجدة . الآية ١٨ .

لم تؤمنوا ولـكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم) وحينئذ فلا يقتضي عدم خلافة الثلاثة لأنهم ليسوا كالوليد . (قلت) لو سلم جميع ذلك او قلنا ان الوليد من المنافقين يظهر الايمان ويبطن الـكفر كما تدل على كفره الآيات اللاحقة لهذه الآية حيث اثبتت له التكذيب بعذاب النار كما ستسمعها ، فقد لزم عدم صحة خلافة عثمان ، لأنه قد ولى هذا الفاسق على المسلمين وكان يعظمه كثيراً بعدما خالف النبي «ص» في رده حتى كان لا يجلس معه على سريره غيره وغير العباس وأبي سفيان والحكم كما رواه القوم وستعرفه ان شاء الله تعالى ، اللهم إلا أن يدعي علمه بايمان الوليد بعد فسقه ، وهو باطل فان الله سبحانه لا يفضح على طول الدهر من يعلم بحسن عاقبته ، بل الآيات صريحة بان الوليد مستمر على تكذيبه وانه من اهل النار ، قال السيوطي في الدر المنثور : أخرج ابن اسحاق وابن جرير عن عطاء بن يسار قال : (نزلت بالمدينة في علي والوليد بن عقبة كان بين الوليد وبين علي كلام فقال الوليد : أنا أبسط منك لساناً وأحد منك سناناً وأرد منك للكتيبة ، فقال علي : اسكت فانك فاسق ، فأنزل تعالى : (أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون ، الآيات كلها) ويعني بالآيات قوله تعالى : (اما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى نزلا بما كانوا يعملون واما الذين فسقوا فمأواهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها اعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون) واذا بطلت إمامة عثمان بطلت إمامة صاحبيه لأنها من باب واحد واختصت بعلي «ع» لا سيما وقد بشر بجنة المأوى ، وقد سبق في الآية الثانية والثلاثين ان بشارة شخص بالجنة واعلامه بأنه من اهلها يستدعي تفضيله وإمامته .

آية ويتلوه شاهد منه

قال المصنف طاب ثراه

(التاسعة والثلاثون) قوله تعالى (أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه)«١»

---

(١) هود . الآية ١٧ .

روى الجمهور ان (من كان على بينة من ربه) رسول الله «ص» والشاهد علي «ع» .

وقال الفضل

ليس هذا من تفاسير أهل السنة وإن صح كان سهلا

وأقول

قال الرازي ذكروا في تفسير الشاهد وجوهاً إلى أن قال : (ثالثها ان المراد علي بن أبي طالب والمعنى انه يتلو تلك البينة وقوله منه أي هذا الشاهد من محمد وبعض منه والمراد منه تشريف هذا الشاهد بأنه بعض من محمد «ص») وقال السيوطي في الدر المنثور (اخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه وأبو نعيم في المعرفة عن علي بن أبي طالب قال مامن رجل من قريش إلا نزل فيه طائفة من القرآن ، فقال له رجل مانزل فيك ، قال أما تقرأ سورة هود أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه ، رسول الله (ص) على بينة من ربه وأنا شاهد منه) ، ونحوه في تفسير الطبري ، وقال السيوطي أيضاً اخرج ابن مردويه وابن عساكر عن علي قال : (رسول الله على بينة من ربه وأنا شاهد منه) وقال أيضاً اخرج ابن مردويه من وجه آخر عن علي قال : (قال رسول الله أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه قال علي) إلى غير ذلك مما حكي عن الثعلبي وجماعة وحينئذ فالآية دالة على إمامة أمير المؤمنين «ع» من وجوه :

(الاول) انها جعلت علياً «ع» شاهداً والمراد به الشاهد على الامة بقرينة جعله تالياً لرسول الله «ص» وهو يعطي الولاية على امورهم كما قال تعالى (إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً) وقال تعالى : (وجعلنا من كل امة شهيداً من أنفسهم وجئنا بك شهيداً على هؤلاء)

(الثاني) انها جعلت علياً بعضاً من رسول الله «ص» كما قال «ص» : (علي مني وأنا من علي) وهو دليل المشاركة في العصمة والفضل وسائر الصفات الحميدة فيكون الأحق بخلافته .

(الثالث) انها جعلت علياً تالياً للنبي «ص» فان ضمير المفعول في يتلوه مذكور وهو

على الظاهر عائد الى من كان على بينة من ربه لا الى البينة وان احتمل بعيدا رجوعه اليها باعتبار أنها بمعنى البرهان ، والمراد من تلوه له تعقبه اياه إما في القيام مقامه بصيرورته خليفة له ، أو في كونه مثله على بينة من ربه ، أو في كونه ظهيرا له على دعوته ، كما ورد عن رسول الله « ص » انه دعا ربه أن يشد أزره بعلي ويشركه في أمره فكان منه بمنزلة هرون من موسى ، وعلى جميع الاحتمالات فالآية تدل على المطلوب ، أما على الأول فظاهر ، وأما على الثاني فلان المراد بكون النبي « ص » على بينة من ربه إما كونه ذا برهان على مايدعيه لثبوت المعجزة له من الله تعالى أو كونه عالماً بأن منزلته بجعل من الله تعالى ، وعلى الوجهين فالتالي له أي المماثل له في ذلك لابد أن يكون هو الامام من عند الله تعالى لأن من يحتاج الى البينة والاعجاز هو النبي أو الامام من الله تعالى ومن يعلم بان منزلته من الله سبحانه لابد أن يكون منصوصاً عليه ، وأما على الثالث فلان عليا اذا كان هو الظهير لرسول الله « ص » في نشر دعوته كهرون من موسى كان أولى الناس بخلافته .

ثم انه على تقدير رجوع ضمير المفعول في يتلوه الى البينة بلحاظ معناها وهو البرهان فالدلالة على إمامة الشاهد وهو علي أيضاً واضحة لأن تلوه للبرهان بالشهادة للنبي بالنبوة ظاهر في انه معتبر الشهادة بها كالمعجزات فهو من علائم النبوة وشواهدها ، وكفاه بذلك فضلا على الامة فيكون امامها ، فالآية على هذا نظير قوله تعالى : (كفى بالله شهيدا ومن عنده علم الكتاب) وقد أوضحنا دلالته على امامة أمير المؤمنين « ع » فيما سبق .

(آية فاستوى على سوقه)

قال المصنف قدس الله روحه

(الأربعون) قوله تعالى : (فاستوى على سوقه) « ١ » قال الحسن البصري استوى الاسلام بسيف علي « ع » .

---

(١) سورة الفتح . الآية ٢٩ .

وقال الفضل

جاء في التفسير ان هذه نزلت في الخلفاء الأربع كزرع رسول الله «ص» أخرج شطأه أبو بكر فآزره عمر فاستغلظ عثمان فاستوى على سوقه علي وهو من فضائله الكبيرة ولا يدل على النص .

وأقول

نعم قاله بعض مفسريهم برأيه وذكر بعضهم قريباً منه ولعله أيضاً مذكور فيما حكاه المصنف (ره) عن الحسن وإن خلا عنه مانقله في كشف الغمة عن ابن مردويه عن الحسن لكن لعلم المصنف (ره) بخطأه في حق الخلفاء الثلاثة ترك ذكره لاسيما مع عدم مناسبته للترتيب والعطف بالفاء بالآية لأن الاسلام لم يكن استغلاظه بأيام عثمان بل قبله خصوصاً في أيام عمر فلو قال فاستغلظ في ايام عمر فآزره عثمان كان له وجه لكنه لا يناسب ترتيب الآية والعطف بالفاء ، كما ان الاسلام قد استوى بسيف علي في أيام النبي «ص» وكذا الاستغلاظ وغيره ، وبالجملة ماذكره الحسن وغيره من استواء الاسلام بسيف علي «ع» حجة عليهم باقرارهم كما هو ضروري وهو دال على كبير جهاد أمير المؤمنين دون غيره ومن كثر جهاده وفاق غيره حتى استوى الاسلام بسيفه كان الأفضل عند الله تعالى والأحق بالامامة لفضله ولكونه لما استوى الاسلام بسيفه أولا كان أولى بنصره أخيراً وأرعى له فروعاً واصولا .

(آية يسقى بماء واحد)

قال المصنف طاب ثراه

(الحادية والأربعون) قوله تعالى : (يسقى بماء واحد) «١» قال جابر الأنصاري: سمعت رسول الله «ص» يقول : الناس من شجر شتى وأنا وأنت ياعلي من شجرة واحدة

(١) سورة الرعد . الآية ٤ .

وقال الفضل

قوله (يسقى بماء واحد) نزل في بيان ان الفواكه تختلف طعومها مع انها تسقى بماء واحد ، هذا من غرائب صنع الله وما ذكره من الحديث لاربط له بالآية ، والعجب ان كلام هذا الرجل في غاية التشويش وكأنه يزعم ان أحداً لا ينظر في كتابه أو كان ضعيف الرأي لايعرف ربط الدليل بالمدعى .

وأقول

في الدر المنثور أخرج الحاكم وصححه ، وابن مردويه عن جابر سمعت رسول الله (ص) يقول : ياعلي الناس من شجر شتى وأنا وأنت من شجرة واحدة ، ثم قرأ النبي (وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان) وفي كنز العمال (١) عن الديلمي عن جابر نحوه والآية وان استفيد من ظاهرها بيان قدرة الله تعالى حيث أخرج من الأرض بماء واحد أشجاراً وزروعا مختلفة وفضل بعضها على بعض في الاكل، لكن لاينافي ان الله سبحانه ضرب بها مثلا لفضل النبي (ص) وأمير المؤمنين «ع» على الناس مع اتفاقهم بأصل واحد ، أو ان للآية باطناً كما ورد ان للكتاب الشريف ظهراً وبطناً ، ولذا كان فيه بيان كل شيء لا يعلمه إلا الله والراسخون في العلم ، وكيف كان فالمراد ان النبي وعلياً مخلوقان من نور واحد متفقان بالصفات الفاضلة والمنافع ومخالفان للناس كما ان الناس مختلفون فيما بينهم فهما صنوان أي كنخلتين أو نخيل على أصل واحد ومن عداهم غير صنوان ، وليت شعري اذا لم يرض الفضل بهذا بحجة عدم ارتباطه بظاهر الآية فما باله رضي بتفسير الآية السابقة بالنبي (ص) والخلفاء مع انه مثله في مخالفة الظاهر بل يفترقان بأن تفسير الآية السابقة تفسير بالرأي من ذوي الأهواء وتفسير هذه الآية من النبي (ص) وهو أعلم بمعناها ، نعم هذا مختص بفضل أمير المؤمنين فاستحق جحد الفضل وذاك يعم غيره فاستوجب القبول .

واما ربط هذا الدليل بالمدعى فغير خفي على عارف لأنه اذا دل على مشاركة علي «ع»

---

(١) ص ١٥٤ من الجزء السادس .

للنبي في الفضل والامتياز على الناس فقد صار الأفضل وأحق الناس بخلافته ومنصبه وأولاهم بالامامة بعده كما هو المدعى .

(آية من المؤمنين رجال صدقوا)

قال المصنف أجزل الله ثوابه

(الثانية والأربعون) قوله تعالى : (من المؤمنين رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه)«١» نزلت في علي عليه السلام .

وقال الفضل

هذه الآية نزلت في قتلى احد حين قتلوا ووقف رسول الله (ص) على مصعب بن عمير وهو ممن قتل باحد فقرأ عليه هذه الآية وان صح نزوله في علي فهو من فضائله ولا يدل على النص المقصود .

وأقول

قال ابن حجر في الصواعق في الفصل الأخير من الباب التاسع : (سئل - أي أمير المؤمنين «ع» - وهو على المنبر بالكوفة عن قوله تعالى : { رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا } قال : اللهم غفراً هذه الآية نزلت فيّ وفي عمي حمزة وفي ابن عمي عبيدة بن الحارث ، فاما عبيدة فقضى نحبه شهيداً يوم بدر ، وحمزة قضى نحبه شهيداً يوم احد ، واما أنا فأنتظر أشقاها يخضب هذه من هذا وأشار بيده إلى لحيته ورأسه) ونحوه في ينابيع المودة عن أبي نعيم عن ابن عباس وإمامنا الصادق «ع» عن أمير المؤمنين «ع» .

وهو دال على إمامته لأن مقتضى مفهوم وصف الرجال بأنهم صدقوا ان غيرهم لم يعاهد الله سبحانه أو لم يصدق العهد فهم خواص المؤمنين وخيرتهم لانفرادهم بهذه الفضيلة الكاشفة عن زيادة المعرفة والتفاني في ذات الله تعالى ، ولا شك ان علياً «ع»

(١) سورة الاحزاب . الآية ٢٣

خاصة الخاصة فيكون أحق الناس بالامامة لأفضليته ولا سيما ان صدق العهد في وقته بعد النبي (ص) مختص به فلا يصلح للامامة سواه .

واما مازعمه من نزول الآية في قتلى احد فيبطله انه سبحانه قسم صادقي العهد إلى من قضى نحبه ومن ينتظر فلايختص بالقتلى اللهم إلا ان يريد نزولها في بعض قتلى احد وبعض الأحياء فهومسلم وهوالذي نقوله وبينته الرواية السابقة وقال به صاحب الكشاف لكنه عدّ جماعة زعم انهم من صادقي العهد حمله على ذكرهم حسن الظن بهم ونحن لانعترف لهم بذلك .

(آية ثم أورثنا الكتاب)

قال المصنف قدس سره

(الثالثة والأربعون) قوله تعالى : (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا) «١» وهوعلي عليه السلام .

وقال الفضل

علي من جملة ورثة الكتاب لأنه عالم بحقائق الكتاب فهذا يدل على علمه ووفور توغله في معرفة الكتاب ولا يدل على النص .

وأقول

سبق في الآية السابعة والعشرين ان المراد بمن عنده علم الكتاب هو علي «ع» ، فيتعين أن يكون هو المراد بمن أورثه الله الكتاب واصطفاه فان الكتاب فيهما واحد وهو القرآن كما هو المنصرف ، ويدل عليه الآية التي قبل الآية التي نحن فيها وهي قوله تعالى: (والذي أوحينا اليك من الكتاب) فان إعادة المعرف باللام تفيدالوحدة ، ويشهد أيضاً لارادة علي بمن أورثه الكتاب واصطفاه الأخبار المستفيضة الدالة على ان علياً مع القرآن والقرآن معه ، فان المعية تستدعي أن يكون علم القرآن عنده وانه

(١) سورة فاطر . الآية ٣٢ .

وارثه ، فاذا أفادت الرواية التي أشار اليها المصنف (ره) وحكاها السيد السعيد (ره) عن ابن مردويه ان المراد بمن أورثه الكتاب هو علي «ع» كانت مؤكدة لغيرها ، وحينئذ فلا معنى لقول الفضل : علي من جملة ورثة الكتاب ، ولاسيما انه قد أراد أن يشرك معه من لايعرف الأب والكلالة ومن كانت المخدرات أفقه منه .

هذا كله مضافا إلى أن اصطفاء الشخص لميراث الكتاب يدل على انه حافظ له غير مضيع لما فيه عمداً وسهواً فيكون معصوما ، وغير علي من الصحابة غير معصوم بالاجماع فيتعين أن يكون هو المراد بالآية وحده أو معه أبناؤه المعصومون بشهادة حديث الثقلين ، وإنما تركت الرواية ذكرهم لأنهم غير موجودين في وقته أو لأن ذكره أهم وهو الأصل وهم فرعه فاذا ثبت ثبتوا جميعاً (فان قلت) لايمكن أن يراد وحده أو مع الأئمة خاصة لأنهم معصومون عندكم والآية قسمت من أورثه الله الكتاب واصطفاه إلى الظالم لنفسه والمقتصد والسابق بالخيرات فيتعين أن يراد بالآية مطلق المؤمنين (قلت) التقسيم راجع إلى العباد والضمير في قوله تعالى : فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات ، عائد إلىقوله تعالى : عبادنا ، لالمن أورثهالكتاب واصطفاه منهم إذ لايصح تقسيم من اصطفاه إلى الظالم وغيره ولا شمول من أورثه الكتاب لكل مؤمن عالم وجاهل ، فهي نظير قوله تعالى في سورة الحديد : (ولقد أرسلنا نوحا وابراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب فمنهم مهتد وكثيرمنهمفاسقون) واما قول آدم «ع» ربنا ظلمنا أنفسنا مع انه من المصطفين فتأول بارادة فعل المكروه للأدلة العقلية والنقلية بخلاف ذلك ، نعم يمكن أن يكون التقسيم راجعاً إلى منأورثه الكتاب واصطفاه على أن تكون الوراثة والاصطفاء بلحاظ اشتماله على البعض الوارث المصطفى فيصح تقسيم الجنس إلى هذه الأقسام الثلاثة ، لكن المراد بالبعض الوارث المصطفى هوعلي وحده في وقته أو مع أبنائه بلحاظ جميع الأوقات للأدلة السابقةونحوها كما وردت بذلك الرواية عندنا ، وحينئذ فتدل الآية على إمامته لدلالتها على العصمة التي هي شرط الامامة ولا معصوم غيره من الصحابة بالضرورة والاجماع ، ولأن وراثة الكتاب بالاصطفاء شأن خلفاء الأنبياء فيكون هو الخليفة والامام .

(آية أنا ومن اتبعني)

قال المصنف اعلى الله درجته

(الرابعة والأربعون) قوله تعالى : (أنا ومن اتبعني) «١» هو علي عليه السلام .

وقال الفضل

ان أراد انه ما اتبع النبي (ص) غير علي فهو باطل كما لا يخفى وان أراد انه من جملة التابعين فهذا ظاهر لا يحتاج إلى دليل ولا نسبة له بالمدعى .

وأقول

أراد الأول على معنى انه لم يتبع النبي (ص) الاتباع الصحيح الكامل تسليما وعملا إلا علي «ع» ، ولذا كان خلفاؤهم يخالفون النبي (ص) في الرأي والعمل كما في التخلف عن جيش اسامة والفرار في مقام الخوف عليه وعلى الدين وفي منع كتابه الهادي الذي سبب منعه ضلال الامة إلى يوم الدين وقول عمر حسبنا كتاب الله مقيلا لرأي النبي (ص) إلى غير ذلك مما لا يحصى ، وسيرد عليك بعضه ان شاء الله تعالى ، وكيف يكون هؤلاء وأشباههم أهل بصيرة حتى يرادوا بقوله تعالى : (ادعوا الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني) وهم لم يزالوا مخالفين له في آرائهم وأعمالهـم ، ويدل على اختصاص أمير المؤمنين بهذه الآية ما سبق من نزول الآية الحادية والعشرين فيه وهي قوله تعالى: (يأيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين) وأنت تعلم ان الدعوة على بصيرة وكمال الاتباع للنبي في أقواله وأفعاله موجبان لانتشار الدعوة إلى الدين كما يريده الله تعالى فيكون كامل الاتباع الداعي على بصيرة أحق بمنصب النبي وأولى بخلافته ، ولا سيما ان الاتباع المطلق يقتضي ثبوت العصمة والاتصاف بالأوصاف الحميدة كالعلم والحلم ونحوهما مما يراد في الامام فيكون أمير المؤمنين هو الامام .

---

(١) يوسف . الآية ١٠٨ .

آية أفمن يعلم ان ما انزل اليك

قال المصنف طاب مرقده

(الخامسة والأربعون) قوله تعالى : (أفمن يعلم ان ما انزل اليك من ربك الحق) «١» هو علي عليه السلام .

وقال الفضل

هذا من تفاسير الشيعة لا من تفاسير أهل السنة وإن صح يدل على علمه بحقيقة الكتاب لا على التنصيص بامامته وهو المدعى .

وأقول

لم يحضرني من كتب القوم إلا اليسير ولا ريب ان ماذكره المصنف (ره) موجود في بعضها ولا قيمة لانكار الفضل لما عرفناك من وجود ماانكره سابقاً على قلة اطلاعي على كتبهم ، ويؤيد إرادة أميرالمؤمنين «ع» في الآية نزول أشباهها أو لازم معناها فيه كالآيات السابقة الدالة على انه المصدق بالصدق ومن عنده علم الكتاب ووارث الكتاب ومن اصطفاه الله إلى نحوها من الآيات فاذا كان هو المراد بالآية فلابد أن يراد بعلمه بأن ماانزل إلى النبي (ص) حق هو العلم الذي لاتختلجه الشكوك ولا تخالطه الأوهام لأنه هو الذي يصح أن يمتاز به ويصلح أن يمدح عليه ولا شك ان أشد الناس يقيناً بحقية شريعة النبي أولاهم بامرتها وحفظها كما ان من ليس بمنزلته في اليقين أدنى منه عقلا وفضلا ، ولذا عدّه الله تعالى أعمى فقال سبحانه في هذه الآية : (أفمن يعلم ان ماانزل اليك من ربك الحق كمن هو أعمى إنما يتذكر اولوا الألباب) وقد سبق ان الامامة لاتصلح للمفضول مع وجود الفاضل بل لايصح أن يكون الأعمى إماماً بوجه والمراد بالأعمى الأعم من عديم اليقين وناقصه فان الناقص أعمى في الجملة .

(١) الرعد . الآية ٢١ .

(آية أحسب الناس أن يتركوا)

قال المصنف أعلى الله درجته

(السادسة والأربعون) قوله تعالى : (ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون) « ١ » قال علي : يارسول الله ماهذه الفتنة ؟ قال : ياعلي بك وأنت مخاصم فاعتد للخصومة .

وقال الفضل

أجمع المفسرون على ان الآية نزلت في رجل وامرأة أسلما وكان لهما ولد يحبانه حباً شديداً فمات فافتتنا وكادا يرجعان عن الاسلام ، فأنزل الله هذه الآية وأما ماذكره من الخبر فالظاهر ان النبي (ص) لم يجعل علياً فتنة المسلمين وهذه من القوادح لامن الفضائل على ماذكره .

وأقول

نقل الزمخشري والرازي في نزول الآية أقوالا ولم يذكرا ماذكره الفضل فضلا عن أن يكون مجمعاً عليه ، واما الفتنة في الآية فالمراد بها الامتحان كما في الكشاف أو الابتلاء كما في تفسير الرازي والمقصود بهما واحد ، لكن ادعى الزمخشري ان الممتحن به هو شدائد التكاليف والفقر والقحط وأنواع المصائب بالنفس والأموال ومصابرة الكفار على أذاهم وكيدهم ، وخص الرازي الابتلاء بالفرائض البدنية والمالية . وكيف كان فلم يدع أحد قدحا فيما به الفتنة كما زعم الفضل .

وبالجملة الرواية دالة على ان المقصود بالآية ان علياً « ع » محنة للمؤمنين يميز به ثابت الايمان من غيره وصادقه من كاذبه فمن ثبت على الايمان بامامته كان مؤمناً حقاً ومن زال عنه كان مستعار الايمان كاذبه ويشهد لذلك قوله (ص) في هذه الرواية (أنت مخاصم فاستعد للخصومة) فان الخصومة الواقعة بينه وبين قومه إنما هي في إمامته .

---

(١) العنكبوت . الآية ٢ .

ويؤيد هـذا الحديث ويرشد إلى إرادة الامتحان في إمامته مانقله السيوطي في اللئالي المصنوعة عن عمر قال : (كفوا عن علي فلقد سمعت من رسول الله فيه خصالا لأن تكون واحدة منهن في آل الخطاب أحب إليّ مما طلعت عليه الشمس ، كنت أنا وأبو عبيدة في نفر من أصحاب رسول الله (ص) فانتهينا إلى باب ام سلمة وعلي قائم على الباب فقلنا أردنا رسول الله (ص) فقال يخرج اليكم فخرج فثرنا اليه فاتكأ على علي بن أبي طالب ثم ضرب بيده على منكبه ثم قال : أنت مخاصم تخصم ، أنت أول المؤمنين ايماناً وأعلمهم بأيام الله وأوفاهم بعهده وأقسمهم بالسوية وأرفقهم بالرعية وأعظمهم مزية وأنت عاضدي وغاسلي ودافني والمتقدم إلى كل كريهة وشديدة ولن ترجع بعدي كافراً وأنت تتقدمني بلواء الحمد تذود عن حوضي) فان هذه الصفات إنما تكون بأفضل الأمـة وإمامها ، ولـكن قال ابن الجوزي : باطل عمله الابزاري ـ ويعني به الحسن بن عبيد الله الابزاري المذكور في سند هذا الحديث ـ وسماه في ميزان الاعتدال الحسين أيضاً ، وقال : قال أحمد بن كامل كان كذاباً . والظاهر ان سبب تكذيبه له ان له روايات في فضل آل محمد (ص) ذكر في الميزان بعضها ، والحق ان هذا الحديث من أصدق الحديث لأن مظامينه بين ضروري ومستفيض الرواية به ، مع انه روي بطريق آخر قال في اللئالي المصنوعة نقلا عن ابن الجوزي وقد رواه أبو بكر بن مردويه عن أبي بكر ابن كامل عن علي بن المبارك الربيعي عن ابراهيم بن سعيد ، ثم قال : (ولعل ابن المبارك أخذه من الابزاري) فياعجباً أيجوز تكذيب الحديث الضروري بالاحتمالات والخيالات مع ان ابن المبارك لم ينقل في الميزان عن أحد فيه قدحا ، نعم له عذر ظاهر في إبطال الحديث وهو ان راويه عمر ولـكن ألم يعلم ان هذا من إلزام الله لهم بالحجة !

(آية وشاقوا الرسول)

قال المصنف رفع الله درجته

(السابعة والأربعون) قوله تعالى : (وشاقوا الرسول من بعدما تبين لهم

الهدى) «١» قال في أمر علي عليه السلام .

وقال الفضل

هذا من رواياته وأثر النكر عليه ظاهر ولا دلالة له أصلا على ثبوت النص المدعى

وأقول

رواه ابن مردويه على مافي كشف الغمة ودعوى الفضل ظهور أثر النكر عليه لامنشأ لها إلا صراحة الرواية ببطلان مذهبه إذ لايفهم من أمر علي «ع» إلا خلافته فانها أظهر أمر يعود اليه وقعت به المشاقة في حياة النبي (ص) وبعده : فمرة نسبوا اليه فيه الغواية : واخرى الهجر : وثالثة قول الحارث بن النعمان الفهري اللهم ان كان مايقول محمد حقاً فامطر علينا حجارة من السماء ، ورابعة بيعة السقيفة ، وخامسة قهره على البيعة ، إلى مالا يحصى من المشاقة في أمره للرسول في حياته وبعده ويؤيد هذا الحديث ماسبق في الآية السابقة وماروواه الحاكم في المستدرك (٢) عن علي «ع» وصححه قال : (ان مما عهد إلي النبي «ص» ان الامة ستغدر بي بعده) إلى نحوه من الأخبار .

آية ويؤت كل ذي فضل فضله

قال المصنف نور الله ضريحه

(الثامنة والأربعون) قوله تعالى : (ويؤت كل ذي فضل فضله) «٣» هو علي عليه الصلاة والسلام .

وقال الفضل

إن صح نزوله فيه فهو دال على فضله المتفق عليه ولا دلالة له على النص .

---

(١) سورة محمد . الآية ٣٢ . (٢) ص ١٤٠ من الجزء الثالث .

(٣) هود . الآية ٣ .

وأقول

رواه ابن مردويه على ما في كشف الغمة ومراد الآية الشريفة اما بيان ان الله تعالى أنعم على الناس بإيتائهم الفضل والمعرفة وفضّل بعضهم على بعض واما بيان انه يؤتي كل ذي فضل جزاء فضله أي جزاءه بحسب مايترتب عليه من العمل كثرة وقلة وإخلاصاً ، وحينئذ فمعنى نزولها في علي «ع» هو الاعلام بأنه الفاضل ذاتاً أو جزاء والفاضل في كل منها أحق بالامامة ، اما على الأول فظاهر واما على الثاني فلأن زيادة الجزاء فرع كثرة العمل وقوة الاخلاص الناشئين من الفضل الذاتي كما أشرنا اليه .

آية فمن أظلم ممن كذب على الله

قال المصنف أعلى الله مقامه

(التاسعة والأربعون) قوله تعالى : (فمن أظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق)«١» هو من رد قول رسول الله صلى الله عليه وآله في علي عليه السلام .

وقال الفضل

هذا من رواياته وان صح لايدل على ثبوت المقصود .

وأقول

هذا أيضاً مما حكاه في كشف الغمة عن ابن مردويه والمراد من رد قول رسول الله «ص» في علي «ع» رده في إمامته لأنها هي التي ردها من أعظم الظلم وفي عرض الكذب على الله عز وجل فان الرد لسائر فضله ليس كذلك على انه لو اريد فهو دليل أفضليته إذ ليس مثله أحد من الامة يكون الرد لفضائله كذلك والأفضل لاسيما بهذا الفضل المكشوف عنه بمثل ذلك أعظم الامة وأحقها بالامامة .

---

(١) الزمر الآية ٣١

(آية وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل)

قال المصنف طاب ثراه

(الخمسون) قوله تعالى : (وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل) «١» قال أبو رافع : وجه النبي «ص» علياً في طلب أبي سفيان فلقيهم أعرابي من خزاعة فقال ان القوم قد جمعوا لكم فاخشوهم فقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل .

وقال الفضل

الآية نزلت في بدر الصغرى وذلك لان أبا سفيان لما انقضى الحرب يوم احد قال الموعد بيننا في بدر ، فلما كان في وقت الموسم لم يستطع أبو سفيان أن يخرج لجدب السنة فأرسل نعيم بن مسعود ليثبط رسول الله «ص» من القتال فجاء نعيم بن مسعود وخوف رسول الله وأصحابه فقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ، وتتمة الآية يدل على ماذكرنا فانه يقول الذين قال لهم الناس وهو نعيم بن مسعود ان الناس قد جمعوا لكم - أي أبو سفيان وقريش - فقال المؤمنون حسبنا الله ونعم الوكيل ، هذا رواية أهل السنة وإن صح مارواه فلا يدل على المقصود كما علمت .

وأقول

هذا أيضاً مما نقله في كشف الغمة عن ابن مردويه ونقله عنه أيضاً السيوطي في لباب النقول في أسباب النزول قال : أخرج ابن مردويه عن أبي رافع ان النبي «ص» وجه علياً «ع» في نفر معه فلقيهم أعرابي من خزاعة وذكر تمام الحديث ، وهو كما ترى دال على شدة توكل أمير المؤمنين «ع» ومن معه على الله تعالى وحسن بصائرهم وان التخويف لم يزدهم إلا ايماناً ولذا مدحهم الله سبحانه في كتابه العزيز ؛ ومن المعلوم ان أفضلهم في ذلك علي «ع» ، بل هو المراد فيه وأصله لانه رئيسهم وقائدهم والمنظور اليه فيهم .

---

(١) آل عمران . الآية ١٧٣ .

واما تتمة الآية الكريمة فلا أعرف كيف تدل على ماذكره الفضل دون إرادة علي «ع» ومن معه والحديث الذي نقله ليس حجة علينا حتى يعارض خبر ابن مردويه .

(آية وكفى الله المؤمنين القتال)

قال المصنف قدس سره

(الحادية والخمسون) قوله تعالى : (وكفى الله المؤمنين القتال) «١» في قراءة ابن مسعود بعلي بن أبي طالب .

وقال الفضل

ليس هذا من القراءات المتواترة والشيعة يعدونها من الشواذ وان صح دل على فضيلته لا على إمامته بعد رسول الله «ص» .

وأقول

هذا وان لم يكن من المتواترات إلا انه ليس من الشواذ - أعني قراءة التابعين - بل من الآحاد وهي القراءات الثلاث وقراءة الصحابي كما حكى هذا الاصطلاح السيد السعيد (ره) عن اتقان السيوطي عن القاضي جلال الدين البلقيني ، ولا مستند للفضل في النقل عن الشيعة إلا كونها ليست من القراءات السبع المدعى تواترها وهو كما ترى ، وقد ذكر هذه القراءة السيوطي في الدر المنثور قال : أخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه وابن عساكر عن ابن مسعود انه كان يقرأ هذا الحرف وكفى الله المؤمنين القتال بعلي بن أبي طالب ، ويشهد لهذه القراءة مارواه الحاكم (٢) عن يحيى بن آدم قال : ماشبهت قتل علي عمراً إلا بقول الله عز وجل وقتل داود جالوت فهزموهم باذن الله .

وكيف كان فلتفرض قراءة ابن مسعود رواية له بأن يكون قد روى ان الله سبحانه انزل هذه الآية لبيان هذه الفضيلة لعلي «ع» وان الله تعالى كفى به المؤمنين القتال

(١) سورة الاحزاب . الآية ٢٥ .

(٢) في كتاب المغازي من المستدرك ص ٣٤ من الجزء الثالث .

يوم الاحزاب حيث قتل عمرو بن عبد ود ورد الاحزاب خاسرين فيكون جهاده أفضل من جهاد المسلمين جميعاً لان به الفتح مع حفظ نفوسهم ؛ فمنه حياة الاسلام والمسلمين ، ولولا أن يكفيهم الله تعالى القتال بعلي لاندرست معالم الاسلام لضعف المسلمين ذلك اليوم وظهور الوهن عليهم ؛ ولذا قال رسول الله «ص» : (لضربة علي خير أو أفضل من عبادة الثقلين) كما رواه في المواقف وغيرها ؛ وفي رواية الحاكم في المستدرك (١) (لمبارزة علي لعمرو أفضل من أعمال امتي إلى يوم القيامة) فلا محالة يكون أفضلهم وأولاهم بالامامة لكشف ذلك عن زيادة علمه ومعرفته وتمام بصيرته حتى استحق مدح الله تعالى له في كتابه المجيد وأنى لغيره مثل ذلك .

(آية واجعل لي لسان صدق في الآخرين)

قال المصنف أجزل الله ثوابه

(الثانية والخمسون) قوله تعالى : (واجعل لي لسان صدق في الآخرين) «٢» هو علي عرضت ولايته على ابراهيم «ع» فقال اللهم اجعله من ذريتي ففعل الله ذلك .

وقال الفضل

مفهوم الآية ان ابراهيم سأل من الله تعالى أن يجعل له ذكر جميل بعد وفاته وهو المراد من لسان الصدق وحمل لسان الصدق على علي بعيد بحسب المعنى ، والشيعة لا يبالون من مثل ذلك ويذكرون كل مايسمعون ولا دليل لهم فيما يفترون .

وأقول

إطلاق لسان الصدق على الذكر الجميل إنما هو من باب الكناية أو المجاز فلا يبعد صدقه من هذا الباب على الولد الصالح الذي به الفخر والذكر الخالد ولا مرجح للاول وقد حكى الرازي في أحد تأويلات لسان الصدق ان المراد به بعثة محمد (ص) ، فليس

(١) ص ٣٢ من الجزء الثالث . (٢) الشعراء . الآية ٨٤ .

هذا النحو من التفسير من خواص الشيعة : بل زعم القوم ماهو أبعد منه كما نقله الفضل في الآية الاربعين .

واما دلالتها بناء على ذلك المعنى على إمامة أمير المؤمنين (ع) فمن وجهين : (الاول) انها صرحت بعرض ولايته على ابراهيم (ع) وليس هو إلا لكون ولايته مطلوبة لله سبحانه . قديماً وحديثاً . وهو أعظم دليل على فضله وإمامته ؛ ويعضده ماسبق في الآية السادسة عشرة وهي قوله تعالى : (سل من أرسلنا من قبلك من رسلنا) الآية من ان الانبياء (ع) بعثوا على الشهادتين وولاية علي (ع) ، وفي الآية الثالثة والثلاثين وهي قوله تعالى : (وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم) الآية (الثاني) دعاء ابراهيم «ع» أن يجعله الله من ذريته فانه أظهر شيء في فضله وشدة ايمانه وعظمته عند الله عز وجل حتى كان فخراً وشرفاً لابراهيم «ع» ، ومن كان كذلك فلا بد أن يكون سيد أمة محمد (ص) وإمامهم ، وهذه الرواية المفسرة لسان الصدق بأمير المؤمنين «ع» نقلها في كشف الغمة عن ابن مردويه ورويت عن إمامنا الصادق عليه السلام .

(سورة العصر)

قال المصنف اعلى الله درجته

(الثالثة والخمسون) (والعصر ان الانسان لفي خسر) يعني أبا جهل (إلا الذين آمنوا) علي وسلمان .

وقال الفضل

هذا تفسير لايصح أصلا لأن الانسان اذا اريد به أبو جهل يكون الاستثناء منقطعاً ولم يقل به أحد : وان كان الاستثناء متصلا لايصح أن يراد بالانسان أبو جهل فالمراد منه افراد الانسان على سبيل الاستغراق ، وعلى هذا لايصح تخصيص المؤمنين بعلي وسلمان فان غيرهم من المؤمنين ليسوا في خسر . وهذا الرجل يعاف كل نبت ولا يفرق بين السم والحشيش .

وأقول

ذكر الرازي في المراد بالانسان قولين قال : (الثاني ان المراد منه شخص معين قال ابن عباس : يريد جماعة من المشركين كالوليد والعاص والاسود ، وقال مقاتل : نزلت في أبي لهب وفي خبر مرفوع انه أبو جهل) ، وحينئذ يكون الاستثناء منقطعاً بالضرورة كما صرح به النيشابوري فانكار الفضل للقول به كما ترى . واما قوله لا يصح تخصيص المؤمنين بعلي وسلمان فان غيرهم من المؤمنين ليسوا في خسر ؛ فمن قلة التأمل ، قال الرازي : (ههنا احتمالان « الأول » في قوله تعالى لفي خسر أي في طريق الخسر وهذا كقوله في آكل أموال اليتامى [إنما يأكلون في بطونهم ناراً] لما كانت عاقبته النار « الاحتمال الثاني » ان الانسان لا ينفك عن خسر لأن الخسر هو تضييع رأس المال ورأس ماله هو عمره وهو قلما ينفك عن تضييع عمره . وذلك لان كل ساعة تمر بالانسان ، فان كانت مصروفة إلى المعصية فلا شك في الخسران ، وان كانت مشغولة في المباحات فالخسران أيضاً حاصل لأنه كما ذهب لم يبق منه أثر مع انه كان متمكناً من أن يعمل فيه عملا يبقى أثره دائماً ، وإن كانت مشغولة في الطاعات فلا طاعة إلا ويمكن الاتيان بها أو بغيرها على وجه أحسن من ذلك ، لأن مراتب الخضوع والخشوع غير متناهية ، فان مراتب جلال الله وقهره غيرمتناهية ، وكلما كان علم الانسان بها اكثر كان خوفه منه تعالى اكثر فكان تعظيمه عند الاتيان بالطاعات أتم وأكمل وترك الأعلى والاقتصار بالأدنى نوع خسران) وحينئذ فعلى الاحتمالين يكون استثناء علي وسلمان دليلا على فضلهما على من سواهما وعصمتهما دون غيرهما من الامة ، ولا ريب ان علياً « ع » أفضل من سلمان فيتعين للامامة .

(آية وتواصوا بالصبر)

قال المصنف قدس الله روحه

(الرابعة والخمسون) قال تعالى : (وتواصوا بالصبر) قال ابن عباس هو علي عليه السلام .

وقال الفضل : أنت خبير بأن الصبر صفة من الصفات وليس هو من الاسامي حتى يراد شخص وهذا قريب من السابق .

وأقول

مراد ابن عباس انمن تواصوا بالصبر علي «ع» لاأن نفس الصبر علي كما هو واضح وعبر سبحانه عن علي بصيغة الجمع اعظاماً له وبياناً لكمال صبره وان صبره بمنزلة صبر جميع المؤمنين المتواصين به لشدة مايلزم نفسه به ، فلا يقع منه خلاف الصبر الذي هو صبران صبر على الطاعة وصبر عن المعصية فيكون أفضل الامة ومعصومها وإمامها .

آية والسابقون الأولون

قال المصنف طاب مرقده

(الخامسة والخمسون) قوله تعالى : (والسابقون الأولون) «١» علي وسلمان .

وقال الفضل : المراد بالسابق ان كان السابق في الاسلام فسلمان ليس كذلك ، وان كان السابق في الأعمال الصالحات فغيره من الصحابة هكذا ولا صحة لهذا النقل وهو من تفاسير الشيعة .

وأقول

هذا أيضاً مما حكاه في كشف الغمة عن ابن مردويه ، ثم انه لامانع من اختيار

---

(١) البراءة . الآية ١٠١ .

الشق الأول فان سلمان كان مؤمناً بالله ورسوله (ص) قبل البعثة متطلباً لمعرفة مبعث النبي قبل رؤياه كما هو مذكور في خبر إسلامه . وقال ابن حجر في الاصابة بترجمة سلمان كان قد سمع بأن النبي (ص) سيبعث نخرج في طلب ذلك فأسر وبيع بالمدينة فاشتغل بالرق ، وقال السيوطي في لباب النقول عند قوله تعالى من سورة الزمر :(والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها) : « أخرج ابن أبي حاتم عن زيد بن أسلم أن هذه الآية نزلت في ثلاثة نفر كانوا في الجاهلية يقولون لا إله إلا الله زيد بن عمرو بن نفيل وأبي ذر الغفاري وسلمان الفارسي » وروى الواحدي نحوه عن ابن زيد في سبب نزول الآية ، إلى غير ذلك مما هو مستفيض الرواية الدال على سبق إسلام سلمان أو إقراره بالوحدانية ولا ينافيه ماروى ان إسلامه عندما جاء إلى النبي (ص) بصدقة فلم يقبلها ثم أتاه بهدية فقبلها ثم رأى خاتم النبوة فأسلم ، لأن هذا إنما هو لتعيين النبي (ص) بشخصه لا لأنه لم يؤمن به إلا حينئذ فيكون من السابقين الأولين ، لكن أمير المؤمنين أفضل منه سبقاً وأشد منه يقيناً وأقدم منه في الصلاة كما هو معلوم بالضرورة ، ولما تقدم من أن علياً «ع» سابق هذه الامة وصديقها فيكون أفضلها وأولاها بالامامة ، ولا مانع أيضاً من اختيار الشق الثاني فان سلمان من المعصومين السابقين في الأعمال الصالحة كما تدل عليه الآية الثالثة والخمسون ويؤيده مارواه القوم عن النبي (ص) انه قال : (ان الجنة اشتاقت إلى ثلاثة علي وعمار وسلمان) رواه الترمذي وحسنه والحاكم وصححه ، ويؤيده أيضاً مارواه الترمذي وحسنه وابن عبد البر في الاستيعاب وغيرهما ان رسول الله (ص) قال ـ كما في لفظ الترمذي ـ : أن الله أمرني بحب أربعة وأخبرني انه يحبهم ، قيل : يارسول الله سمهم لنا ؛ قال : علي منهم ـ يقول ذلك ثلاثاً ـ وأبو ذر والمقداد وسلمان فاذا كان علي وسلمان سابقي الامة في صالح الأعمال ومعصوميها ولا شك ان علياً أعظم من سلمان في الوصفين فقد تعين للامامة وتعينت له .

آية وبشر المخبتين

قال المصنف أعلى الله مقامه

(السادسة والخمسون) قوله تعالى : (وبشر المخبتين) إلى قوله تعالى : (ومما رزقناهم ينفقون) «١» علي منهم .

وقال الفضل : هذا مسلم لا نزاع فيه ولكن لا يدل على المدعى .

وأقول

بل يدل عليه لأن البشارة بكرامة الآخرة لشخص معين لا تصح إلا مع عصمته أو نحوها وليس الخلفاء الثلاثة كذلك كما سبق في الآية الثانية والثلاثين وبينا فيها لزوم إمامته (ع) دون الثلاثة بل ودون غيرهم لأنه أفضل المخبتين .

آية ان الذين سبقت لهم منا الحسنى

قال المصنف طاب ثراه

(السابعة والخمسون) قوله تعالى : (إن الذين سبقت لهم منا الحسنى) «٢» علي منهم

وقال الفضل : هذا مسلم لا نزاع فيه ولكن لا يدل على المدعى .

وأقول

تمام الآية وما بعدها (اولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون لا يحزنهم الفزع الاكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون) وتعرف دلالتها مما أشرنا اليه فى الآية السابقة وأوضحناه في الآية الثانية والثلاثين من ان بشارة شخص معين بنيل الموعود والأمن من الوعيد تقتضي مع علمه بالبشارة عصمته أو قريباً منها ، وأوضحنا ان المشايخ الثلاثة وأشباههم ليسوا كذلك فيكون

(١) الحج . الآية ٣٤   (١) الأنبياء الآية ١٠١ .

أمير المؤمنين (ع) هو المعصوم أو الفاضل على غيره ويكون هو الامام ، وما رواه بعض القوم من تفسير من سبقت لهم الحسنى بما يشمل غير أمير المؤمنين (ع) غير صحيح ولا حجة لهم علينا فيما يروونه بحق غيره أنرى ان الله سبحانه يبشر مثلهم بالجنة ويؤمنهم من النار ليهون عليهم تغيير الأحكام وغصب حقوق الاطهار وسفك دماء المسلمين واستئثار ببيت المال والخروج على إمام الزمان ومحاربة الله ورسوله بحربه .

(آية من جاء بالحسنة)

قال المصنف رفع الله درجته

(الثامنة والخمسون) قوله تعالى (من جاء بالحسنة) «١» قال علي (ع) الحسنة حبنا أهل البيت والسيئة بغضنا ، من جاء بها أكبه الله على وجهه في النار .

وقال الفضل : لاشك ان حب أهل بيت محمد من الحسنات ولكن لا يثبت النص .

وأقول

نقل في كشف الغمة عن ابن مردويه ماذكره المصنف (ره) بلفظه كله مرة ، وإلى قوله والسيئة بغضنا مرة اخرى ، وذلك في تفسير آيتين { الاولى { قوله تعالى في أواخر سورة الانعام : (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها وهم لا يظلمون) } الثانية { قوله تعالى في أواخر سورة النمل : (من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار هل تجزون إلا ماكنتم تعملون) ، ونقل في ينابيع المودة عن أبي نعيم والثعلبي والحمويني في تفسير الثانية عن علي (ع) قال : الحسنة حبنا والسيئة بغضنا ، ويشهد لصحة هذه الروايات ماعرفته من الأخبار في الآية الرابعة والآية الثانية عشرة ، كما عرفت هناك أيضاً وجه الدلالة على إمامة أمير المؤمنين (ع) فراجع .

ويؤيد دلالتها عليها مارواه الحاكم في المستدرك وصححه (٢) عن عمار قال : (سمعت

(١) الانعام . الآية ١٦٠ . (٢) ص ١٣٥ من الجزء الثالث .

رسول الله «ص» يقول لعلي : طوبى لمن أحبك وصدق فيك وويل لمن أبغضك وكذب فيك) لأن المراد ظاهراً هو التصديق والتكذيب بامامته أو فضله الموجب لها ، وما نقله في كنز العمال (١) عن الطبراني عن ابن عباس ان النبي «ص» قال لعلي «ع»: (ألا من أحبك حف بالأمن والايمان ومن أبغضك أماته الله ميتة الجاهلية) ونقل بعده بقليل عن الطبراني عن ابن عمر مثل ذلك ، فان الايمان إنما يتم بالاقرار بالامام الحق المستلزم لحبه لما سبق من ان الامامة أصل من اصول الدين ، كما ان ميتة الجاهلية إنما هي بالاخلال بهذا الاصل الناشىء من البغض عادة .

و يؤيد المطلوب أيضاً مادل على الملازمة بين حب علي وحب الله ورسوله والتلازم بين بغضه وبغضهم ، كالذي نقله في الكنز أيضاً عن الطبراني وابن عساكر عن عمار عن النبي «ص» انه قال : من أحبه - يعني علياً - فقد أحبني ومن أحبني فقد أحب الله تعالى ومن أبغضه فقد أبغضني ومن أبغضني فقد أبغض الله تعالى ، وكيف لا يراد بذلك بيان إمامة علي «ع» وقد اهتم الكتاب العزيز ببيان وجوب حبه وحرمة بغضه حتى نزل فيه مكرراً وعبر عن حبه بالحسنة وعن بغضه بالسيئة وكذلك استفاضت وتواترت بها السنة النبوية .

(آية فأذن مؤذن بينهم)

قال المصنف أجزل الله ثوابه

(التاسعة والخمسون) قال تعالى : (فأذن مؤذن بينهم) «٢» هو علي عليه السلام .

وقال الفضل : هذا لم يثبت في الصحاح والتفاسير وإن صح لا يدل على النص .

وأقول

نقله في كشف الغمة عن ابن مردويه وقال في ينابيع المودة أخرج الحاكم الحسكاني عن محمد بن الحنفية عن أبيه علي قال : أنا ذلك المؤذن ، وقال أيضاً أخرج الحاكم عن

---

(١) ص ١٥٤ من الجزء السادس . (٢) الاعراف . الآية ٤٣ .

ابن عباس قال علي : في كتاب الله أسماء لي لا يعرفها الناس منها فأذن مؤذن بينهم بقول ألا لعنة الله على الظالمين ، أي الذين كذبوا بولايتي واستخفوا بحقي ، ونقل ايضاً نحوه عن المناقب عن الباقر عليه السلام .

وهذه الآية ظاهرة الدلالة على المطلوب لأن المراد بالظالمين إما مطلق العصاة فحينئذ لابد ان يكون المؤذن معصوماً إذ لا يصح ان يكون عاصياً وهو ينادي بلعنة العصاة ، واذا كان معصوماً ولا معصوم غيره كان هو الامام لان العصمة شرط الامامة كما سبق ، ولكن يبعد النداء بلعن كل عاص ، واما ان يُراد بالظالمين العصاة بالكبائر لاسيما الكفر والنفاق الذي منه بغض علي (ع) كما مر ، ولا شك ان من يستحق الناس اللعنة لبغضه مع النداء بها على رؤس الخلائق يوم الحساب هو الامام الحق بل كونه هو المنادي دليل على فضله على الامة والأفضل هو الامام ، ويشهد لدلالة الآية على الامامة الخبر الأخير فان المراد فيه بالولاية الامامة لأن التكذيب إنما يتعلق بها لا بالحب ، وبمقتضى اطلاق الولاية في الحديث لا يفترق الحال بين من كذّب بامامته مطلقاً او في وقت خاص .

(آية اذا دعاكم لما يحييكم)

قال المصنف اعلى الله درجته

(المتون) قال تعالى : (اذا دعاكم لما يحييكم) «١» دعاكم لولاية علي بن ابي طالب

وقال الفضل : ليس هذا في التفاسير وإن صح لا يدل على المقصود .

وأقول

نقله ايضاً في كشف الغمة عن ابن مردويه والمراد فيه بالولاية اما الامامة كما هو المنصرف في مثل المقام او الحب وعلى الاحتمالين يتم المدعى ، اما على الاول فغني عن البيان واما على الثاني فلأن دعوة الله ورسوله إلى محبة علي بخصوصه وجعلها حياة للناس

(١) الانفال . الآية ٢٤ .

دليل على ان له منزلة فوق منازل الناس وهي إما الامامة وهي عين المطلوب او الافضلية وهي تستلزمها .

(آية في مقعد صدق)

قال المصنف أعلى الله درجته

(الحادية والستون) قوله تعالى : (فى مقعد صدق عنـد مليك مقتدر) «١» علي عليه السلام .

وأقول

لم يتعرض الفضل للجواب عن هذه الآية الكريمة لسقوطها عن نسخته وقال : (لم يذكر هنا الأول وكأنه فى الحساب ايضاً غالطاً) والاولى بالغلط من ينصب خبر كأن ويطلق الاول ويريد الحادي بلا نكتة تقتضيه .

ووجه الدلالة فى ذلك على إمامة امير المؤمنين عليه السلام انه سبحانه عبّر عنه بصيغة الجمع فقال : (ان المتقين فى جنات ونهر فى مقعد صدق عند مليك مقتدر) فدل على انه (ع) بمنزلة جميع المتقين لأنه قوام التقوى واساسها فهو اعظم الامـة وافضلها فيكون هو الامام . وايضاً فقد بشرت الآية علياً (ع) بشخصه بالجنة وهو عالم بذلك لان عنده علم الكتاب ، وقد سبق ان هذا يقتضي عصمته او افضليته على غيره فيكون هو الامام .

وقد نقل فى كشف الغمة عن ابن مردويه خبراً آخر رواه عن جابر عن النبي (ص) قال فى آخره : (إبشر ياعلي مامن عبد ينتحل مودتنا إلا بعثه الله معنا يوم القيامة ثم قرأ رسول الله (ص) فى مقعد صدق عند مليك مقتدر) ونقل ايضاً عن موفق ابن احمد الخوارزمي عن جابر قال : (قال رسول الله (ص) : ياعلي من أحبك وتولاك أسكنه الله معنا ثم تلا رسول الله إن المتقين فى جنات ونهر فى مقعد صدق عندمليك

---

(١) آخر سورة القمر .

متقدر) ويستفاد من اول هذين الحديثين ان مودتي النبي وعلي عليهما الصلاة والسلام متلازمتان ومن الحديثين ان مودة علي توجب دخول الجنة ، وذلك دليل الفضل على سائر الامة فيكون علي (ع) إماماً لاسيما مع إعلامه بأنه من اهل الجنة وانه السبب فى دخولها .

آية ولما ضرب ابن مريم مثلا

قال المصنف أعلى الله مقامه

(الثانية والستون) قوله تعالى : (ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون) «١» قال النبي (ص) لعلي : إن فيك مثلا من عيسى أحبه قوم فهلكوا فيه وأبغضه قوم فهلكوا فيه فقال المنافقون أما يرى له مثلا إلا عيسى فنزلت الآية .

وقال الفضل : نزلت فى عبد الله بن الزبعرى حين نزل (انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم) فقال ابن الزبعرى عيسى عُبد فهو يدخل جهنم فقال رسول الله (ص) ما اجهلك بلغة قومك فان (ما) لا يراد به ذوو العقول وعيسى من ذوي العقول ، فأنزل الله تعالى : (ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون) وإن صح فهو فى حكم اخواتها .

وأقول

هذا مما رواه ابن مردويه كما فى كشف الغمة ورواه أئمتنا الاطهار عن امير المؤمنين ونقل نحوه فى ينابيع المودة فى الباب الرابع والاربعين عن المناقب ، وقد استفاض ضرب المثل لعلي بعيسى فى اخبارهم حتى روي فى مسند احمد من طريقين (٢) ورواه النسائي فى خصائصه والحاكم فى المستدرك وصححه (٣) ، ونقله فى الصواعق فى الحديث العشرين من الأحاديث الواردة فى فضل امير المؤمنين (ع) عن البزار وابي يعلى ،

---

(١) الزخرف الآية ٥٧ . (٢) ص ١٦٠ من الجزء الأول وهي آخر صحيفة من مسند علي «ع» . (٣) ص ١٢٣ من الجزء الثالث .

ونقله في كنز العمال (١) عن ابي نعيم وغيره . ولا ريب في صحة ذلك حتى لو لم ترد به رواية لشهادة الوجدان به ، فان الغلاة بأميرالمؤمنين (ع) كثيرون ، وكذلك النصاب له الذين هلكوا ببغضه كالخوارج وبني امية واشياعهم واشباه الفضل ممن الزموا انفسهم من دون برهان بتأخيره رتبة وفضلا عمن لا يقاس به علما وعملا . ولا يمكن ان تكون الامامية ممن هلك بحبه لان الروايات المشار اليها جعلت الهالكين بحبه من نحو الهالكين بحب عيسى ومن المعلوم ان من هلك بحب عيسى إنما هو من قال بالهيته فكذا من هلك بحب علي

واما ماذكره الفضل من قصة ابن الزبعرى فلا مناسبة لها بجعل عيسى مثلا لان ابن الزبعرى صير عيسى نقضاً للآية لا مثلا ، على ان المفهوم من الآية ان الضارب للمثل بعيسى هو النبي (ص) لاقومه وإنما هم صادون عنه .

ومما ذكر يعلم وجه الدلالة على إمامة امير المؤمنين «ع» ؛ فان ضرب المثل له بعيسى دال على أنه مثله في الفضل عند الله تعالى بحيث كان بغضه هلاكا فهو شبيه عيسى بالعظمة وفوق الامة وإمامها ، ولذا قال المنافقون لايرى له مثلا إلا عيسى ، مضافاً إلى ان الداعي للغلو فيه كالداعي للغلو بعيسى وهو ماصدر عنه من المعجزات والكرامات الباهرة ، ولا شك ان صدورها من شخص دون غيره دليل على كرامته عند الله وفضله على قومه ، والأفضل محل الامامة ودليل على أن إمامته من الله تعالى لاقتران معجزته بدعوى الامامة ، ويكفيك من معجزاته أخباره بالمغيبات ورد الشمس له في حياة النبي «ص» وبعده ، ومخاطبة الثعبان له ، وغيرها من كراماته الباهرة ، وسيأتي ان شاء الله تعالى في الحديث الخامس عشر وجه آخر لبيان إمامته من الآية وهذا الحديث .

(آية وممن خلقنا امة يهدون بالحق)

قال المصنف طاب ثراه

(الثالثة والستون) قوله تعالى : (وممن خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون) «٢»

(١) ص ١٥٨ من الجزء السادس . (٢) الاعراف . الآية ١٥٨ و ١٨٠ .

قال علي «ع» : أنا وشيعتي .

وقال الفضل : هذا من رواياته ومدعياته والله أعلم وليس فيه دليل على المدعى .

وأقول

لايخفى انه ورد في كثير من أخبار القوم أن المراد بالامة في الآية امة محمد «ص» وليس المراد هو الامة باطلاقها لما في تفسير الرازي قال قرأ النبي «ص» الآية ، وقال (ان من امتي قوماً على الحق حتى ينزل عيسى بن مريم) ولما استفاض في الأخبار من أن امة محمد (ص) تفترق إلى ثلاث وسبعين فرقة فرقة ناجية وما سواها هالكة في النار ، فلا يمكن أن تكون كلها هادية بالحق بل بعضها وهي الفرقة الناجية ، وقد فسرتها الرواية التي أشار اليها المصنف بعلي وشيعته ، كما يشهد لها حديث الثقلين وغيره ، قال علي (ع) في هذه الرواية كما في كشف الغمة عن ابن مردويه : (تفترق هذه الامة على ثلاث وسبعين فرقة اثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة وهم الذين قال الله تعالى وممن خلقنا امـة يهدون بالحق وبه يعدلون وهم أنا وشيعتي) ومثله في الباب الخامس والثلاثين من ينابيع المودة عن موفق بن أحمد بسنده عن علي (ع) إلا أنه قال : (وهم أنا ومحبي وأتباعي) .

فاذا كان علي (ع) وشيعته هم الفرقة الناجية الذين يهدون بالحق وبه يعدلون كان هو الامام البتة ، إذ لايمكن أن يكون مأموماً وتابعاً لبعض شيعته لأن الشيعة هم الاتباع لاالمتبوعون ، ولذا لايدخل في شيعته على مذهب القوم المشايخ الثلاثة لأنهم بزعم القوم أئمـة علي (ع) ومتبوعون له لاتابعون ، كما لايدخل في شيعته محاربوه وأعداؤه كالزبير وطلحة وأصحابها من الناكثين ومعاوية وأتباعه من القاسطين ، وكذا لايدخل فيهم جميع السنة ضرورة أنهم شيعة لأعدائه لا له .

آية تراهم ركعا سجدا

قال المصنف نور الله ضريحه

(الرابعة والستون) (تراهم ركعاً سجداً) «١» نزلت في علي عليه السلام .

وقال الفضل : إن صح فلا دلالة له على النص .

وأقول

هذا مما نقله في كشف الغمة عن ابن مردويه ؛ والمراد في نزول الآية بعلي نزولها بتمامها به مع النبي (ص) ، كما هو الأظهر ، لأن الآية هكذا : (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلا من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة) الآية وظاهرها أن أشداء وما بعده خبر لمحمد وما عطف عليه لا المعطوف فقط اعني الذين معه ، فيكون الركع السجود محمداً وعلياً ، وحينئذ فتدل الآية على إمامة أمير المؤمنين «ع» لتعبيرها عنه بصيغة الجمع وهي الذين معه مشيراً بها إلى انه بمنزلة جميع من مع النبي (ص) من حيث انه قوامهم ، فيثبت فضله عليهم بالجهاد والتقوى وجميع صفات الكمال ، لاسيما بضميمة ماأخبر به عن محمد والذين معه من الأوصاف الجليلة التي لا تثبت بمجموعها لأكثر الصحابة ، بل ولا لبعضهم على وجه الكمال ؛ وإنما تثبت كاملة للنبي «ص» وعلي «ع» فهو نظيره ونفسه ، ويؤيد الرواية التي أشار اليها المصنف نزول أبعاض الآية الاخر في علي «ع» أيضاً كما عرفته في قوله تعالى : (فاستوى على سوقه) وما سيأتي في قوله تعالى (يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار) .

---

(١) آخر سورة الفتح .

(آية والذين يؤذون المؤمنين)

قال المصنف قدس سره

(الخامسة والستون) (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا) «١» نزلت في علي لأن نفراً من المنافقين كانوا يؤذونه ويكذبون عليه .

وقال الفضل : ظاهر الآية العموم وإن خص فلا دلالة له على النص المقصود .

وأقول

هذا أيضاً مما نقله في كشف الغمة عن ابن مردويه عن مقاتل ، ونقله عنه الواحدي في أسباب النزول ، إلا أنه قال يسمعونه بدل يكذبون عليه ، وأشار اليه الزمخشري بقوله (وقيل نزلت في ناس من المنافقين يؤذون علياً ويسمعونه) . ووجه الدلالة على المطلوب أن قوله تعالى : (بغير ما اكتسبوا) شهادة ببراءة علي «ع» مما يقولون ، وان قولهم بهتان كما قال سبحانه في تمام الآية : (فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً) ومن المعلوم أن اهتمام الآية ببراءة علي «ع» وبيان أن من آذاه احتمل إثماً مبيناً مع كثرة مايصدر من الناس من قول البهتان والايذاء للمؤمنين دليل على عظمته عند الله تعالى وفضله على غيره ، ولا سيما مع التعبير عنه بصيغة الجمع وذكر ايذائه مع ايذاء الله ورسوله ، والأفضل أحق بالامامة . ثم انه لامنافاة بين ذكر المؤمنات في الآية وبين نزولها في علي «ع» ومن يؤذيه إذ لامانع من التعرض لهن بالتبع ، ولا سيما ان المنصرف من المؤمنات عند إرادة علي بالمؤمنين هو فاطمة المظلومة فتزيد فائدة الآية في المطلوب .

(آية واولو الارحام)

قال المصنف رفع الله درجته

(السادسة والستون) (واولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين

(١) الاحزاب . الآية ٥٨ .

والمهاجرين) «١» هو علي لأنه كان مؤمناً مهاجراً ذا رحم .

وقال الفضل : ظاهر الآية العموم ولم يذكر المفسرون تخصيصاً بأحد ، ولو خص فلا دلالة له على النص ، والاستدلال بأنه مؤمن مهاجر ذو رحم لايوجب التخصيص لشمول الأوصاف المذكورة لغيره .

وأقول

لا نسلم شمول الأوصاف المذكورة لغيره ، فان العباس ليس من المهاجرين إذ لاهجرة بعد الفتح فلا يستحق من النبي «ص» ميراثاً ، لأنه تعالى قيد في الآية اولي الأرحام بكونهم من المؤمنين والمهاجرين ، ولو سلم ان من في هذه الآية ليست بيانية بل هي الداخلة على المفضل عليه كفى في الدلالة على اعتبار الهجرة في الأولوية قوله تعالى في آخر سورة الأنفال : (إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا اولئك بعضهم أولياء بعض والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا) الآية ، بل يظهر من هذه الآية اعتبار الجهاد حين الهجرة أيضاً في الأولوية ، ولا جهاد للعباس حينئذ كما لاهجرة له ، ولو تنازلنا عن ذلك فعلي «ع» أقرب رحماً من العباس وان كان ابن عم للنبي (ص) لأن ابن العم للابوين أقرب عندنا رحماً وأولى بميراث ابن عمه من العم للاب فقط ، ولو أعرضنا عن هذا وأخذنا باطلاق اولو الأرحام في الآية . فغاية الأمر أن يستوي علي والعباس بميراث الامامة بلحاظ إطلاق الآية ، إلا انه لابد من تقديم علي «ع» لأفضليته وتسليم العباس لامامته ، ولذا طلب مبايعته عند وفاة النبي «ص» ، ومما بينا يعلم مافي قول الرازي والمنصور الدوانيقي في جواب محمد بن عبد الله قال الرازي بتفسيره : (المسألة الثانية تمسك محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب في كتابه إلى أبي جعفر المنصور بهذه الآية في ان الامام بعد رسول الله «ص» هو علي بن أبي طالب ، فقال قوله تعالى (واولو الأرحام بعضهم أولى ببعض) يدل على ثبوت الأولوية وليس في الآية

---

(١) الأحزاب . الآية .

شيء معين في ثبوت هذه الأولوية فوجب حمله على الكل إلا ماخصه الدليل وحينئذ يندرج فيه الامامة ، ولا يجوز أن يقال ان أبا بكر كان من اولي الأرحام لما نقل أنه عليه الصلاة والسلام أعطاه سورة براءة ليبلغها إلى القوم ثم بعث علياً خلفه وأمر بأن يكون المبلغ هو علي وقال لا يؤديها إلا رجل مني وذلك يدل على أن أبا بكر ما كان منه فهذا هو وجه الاستدلال بهذه الآية . والجواب إن صحت هذه الدلالة كان العباس أولى بالامامة لأنه كان أقرب إلى رسول الله «ص» من علي وبهذا الوجه أجاب أبو جعفر المنصور عنه) وإنما قلنا انه يعلم الجواب عن هذا مما ذكر لما عرفت من أن العباس ليس من المهاجرين فلا ولاية بينه وبين النبي «ص» ، ولو سلم فعلي أقرب منه رحماً ولو تمسكنا باطلاق اولو الأرحام فعلي أفضل والأفضل أحق بالامامة ؛ ولعله لهذه الامور طلب العباس مبايعة أمير المؤمنين «ع» لكن الحق أن المنشأ في الطلب علمه ببيعة الغدير وغيرها

ثم إن الأمر المهم هو أولوية أمير المؤمنين «ع» من أبي بكر بميراث النبي «ص» وهي حاصلة لعدم الرحمية لأبي بكر كما يدل عليه حديث عزله عن أداء سورة براءة ؛ فتكون خلافته باطلة وان الحق لعلي «ع» ؛ وقول الرازي ـ ان صحت هذه الدلالة ـ ان أراد به منع دلالة آية اولي الأرحام على أولوية أرحام النبي «ص» بالامامة فظاهر البطلان لأن الآية اطلقت الأولوية والمطلق حجة في الاطلاق بالاجماع ، وإن أراد به منع دلالة حديث عزل أبي بكر على انه ليس بذي رحم فالأمر أشنع ، ولو كان أبو بكر رحماً للنبي (ص) لكانت قريش كلها أرحاماً بل الناس كلهم كذلك لاجتماعهم في آدم ونوح عليهما السلام ولو سلم فعلي أقرب منه رحماً للنبي (ص) فيحجبه عن الميراث اتفاقا وتكون الخلافة لعلي عليه السلام .

آية وبشر الذين آمنوا

قال المصنف أعلى الله مقامه

(السابعة والستون) (وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق) «١» نزلت في

(١) يونس . الآية ٢ .

ولاية علي عليه السلام .

وقال الفضل : لم يذكره المفسرون فان صح فهو في حكم اخواته .

وأقول

حكاه في كشف الغمة عن ابن مردويه ، وعليه فدلالة الآية على إمامة أميرالمؤمنين واضحة ، لأن من تثبت قدم الصدق للمؤمنين بولايته ويبشر الله تعالى بثبوتها في كتابه العزيز لابد أن يكون أفضلهم وخيرهم جميعاً ؛ فيكون إمامهم ؛ ولو اريد بالولاية في الحديث الامامة كانت الآية نصاً فيها .

آية أطيعوا الله وأطيعوا الرسول

قال المصنف طاب ثراه

(الثامنة والستون) (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول واولي الأمر منكم) «١» كان علي منهم .

وقال الفضل : هذا يشمل سائر الخلفاء فان كلهم كانوا اولي الامر ولا دليل على مدعاه

وأقول

لا يمكن أن يشمل سائر الخلفاء سواء أراد بهم خصوص الأربعة أم الأعم منهم ومن معاوية ويزيد والوليد وأشباههم . لدلالة الآية على عصمة اولي الأمر وهؤلاء ليسوا كذلك كما سبق موضحاً في أول مباحث الامامة . فيتعين أن يراد باولي الأمر علي وأبناؤه الاطهار لانتفاء العصمة عن غيرهم بالضرورة والاجماع .

---

(١) النساء . الآية ٥٨ .

(آية وأذان من الله ورسوله)

قال المصنف أجزل الله ثوابه

(التاسعة والستون) (وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الاكبر) «١» في مسند أحمد هو علي حين أذّن بالآيات من سورة براءة حين أنفذها النبي «ص» مع أبي بكر وأتبعه بعلي «ع» فرده ومضى علي وقال النبي «ص» : قد أُمرت أن لايبلّغها إلا أنا أو واحد مني .

وقال الفضل : سيرد عليك أن إنفاذ علي بعد أبي بكر كان لأجل أن العرب في العهود لايعتبرون إلا قول صاحب العهد أو واحد من قومه ولاجل هذا أنفذ علياً .

وأقول

لو كان العرب على ماذكره لما خفي على النبي (ص) وأصحابه في أول الأمر . فلابد أن يكون إرسال النبي (ص) لابي بكر ليس مخالفاً لقاعدة العرب بل هو مع عزله بعلي للتنبيه من الله ورسوله على فضل علي وانه من رسول الله (ص) دون سائر الناس ، وعلى ان أبا بكر ليس أهلا للقيام مقام النبي (ص) في ذلك فكيف بعموم مقامه في الزعامة العظمى ، ولو أرسل علياً (ع) أولا لم يحصل هذا التنبيه ، ثم ان الضمير في قوله في الحديث (هو علي) راجع إلى الأذان أو المؤذن المستفاد من الكلام ؛ ويشهد للأول مافي الدر المنثور عن ابن أبي حاتم انه أخرج عن حكيم بن حميد قال : (قال لي علي بن الحسين (ع) ان لعلي (ع) في كتاب الله اسماً ولكن لايعرفونه . قلت ماهو؟ قال : ألم تسمع قول الله تعالى : وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الاكبر هو والله الأذان) أقول وأنت تعلم ان تسميته (ع) في كتاب الله تعالى بالأذان المنسوب إلى الله عزوجل دليل على شرف محله وخطر مقامه فلا يقاس به من لم يصلح لتأدية الرسالة .

(١) براءة . الآية ٣

طوبى لهم وحسن مآب

قال المصنف شرف الله قدره

(السبعون) (طوبى لهم وحسن مآب) «١» قال ابن سيرين : هي شجرة في الجنة أصلها في حجرة علي وليس في الجنة حجرة إلا وفيها غصن من أغصانها .

وقال الفضل : في الروايات المشهورة انها في بيت النبي (ص) ولا يبعد ان بيت النبي (ص) والولي يكون متحداً ، ولا بأس بهذه الرواية فان كل هذه تدل على الفضائل المتفق عليها ولا دلالة فيها على النص وهو المدعى .

وأقول

حكاه في الدر المنثور عن ابن أبي حاتم عن ابن سيرين وما ذكره الفضل انها في دار النبي (ص) مروي أيضاً ومقتضى الجمع ان دارهما واحدة كما ورد من طرقنا تصريح النبي (ص) به بعد أن قال مرة : ان طوبى شجرة في الجنة أصلها في داري وفروعها في دور أهل الجنة ، وقال مرة : أصلها في دار علي (ع) ودلالتها على إمامة أميرالمؤمنين (ع) من وجهين : { الاول { انها أبانت ان علياً (ع) من أهل الجنة وقد سبق مراراً ان اعلامه بشخصه بأنه من أهل الجنة يستدعي عصمته أو فضله على غيره { الثاني { ان اتحاد دار النبي (ص) والولي دليل على انهما كنفس واحدة وبمنزلة متحدة فيكون علي (ع) أفضل الناس وخيرهم حتى الانبياء فيكون إمام الامة ألبتة .

آية فانا منهم منتقمون

قال المصنف شرف الله قدره

(الحادية والسبعون) (فاما نذهبن بك فانا منهم منتقمون) «٢» قال ابن عباس : بعلي عليه السلام .

---

(١) الرعد . الآية ٣١ . (٢) الزخرف . الآية ٤١ .

وقال الفضل : لايظهر ربطه بعلي إذ المراد من الذين ينتقم منهم هم الكفار وعلي لم يحارب الكفار بعد النبي (ص) ، وإن أراد البغاة فالآية ليست نازلة في شأنهم كما يدل السابق واللاحق من الآية على انها نزلت في شأن الكفار ، وإن صح فلا يدل على المدعى .

وأقول

هذا مما نقله في كشف الغمة عن ابن مردويه عن ابن عباس ، ونقله أيضاً في ينابيع المودة في الباب السادس والعشرين عن أبي نعيم عن حذيفة بن اليمان ، وقال السيوطي في الدر المنثور (أخرج ابن مردويه عن جابر عن النبي «ص» في هذه الآية نزلت في علي ابن أبي طالب انه ينتقم من الناكثين والقاسطين بعدي) فهذه الرواية صريحة في نزول الآية بانتقام علي «ع» من البغاة كما هو مقتضى الاخبار الاخر .

واما مازعمه الفضل من ان المراد من الذين ينتقم منهم هم الكفار بدعوى دلالة ماسبق على الآية وما لحقها على ذلك فممنوع لشمول هذه الآيات للكافرين والمنافقين قال تعالى في سورة الزخرف : (ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين . وانهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون انهم مهتدون . حتى اذا جاءنا قال ياليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين . ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنكم في العذاب مشتركون . أفأنت تسمع الصم أو تهدي العمي ومن كان في ضلال مبين . فاما نذهبن بك فانا منهم منتقمون أو نرينك الذي وعدناهم فانا عليهم مقتدرون) فاذا كان لفظ الآيات شاملا للكافرين والمنافقين وكان صالحاً لتخصيصه بالمنافقين لدليل خاص كسائر العمومات فقد صح لتلك الاخبار ان يراد بالآيات الخصوص وان يكون المراد بضمير الغيبة في قوله تعالى : (فانا منهم منتقمون) هو المنافقون ، لاسيما مع التصريح في رواية جابر المذكورة بالانتقام من الناكثين والقاسطين ، فانهم وسائر البغاة على علي «ع» أعداء مبغضون له وقد استفاضت الأخبار كما مرّ مراراً أن بغضه علامة النفاق ، فاذا كان علي (ع) هو الذي وعد الله سبحانه بالانتقام به بعد النبي بمقتضى تلك الأخبار كان هو الامام

لأن قيامه مقام النبي (ص) فيما هو أنسب بعمل الخلفاء والأئمة ظاهر في إمامته بعده ، ولو سلم أن الآيات نازلة بالكافرين فالبغاة على اميرالمؤمنين «ع» منهم لانكارهم لامامته والامامة من اصول الدين كما هو الحق ، ولقوله «ص» : (حربك حربي) وقوله سبحانه : (من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه) الآية ، فانها نازلة بعلي «ع» ومن حاربه كما سبق ، إلى غير ذلك من الادلة الدالة على كفرهم ولو حكما في الجملة .

(آية هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل)

قال المصنف أعلى الله درجته

(الثانية والسبعون) (هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم) «١» عن ابن عباس انه علي عليه السلام .

وقال الفضل : لاشك ان علياً كان يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم لكن لايدل هذا على النص على إمامته .

وأقول

هـذا مما حكاه في كشف الغمة عن ابن مردويه وأول الآية (وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لايقدر على شيء وهو كل على مولاه أينما يوجهه لايأت بخير هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم) وهذا المثل كما تدل عليه الآيات السابقة على هذه الآية قد ضربه الله سبحانه لنفسه وللاصنام فمثلها بالأبكم العاجز ومثل نفسه المقدسة بعلي «ع» وقال سبحانه : لله المثل الأعلى ، فيكون علي «ع» أعلى وأفضل من سائر الامة وإمامها ، وأيضاً قد دل على أنه على الصراط المستقيم فيكون معصوماً ، وعلى انه يأمر بالعدل أيضاً فيكون أفضل وأولى بالامامة ممن قال : (أما والله ماأنا بخيركم أفتظنون اني أعمل فيكم بسنة رسول الله «ص» إذن لاأقوم بها إن رسول الله «ص» كان

(١) النحل الآية ٧٨

يعصم بالوحي وكان معه ملك وإن لي شيطاناً يعتريني فاذا غضبت فاجتنبوني ان لا اؤثر في اشعاركم وابشاركم) .

(آية سلام على آل يس)

قال المصنف قدس الله روحه

(الثالثة والسبعون) (سلام على آل يس) عن ابن عباس آل محمد «ص» .

وقال الفضل : صح هذا وآل يس آل محمد «ص» وعلي منهم والسلام عليهم ولكن أين هو دليل المدعى .

وأقول

فضَّل الله سبحانه في هذه السورة أي (سورة الصافات) جماعة مخصوصة من الأنبياء فقال تعالى : (وتركنا عليه في الآخرين سلام على نوح في العالمين) وقال تعالى (سلام على ابراهيم) وقال سبحانه : (سلام على موسى وهرون) ثم ختم السورة بالتعميم لجميع المرسلين ، وخص أيضاً في أثناء ذلك آل محمد بالسلام فقال : (سلام على آل يس) وهو دليل على شرف منزلتهم وانهم في قرن الأنبياء والمرسلين ، فيكون دليلا على فضلهم وإمامتهم للامة ! قال الرازي فيما حكاه عنه ابن حجر في الصواعق (١) : « ان أهل بيته «ص» يساوونه في خمسة أشياء : في السلام قال السلام عليك أيها النبي وقال سلام على آل يس ، وفي الصلاة عليه وعليهم في التشهد ، وفي الطهارة قال تعالى : (طه) أي ياطاهر وقال : (ويطهركم تطهيرا) ، وفي تحريم الصدقة وفي المحبة قال تعالى : (فاتبعوني يحببكم الله) وقال : (لا أسألكم عليه اجراً إلا المودة في القربى) » وأقول لقد ترك عمدة مايساوونه فيه وهو أنهم حجج الله مثله لكونهم خلفاءه الاثنى عشر من قريش ونسي المباهلة بهم معه وعصمتهم وكثيراً من الفضائل التي يشاركونه بها دون الامة كالعلم بما في الكتاب ونحوه .

(١) في الآية الثالثة من الآيات النازلة في أهل البيت وهي الآية التي نحن فيها .

آية وأما من اوتي كتابه بيمينه

قال المصنف طاب مرقده

(الرابعة والسبعون) (ومن عنده علم الكتاب) (واما من اوتي كتابه بيمينه) «١»
قال ابن عباس هو علي «ع» .

وقال الفضل : قد علمت ان آية من عنده علم الكتاب نزلت في عبد الله بن سلام ، وأما آية من اوتي كتابه بيمينه فالظاهر أن المراد سائر المؤمنين من أصحاب اليمين وان خص فلا دلالة له على المدعى .

وأقول

قد علمت مما سبق كذب دعوى نزولها في ابن سلام ، وأن الحق نزولها في عديل القرآن وقرينه وباب مدينة علم سيد المرسلين ؛ وأوضحنا دلالتها على إمامته هناك في الآية السابعة والعشرين ؛ واما الآية الثانية فتعرف دلالتها على إمامته «ع» مما سبق في الآية الثانية والثلاثين وغيرها لبشارتها له واعلامها له بأنه يؤتى كتابه بيمينه وانه في عيشة راضية في جنة عالية ؛ وإنما أعاد المصنف «ره» ذكر الآية الاولى من هاتين الآيتين لأنه إنما رواها سابقاً من طريق الثعلبي عن عبد الله بن سلام ومن طريق أبي نعيم عن محمد بن الحنفية ؛ واما روايتها هنا فمن طريق ابن مردويه عن ابن عباس فانه روى نزول الآيتين معاً في رواية واحدة كما في كشف الغمة فحسن لذلك اعادتها بتبع اختها

(آية اخوانا على سرر متقابلين)

قال المصنف اعلى الله درجته

(الخامسة والسبعون) (ونزعنا مافي صدورهم من غل إخواناً على سرر متقابلين)«٢»

---

(١) الآية الاولى من سورة الرعد الآية الاخيرة ؛ والثانية من سورة الواقعة الآية ٢٢ . (٢) الحجر الآية ٤٧

عن أبي هريرة قال : قال علي بن أبي طالب : يارسول الله أيما أحب اليك أنا أم فاطمة ؟ قال : فاطمة أحب إلي منك وأنت أعز عليّ منها وكأني بك وأنت على حوضي تذود عنه الناس وان عليه الأباريق مثل عدد نجوم السماء وأنت والحسن والحسين وفاطمة وعقيل وجعفر في الجنة إخواناً على سرر متقابلين أنت معي وشيعتك في الجنـــــة . ثم قرأ رسول الله «ص» إخواناً على سرر متقابلين لاينظر أحدهم في قفا صاحبه .

وقال الفضل : إن صح هذا فهو من فضائله وذكر درجاته العلى في الجنة ولا ريب لمؤمن في هذا ؛ والبحث في وجود النص فأي نفع لذاكر هذه الفضائل في ذكرها .

وأقول

سبق ذكر هذه الآية وهي الآية الثانية والثلاثون وإنما أعادها المصنف «ره» لأنه نقلها سابقاً عن مسند أحمد ؛ وذكرنا هناك تمام حديثه وبينا وجوه دلالته ؛ وامّا ذكرها هنا فلأن الحديث المذكور في المقام من أحاديث ابن مردويه ؛ وهو مشتمل على خصوصيات أخر تقتضي الامامـة أيضاً (منها) ان علياً «ع» هو الساقي على حوض النبي (ص) يذود عنه الناس وهو بظاهره يقتضي الامتياز والفضل على جميع الناس ولا أقل من دلالته على الفضل على هذه الامة فيكون إمامها ؛ و (منها) ان شيعته في الجنة فيكون مايعتقدونه من إمامته دون غيره حق ؛ و (منها) بشارته بشخصه بالجنة وهو كما سبق دليل على عصمته أو فضله على مثل المشايخ الثلاثة ممن لايصح تبشيره بهـذه البشارة فيتعين دونهم الامامة .

(فان قلت) على هذا يكون عقيل مساويا لعلي «ع» بالعصمة أو الفضل على غيره لبشارته بشخصه أيضاً في الجنة فيلزم جواز إمامته وأنتم لاتقولونه (قلت) قد اعتبرنا في الدلالة على العصمة أو الفضل علم الشخص بدخول الجنة وليس في الحديث مايدل على علم عقيل ، وليس هو أيضاً كعلي «ع» عنده علم الـكتاب والعلم بكل آية فيمن نزلت فلا يلزم علو رتبته كعلي «ع» ، على أن عقيلا ليس بمعصوم فلا تجوز إمامته وإن فرض جواز بشارته وإعلامه بدخول الجنة .

هذا ونقل نحو هذا الحديث في الباب الرابع والأربعين من ينابيع المودة عن أبي نعيم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله (ص) لعلي : أنت ياعلي على حوضي تذود عنه المنافقين وان أباريقه عدد نجوم السماء وأنت والحسن والحسين وحمزة وجعفر في الجنة اخواناً على سرر متقابلين وأنت وأتباعك معي ثم قرأ ونزعنا مافي صدورهم من غل اخواناً على سرر متقابلين .

(آية يعجب الزراع)

قال المصنف قدس سره

(السادسة والسبعون) (يُعجب الزراعَ ليغيظ بهم الكفار) «١» هو علي عليه السلام

وقال الفضل : قد سبق ماذكر في شأن نزول هذه الآية وهو من الفضائل ولا يدل على النص .

وأقول

هذا مما حكاه في كشف الغمة عن ابن مردويه ويؤيده ماورد من نزول ابعاض أخر من الآية في أمير المؤمنين «ع» كما عرفته في الآية الأربعين والرابعة والستين ، والظاهر نزولها جميعاً في النبي (ص) وأمير المؤمنين لتصريح صدرها بالنبي (ص) وورود نزول جملة من ابعاضها في علي «ع» . قال تعالى : (محمد رسول الله والذين معه ـ يعني علياً ـ أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلا من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود) ثم بيّن سبحانه مثل النبي وعلي لمؤازرته له في دعوته بالزرع الذي (أخرج شطأه) أي فراخه وصغاره ، وذلك بلحاظ ابتداء دعوة النبي (فآزره) من حيث مؤازرة علي «ع» له «ص» (فاستغلظ) بهما (فاستوى على سوقه) باستمرار دعوة النبي «ص» ، وسيف علي «ع» (يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار) أي بالنبي وعلي ، ولا ريب ان من امتاز بكونه غيظاً للكافرين لابد أن يكون أقوى

(١) الفتح آخر آية .

المسلمين عزيمة وأشدهم شكيمة وأعلاهم حجة وأثراً وأفضلهم فهماً وعلماً وليس ذلك إلا النبي والامام .

آية أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله

قال المصنف نور الله ضريحه

(السابعة والسبعون) (أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله) «١» قال الباقر «ع» نحن الناس .

وقال الفضل : هذا أيضاً ان صح فهو من الفضائل ولا ثبوت للمدعى .

وأقول

قال ابن حجر في الصواعق (٢) أخرج أبو الحسن المغازلي عن الباقر «ع» انه قال في هذه الآية نحن الناس والله ، ونحوه في ينابيع المودة (٣) وزاد رواية اخرى عن ابن المغازلي عن ابن عباس قال : هذه الآية في النبي «ص» وفي علي «ع» ؛ ووجه الدلالة على المطلوب ظاهر فان المراد بما آتاهم الله من فضله هو العلم والهدى والفهم والحكمة ونحوها من الصفات والفضائل التي هي شأن محمد «ص» وعلي «ع» لا أمور الدنيا الدنية ومن المعلوم ان إيتاء هذا الفضل لعلي «ع» الذي حسده الناس عليه يستدعي الأفضلية والامامة وإلا لما حسدوه عليه كما ان مشاركته «ع» للنبي «ص» في الفضل على الرواية الثانية دليل على ان فضله من نوع فضل النبي «ص» فيكون الأفضل والأحق بخلافته

(آية كمشكاة فيها مصباح)

قال المصنف رفع الله درجته

(الثامنة والسبعون) (كمشكاة فيها مصباح) «٤» عن الحسن البصري قال : المشكاة

(١) النساء . الآية ٥٣ . (٢) في الآية السادسة من الآيات الواردة في أهل البيت وهي هذه الآية . (٣) في الباب ٣٩ (٤) النور . الآية ٣٥ .

فاطمة والمصباح الحسن والحسين (والزجاجة كأنها كوكب) قال : كانت فاطمة كوكباً درياً بين نساء العالمين (توقد من شجرة مباركة) قال : الشجرة المباركة ابراهيم (لاشرقية ولا غربية) لايهودية ولا نصرانية (يكاد زيتها يضيء) قال : يكاد العلم ينطف منها (ولو لم تمسسه نار نورعلى نور) قال : فيها إمام بعد إمام (يهدي الله لنوره من يشاء) قال : يهدي الله لولايتهم من يشاء .

وقال الفضل : ليس هذا من تفاسير أهل السنة وإن صح فدل على فضائل أهل بيت رسول الله (ص) وهو متفق عليه ولو ذكر أضعاف هذا فلا ينازع منازع .

وأقول

هذا من روايات ابن المغازلي على ماحكاه السيد السعيد عنه ويشهد لصحته مانقله السيوطي في الدرالمنثور في تفسير مابعد هذه الآية . وهو قوله تعالى : (في بيوت أذن الله أن ترفع) عن ابن مردويه أنه أخرج عن أنس بن مالك وبريدة قال : (قرأ رسول الله «ص» هذه الآية في بيوت أذن الله أن ترفع فقام اليه رجل فقال أي بيوت هذه يارسول الله قال بيوت الأنبياء فقام اليه أبو بكر فقال يارسول الله هذا البيت منها البيت علي وفاطمة قال نعم من أفاضلها) ونقل المصنف «ره» نحوه في منهاج الكرامة عن الثعلبي عن أنس وبريدة ، فان قوله تعالى في بيوت مرتبط بقوله كمشكاة كما هو الظاهر ووافق عليه الاكثر ، ومن المعلوم ان تقييد المشكاة بكونها في بيوت الأنبياء لادخل له بظاهر الآية من إرادة تعظيم المشكاة بزيادة النور الظاهري . فينبغي أن يراد بالمشكاة فاطمة كما في رواية ابن المغازلي ليكون التقييد بكونها في بيوت الأنبياء مفيداً لزيادة تعظيمها ونورها المعنوي ، فيكون حاصل المعنى ان مثل نوره تعالى كفاطمة العالمة المنيرة بمصباح نور الحسن والحسين المتضاعف نورها بأنوار الأئمة من ولدها ؛ وهذا أدل دليل على إمامة علي وولده الأطهار فانه ذكر أن من فاطمة «ع» الأئمة إماماً بعد إمام ، ولا ريب على القول بامامتهم ، ان إمامتهم فرع إمامة أمير المؤمنين «ع» فتثبت إمامته كما هو المطلوب . مضافاً إلى أن الله سبحانه أظهر لفاطمة وولدها بضرب المثل بهم لنوره

فضلا لا يوازى ونخراً لا يماثل ولا شك ان فضلهم من فضل علي «ع» ودونه فيكون أفضل الامة والأفضل هو الامام .

هذا وقد روي عندنا عن إمامنا أبي جعفر الباقر عليه السلام ماهو أظهر في المطلوب وأقرب إلى معنى الآية قال «ع» ماحاصله : ان المشكاة صدر النبي «ص» والمصباح نور علمه والزجاجة صدر أمير المؤمنين «ع» توقد من شجرة مباركة أي من نور علم النبي (ص) لأن علمه صار إلى علي «ع» لاشرقية ولا غربية لا يهودية ولا نصرانية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار ؛ قال يكاد العالم من آل محمد (ص) يتكلم قبل أن يسأل نور على نور أي إمام مؤيد بنور العلم والحكمة في إثر إمام من آل محمد (ص) .

(آية ولا تقتلوا أنفسكم)

قال المصنف طاب ثراه

(التاسعة والسبعون) (ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما) «١» قال ابن عباس لا تقتلوا أهل بيت نبيكم صلى الله عليه وآله .

وقال الفضل : ليس هذا من تفاسير أهل السنة وترك قتال أهل بيت النبي (ص) هل يحتاج إلى الاستدلال بالنص وهو على إقامة الدليل على إثبات نص الامامة ويستدل بالقرآن على عدم جواز قتلهم وهذا من غرائب أطواره في البحث .

وأقول

النظر في الاستدلال إنما هو إلى جعل قتل الناس لهم كقتل الناس لأنفسهم ، لأن حسم مادة الفتن وحفظ الأنفس على الوجه الشرعي موقوف على أئمة معصومين ، فتكون الآية دليلا على إمامتهم وعصمتهم ويعضدها قوله تعالى في الآية الستين (اذا دعاكم لما يحييكم) أي دعاكم إلى ولاية علي (ع) ، فالمراد بالأنفس في الآية معناها الحقيقي ؛ ولكن كنى بالنهي عن قتلها عن النهي عن قتل أهل البيت (ع) لتوقف حفظ النفوس عليهم،

(١) النساء . الآية ٢٩ .

ويحتمل أن يكون تجوزاً في نسبة القتل إلى الأنفس عن نسبته إلى أهل البيت (ع)، كما يحتمل أن يراد التجوز في المفرد بأن يكون قد أطلق الأنفس على أهل البيت مجازاً إشارة إلى أنهم بمنزلة الأنفس في وجوب حفظها ورعايتها على الناس كلهم لأن حياتهم حياة الانفس من كل وجه . اما في الآخرة فلأنهم الهداة وبهم النجاة ، وأما في الدنيا فلحفظ النفوس بهم وبهم السعادة والبركات : ولذا قال سلمان الفارسي رضي الله عنه (لو أطعتم علياً لأكلتم من فوق رؤسكم ومن تحت أرجلكم) ويحتمل أن يكون تجوزاً في المفرد على أن يراد بالأنفس أهل البيت (ع) وبقتلهم غصب خلافتهم لأنه آيل إلى قتلهم كما شهد به الوجدان .

آية وعد الله الذين آمنوا

قال المصنف أعلى الله مقامه

(الثامن) (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيما) «١» عن ابن عباس قال : (سأل قوم النبي (ص) فيمن نزلت هذه الآية قال اذا كان يوم القيامة عقد لواء من نور أبيض ونادى مناد ليقم سيد المؤمنين ومعه الذين آمنوا ببعث محمد (ص)، فيقوم علي بن أبي طالب فيعطى اللواء من النور الأبيض وتحته جميع السابقين الاولين من المهاجرين والانصار لايخالطهم غيرهم حتى يجلس على منبر من نور رب العزة ويعرض الجميع عليه رجلا رجلا فيعطى أجره ونوره ، فاذا أتى على آخرهم قيل لهم قد عرفتم صفتكم ومنازلكم في الجنة إن ربكم يقول لكم ان لكم عندي مغفرة وأجراً عظيما يعني الجنة فيقوم علي ـ والقوم تحت لوائه ـ معهم حتى يدخل بهم الجنة ثم يرجع إلى منبره فلا يزال حتى يعرض عليه جميع المؤمنين فيأخذ نصيبه منهم إلى الجنة ويترك أقواماً على النار وذلك قوله تعالى «٢» : (والذين آمنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم) يعني السابقين الأولين وأهل الولاية (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك أصحاب الجحيم) يعني بالولاية بحق علي وحق علي

---

(١) آخر سورة الفتح . (٢) الحديد . الآية ١٨ .

الواجب على العالمين) .

وقال الفضل : هذا من القصص والحكايات التي يرويها الشيعة ولا نقل صحيح به ولا إسناد ولا شيء ولا اتقاء من الكذب والافتراء وإن صح هذا دل على منقبة عظيمة من مناقب أمير المؤمنين وهي مسلمة والكلام في النص ، وأين هذا الاستدلال منه

وأقول

نقله السيد السعيد عن شواهد التنزيل للحاكم أبي القاسم الحسكاني ، ويؤيده مادل على أن علياً قسيم الجنة والنار وأنه سيد المسلمين وأنه لايدخل الجنة إلا من بيده براءة منه وسند بولايته ودلالتها على إمامته من وجوه كونه سيد المسلمين وانهم يدخلون الجنة بزمرته وتحت لوائه وانهم يعرضون عليه جميعاً ، فانها تقتضي إمامته ولو لدلالتها على فضله والافضل هو الامام ، ولا سيما مع التصريح في آخر الحديث بأن حقه واجب على العالمين وتصريحه بأن أهل الولاية له هم الذين آمنوا بالله ورسله وان المكذبين بولايته في زمرة الكافرين ، بل هذا كما يدل على إمامته يدل على انها من اصول الدين إذ لايكفر من كذب بغير اصوله .

آية الذين اذا أصابتهم مصيبة

قال المصنف أعلى الله مقامه

(الحادية والثمانون) (الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا اليه راجعون اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون) «١» نزلت في علي (ع) لما وصل اليه قتل حمزة رضي الله عنه فقال إنا لله وإنا اليه راجعون فنزلت هذه الآية .

وقال الفضل : هذا ليس من تفاسير أهل السنة وإن صح فهو كسائر أخواته في عدم دلالته على النص .

---

(١) البقرة ، الآية ١٥٦

وأقول

هذا أيضاً نقله السيد السعيد (ره) عن تفسيري الثعلبي والنقاش والاستدلال به على المطلوب من وجهين : (الاول) انزال الله سبحانه القرآن في صبر علي «ع» وتسليمه لأمر الله تعالى وجعل الصلوات العديدة والرحمة عليه ، ومن الواضح ان ذكره «ع» بذلك مع كثرة الصابرين القائلين إنا لله وإنا اليه راجعون دليل على تميزه بالصبر والتسليم الكاشفين عن كماله الذاتي وفضله على غيره فيكون هو الامام (الثاني) تعبير الكتاب العزيز عنه بصيغ الجموع مع حصر الاهتداء به بقوله اولئك هم المهتدون الدال على ان اهتداء غيره بالنسبة اليه كلااهتداء فان ذلك من أعظم الدلائل على عظمته عند الله سبحانه وارتفاع شأنه لديه وكونه أهدى الامة وأفضلها فيكون هو الامام .

مافي القرآن آية الا وعلي رأسها

قال المصنف طاب ثراه

(الثانية والثمانون) في مسند أحمد بن حنبل قال ابن عباس مافي القرآن آية إلا وعلي رأسها وقائدها وشريفها وأميرها ولقد عاتب الله أصحاب محمد «ص» في القرآن وما ذكر علياً إلا بخير وعنه مانزل في احد من كتاب الله مانزل في علي وعن مجاهد نزل في علي سبعون آية وعن ابن عباس مانزل الله آية وفيها يأيها الذين آمنوا إلا وعلي رأسها وأميرها .

وقال الفضل : هذه أخبار لو صحت دلت على فضائل علي ، وكل ماينقله من مسند أحمد بن حنبل فهو يدل على ان أهل السنة لايألون جهداً في ذكر فضائل أمير المؤمنين ولوكان النص موجوداً في إمامته لكانوا يروونه وينقلونه ولا يكتمونه فعلم أن لانص هناك

وأقول

نقل المصنف «ره» في منهاج الكرامة حديث أحمد فأنكر ابن تيمية أن يكون من أصل المسند وزعم انه من زيادات القطيعي ثم ناقش في سنده ، ونحن لايهمنا اثبات

كونه من اصل المسند فان القطيعي أيضاً معتبر النقل عندهم ، واما ضعف سنده بزكريا ابن يحيي الكساني فقد سبق جوابه فى المقدمة لاسيما ولا داعي لهم الى الطعن بزكريا إلا روايته فضائل أهل البيت ومثالب أعدائهم ، وهو كما سبق فى المقدمة دليل وثاقته على ان الحديث ونحوه مستفيض عن ابن عباس وروي عن غيره . فقد نقل فى كنز العمال (١) عن أبي نعيم عن ابن عباس قال : ماانزل الله آية يأيها الذين آمنوا إلا وعلي رأسها وأميرها ، ونقل فيه (٢) عن أبي نعيم أيضاً عن ابن عباس قال : ماانزل الله سورة فى القرآن إلا وكان علي أميرها وشريفها ولقد عاتب الله اصحاب محمد «ص» وما قال لعلي إلا خيرا ، ونقل ابن حجر فى الصواعق (٣) عن الطبراني وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال : ماانزل الله يأيها الذين آمنوا إلا وعلي اميرها وشريفها ولقد عاتب الله اصحاب محمد «ص» فى غير مكان وما ذكر علياً إلا بخير ، ونقل فى كشف الغمة عن ابن مردويه نحوذلك من عدة طرق عن ابن عباس وحذيفة وهو دال على امامة أميرالمؤمنين لأن المراد بكون علي (ع) رأسها واميرها هو كونه رأس من خوطب بها وهم المؤمنون وانه اميرهم وان لم يكن داخلا معهم فى الخطاب فى بعض الآيات كقوله تعالى : { يأيها الذين آمنوا لم تقولوا مالاتفعلون } وقوله سبحانه : { يأيها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة } الى غير ذلك مما عاتب الله به المؤمنين ، ولو سلم ان مراد ابن عباس دخول امير المؤمنين معهم فى الخطاب بجميع تلك الآيات فلا بد من تخصيصه بغير هذا النحو من الآيات لقوله : وما ذكر علياً الا بخير .

هذا وقد استنهضت ابن تيمية حمية النصب لمعارضة هذه الاخبار فخض زبدالباطل وروى ماافتراه بعض اسلافه من النواصب من ان الله تعالى انزل فى علي (ع) { يأيها الذين آمنوا لاتقربوا الصلاة وأنتم سكارى } بدعوى انه صلى وهو سكران فقرأ وخلط وكيف يصدق حديث يكذّب خبر الله سبحانه بطهارة علي عليه السلام واذهاب الرجس عنه والخمر رجس كما صرح به الكتاب العزيز ، لكن القوم لم يبالوا بتكذيب الله

(١) ص ١٥٣ من الجزء ٦ . (٢) ص ٣٩١ من الجزء ٦ . (٣) فى الفصل ٣ من الباب ٩ .

ورسوله اذا صدقوا هواهم ، وقد اجترأ هذا الناصب على امام الحق وسيد الخلق بما هو أعظم من ذلك ضاعف الله تعالى له جزاء ماعمل انه خير الحاكمين ، وما اكثر مالغا في المقام بنقل اخبار قومه التي لاتقوم حجة على خصمه وبذكر الامور الواهية التي لايليق بنا نقلها وردها .

ثم ان من جملة مانقله المصنف «ره» قول ابن عباس مانزل في احد من كتاب الله مانزل في علي «ع» ، وهو مما نقله ابن حجر في الصواعق (١) عن ابن عساكر ، ويشهد لصحته وصحة قول مجاهد الذي ذكره المصنف الأخبار المستفيضة الدالة على نزول ماسبق من الآيات وغيرها فيه ، بل حكى ابن حجر أيضاً عن ابن عساكر عن ابن عباس انه قال : نزل في علي ثلاثمائة آية بل في ينابيع المودة عن الطبراني عن ابن عباس انه قال نزل في علي اكثر من ثلاثمائة آية في مدحه ، وأنت تعلم ان كثرة نزول الكتاب بمدح شخص ، ولو لأدنى مناسبة دليل على فضله على غيره وعظمته عند الله سبحانه ، والأفضل هو الامام ، لاسيما وقد كانت الآيات مختلفة البيان فبعضها يفيد تفضيله وبعضها يفيد عصمته وبعضها وجوب اتباعه وبعضها انه المسؤل عن ولايته الى غير ذلك مما سبق .

واما قول الفضل ان ماينقله المصنف «ره» عن مسند أحمد يدل على ان أهل السنة لايألون جهداً في ذكر فضائل امير المؤمنين وانه لو كان نص في امامته لنقلوه ، فباطل إذ كيف يروون مايرونه نصاً مع ماعرفت في المقدمة من احوال ملوكهم وعلمائهم وعوامهم مع من يروي له فضيلة . فكيف بمن يروي مايرونه نصاً عليه ، وقد عرفت أيضاً في الآية الخامسة والعشرين ان الزمخشري حكم بكراهة الصلاة على آل محمد (ص) اذا افردوا بالذكر لأنه يؤدي الى الاتهام بالرفض ، مع اعترافه برجحان الصلاة عليهم بالكتاب والسنة ، فكيف يروي أحدهم النص الصريح على إمامة علي «ع»، بل كيف يروون النص عليه وهو خلاف مذهبهم كما يشهد له مافي مسند احمد (٢) حيث اخرج عن ابي هريرة عن النبي «ص» قال : (يهلك امتي هذا الحي من قريش) قالوا : فما تأمرنا يارسول الله ؟ قال : (لو ان الناس اعتزلوهم) : (قال عبد الله بن احمد قال أبي في مرضه

(١) في المقام السابق . (٢) ص ٣٠١ من الجزء الثاني .

اضرب على هذا الحديث فانه خلاف الأحاديث عن النبي «ص» ـ يعني قوله : اسمعوا وأطيعوا واصبروا ـ) ، فأنت ترى ان أحمد أمر بالضرب على هذا الحديث مع صحة سنده عندهم لمخالفته للاحاديث الدالة على السمع والطاعة لأئمة الجور والضلالة ، وكيف يروي هو أو غيره مايعتقدونه نصاً على إمامة أمير المؤمنين «ع» وخلافته للنبي «ص» المستلزم لظلم الأولين له وبطلان خلافتهم ؛ وما روى اكثر الخصوم فضائل أهل البيت إلا لتوهينها أودفع وصمة النصب الخبيثة عنهم أوللفخر بالاطلاع ، أوغيرذلك من الغايات الفاسدة ، ومع ذلك ترى جملة ممن رواها ساقطاً عندهم اذا توهموا فيه حب أهل البيت «ع» وان كان من أعلامهم ، فكان من إتمام الله تعالى الحجة عليهم ان أجراها على ألسنة أقلامهم لئلا يقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين ، ولا يضرها الطعن بالسند لصحة الكثير منها عندهم واستفاضة أكثرها مع مابيناه في المقدمة ، كما لا يضرها توهين الدلالة فان الكثير منها صريح الدلالة وما آفتها إلا عناد المخاصمين كما عرفته في جملة مما سبق ، وتعرفه في حديث المنزلة والثقلين ونحوها . ولو نقلوا أحاديث فضائل أمير المؤمنين «ع» على وجهها لظهر لك كيف دلالتها على إمامته حتى انهم لم ينقلوا من نص الغدير إلا اليسير وأخفوا اكثر مافيه الصراحة الذي يقطع كل عاقل بوجوده ، إذ لا يمكن أن يجمع النبي «ص» نحو مائة الف من المسلمين ويقوم فيهم بحر الحجاز وقت الظهيرة على منبر يقام له من الأحداج ويخطبهم لداعي حضور أجله ، وهو لا يقول ألا من كنت مولاه فعلي مولاه أو بزيادة قليلة عليه ، ومع ذلك لا يريد إلا بيان ان علياً ناصر لمن كنت ناصره أو نحوه ؛ ماأظن أن عاقلا يرتضيه .

(آية فاسألوا أهل الذكر)

قال المصنف أجزل الله ثوابه

(الثالثة والثمانون) روى الحافظ محمد بن موسى الشيرازي من علماء الجمهور واستخرجه من التفاسير الاثنى عشر عن ابن عباس في قوله تعالى : (فاسألوا أهل

الذكر) «١» قال : هم محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين هم أهل الذكر والعلم والعقل والبيان ، وهم أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة ، والله ماسمي المؤمن مؤمناً إلا كرامة لأمير المؤمنين ورواه سفيان الثوري عن السدي عن الحارث .

وقال الفضل : ليس هذا من روايات أهل السنة وهي أشياء تدل على فضيلة آل العباء وهذا أمر لاريب فيه ولا ينكره إلا المنافق ولا يعتقده إلا المؤمن الخالص ولكن لا يثبت به النص .

وأقول

الحافظ المذكور هو من علماء القوم والتفاسير الاثنى عشر من أشهر تفاسير قدمائهم كما سيذكرها المصنف «ره» في مطاعن الصحابة فانكار الفضل لكونه من روايات تفاسيرهم انكار بارد وظني انه لم ير كتاب الحافظ المذكور وانكر رجماً بالغيب ، ويعضد هذه الرواية مانقله في ينابيع المودة «٢» عن تفسير الثعلبي عن جابر بن عبد الله قال : قال علي «ع» : نحن أهل الذكر .

و الذكر في القرآن قد اطلق على معنيين مناسبين للمقام نبّه عليهما إمامنا الصادق «ع» وقال نحن أهل الذكر بكلا المعنيين : أحدهما رسول الله «ص» قال تعالى في سورة الطلاق (قد انزل الله اليكم ذكراً رسولا يتلوعليكم آيات الله) وثانيهما القرآن وهو في الكتاب العزيز كثير كقوله تعالى : (وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم) وقوله تعالى : (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) ومن الواضح ان أهل البيت أهل الذكر بكلا المعنيين ، كما سبق عن إمامنا «ع» لأنهم أهل رسول الله «ص» وأهل القرآن لأن علم القرآن عندهم وهما الثقلان اللذان لايفترقان ، والأظهر إرادة المعنى الثاني في قوله تعالى : (واسألوا أهل الذكر) ولا ينافي إرادة الأول دخول رسول الله « ص » في أهل الذكر على الرواية التي نقلها المصنف «ره» لصحة إطلاق أهل رسول الله «ص» على مايشمله تغليباً . وعلى كلا المعنيين فأمر الله سبحانه بسؤالهم دليل على ان لهم العلم

(١) النحل ٤٣ والأنبياء ٧ . (٢) في الباب التاسع والثلاثين .

الوافر والامتياز والفضل على الناس فتكون الامامة فيهم ، مع ان قوله في الحديث والله ماسمي المؤمن مؤمناً إلا كرامة لأمير المؤمنين قد تضمن من بيان الفضل على غيره مالا يوازيه بيان وقريب منه قوله هم أهل الذكر والعلم والعقل والبيان إلى آخره .

(آية عم يتساءلون)

قال المصنف قدس سره

(الرابعة والثمانون) وعن الحافظ في قوله تعالى : (عم يتساءلون عن النبأ العظيم) باسناده إلى السدي عن رسول الله «ص» ان ولاية علي يتساءلون عنها في قبورهم فلا يبقى ميت في شرق ولا غرب ولا في بر ولا بحر إلا ومنكر ونكير يسألانه عن ولاية أمير المؤمنين «ع» بعد الموت يقولون للميت من ربك وما دينك ومن نبيك ومن إمامك ، وعنه عن ابن مسعود قال : وقعت الخلافة من الله تعالى لثلاثة نفر آدم في قوله تعالى : (اني جاعـل في الأرض خليفة) «١» وداود (انا جعلناك في الأرض خليفة) «٢» وأميرالمؤمنين (ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم) «٣» داود وسليمان (وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم) يعني الاسلام (وليبدلنهم من بعـد خوفهم) يعني من أهل مكة (امنا) يعني في المدينة (يعبـدونني لا يشركون بي شيئاً) يعني يوحدونني (ومن كفر بعد ذلك) بولاية علي (فاولئك هم الفاسقون) يعني العاصين لله ولرسوله . وهذا كله نقله الجمهور واشتهر عنهم وتواتر .

وقال الفضل : ماذكر أن المراد بعم علي فلا يصح بحسب المعنى والتركيب ، ويكون هكذا (علي يتساءلون عن النبأ العظيم) وأنت تعلم ان هذا تركيب فاسد ، واما ماذكر من السؤال في القبر عن ولاية علي فلم يثبت هذا في الكتاب ولا السنة ولو كان من المسؤلات في القبر لكان ينبغي ان يعلمنا رسول الله «ص» وتواتر واشتهر كما اشتهر باقي أركان الاسلام ، واما مانقل عن ابن مسعود انه وقعت الخلافة من الله لثلاثة آدم وداود

---

(١) البقرة . الآية ٢٨ . (٢) سورة ص . الآية ٢٥ . (٣) النور . الآية ٥٤ .

وعلي فآدم وداود قد صرح باسمهما في الخلافة في القرآن واما أن يكون المراد من قوله ليستخلفنهم علي فحسب فغير ظاهر ولا خبر صحيح يدل على هذا ، بل الظاهر يشمل الخلفاء الأربع وملوك العرب في الاسلام ، فان ظاهر الآية ان الله وعد المؤمنين بأن يجعلهم خلفاء الأرض وينزع الملك من كسرى وقيصر ويؤتيه المؤمنين ، وهذا مضمون الآية وما فسره في الآية فكله من باب التفسير بالرأي ، وما ذكر ان كل الأشياء التي ذكرها نقله الجمهور واشتهر عنهم وتواتر فهذا كذب أظهر وأبين من كذب مسيلمة الكذاب لأن مراده من الجمهور أهل السنة والجماعة وليس كل ماذكر متواتراً عند أهل السنة وكأنه لا يعلم معنى التواتر .

وأقول

ماذكره في صدر كلامه دليل الغفلة أو المغالطة ، إذ لا يتصور أحد ان الرواية أو ذكر المصنف «ره» نزول الآية في علي «ع» يقتضي كون مجموع الجار والمجرور علياً ، ضرورة ان صريح الرواية ان المراد بالمجرور وهو ما الاستفهامية ولاية علي«ع» التي هي النبأ العظيم ، ويحتمل أن يكون النبأ العظيم علياً نفسه وانه المسؤل عنه ، لكن لما كان السؤال عنه لأجل التقرير بولايته عبرت الرواية بالسؤال عن ولايته ، وأشار الشاعر الى انه المراد بالنبأ العظيم بقوله :

هو النبأ العظيم وفلك نوح　　　　وباب الله وانقطع الخطاب

واما مازعمه من عدم ثبوت السؤال عن ولاية علي في القبر ، فيكفي في ثبوته هذه الرواية المؤيدة بالأخبار السابقة في الآية الحادية عشرة وهي قوله تعالى : (وقفوهم انهم مسؤلون) واما قوله ولوكان من المسؤلات لكان ينبغي أن يعلمنا رسول الله«ص» وتواتر ، فيرد عليه ان النبي «ص» اعلمهم به كما في هذه الرواية ونحوها وقد تواترعندنا وإنما لم يتواتر عندهم لأنه على خلاف رأي ملوكهم ، وكيف لا يسأل عن ولاية علي وإمامته والامامة كالنبوة من أركان الايمان واصول الدين كما سبق ، فاذا كان علي «ع» هو المسؤل عن إمامته فيقال الميت : من إمامك ؟ كان هو الامام لا من قبله

وإلا لوقع السؤال عنه بالأولوية .

واما ماروواه المصنف «ره» عن ابن مسعود : فيؤيده ان الاستخلاف المذكور في قوله تعـالى : (ليستخلفنهم) مسند إلى الله تعالى ، وهو مطابق بظاهره لمذهبنا في الامامة لا لمذهب القوم فيها فانها عندهم إنما تثبت بالاختيار لاباستخلاف الله سبحانه ، مع ان الآية صريحة بتمكين الخليفة من دين الله الذي ارتضاه وهو فرع العلم بالدين كله والخلفاء الثلاثة ليسوا كذلك ، وأظهر منهم بعدم الارادة بقية ملوك العرب كمعاوية ويزيد والوليد وأشباههم ، بل الظاهر دخولهم في قوله تعالى بعد هذا القول : (ومن كفر بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون) كما بينه الزمخشري بقوله في تفسير الآية : (انجز الله وعده وأظهرهم على جزيرة العرب وافتتحوا بعد بلاد المشرق والمغرب ومزقوا ملك الأكاسرة وملكوا خزائنهم واستولوا على الدنيا ثم خرج الذين على خلاف سيرتهم فكفروا بتلك النعم وفسقوا وذلك قوله «ص» : الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم يملك الله من يشاء فتصير ملكا ثم تصير بزيزى قطع سبيل وسفك دماء وأخذ أموال بغير حقها) فان كلامـه كما ترى دال على ماقلناه من كفر بقية ملوك العرب وان أخطأ في دعوى إرادة الاستخلاف للخلفاء الأربعة جميعاً لما عرفت من عدم تمـكين الثلاثة من الدين الذي ارتضاه ؛ ولأن الاستخلاف من الله تعالى إنما هو لعلي واما غيره فامامته بالاختيار

ولنـذكر كلام الرازي هنا لأن به وبرده تمام المطلوب قال : « المسألة الثامنة دلت الآية على إمامة الأئمة الأربعة وذلك لأنه تعالى وعد الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الحاضرين في زمن محمد «ص» وهو المراد بقوله ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وان يمكن لهم دينهم المرضي وان يبدلهم بعد الخوف أمناً ومعلوم ان المراد بهذا الوعد بعد الرسول هؤلاء لأن استخلاف غيره لايكون إلا بعده ومعلوم انه لا نبي بعده لأنه خاتم النبيين ، فاذن المراد بهذا الاستخلاف طريقة الامامة ومعلوم ان بعد الرسول الاستخلاف الذي هذا وصفه إنما كان في أيام أبي بكر وعمر وعثمان لأن في أيامهم كانت الفتوح العظيمة وحصل التمـكين وظهور الدين والامن ولم يحصل في أيام علي لانه لم يتفرغ للجهاد لاشتغاله بمحاربة من خالفه من أهل الصلاة فثبت بهذا

دلالة الآية على صحة خلافة هؤلاء » .

« (فان قيل) الآية متروكة الظاهر لانها تقتضي حصول الخلافة لكل من آمن وعمل صالحاً ولم يكن الامر كذلك (نزلنا) عنه لكن لم لايجوز أن يكون المراد من قوله ليستخلفنهم هو انه تعالى يسكنهم في الارض ويمكنهم من التصرف لاان المراد منه خلافة الله تعالى ومما يدل عليه قوله كما استخلف الذين من قبلهم واستخلاف من كان قبلهم لم يكن بطريق الامامة فوجب أن يكون الامر في حقهم أيضاً كذلك (نزلنا) عنه لكن ههنا مايدل على انه لايجوز حمله على خلافة رسول الله «ص» لأن مذهبكم انه «ص» لم يستخلف أحداً وروي عن علي انه قال : أترككم كما ترككم رسول الله «ص» (نزلنا) عنه لكن لم لايجوز أن يكون المراد منه علياً والواحد قد يعبر عنه بلفظ الجمع على سبيل التعظيم كقوله تعالى انا أنزلناه في ليلة القدر وقال تعالى في حق علي والذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ، (نزلنا) عنه ولكن نحمله على الأئمة الاثني عشر » .

« والجواب عن (الأول) ان كلمة من للتبعيض فقوله منكم يدل على ان المراد بهذا الخطاب بعضهم ، وعن (الثاني) ان الاستخلاف بالمعنى الذي ذكرتموه حاصل لجميع الخلق فالمذكور هنا في معرض البشارة لابد أن يكون مغايراً له ، واما قوله كما استخلف الذين من قبلهم فالذين كانوا قبلهم خلفاء تارة بسبب النبوة وتارة بسبب الامامة والخلافة حاصلة بالصورتين ، وعن (الثالث) انه وان كان من مذهبنا انه «ص» لم يستخلف أحداً بالمعنيين ولكنه قد استخلف بذكر الوصف والأمر بالاختيار ، فلا يمتنع في هؤلاء الأئمة الأربعة انه تعالى يستخلفهم وان الرسول استخلفهم وعلى هذا الوجه قالوا في أبي بكر ياخليفة رسول الله فالذي قيل انه عليه السلام لم يستخلف اريد به على وجه التعيين واذا قيل استخلف فالمراد على طريقة الوصف والامر ، وعن (الرابع) ان حمل لفظ الجمع على الواحد مجاز وهو خلاف الأصل ، وعن (الخامس) انه باطل لوجهين : { أحدهما } قوله تعالى منكم يدل على ان هذا الخطاب كان مع الحاضرين وهؤلاء الأئمة ماكانوا حاضرين {الثاني} انه تعالى وعدهم القوة والشوكة والنفاذ في العالم ولم يوجد ذلك فيهم

«فثبت بهذا هذا صحة إمامة الأئمة الأربعة ، وبطل قول الرافضة الطاعنين على أبي بكر وعمر وعثمان وبطلان قول الخوارج الطاعنين على عثمان وعلي » انتهى كلام الرازي .

وأقول الكلام معه في هذه الآية الكريمة إنما هو بالنظر إلى مايستفاد من ظاهرها بلا نظر إلى ماورد في تفسيرها فانها عليه نازلة في أمير المؤمنين «ع» كما عرفتـه في رواياتهـم أو في الحجة المنتظر كما ورد في اخبارنا ، ويمكن الجمع بين الأخبار بارادة الاستخلاف لهما معاً .

وعليه فبالنظر الى ظاهرها يرد على كلامه امور : (الأول) ان قوله ان المراد بهذا الوعد بعد الرسول هؤلاء لأن استخلاف غيره لايكون إلا بعده إلى آخره ، غيرمتجه لان المراد بقوله تعالى ليستخلفنهم بحسب ظاهره هو الاستخلاف عمن قبلهم من الامم لا عن النبي «ص» ، فيمكن أن يراد استخلاف المؤمنين وتمكينهم من الدين وتبديل خوفهم أمناً في زمن النبي «ص» ، ولو سلم ان المراد الاستخلاف عن النبي «ص» فلا يتجه حمله على الاستخلاف في أيام الثلاثة إذ لم يحصل لهم التمكين من الدين الذي ارتضاه الله تعالى وأكمله لجهلهم بكثير منه ، بل قد يقال ان ظاهر الآية لايلائم الحمل على الاستخلاف في أيام النبي «ص» وفي أيام الثلاثة وأيام أمير المؤمنين «ع» لظهور الآية في وقوع الاستخلاف في الارض كلها أو أكثرها فينبغي حمله على الاستخلاف أيام الحجة المنتظر عجل الله فرجه (الثاني) ان قوله ولم يحصل ذلك في أيام علي إلى آخره مناف لما زعمه في صدر كلامه من دلالة الآية على خلافة الاربعة جميعاً ، على ان تعليله له بقوله لانه لم يتفرغ لجهاد الكفار عليل إذ لم تشترط الآية في حصول الاستخلاف أن يكون بجهاد المستخلف نفسه للكفار ؛ ولعله أشار بقوله لاشتغاله بمحاربة من خالفه من أهل الصلاة إلى الطعن في حرب أمير المؤمنين بأنه حارب المصلين ، أو إلى تفضيل حرب من سبقه على حربه لأنهم حاربوا الكفار وهو حارب أهل الصلاة ، وكأنه لم يعلم بما رواه أصحابه من ان رسول الله «ص» قال ان منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله ، فقام اليه أبو بكر ثم عمر وقال كل منهما أنا هو ؟ فقال «ص» : لا ولكنه خاصف النعل ـ يعني علياً ـ فانه دال على ان حرب علي «ع» كحربه «ص»

مأمور به من الله سبحانه دون حرب الرجلين ، فلم يحارب أمير المؤمنين (ع) إلا مهدور الدم ومن لا تقبل صلاته ولم يحارب الرجلان حربا مشروعا واقعاً على تنزيل القرآن أو تأويله فانهما عزلا من له المنصب والحرب الالهية وحاربا بلا أمر منه فكانا كمن عزل رسول الله (ص) وحارب باستقلاله (الثالث) ان جوابه عن الاشكال الثالث بدعوى ثبوت الاستخلاف بالوصف والأمر غير صحيح لانا لو لم نقل بالنص على أمير المؤمنين (ع) فلا دليل على الاستخلاف أصلا لا بالتعيين ولا بالوصف كما هو ظاهر ، ولا بالامر بالاختيار إذ غاية ما استدلوا به على الامر بالاختيار هو الاجماع وقد أوضحنا لك كذبه في أوائل مباحث الامامة ، وقوله وعلى هذا الوجه قالوا في أبي بكر ياخليفة رسول الله تخمين محض وفرية اخرى كما سيأتي ان شاء الله تعالى في أول مآخذ أبي بكر (الرابع) ان دعواه في الجواب عن الرابع مجازية حمل الجمع على الفرد مسلمة لكن لا بد من المصير إلى هذا المجاز لقيام القرينة عليه كالرواية التي سمعتها الدالة على النزول بأمير المؤمنين وكنسبة الاستخلاف إلى الله لا إلى الناس ، وكالقرينة العقلية المانعة من النزول في الثلاثة كعدم تمكينهم من الدين ونحوه (الخامس) ان ماذكره من الوجهين لابطال الخامس ليس في محله ، اما الوجه الأول فلصحة خطاب الجمع بحضور البعض تغليباً للحاضرين على الغائبين فلا يكون عدم حضور أئمتنا الاثنى عشر مانعاً من الوعد لهم لاسيما وقد حضر عظماؤهم وهم أمير المؤمنين والحسنان (ع) واما الثاني فلأن الوعد للأئمة بالقوة لا يتوقف على ثبوتها لكل فرد منهم بل يكفي ثبوتها لبعضهم كأمير المؤمنين والامام المنتظر لأن قوة البعض قوة للجميع ؛ على ان القوة حاصلة لكل منهم في الرجعة كما جاءت به أخبارنا .

واعلم ان الآية التي نحن فيها وما قبلها وما بعدها من الآيات مرتبطة ظاهراً بعموم المسلمين الحاضرين حال الخطاب ولكنه تعالى خص الوعد ببعضهم وهم الذين وصفهم الله سبحانه بالذين آمنوا وعملوا الصالحات فينبغي أن يكون غير هذا البعض غير موصوفين بهذا الوصف أما لعدم عملهم بالصالحات أو لكونهم غير مؤمنين أي غير كاملي الايمان أو غير ثابتي الايمان لانهم غير مسلمين ولا مؤمنين أصلا لفرض تعلق

الآيات بالمسلمين ، فالبعض الموعود بالاستخلاف ممتاز إما بعمل الصالحات أو كمال الايمان أو ثباته ، وما هو إلا أمير المؤمنين وأبناؤه الاطهار المعصومون ، لأن الخلفاء الثلاثة فضلا عن غيرهم ليسوا كذلك ولو لفرارهم من الزحف وتخلفهم عن جيش اسامة وشك عمر يوم الحديبية إلى كثير مما صدر عنهم مما ينافي كمال الايمان وعمل الصالحات .

هذا واما قول الفضل وليس كل ماذكر متواتراً عند أهل السنة فسلم اذا أراد التواتر لفظاً ، واما معنى بلحاظ الامامة فممنوع لأن كل واحد مما ذكر مفيد لامامة أمير المؤمنين (ع) ، فامامته متواترة معنى كما تواترت شجاعته ، بل قد يدعى تواتر بعض ماذكر بخصوصه معنى أو لفظاً ولا سيما مع ضم اخبارنا إلى أخبارهم .

((خاتمة))

قد عثرنا في أثناء الكلام في الآيات على آيات اخر ذكرها القوم مضافا إلى ماسبق من الآيات التي ذكرها المصنف (ره) ، فمنها ماسبق في بيان الآية الثانية وهو قوله تعالى : (سأل سائل بعذاب واقع) «١» ، ومنها ماسبق في الآية الرابعة وهو قوله تعالى : (ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسناً) «٢» ومنها ماسبق في أثناء بيان الآية الثامنة والخمسين وهو قوله تعالى : (من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون) «٣» ومنها ماتقدم في الآية الثامنة والسبعين وهو قوله تعالى : (في بيوت أذن الله أن ترفع) وقد أحببت أن أذكر أيضاً مما عثرت عليه مابه تمام مائة وهو اثنتى عشرة آية :

« الاولى » قوله تعالى من سورة آل عمران ـ ٩٨ : (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا) قال ابن حجر في الصواعق عند كلامه في هذه الآية وهي الآية الخامسة من الآيات النازلة في أهل البيت : « أخرج الثعلبي في تفسيرها عن جعفر الصادق انه قال : نحن حبل الله الذي قال واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا » ومثله في ينابيع

---

(١) المعارج الآية : ١ . (٢) الشورى الآية ٢٣ . (٣) النمل الآية : ٨٩ .

المودة عن الثعلبي وزاد عن المناقب. عن ابن عباد قال : « كنا عند النبي (ص) إذ جاء أعرابي فقال : يارسول الله سمعتك تقول واعتصموا بحبل الله فما حبل الله الذي نعتصم به ؟ فضرب النبي (ص) يده في يد علي (ع) وقال : تمسكوا بهذا هو حبل الله المتين » والمراد بحبل الله السبب الواصل بين الله سبحانه وعباده وبالاعتصام به اتباعه والتمسك به و بعدم التفرق عنه عدم مخالفة أحد له وهذا معنى اتخاذ الامة له إماماً ، ويؤيده حديث الثقلين وما رواه الحاكم وصححه (١) عن ابن عباس قال : قال رسول الله (ص) : « النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق وأهل بيتي أمان لامتي من الاختلاف فاذا خالفتها قبيلة من العرب اختلفوا فصاروا حزب ابليس » والظاهر ان المراد بكونهم أماناً من الاختلاف انهم بالنص عليهم يرتفع الخلاف في الامامة لتعيين الامام من الله تعالى وعدم إرجاع أمر الامامة إلى اختيار الناس حتى يحصل بسببه الاختلاف .

« الثانية » قوله تعالى من سورة طه ـ ٨٤ : (واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى) ففي الصواعق عند الكلام في هذه الآية وهي الآية الثامنة من الآيات النازلة في أهل البيت قال : (قال ثابت البناني اهتدى إلى ولاية أهل بيت نبيه وجاء ذلك عن أبي جعفر الباقر) وفي ينابيع المودة عن أبي نعيم بسنده عن علي « ع » قال في هذه الآية اهتدى إلى ولايتنا ، ثم نقل في الينابيع نحو هذا كثيراً . والمراد بالولاية الامامة لأنها هي التي تعتبر في الغفران ويناسب تعلق الهداية بها ؛ ولو سلم ان المراد بالولاية المحبة فهو دليل على فضلهم على الامة إذ لا تعتبر محبة غيرهم في الغفران ، والأفضلية تقتضي الامامة ، وإنما عطف سبحانه الهداية بثم ، مع انه قد عطف ماقبلها بالواو ، للنظر اليها بعين الاستقلال الدال على تميزها والاهتمام بها لا لانحطاط رتبتها عما قبلها . ضرورة ان الاهتداء إلى الامامة أو محبتهم خير الأعمال الصالحة ومن لم يوالهم فهو منافق .

« الثالثة » قوله تعالى من سورة الزمر ـ ٢٢ : (أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله اولئك في ضلال مبين) قال الواحدي في أسباب النزول : « نزلت في حمزة وعلي (ع) وأبي لهب وولده ، فعلي

(١) ص ١٤٩ من الجزء الثالث .

وحمزة ممن شرح الله صدره للاسلام ، وأبو لهب وأولاده الذين قست قلوبهم عن ذكر الله » فقد شهد الله سبحانه بأنه قد شرح صدر علي وحمزة للاسلام وانهما على نور من ربهما ، ولا شك ان من هو كذلك يلتزم بكل أحكام الاسلام اصولا وفروعا فيكون معصوماً أو بحكمه وأفضل الامة ، ولا ريب ان علياً [ع] اكمل في ذلك من حمزة فيكون إمام الامة .

« الرابعة » قوله تعالى من سورة الحج ـ ٢٠ : (هذان خصمان اختصموا في ربهم فالذين كفروا قطعت لهـم ثياب من نار) إلى قوله تعالى ـ ٢٣ : (ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً ولباسهم فيها حرير وهدوا إلى الطيب من القول وهدوا إلى صراط الحميد) روى الحاكم في تفسير سورة الحج من المستدرك (١) عن قيس بن عباد قال : سمعت أباذر يقسم لنزلت هذه الآية في هؤلاء الرهط الستة في يوم بدر : علي وحمزة وعبيدة وعتبة والوليد (هذان خصمان اختصموا في ربهم) إلى قوله تعالى : (نذقه من عذاب أليم) ، وقال السيوطي في الدر المنثور أخرج عبد بن حميد عن لاحق بن حميد قال : نزلت هذه الآية يوم بدر (هذان خصمان اختصموا في ربهم فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار) في عتبة وشيبة والوليد ونزلت (ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات) إلى قوله (وهدوا إلى صراط الحميد) في علي وحمزة وعبيدة ، وقال السيوطي أيضاً أخرج سعيد بن منصور وابن أبي شيبة وعبد بن حميد والبخاري ومسلم والترمذي وابن ماجة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن أبي ذر انه كان يقسم قسما ان هذه الآية (هذان خصمان اختصموا في ربهم) إلى قوله (ان الله يفعل مايريد) نزلت في الثلاثة الذين تبارزوا يوم بدر وهم حمزة وعبيدة وعلي وعتبة وشيبة والوليد ، قال علي : أنا أول من يجثو للخصومـة على ركبتيه بين يدي الله يوم القيامة .

أقول : جعله لنهاية هذه الآيات قوله تعالى (ان الله يفعل مايريد) خطأ بل هو

(١) ص ٣٨٦ من الجزء الثاني .

نهاية لآية اخرى قبل الآيات المذكورة وهي قوله : (ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار ان الله يفعل ما يريد) ، فلعل بعض من نقل عنهم السيوطي قد ذكر نزول هذه الآية أيضاً في علي وحمزة وعبيدة فغفل عن البيان .

وقال السيوطي أيضاً أخرج ابن أبي شيبة والبخاري والنسائي وابن جرير والبيهقي من طريق قيس بن عباد عن علي «ع» ، قال : أنا أول من يجثو بين يدي الرحمن للخصومة قال قيس فيهم نزلت (هذان خصمان اختصموا في ربهم) قال : هم الذين بارزوا يوم بدر علي وحمزة وعبيدة وشيبة وعتبة والوليد .

ودلالة الآيات على المطلوب ظاهرة لبشارتها لعلي بالجنة مع علمه بذلك لأن عنده علم الكتاب وهو قرين له وقد مر مراراً دلالة مثل ذلك على إمامته «ع» كما أوضحناه في الآية الثانية والثلاثين .

« الخامسة » قوله تعالى في سورة القصص ـ ٦١ : (أفمن وعدناه وعداً حسناً فهو لاقيه كمن متعناه متاع الحياة الدنيا ثم هو يوم القيامة من المحضرين) روى الواحدي في أسباب النزول عن مجاهد قال : نزلت في علي وحمزة عليهما السلام وأبي جهل لعنه الله وهي كالآية التي قبلها فى الدلالة على المدعى وكذا الآية الآتية :

« السادسة » وهي قوله تعالى فى آخر سورة المجادلة ـ : (اولئك كتب فى قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتهم الأنهار خالدين فيها) قال فى الكشاف نزلت فى علي وحمزة وعبيدة بن الحارث قتلوا عتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد ابن عتبة يوم بدر ، ولا يلزم من الدلالة المذكورة فى هذه الآية والتي قبلها إمامة حمزة وعبيدة لعدم علمهما بالنزول فيهم بخلاف أمير المؤمنين «ع» ، مع انهما مفضولان له ولا تجوز إمامة المفضول مع وجود الفاضل مضافاً إلى موتهما قبل النبي «ص» فلا مورد لامامتهما حتى لو قلنا بامكانها .

« السابعة » قوله تعالى فى سورة الأعراف ـ ٤٤ : (وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم) قال فى الصواعق عند الكلام فى هذه الآية وهي الثالثة عشرة من الآيات الواردة فى أهل البيت : أخرج الثعلبي فى تفسيرها عن ابن عباس قال : الأعراف

موضع عال من الصراط عليه العباس وحمزة وعلي وجعفر يعرفون محبيهم ببياض الوجوه ومبغضيهم بسواد الوجوه ، ومثله في ينابيع المودة عن الثعلبي بزيادة روايات اخر عن غيره ، ونقل في كشف الغمة في الآية التي بعدها وهي قوله تعالى : (ونادى أصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم) عن ابن مردويه بسنده عن علي «ع» قال : نحن أصحاب الاعراف من عرفناه بسيماه أدخلناه الجنة . ودلالتها على إمامة أمير المؤمنين واضحة كما أشرنا اليها في الآيات الثلاث التي قبلها وأوضحناها في الآية الثانية والثلاثين وغيرها ، ولا ينافيها عدم صلوح العباس للامامة عندنا مع بقائه بعد النبي « ص » ووضوح دلالة هذه الرواية على كونه من أهل الجنة ، وذلك لعدم علمه بأنه من أصحاب الأعراف ولو فرض علمه به فمفضوليته مانعة من إمامته فضلا عن وضوح عدم عصمته .

« الثامنة » قوله تعالى من سورة الجاثية ـ ٢٠ : (أم حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات) قال الرازي في تفسيره : قال الكلبي نزلت في علي وحمزة وعبيدة وفي ثلاثة من المشركين عتبة وشيبة والوليد ، وقال سبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص قال السدي عن ابن عباس نزلت في علي يوم بدر . دلت الآية على عدم المساواة بين المطيع والعاصي ، ولا ريب ان غيره قد اجترح السيئات إذ لاأقل من الفرار من الزحف فلا يساوون علياً « ع » فهو أحق منهم بالامامة .

« التاسعة » قوله سبحانه في سورة والضحى : (ولسوف يعطيك ربك فترضى) قال في الصواعق عند الكلام في هذه الآية وهي العاشرة من الآيات الواردة بأهل البيت «ع» نقل القرطبي عن ابن عباس انه قال رضى محمد { ص { ان لايدخل أحد من أهل بيته النار ، وقاله السدي ، ثم استشهد ابن حجر له بأخبار كثيرة ، و (أقول) هو غني عن الاستشهاد له بالنسبة إلى علي «ع» ضرورة ان من رضي رسول الله (ص) دخول علي الجنة وعدم دخوله النار ، وهومن أوضح ماتقتضيه الآية ويعلمه علي (ع) منهافيكون مما اعلمه الله به وبشره فتثبت إمامته كما عرفت وجهه في الآيات السابقة وغيرها

« العاشرة » قوله تعالى في سورة المطففين : (ان الذين أجرموا كانوا من الذين

آمنوا يضحكون) ذكر الرازي في تفسيره انه جاء علي (ع في نفر من المسلمين فسخر منه المنافقون وضحكوا وتغامزوا ثم رجعوا إلى أصحابهم ، فقالوا رأينا اليوم الأصلع فضحكوا منه ، فنزلت هذه الآية قبل أن يصل علي (ع) إلى رسول الله (ص) ، ومثله في الكشاف . ودلالتها على المطلوب باعتبار تمام الآيات ، وهي قوله تعالى : (فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون على الأرائك ينظرون) فانها دالة على بشارة علي (ع) بالجنة القاضية بامامته كما سبق ، ولا ريب ان اهتمام الكتاب العزيز فيما يتعلق بعلي (ع) حتى نزل في مثل هذا الأمر اليسير في الظاهر لأكبر دليل على عظمته عند الله عز وجل وفضله على الامة كلها

« الحادية عشرة » قوله تعالى : (والشمس وضحاها) الآيات من سورة الشمس ، حكى السيوطي في اللئالي المصنوعة عن الخطيب في السابق واللاحق بسنده عن ابن عباس مرفوعا اسمي في القرآن والشمس وضحاها ، واسم علي والقمر اذا تلاها ، واسم الحسن والحسين والنهار اذا جلاها ، واسم بني امية والليل اذا يغشاها ان الله بعثني رسولا إلى خلقه ، إلى أن قال (ص) فلواء الله فينا إلى يوم القيامة ولواء ابليس في بني امية إلى أن تقوم الساعة وهم أعداء لنا وشيعتهم أعداء لشيعتنا ، ثم قال السيوطي قال الخطيب منكر جداً بل موضوع والحرضي وموسى وأبوه مجهولان . (أقول) لاعبرة باستنكارهم فانهم لما جحدوا الحق استنكروه واشتمال سنده على المجاهيل عندهم لايقتضي الوضع وإلا لزم الحكم بوضع الكثير من أخبار الصحاح الستة ، فقد بيّنا في المقدمة جملة من المجاهيل الذين رووا عنها في هذه الصحاح كما حققنا فيها وناقة من يروي فضيلة لآل محمد (ص) أو رذيلة لأعدائهم ، ومنه يعلم مافي تكذيب الذهبي للحديث لاشتمال سنده على مجاهيل حيث أشار إلى الحديث بترجمة محمد بن عمرو الحوضي من ميزان الاعتدال .

ودلالتها على المطلوب من وجهين : (الأول) انها سمت علياً (ع) قمراً وهو أنور النيرات بعد الشمس فيكون اشارة الى فضله على الامة وعظم نفعه لهم والأفضل هو الامام ، ولا سيما قد قال تعالى : (اذا تلاها) مشيراً إلى أنه تال لرسول الله (ص) في

خلافته له وفضله وفائدته للامة وإلا لخلا هذا الشرط عن كثير فائدة (الثاني) انها عبرت عن بني امية بالليل مشيرة إلى ظلمة أمرهم ومنهم عثمان .

« الثانيـة عشرة » قوله تعالى من سورة طه ـ ٢٦ : (رب اشرح لي صدري) الآيات قال السيوطي في الدر المنثور اخرج ابن مردويه والخطيب وابن عساكر عن أسماء بنت عميس قالت : رأيت رسول الله (ص) بازاء ثبير وهو يقول أشرق ثبير أشرق ثبير ، اللهم اني أسألك بما سألك أخي موسى أن تشرح لي صدري وان تيسر لي امري وان تحل عقدة من لساني يفقهوا قولي واجعل لي وزيراً من أهلي علياً أخي اشدد به أزري واشركه في أمري كي نسبحك كثيراً ونذكرك كثيراً انك كنت بنا بصيرا ، وقال السيوطي أيضاً وأخرج السلفي في الطيوريات بسند رواه عن أبي جعفر محمد بن علي (ع) قال لما نزلت (واجعل لي وزيراً من أهلي هرون أخي اشدد به أزري) ، كان رسول الله (ص) على جبل ثم دعا به وقال : اللهم اشدد أزري بأخي علي فأجابه إلى ذلك ، ونقل المصنف (ره) نحوه فيما سيجيء عن أحمد في مسنده ونقل أيضاً نحوه صاحب ينابيع المودة في الباب السابع عشر عن أحمـد في مسنده ، وفي الباب السادس والخمسين عن ذخائر العقبى للطبري عن أحمد في الفضائل ، وكذا نقله سبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص عن أحمد في الفضائل ، وحكى المصنف (ره) في منهاج الكرامة (١) عن أبي نعيم عن ابن عباس قال أخذ النبي (ص) بيد علي وبيدي ونحن بمكة وصلى أربع ركعات ورفع يده إلى السماء فقال : اللهم موسى بن عمران سألك وأنا محمد نبيك أسألك أن تشرح لي صدري وتحل عقدة من لساني يفقهوا قولي واجعل لي وزيراً من أهلي علي بن أبي طالب أخي اشدد به أزري واشركه في أمري ، قال ابن عباس سمعت مناديا ينادي يا أحمد قد اوتيت ماسألت .

وقد سبق في أثناء كلامنا على الآية الاولى من الآيات التي ذكرها المصنف (ره) ان النبي (ص) دعا بمثل هذا الدعاء فنزل قوله تعالى : (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا) الآية وقد نقلناه عن الثعلبي والرازي فراجع وهو مؤيد لهـذه الأخبار كما

(١) في البرهان السابع والثلاثين على إمامة أمير المؤمنين ع .

يؤيدها حديث المنزلة الذي كاد أن يكون متواتراً أو هو متواتر .

واما دلالتها على إمامة أمير المؤمنين (ع) فلافادتها ثبوت خصائص هرون له فيكون مثله في تحمل العلوم ووجوب طاعة الامة له ورياسته عليهم ، لأن هرون شريك موسى في أمره ، فعلي (ع) مثله بالنسبة إلى رسول الله (ص) سوى ان علياً ليس بنبي ، كما استثنى النبوة حديث المنزلة ، ودل الكتاب العزيز على ان محمداً (ص) خاتم النبيين ، فتحمل تلك الأخبار المذكورة على إرادة المشاركة فيما عدا النبوة ، فتثبت لعلي (ع) الامامة والرياسة العامة على الامة حتى في أيام رسول الله (ص) لكنه ساكت في حياة النبي (ص) إلا فيما قل كما سبق بيانه في الآية الاولى .

ومما ذكرنا يعلم ما في مطالبة ابن تيمية بصحة حديث ابن عباس واشكاله عليه بلزوم نبوة علي (ع) واشكل عليه أيضاً بصغر سن ابن عباس قبل الهجرة ، وفيه مع ان صغر مثله غير ضائر انه يحتمل قريباً صدور ما رواه ابن عباس حين الفتح أو في حجة الوداع ، وأشكل عليه أيضاً بما حاصله انكم قلتم ان النبي (ص) دعا بهذا الدعاء عند تصدق علي بخاتمه فنزل قوله تعالى : (إنما وليكم الله ورسوله) الآية وذلك بالمدينة فاذا كان النبي (ص) دعا به قبـــل ذلك بمكة وقد استجيب له فأي حاجة إلى الدعاء به ثانياً بالمدينة ، وفيه أن تكرر الدعاء إنما وقع لاظهار فضل علي (ع) وبيان إمامته مكرراً تأكيداً للحجة ، على ان كلامه يقتضي أن لا يتكرر من النبي (ص) دعاء بالغفران والرحمة والهداية ونحوها فلا يتكرر منه في الصلوات قوله تعالى : (اهـدنا الصراط المستقيم) بل لا يقع منه الدعاء بمثل تلك الامور أصلا لعلمه بتحققها ، ولولا طلب الاحاطة في الجملة لقبح بنا التعرض لكلام هذا ومثله .

واعلم ان هذه الآية الشريفة وان لم يكن لنزولها دخل بأمير المؤمنين (ع) لكن لما أمكن أخذ الدليل لامامته منها بضميمة الاحاديث الحاكية لدعاء النبي (ص) له (ع) بمضمونها صح لنا ذكرها في طي الأدلة القرآنية على إمامته ، وان شئت استبدالها بآية اخرى لاكمال المائة فعليك بمراجعة آيات تعرض لاكثرها في ينابيع المودة ولبعضها في كشف الغمة (كقوله) تعالى في سورة الفاتحة (اهدنا الصراط المستقيم) فقد حكى

في كشف الغمة عن الفر الحنبلي عن بريدة هو صراط محمد وآله ، و (كقوله) تعالى من سورة المؤمنين (إن الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون) فقد نقل في في كشف الغمة عن الفر الحنبلي أن المراد صراط محمد وآله ، ونقل في ينابيع المودة عن الحمويني والمناقب عن أميرالمؤمنين « ع » قال الصراط ولايتنا أهل البيت ، وكقوله سبحانه من سورة المؤمنين أيضاً (إنك لتدعوهم الى صراط مستقيم) ، وكقوله تعالى من سورة الأنعام (إن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) ، وقوله تعالى من سورة البقرة (يأ أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان) ، وقوله عز وجل من سورة الملك (فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا وقيل هذا الذي كنتم به تدعون) وقوله سبحانه من سورة الصف (يريدون ليطفؤا نورالله بأفواههم والله متم نوره) ، وقوله تعالى من سورة لقمان (ومن يسلم وجهه لله وهومحسن فقد استمسك بالعروة الوثقى) ، وقوله تعالى من سورة الزخرف (وجعلها كلمة باقية في عقبه) ، وقوله تعالى من سورة البقرة (وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا الى شياطينهم) الآية ، وقوله تعالى منها (وإذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن) ، وقوله تعالى من سورة النساء (ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين أنعم الله عليهم) الآية ، ونزولها محكي عن تفسير ابن الحجام من غير الينابيع وكشف الغمة ، فمن التفسير المذكور أن علياً قال يارسول الله هل نقدر أن نزورك في الجنة كلما أردنا ؟ فنزلت ، فدعا رسول الله « ص » علياً « ع » فقال إن الله قد أنزل بيان ماسألت فجعلك رفيقي لأنك أول من أسلم وأنت الصديق الأكبر ، الى غير ذلك مما لا يخفى على المتتبع ولو ذكرنا لك ما رونه كتب الامامية في نزول آيات اخر في أميرالمؤمنين وأهل البيت الطاهرين لأمكن بلوغ الآيات النازلة بهم ثلاثمائة أو تزيد فراجع وتدبر تصب طريق الرشاد .

تعيين امامة علي بالسنة

١ - حديث النور

قال المصنف رفع الله منزلته

وأما (السنة) فالأخبار المتواترة عن النبي « ص » الدالة على امامته وهي أكثر من أن تحصى وقد صنف الجمهور وأصحابنا في ذلك وأكثروا ، ولنقتصر هاهنا على القليل فان الكثير غير متناه ، وهي أخبار « الأول » ما رواه احمد بن حنبل في مسنده قال صلى الله عليه وآله : « كنت أنا وعلي بن أبي طالب نوراً بين يدي الله قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر الف عام فلما خلق الله آدم قسم ذلك النور جزءين فجزء أنا وجزء علي » وفي حديث آخر رواه ابن المغازلي الشافعي « فلما خلق الله آدم ركب ذلك النور في صلبه فلم يزل في شيء واحد حتى افترقنا في صلب عبدالمطلب فيّ النبوة وفي علي الخلافة » وفي خبر آخر رواه ابن المغازلي عن جابر في آخره حتى قسمه جزءين فجعل جزءاً في صلب عبد الله وجزءاً في صلب أبي طالب فأخرجني نبياً وأخرج علياً وصياً .

وقال الفضل

ذكر ابن الجوزي هذا الحديث في كتاب الموضوعات في طريقين ، وقال هذا حديث موضوع على رسول الله ، والمتهم به في الطريق الأول محمد بن خلف المروزي قال يحيى بن معين كذاب وقال الدارقطني متروك ، وفي الطريق الثاني المتهم به جعفر ابن احمد وكان رافضياً ، وقال أبو سعيد بن يونس كان رافضياً كذاباً يضع الحديث في سب أصحاب رسول الله « ص » والنسبة الى مسند احمد باطل وزور ، وأما ما ذكر من ان الأخبار متواترة عن النبي « ص » على امامة علي « ع » فنسأله أولا عن معنى التواتر فان قال: ان يبلغ عدد الرواة حداً لا يمكن للعقل أن يحكم بتواطئهم على الكذب فنقول اتفق جميع المحدثين انه ليس لنا حديث متواتر إلا قوله « ص » من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار، فهذا الحديث في كل عصر رواه جماعة يحكم العقل على

امتناع تواطئهم على الكذب ؛ وبعضهم ألحق حديث البينة على المدعي واليمين على من أنكر بالمتواتر ، فكيف هذا الرجل الجاهل بالحديث والأخبار بل بكل شيء ، حتى إني ندمت من معارضة كتابه وخرافاته بالجواب لسقوطه عن مرتبة المعارضة لانحطاط درجته في سائر العلوم معقولها ومنقولها اصولها وفروعها ، ولكن ابتليت بهذا مرة فصبرت ، يحكم بأن المنقول من مسند احمد متواتراً ، واحمد بن حنبل قد جمع في مسنده الضعيف والمنكر لأنه مسند لا صحيح وهو لا يعرف المسند إلا الصحيح ولا يفرق بين الغث والسمين ، والمغازلي رجل مجهول لا يعرفه أحد من العلماء من جملة المصنفين والمحدثين ، والعجب أن هذا الرجل لا ينقل حديثاً إلا من جماعة أهل السنة لأن الشيعة ليس لهم كتاب ولا رواة ولا علماء مجتهدون مستخرجون للأخبار ، فهو في اثبات ما يدعيه عيال على كتب أهل السنة . فاذا صار كذلك فلم لا يروي عن كتب الصحاح فهو يترك المنقولات في الصحاح بل يطعن فيها ويذكر المناكير والضعفاء والمجهولات من جماعة مجهولة منكرة ويجعله سنداً لمذهبه الباطل الفاسد . وهذا عين التعصب ، ثم ما ذكر من المتواتر فان ادعى إنه متواتر عند أهل السنة والجماعة فقد بينا بطلانه وأنه ليس حديث متواتر عندنا إلا ما ذكرناه ، وإن ادعى التواتر عند الشيعة والروافض فكل الناس يعلمون أن عدد الشيعة والروافض في كل عصر من العصر الأول الى هذا العصر ما يبلغ حد الكثرة والاستفاضة فضلا عن حد التواتر ، فلا يمكن لهم دعوى التواتر في أي مدعى كان ، وما ذكره من الأخبار في هذا الباب أكثرها ضعيف وموضوع فلا يصح الاستدلال به ولكن نذكره على دأبنا ونتكلم على كل خبر بما هو الحق فيه .

وأقول

ذكر السيوطي في اللئالي المصنوعة التي هي مختصر كتاب ابن الجوزي حديثين آخرين حكاهما عن الخطيب لا عن احمد وابن المغازلي ، وأولهما لا ربط له بما حكاه المصنف (ره) هنا ، وثانيهما مخالف له لفظاً وفي بعض الخصوصيات .

قال السيوطي نقلا عن ابن الجوزي الخطيب : « أخبرني أبو القاسم علي بن الحسن ابن محمد بن أبي عثمان الدقاق حدثنا محمد بن خلف المروزي حدثنا موسى بن ابراهيم

المروزي حدثنا موسى بن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده مرفوعاً : خلقت أنا وهارون بن عمران ويحيى بن زكريا وعلي بن أبي طالب من طينة واحدة - موضوع آفته محمد بن خلف »

« جعفر بن احمد بن علي بن بيان حدثنا عمر الطائي حدثنا أبي عن سفيان عن داود ابن أبي هند عن الوليد بن عبد الرحمن عن نمير الحضرمي عن أبي ذر مرفوعاً : خلقت أنا وعلي من نور وكنا عن يمين العرش قبل أن يخلق الله آدم بألفي عام ثم خلق الله آدم فانقلبنا في أصلاب الرجال ثم جعلنا في صلب عبد المطلب ثم شق أسماءنا من اسمه فالله محمود وأنا محمد والله الأعلى وعلي علي - وضعه جعفر وكان رافضياً وضاعاً » انتهى .

فأنت ترى أن هذين الحديثين غير ما حكاه المصنف (ره) وراويهما وهو الخطيب غير راوي أخبار المصنف (ره) . فخان الفضل في النقل عن ابن الجوزي : ولو كان محمد بن خلف هو الراوي لحديث النور وطعن فيه ابن الجوزي لذكره السيوطي مع حديثه الأول لاتحاد وجه الطعن وهو رواية ابن خلف له ، ويشهد لذلك ان الذهبي في ميزان الاعتدال ذكر بترجمة محمد بن خلف الحديث الأول مع طعن ابن الجوزي فيه ، ولو كان ابن خلف راوياً لحديث النور وكان ابن الجوزي قائلا بوضعه لكان ذكر الذهبي له أولى لأنه أدل على فضل أمير المؤمنين وإمامته والذهبي أشد اهتماماً بانكار مثله .

ولو سلم رواية محمد بن خلف لحديث النور وطعن ابن الجوزي فيه فهو لا يستلزم كذب جميع رواة حديث النور ، بل يكون تعدد طرقه دليلا على صدقه ، على أن ابن الجوزي ايضاً طرف النزاع فكيف يعتبر قوله بوضع حديث النور ، مع إنا نرى القوم أنفسهم لا يعتبرون كلامه ، قال السيوطي في ديباجة اللئالي المصنوعة : « جمع الحافظ ابو الفرج ابن الجوزي كتاباً فأكثر فيه من اخراج الضعيف الذي لم ينحط الى رتبة الوضع بل ومن الحسن ومن الصحيح كما نبه على ذلك الأئمة الحفاظ ومنهم ابن الصلاح في علوم الحديث واتباعه » .

وأما ما قيل ان جعفر بن احمد كان رافضياً فلا منشأ له إلا روايته ما يسمعه من فضائل آل محمد « ص » ومساوي أعدائهم وهذه عادتهم فيمن روى فضيلة لأهل البيت أو رذيلة لأعدائهم يريدون بذلك اخفاء الحق وترويج الباطل كما عرفته في مقدمة الكتاب

فلذا خفي جل فضائل آل الرسول « ص » وأكثر مساوي مخالفيهم كما لا منشأ لنسبة الوضع الى جعفر إلا اظهاره للحق .

وأما تكذيب الفضل نسبة الحديث الى مسند احمد فالظاهر أن سببه عدم نقل ابن الجوزي للحديث إلا عن الخطيب ، وإلا فهو أقصر باعاً عن الاطلاع على جميع مسند احمد كما يشهد له انكاره للحديث الآتي مع ثبوته في المسند ، وقد نقل ابن أبي الحديد (١) هـذا الحديث بعينه عن احمد في مسنده وفي الفضائل ، ثم قال وذكره صاحب كتاب الفردوس وزاد فيه « ثم انتقلنا حتى صرنا في عبد المطلب فكان لي النبوة ولعلي الوصية » انتهى ، ولـكني قد طلبت الحديث في المسند فلم أعثر عليه وجل ظني أنه غير موجود في النسخة المطبوعة منه التي هي بأيدينا الآن لأنهم إذا رأوا مثل هذه الفضيلة السنية حذفوها مهما أمكن كما سننبهك على بعض ما عثرنا عليه مما نقله علماؤهم عن المسند ومع ذلك لم يوجد فيه الآن .

ثم إن أول ما نقله المصنف (ره) عن ابن المغازلي نقله ايضاً في ينابيع المودة (٢) عن ابن المغازلي بسنده عن سلمان الفارسي ، ونقل عنه ايضاً بسنده عن أبي ذر حديثا آخر مثل حديث احمد ، كما انه نقل عن صاحب الفردوس بسنده عن سلمان ما نقله ابن أبي الحديد عنه ، وزاد حديثاً آخر نحو حديث احمد عن الحمويني وموفق بن احمد بسنديهما عن أمير المؤمنين « ع » ، ثم نقـل عن الحمويني بسنده عن ابن عباس قال سمعت رسول الله « ص » يقول لعلي : « خلقت أنا وأنت من نور الله عز وجل » فهذه الأخبار كما ترى معتبرة ، ولو لأجل اعتضاد أسانيدها بعضها ببعض ، وهي أدل دليل على فضل أمير المؤمنين على غيره فيكون هو الامام مع تصريح بعضها بخلافته ووصايته .

وأما ما زعمه الفضل من انحصار المتواتر في خبر أو خبرين فمن عدم معرفته بالاصطلاح فان هذا إنما هو في المتواتر لفظاً لا معنى فقط ، كيف والأخبار المتواترة معنى أكثر من أن تحصى وقد ادعى نفسه في هذا الـكتاب تواتر بعض الأخبار ، فمراد المصنف (ره) ان مجموع الأخبار متواترة معنى بامامة أمير المؤمنين « ع » وإن لم يتواتر كل منهـا لفظاً ولا معنى ، فلا يلزم أن يكون خصوص حديث النور متواتراً ، وإن كان لو ادعى أحد

(١) في شرح النهج ص ٤٥٠ من الجزء الثاني . (٢) في الباب الأول منها .

تواتره معنى بلحاظ أخبار الفريقين لم يبعد عن الصواب كحديث الغدير ، ومن الطريف نسبة الفضل للمصنف « ره » دعوى تواتر المنقول من مسند احمد فان غاية ما يمكن أن يسند الى المصنف « ره » دعوى تواتر حديث النور معنى بسبب تعدد رواته ومخرجيه ومنهم احمد فلا يلزم منه القول بصحة ما في مسند احمد فضلا عن تواتره ، وأطرف منه نقصه للمصنف العلامة « ره » وزعمه الندم من معارضته وأنه ابتلي فصبر وهو كما تراه لا يعرف حتى العبارات الواضحة ، فما أصدق المعري في أبياته المشهورة وكأنه ينظر فيها الى هذا المقام ، ويكفي المصنف « ره » فضلا عجز علماء القوم في عصره عن معارضته حين ما جمعهم السلطان السعيد محمد خدا بنده حتى تشيع السلطان في الحال وجمع كثير ممن شاهد الحال أو سمعها وتشيعت ايران ببركة علم المصنف ونير برهانه .

وأما ما زعمه من أن احمد جمع الضعيف والمنكر معللا بأنه مسند لا صحيح فمن عدم معرفته المسميات إلا بأسمائها ، فان مسند احمد كصحاحهم قد جمع أخباراً مسندة صحيحة عنده وإن سمي بالمسند ، قال ابن تيمية في رده لمنهاج الكرامة للمصنف عند الكلام على البرهان السابع على امامة أمير المؤمنين « ع » وهو آية المودة : « شرط احمد في المسند مثل أبي داود في سننه » وقال عند الكلام على البرهان السابع والعشرين وهو قوله تعالى والذين آمنوا بالله ورسله هم الصديقون والشهداء عند ربهم : « وهي ـ أي احاديث مسند احمد ـ أجود من احاديث سنن أبي داود » ، وقال المترجم لأحمد بمقدمة مسنده المطبوع بالمطبعة الميمنية بمصر سنة ١٣١٣ : « قال السبكي ، أي في الطبقات الكبرى ، قال الحافظ ابو موسى محمد بن أبي بكر المديني : هذا الكتاب يعني مسند احمد أصل كبير ومرجع وثيق لأصحاب الحديث جعل اماماً ومعتمداً وعند التنازع ملجأ ومسنداً » ثم روى عن حنبل بن اسحاق قال : « جمعنا عمي يعني احمد بن حنبل لي ولصالح ولعبد الله وقال لنا : إن هذا الكتاب قد جمعته وأتقنته من أكثر من سبعمائة وخمسين الفاً فما اختلف فيه المسلمون من حديث رسول الله (ص) فارجعوا اليه فان كان وإلا فليس بحجة » ثم نقل عن عبد الله بن احمد عن أبيه قال : « عملت هذا الكتاب اماماً إذا اختلف الناس في سنة رسول الله (ص) رجع اليه » ثم قال ابوموسى

المديني : « لم يخرج أي احمد إلا عمن ثبت عنده صدقه وديانته دون من طعن في امانته » ثم روى عن عبد الله بن احمد قال : « سألت أبي عن عبد العزيز بن ابان قال لم أخرج عنه في المسند شيئاً لما حدث بحديث المواقيت تركته » وقد ذكر في ترجمة احمد كثيراً من نحو هذا ما يدل على كون احمد لم يرو في مسنده إلا ما صح عنده فراجع ومجرد جمع احمد فيه الضعيف والمنكر عند غيره لا يقضي بعدم صحته عنده إذ ليس مسنده بأحسن من صحاحهم ، وقد جمعت الضعيف والمنكر وما فيه الكفر كما سبق في مقدمة الكتاب ومسألة النبوة .

واما قوله والمغازلي رجل مجهول لا يعرفه احد من العلماء ، فيكذبه رواية ابن حجر في الصواعق عنه وكناه بأبي الحسن كما سبق في الآية السابعة والسبعين ، وكناه به ايضاً في ينابيع المودة في الباب الأول منها ، وسماه بعلي بن محمد كما سماه به ايضاً في اول الكتاب عند ذكر من روى عنهم ووصفه بالفقيه الشافعي ، وغاية طعن ابن تيمية فيه ان قال ليس الحديث من صنعته ولا يعرف الحديث ، ولا منشأ للتجاهل به والطعن في معرفته الا لأنه يروي ما ليس من هوى ابن تيمية وأنه الف في فضل امير المؤمنين ؛ وهذا كما مر في المقدمة اولى بالدلالة على اطلاعه وحسن انصافه ، ولو الف في فضل الشيخين من مفتعلاتهم لحل عندهم بالمحل الأرفع والمنزل الأسنى .

وأما قوله والعجب إن هذا الرجل لا ينقل حديثاً إلا من جماعة أهل السنة (الخ) فمن عدم تفرقته بين البحث الالزامي وغيره فان المصنف (ره) إنما ينقل عن كتبهم لالزامهم لا لحاجة به اليها لغناه عنها بالأدلة القطعية العقلية والنقلية التي اشتملت عليها كتب أصحابه وقد تجاهل في معرفتها ومعرفة علماء الامامية ورواتهم ظناً منه أن يخدع الجهال بذلك وهيهات أن تخفى الشمس على ذي عين نعم ما زالوا والى الآن يتغافلون عن كتب الشيعة ويتعامون عن النظر اليها كراهة لاتضاح الحق ورغبة في ملة الآباء .

وأما قوله فهو يترك المنقولات في الصحاح فكذب ظاهر لأن المصنف (ره) ينقل عنها وعن غيرها كما ستعرف ؛ وكلها عنده بمنزلة واحدة في الوهن لكنه يروي عن الجميع ما يحتج به عليهم ، ولا يمكن أن نصحح شيئاً منها سوى ما يتعلق بفضائل أهل البيت

ونقائص أعدائهم كما سبق وجهه في المقدمة وبينا فيها حال صحاحهم وانها بالسقم أحرى ومن الطرائف انكاره بلوغ عدد الشيعة الى عصره حد الكثرة فلو صدق فما باله فرّ من بلاده الى ما وراء النهر ثم استغاث في آخر هذا الكتاب من استيلائهم على ما هنالك، وإن جهل كثرتهم فليسأل عنهم أئمته بني امية يوم الدار وصفين ويوم استولى عليهم بنو العباس ، وليسأل عنهم بني العباس أيام البويهيين والحمدانيين والفاطميين ، وقد ذكر المؤرخون أن بلية معاوية على الكوفة أشد لكثرة من فيها من الشيعة ، نعم ما زال أعداء آل رسول الله « ص » ومخالفوهم أكثر كما قال عز اسمه : « وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين » .

٢ ـ حديث ويكون خليفتي ويكون معي في الجنة

قال المصنف قدس سره

(الثاني) من مسند احمد : « لما نزل وانذر عشيرتك الأقربين جمع النبي (ص) من اهل بيته ثلاثين فأكلوا وشربوا ثلاثا ثم قال لهم من يضمن عني ديني ومواعيدي ويكون خليفتي ويكون معي في الجنة فقال علي انا فقال انت » ورواه الثعلبي في تفسيره بعد ثلاث مرات في كل مرة اسكت القوم غير علي (ع) .

وقال الفضل

هذا الحديث ذكره ابن الجوزي في الموضوعات في قصة طويلة وليس فيه ويكون خليفتي وهذا من وضعه او من وضع مشايخه من شيوخ الرفض واهل التهمة والافتراء وفي مسند احمد بن حنبل ويكون خليفتي غير موجود بل هو من إلحاقات الرفضة ، وهذان الكتابان اليوم موجودان وهم لا يبالون من خجلة الكذب والافتراء بل الرواية (ويكون معي في الجنة) وهو من فضائل امير المؤمنين (ع) حيث أقبل إذ النـــاس أدبر ، واقدم إذ الناس احجم ، وفضائله اكثر من ان تحصى ، عليه سلام الله يترى ، مرة بعد اخرى .

وأقول

من العجب العجب ان يكذب هذا الرجل وينسب الكذب الى آية الله المصنف (ره) وشدد النكير عليه وعلى علمائنا اهل الصدق والأمانة ، وإذا اردت ان تعرف كذبه فراجع المسند ص ١١١ من الجزء الأول تجد الحديث مشتملا على لفظ خليفتي ، وهكذا نقله في كنز العمال (١) عن المسند وعن ابن جرير ، قال وصححه وعن الطحاوي والضياء في المختارة التي حكى في اول الكنز صحة جميع ما فيها عن السيوطي في ديباجة جمع الجوامع ، ونقل في الكنز ايضاً (٢) هذا الحديث بقصة طويلة عن ابن اسحاق وابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه وأبي نعيم والبيهقي ، قال النبي «ص» في آخره : « قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة وقد أمرني الله أن أدعوكم اليه فأيكم يوازرني على أمري هذا » قال علي « ع » فقلت أنا يا نبي الله أكون وزيرك عليه ، فأخذ برقبتي فقال (إن هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له واطيعوا) فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب قد أمرك أن تسمع وتطيع لعلي ، ونقل هذا الحديث الطبري في تاريخه (٣) وابن الأثير في الكامل (٤) ، وحكى في كنز العمال (٥) عن ابن جرير حديثاً آخر ، قال النبي «ص» فيه مثل قوله الأول (هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له واطيعوا) وحكى ابن أبي الحديد في شرح النهج (٦) عن أبي جعفر الاسكافي انه قال : « وروي في الخبر الصحيح أن النبي « ص » كلف علياً عليه السلام في مبدأ الدعوة ان يصنع طعاماً ويدعو له بني عبد المطلب فصنع له طعاماً ودعاهم له ثم ضمن لمن يوازره وينصره على قوله أن يجعله أخاه في الدين ووصيه بعد موته وخليفته من بعده فأمسكوا كلهم واجابه هو وحده فقال لهم :هذا أخي ووصيي وخليفتي من بعدي فقاموا يضحكون ويقولون لأبي طالب أطع ابنك فقد أمره عليك » انتهى ملخصاً ، وهذه الأخبار كلها اشتملت على لفظ « الخليفة » .

(١) ص٣٩٦ من الجزء السادس. (٢) ص٣٩٧ من الجزء المذكور. (٣) ص٢١٧ من الجزء الثاني . (٤) ص ٢٨ من الجزء الثاني . (٥) ص ٣٩٢ من الجزء المذكور . (٦) ص ٢٦٣ من المجلد الثالث .

ونقل في الكنز (١) عن ابن مردويه خبراً آخر اشتمل على لفظ « الولاية » قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله ومد يده « من يبايعني على ان يكون أخي وصاحبي ووليكم من بعدي » فمددت يدي وقلت انا ابايعك فبايعني على ذلك ، وانت تعلم ان المراد بالولاية هنا هو المراد بالخلافة بقرينة ما سبق وقوله من بعدي ، فان النصرة والحب لا يختصان بما بعد النبي (ص) وإنما تختص به الخلافة .

وأعجب من الفضل ابن تيمية حيث أنكر وجود أصل الحديث في الصحاح والمسانيد عند ذكر المصنف (ره) له في منهاج الكرامة : مع ما عرفت من رواية احمد بن حنبل له في المسند وغير احمد ممن عرفت ، نعم أقر بوجوده في تفسير ابن جرير والبغوي والثعلبي وابن أبي حاتم لكنه ناقش في اسناد كل منهم بما مرّ جوابه اجمالا في مقدمة الكتاب ، مع انه قد استفاضت الطرق وقوى بعضها بعضاً وحكموا بصحة بعضها كما سمعت فلا محل للمناقشة ، على أن مناقشته في سند رواية الثعلبي اجمالية مردودة عليه إلا مع البيان ، ومناقشته في سند رواية ابن أبي حاتم إنما هي باشتماله على عبد الله بن عبد القدوس وهو قد ضعفه الدارقطني وقال النسائي ليس بثقة وقال ابن معين ليس بشيء رافضي خبيث ، وفيه أن تضعيف هؤلاء معارض بما في تقريب ابن حجر انه صدوق ، وقال في تهذيب التهذيب قال محمد بن عيسى ثقة ، وذكره ابن حبان في الثقات ، وقال البخاري وهو في الأصل صدوق إلا انه يروي عن أقوام ضعاف ، مع انه ايضاً من رجال سنن الترمذي ، ولا ريب ان مدح هؤلاء مقدم على قدح اولئك لعدم العبرة بقدح أحد المتخالفين في الدين بالآخر من غير حجة ، بخلاف مدحه له فان الفضل ما شهدت به الأعداء ، وعبد الله هذا قد زعموه من الشيعة وإن كنا لا نعرف الرجل في الشيعة ، ولعله لما روى في فضل آل محمد « ص » نسبوه الى الرفض والخبث ، وغمزه ابن عدي بقوله عامة ما يرويه في فضائل أهل البيت ، وليت شعري أبهذا صار ضعيفاً واستحق أن يوصف بالخبث ، كما لا يعتبر ايضاً طعنهم في أبي مريم عبد الغفار بن القاسم راوي حديث ابن جرير والبغوي على ما ذكره ابن تيمية لأنه كما في ميزان الاعتدال من الشيعة

(١) ص ٤٠١ من الجزء المذكور .

ولا سيما قد شهد بحقه الذهبي انه كان ذا اعتناء بالعلم وبالرجال .

وأما ما نسبه الفضل الى ابن الجوزي فلا يبعد انه من كذباته وإلا لنسبه اليه في كنز العمال بالنسبة الى بعض الأحاديث التي نقلناها عنه ، فان عادته ان يروي عن كتاب الموضوعات ، وايضاً لم يذكره السيوطي في اللئالي المصنوعة المأخوذة من كتاب الموضوعات ولو صحت النسبة الى ابن الجوزي فلا عبرة بكلامه لأنه ايضاً طرف النزاع .

وأما ثناؤه على أمير المؤمنين « ع » فقد تأبط به شراً لأن قصده به أن يروّج كذبه وإنكاره لما رواه المصنف « ره » وترتفع عنه تهمة النصب ، وهيهات أن يخفى حاله وقد أنكر الواضحات أتراه يفعل ذلك لو كانت الرواية فيما يؤيد طريقته .

ثم ان من جملة الحديث الذي ذكره المصنف «ره» في منهاج الكرامة ان النبي (ص) جمع بني عبد المطلب وهم اربعون رجلا ، فجعل ابن تيمية ذلك طريقاً للطعن في الحديث بدعوى عدم بلوغهم في ذلك الوقت الى هذا القدر . (وفيه) انه لو سلم فلا يبعد ان المراد ببني عبد المطلب ما يشمل بني المطلب لاختصاصهم بهم حتى كأنهم منهم ولذا كانوا معهم في حصار الشعب ، ويشهد له ما في كامل ابن الأثير حيث انه لما نقل الحديث قال حضروا ومعهم نفر من بني المطلب ، ولو سلم ان المراد خصوص بني عبد المطلب فغاية ما يلزم منه خطأ الراوي أو مبالغته في عددهم ، وهو لا ينافي صحة أصل الواقعة المروية بطرق مستفيضة ، ولا تكاد تسلم واقعة مروية بطرق عن الخطأ في الخصوصيات ، ومنه ايضا يعلم ما في طعن ابن تيمية في الحديث من حيث اشتماله على ان الرجل منهم كان يأكل الجذعة ويشرب الفرق مدعياً انهم لم يكونوا معروفين بمثل هذه الكثرة من الأكل والشرب وذلك لأن غاية ما يلزم منه مبالغة الراوي أو الخطأ في ذلك وهو غير ضار في صحة أصل الواقعة ، على ان عدم معروفيتهم به لا تدل على العدم لا سيما وقد كان الكثير من قريش كذلك كما تشهد به كتب التاريخ ، وقد أورد ابن تيمية على الحديث بأنه كيف يقول النبي (ص) للجماعة من يوازرني على أمري يكن وصيي وخليفتي من بعدي ، والحال ان مجرد الاجابة الى مثل ذلك لا يوجب الخلافة فان جميع المسلمين وازروه ولم يكن منهم أحد خليفة ، ومن الجائز ايضاً ان يجيبه جماعة منهم وحينئذ فمن الخليفة

منهم ؟ و (فيه) ان النبي « ص » لم يقل ان هذا علة تامة للخلافة بعده حتى تلزم خلافة كل من فعل ذلك وإن لم يكن من عشيرته بل أراد بأمر الله انذار عشيرته وترغيبهم لأنهم اولى به وبنصرته فلم يجعل هذه المنزلة إلا لهم وليعلم من اول الأمر ان هذه المنزلة لعلي عليه السلام خاصة فان الله سبحانه ورسوله (ص) يعلمان انه لا يجيب النبي (ص) ويوازره تاماً إلا علي (ع) فكان ذلك من باب تثبيت امامته والقاء الحجة على قومه وحينئذ فلا يصح فرض تعدد المجيبين للنبي (ص) ، ولو صح ووقع لعين النبي صلى الله عليه وآله الاولى والأحق .

هذا وقد صرحت بالخلافة لعلي (ع) أخبار اخر « منها » ما سبق في الآية السادسة والثلاثين في سبب نزول سورة النجم ، « ومنها » ما سيأتي في بعض احاديث الثقلين .

« ومنها » ما في المواقف في مبحث الامامة عن النبي (ص) انه قال لعلي (أنت أخي ووصيي وخليفتي من بعدي وقاضي ديني) بكسر الدال ، وأجاب عنه هو والشارح بأمرين « الأول » انه معارض بالنصوص الدالة على امامة أبي بكر ، و (فيه) انه لو سلم وجودها ودلالتها فليست حجة علينا لأنها من أخبارهم الخاصة بهم ، بل هي من الكذب المسلم لاقرارهم بأن النبي (ص) لم يخلفه « الثاني » منع صحة الحديث للدليل القاطع على عدم النص الجلي لأنه لو وجد لتواتر ولعارض على أبا بكر في الامامة ولصلابة الاصحاب في الدين فكيف لا يتبعون النص المبين .

ويرد على الأول ان حصول التواتر مشروط بعدم الشبهة وهي ثابتة لهم بل الثابت أعظم منها وهو التعصب الذي هو قذى البصائر ، وهل تبقى شبهة مع نص الكتاب العزيز بانحصار الولاية بالله ورسوله وأمير المؤمنين ونص حديث الغدير والمنزلة والثقلين وغيرها فانها متواترة ونص في امامته ولو بمجموعها لو أنصفوا ، ولو سلم انها ليست نصاً جلياً ولا متواترة معنى بامامته « ع » فالمطالبة بتواتر ما هو أجلى منها ليست في محلها للصوارف عنه فان عامة قريش وكثيراً من الأنصار في الصدر الأول أعداء أمير المؤمنين فمنهم غاصب له ومنهم معين على غصبه ومنهم راض به والباقي رعاع وسوقة إلا القليل والقليل لا يقدر على بيان النص الجلي خوفاً من الامراء بل حتى الكثير يخاف منهم

ولذا خفي أمر الغدير فاحتاج أمير المؤمنين بعد زمن قريب الى الاستشهاد بمن بقي من الصحابة، مع انه لم يشهد له بعضهم عداوة له فأصابته دعوته كما سبق، ولوفرض امكان بيان النص الكامل في الصدر الأول فلا ريب بعدم إمكانه ايام معاوية والشجرة الملعونة لأنهم أوجبوا سب امام المتقين وتتبعوا بالقتل والحبس من روى له فضيلة أو رأى له فضلا فكيف يمكن حينئذ أن تتواتر رواية النص الجلي وكذا في الأيام المتأخرة كأيام كثير من بني العباس الذين هم مثل بني امية في جحد حق أمير المؤمنين (ع) ولا أعجب من طلب حصول التواتر بالنص الجلي عند قوم يخالف مذهبهم مع اهتمام علمائهم لدنياهم في نقصه وإثبات مفضوليته وإن تمام مناصب سلاطينهم وامرائهم بانكار النص عليه وعلى الأئمة من ولده .

ويرد على دعوى عدم معارضته لأبي بكر أنها ممنوعة وظاهرة المكابرة إذ أي معارضة تطلب في مقام الخوف على الاسلام أكبر من الامتناع عن بيعته وإظهار انه ظالم غاصب ولم يبايعه إلا قهراً بعد ستة أشهر أو أكثر الى غير ذلك مما صدر من أميرالمؤمنين (ع) كما عرفت بعضه في المبحث الرابع من مباحث الامامة .

ويرد على دعوى صلابة الأصحاب في الدين انها محل تأمل ولا سيما بعد النبي (ص) ولنسأل عن قوله تعالى (أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم)، وسورة براءة المسماة بالفاضحة لأنها فضحت أكثرالصحابة، وقوله تعالى (وإذا رأوا تجارة أولهواً انفضوا اليها) حيث تركوا الواجب ولم يبالوا بالنبي «ص» وانفضوا للهو والتجارة ولم يبق معه إلا النادر الى كثير من الآيات الكريمة، ولنسأل أحاديث الحوض التي حكم بعضها بارتداد جل الصحابة وأنهم الى النار ولم يسلم منهم إلا مثل همل النعم، الى غيرها من الأخبار التي لا تحصى : وسيمر عليك بعضها إن شاء الله تعالى .

وقد أجاب القوشجي في شرح التجريد عن الخبر الذي حكيناه عن المواقف بعد ذكر نصير الدين (ره) له فقال (واجيب بأنه خبر واحد في مقابلة الاجماع ولوصح لما خفي على الصحابة والتابعين والمهرة المتقنين من المحدثين سيما علي وأولاده الطاهرين ولو سلم فغايته إثبات خلافته لا نفي خلافة الآخرين) . ويشكل بمنع الاجماع كما مرَّ في

المبحث الرابع وبيّنا انه لم يخف على الصحابة ولكن أخفوه عن عمد كحديث الغدير ، وكذا أخفاه من علم به من غير الصحابة عداوة لعلي « ع » أو خوفاً من معاوية وأشباهه وأما دعوى خفائه على أمير المؤمنين وأبنائه الطاهرين فمخالفة لما تواتر عنهم من حصول النص عليه بالخلافة ولما ظهر من أحوالهم في تضليل الأولين فكم صرحوا ولوحوا بالنص من النبي (ص) فما زاد مخالفيهم إلا عداوة واعراضاً عن الحق .

وأما إنكار دلالته على نفي خلافة الآخرين فمكابرة للضرورة إذ أي دليل أصرح في نفيها من قوله « ص » (خليفتي من بعدي) ولو كان التقييد بقوله من بعدي غير دال على ذلك لم تثبت خلافة أحد بلا فصل بالنص ، وليت شعري ما بال وصية أبي بكر لعمر كانت نصاً في خلافته له بلا فصل دون وصية النبي لأمير المؤمنين وهي ليست بأصرح منها في الدلالة على عدم الفصل وكذا وصايا سائر السلاطين لولاة عهدهم كما سبق في الآية الثانية من الآيات التي ذكرها المصنف (ره) .

ومن (جملة الأخبار) المصرحة بخلافة أمير المؤمنين « ع » ما في ميزان الاعتدال بترجمة عبد الله بن داهر حيث ذكر انه روى بسنده عن ابن عباس (ستكون فتنة فمن أدركها فمليه بالقرآن وعلي بن أبي طالب قال سمعت رسول الله « ص » يقول هذا أول من آمن بي وأول من يصافحني وهو فاروق هذه الامة ويعسوب المؤمنين والمال يعسوب الظلمة وهو الصديق الأكبر وهو خليفتي من بعدي) قال: في الميزان قال ابن عدي عامة ما يرويه في فضائل علي وهو متهم في ذلك ، وقال في الميزان ايضاً: قال العقيلي رافضي خبيث وقال أحمد ويحيى ليس بشيء . و (أقول) إذا كان هذا جفاؤهم وقولهم في راوي ماورد في أخي النبي « ص » ونفسه فكيف يطلبون أن يتواتر النص عليه بما هو أجلى من ذلك ، وليت شعري ! لم كان عندهم؟ من روى له فضيلة رافضياً خبيثاً متهماً ومن روى فضيلة لمشايخهم ثقة صادقاً معتمداً في صحاحهم وصاحب سنة وإن كفّره سيد النبيين صلى الله عليه وآله كالخوارج والنصاب وقال سبحانه (إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) .

ومن (جملة الأخبار) المصرحة بخلافته ايضاً ما في اللئالي المصنوعة عن ابن حبان بسنده عن أنس مرفوعاً (ان أخي ووزيري وخليفتي من بعدي في أهلي وخير من

أترك بعدي يقضي ديني وينجز موعدي علي « ع ») وما في اللئالي ايضاً عن الخطيب في المتفق والمفترق وعن الجوزقاني بسندهما عن سلمان قال: « سألت رسول الله (ص) من وصيه فقال وصيي وموضع سري وخليفتي في أهلي وخير من اخلف بعدي علي » ؛ وقد نقل في اللئالي عن ابن الجوزي انه قال : « ان الحديث الأول موضوع آفته مطر بن ميمون الاسكافي ، وان الحديث الثاني أكثر رواته مجهولون وضعفاء واسماعيل بن زياد وهو أحد رواته متروك » . و (فيه) انه لو سلم ذلك كله فهو إنما يرفع الاعتماد لا انه يقتضي الوضع على ان الأخبار الناطقة بخلافة أمير المؤمنين « ع » كثيرة فتعتبر لاعتضاد بعضها ببعض وإن ضعفت أسانيدها فكيف وقد صح بعضها عندهم كما عرفت ، بل عرفت في مقدمة الكتاب أن رواة فضائل أمير المؤمنين « ع » ثقات في تلك الرواية خصوصاً مثل مطر الذي لم يضعفوه إلا لروايته كثيراً في فضل علي « ع » ، ولعله لذا لم يعتن ابن ماجة بتضعيفهم فأخرج له في صحيحه .

هذا وليس قول النبي « ص » في بعض تلك الأخبار فيكم أو في أهلي مقصوداً به تقييد الخلافة للاجماع على عدم الفرق بين عشيرته وغيرهم وللزوم اجتماع خليفتين عام وخاص ولا يقوله أحد ، ولا يصح أن يراد بخلافته في أهله في الحديثين الأخيرين قيامه بامور دنياهم لعدم قيام علي « ع » بأرحام النبي « ص » ونسائه وعدم خلافته عن النبي صلى الله عليه وآله في القيام بفاطمة والحسنين بل هم عياله الذين تجب نفقتهم عليه اصالة لا بالخلافة عن رسول الله « ص » ، فالمقصود في هذه الأخبار هو الخلافة العامة والزعامة العظمى كما يشهد له ذكر الوصية مع الخلافة في الخبر الأخير وقوله خير من اخلف أو أترك بعدي في الأخيرين ، مضافاً الى اطلاق الخلافة في بعض الأخبار السابقة والظاهر ان تخصيص المخاطبين وهم العشيرة في أحاديث نزول قوله تعالى وانذر عشيرتك الأقربين إنما هو لكون الخطاب معهم أو لأهميتهم أو لأنه لا امة له حينئذ ، كما لا يبعد أن يكون قيد في أهلي بالخبرين الأخيرين من زيادة بعض الرواة عمداً أو وهماً .

واعلم انه قد ورد عند السنة ايضاً ما هو بمنزلة التعبير بالخلافة كالذي في ترجمة حكيم ابن جبير من ميزان الاعتدال عن محمد بن حميد عن سلمة عن ابن اسحاق عن حكيم بن

جبير عن ابن سفيان عن عبد العزيز بن مروان عن أبي هريرة عن سلمان (قلت لرسول الله صلى الله عليه وآله إن الله لم يبعث نبياً إلا بيّن له من يلي بعده فهل بيّن لك قال: نعم علي بن أبي طالب) قال في الميزان : « هذا حديث موضوع ثم كيف يروي مثل هذا عبد العزيز بن مروان وفيه انحرافه عن علي رواه ابن الجوزي في الموضوعات من طريق العقيلي عن احمد بن الحسين عن ابن حميد وليس بثقة » . و (فيه) مع ما عرفت من وثاقة رواة فضائل أمير المؤمنين « ع » فيما يروونه في فضله ان حكيم ابن جبير من رجال السنن الأربع فلا يصح لهم الحكم بوضعه لهذا الحديث والإلجاء الطعن الى أخبار صحاحهم ، وكذا الحال في محمد بن حميد لأنه من رجال سنن الترمذي وأبي داود وابن ماجة ، مع انه قد ذكر في الميزان بترجمة ابن حميد : « انه حدث عنه أبو بكر الصنعاني فقيل له : اتحدث عنه ؟ فقال وما لي لا احدث عنه وقد حدث عنه احمد بن حنبل وابن معين ، وقال ابو زرعة من فاته محمد بن حميد يحتاج أن يترك عشرة آلاف حديث ومن آخر اصحاب ابن حميد ابو القاسم البغوي وابن جرير الطبري » وحينئذ فلا يصح الحكم بوضع ابن جبير أو ابن حميد للحديث ولا سيما على لسان عبد العزيز المنحرف عن أمير المؤمنين « ع » ، ولا يمنع انحرافه عنه روايته لهذا الحديث لأن الله سبحانه إذا أراد اظهار الحق ألقى في نفوس القوم رواية ما علموه في حق امير المؤمنين عليه السلام لتلزمهم وغيرهم الحجة ، ولذا رووا حديث الغدير ونحوه ، على انه قد قيل لعمر بن عبد العزيز كيف خالفت من قبلك في منع السب عن علي ؟ فقال عرفته من أبي لأنه إذا خطب وجاء الى سبه تلجلج ، فسألته عن ذلك فقال لو عرف الناس ما أعرفه من فضل هذا الرجل ما تبعنا منهم أحد . فظهر انه لا عبرة بما زعمه الناصبان الذهبي وابن الجوزي من وضع هذا الحديث ، ولا سيما مع كونهما طرف النزاع وإن كان لا لوم عليهما بعد مخالفته لمذهبهما لكن الكلام في الدليل من حيث هو .

٣ ـ حديث الوصية

قال المصنف طاب ثراه

(الثالث) من المسند عن سلمان قال : يا رسول الله من وصيك ؟ قال : يا سلمان من

كان وصي أخي موسى ؟ قال : يوشع بن نون ، قال : فان وصيي ووارثي يقضي ديني وينجز موعدي علي بن أبي طالب .

وقال الفضل

الوصي قد يقال ويراد به من اوصي له بالعلم والهداية وحفظ قوانين الشريعة وتبليغ العلم والمعرفة فان اريد هذا من الوصي فسلم انه كان وصياً لرسول الله « ص » ولا خلاف في هذا وان اريد الوصية بالخلافة فقد ذكرنا بالدلائل العقلية والنقلية عدم النص في خلافة علي ولو كان نصاً جلياً لم يخالفه الصحابة وان خالفوا لم يطعهم العساكر وعامة العرب سيما الأنصار .

وأقول

ان معنى الوصية العهد يقال اوصى الى فلان بمعنى عهد اليه فان اطلق متعلق الوصية حكم بشموله لجميع ما يصلح تعلقها به وان قيد كما لو قيل اوصى اليه بايتامه أو ثلث ماله أو نحوهما اختص به ، ومن الواضح ان الرواية من قبيل الأول فتشمل الوصية بالخلافة بل هي أظهر ما تشمله وتنصرف اليه ، بل معنى وصي النبي خليفته كما يشهد له أن النبي « ص » ضرب لسلمان مثلا بوصي موسى وهو يوشع الخليفة لموسى ، ومارواه احمد في مسنده (١) عن طلحة بن مصرف قال : « قال أبو الهذيل : أبو بكر يتأمر على وصي رسول الله (ص) ودّ أبو بكر انه وجد مع رسول الله (ص) عهداً فخزم أنفه بخزام » فانه صريح في ان معنى وصي رسول الله خليفته مضافاً الى انه عطف في ذلك الحديث الوارث على الوصي ، والمراد بالوارث إما وارث المنزلة وهو المطلوب أو وارث العلم وهو يستدعي الخلافة لأن علم الأنبياء ميراث لمن هو أحق بالاتباع والرياسة لقوله سبحانه (أفمن يهدي الى الحق أحق أن يتبع أم من لا يهدي إلا أن يهدى) الآية ، ومنه يعلم تمام المطلوب لو اريد بالوصي من اوصي له بالعلم والهداية وحفظ قوانين الشريعة وتبليغ العلم ، ولا سيما ان حفظ قوانين الشريعة يتوقف على الخلافة لأن السوقة لا تقدر

(١) في أحاديث عبد الله بن ابي أوفى ص ٣٨٢ من ج ٤ .

على حفظها تماماً لاحتياجه الى بسط اليد ، وقد اشتملت أخبار الوصية على قرائن أخر تقتضي ارادة الخليفة من الوصي كقول النبي « ص » في بعضها في وصف علي « ع » بأنه خير من اخلف أو أترك بعدي ، كالخبرين السابقين عند الكلام في الحديث الثاني ، وكالذي حكاه في كنز العمال (١) عن الطبراني بسنده عن سلمان عن النبي « ص » .

وأما قوله فقد ذكرنا بالدلائل العقلية والنقلية عدم النص ، لحوالة على العدم ، ولعله يريد بالدليل ما أعاده هنا بقوله ولو كان نصاً جلياً الى آخره ، وفيه ما عرفت في المبحث الثالث وغيره مما سبق ، ثم لا معنى لقوله لم يخالفه الصحابة ولو خالفوا لم يطعهم العساكر الى آخره ، لأن معناه وإن خالف الصحابة لم تطعهم الصحابة إلا ان يريد بالصحابة خصوص الشيخين وأنصارهما فيصح الكلام ولكن يكون الحكم بعدم مخالفتهم من أول المصادرات .

ثم ان أحاديث الوصية مستفيضة بل متواترة عند القوم فضلا عنا ، وقد ذكر في ينابيع المودة (٢) أحاديث منها كثيرة ، وفيها ما حكاه المصنف « ره » عن مسند احمد ، وسطر ابن أبي الحديد ثلاث صفحات أوائل الجزء الأول من الشعر المقول في صدر الاسلام لكثير من وجوههم تتضمن بيان وصية علي « ع » ، ثم قال بعد انتهائها : « والأشعار التي تتضمن هذه اللفظة كثيرة جداً ، ولكنا ذكرنا منها هاهنا ما قيل في هذين الحربين يعني حرب الجمل وصفين ، فأما ما عداهما فانه يجل عن الحصر ويعظم عن الاحصاء والعد ، ولولا خوف الملالة لذكرنا من ذلك ما يملأ أوراقاً كثيرة » وقد ذكر هذا في شرح قوله (ع) من خطبة له : « لا يقاس بآل محمد (ص) من هذه الامة أحد ولا يسوّى بهم من جرت نعمتهم عليه أبداً ، هم أساس الدين وعماد اليقين اليهم يفيء الغالي وبهم يلحق التالي ولهم خصائص حق الولاية وفيهم الوصية والوراثة ، الآن إذ رجع الحق الى أهله ونقل الى منتقله » ولا يخفى لطف قوله (ع) رجع الحق الى أهله وما فيه من الدلالة على غصب الأولين له .

---

(١) ص ١٥٤ من ج ٦ .　　(٢) في الباب ١٥ وغيره .

٤ ـ حديث من أحب أصحابك اليك؟ وإن كان أمر كنا معه

قال المصنف أعلى الله مقامه

(الرابع) من كتاب المناقب لأبي بكر احمد بن مردويه وهو حجة عند المذاهب الأربعة رواه باسناده الى أبي ذر قال : دخلنا على رسول الله (ص) فقلنا من أحب أصحابك اليك ؟ وإن كان أمر كنا معه وإن كانت نائبة كنا من دونه ، قال هذا علي أقدمكم سلماً وإسلاماً .

وقال الفضل

هذا الحديث إن صح يدل على فضيلة أمير المؤمنين وأن النبي (ص) يحبه حباً شديداً ولا يدل على النص بامارته ولو كان رسول الله (ص) ناصاً على خلافته لكان هذا محل اظهاره وهو ظاهر فانه لما لم يقل انه الأمير بعدي علم عدم النص فكيف يصح الاستدلال به .

وأقول

المراد بسؤالهم المذكور طلب تعيين الامام بعده (ص) لأن أحب أصحاب الرئيس اليه هو الذي يرجى بعده للرياسة وينبغي أن يقيمه مقامه ، ولذا قالوا وإن كان أمر كنا معه وإن كانت نائبة كنا دونه ، فان معناه إن كان أمر اتبعناه وإن كانت نائبة نصرناه وفديناه كما هو شأن الأتباع والأمير ، وقد فهم الفضل هذا المعنى ثم جحده ، فان قوله (لكان هذا محل اظهاره) الى آخره دال على أن معنى السؤال طلب معرفة الامام كما ذكرناه ، وإلا فكيف كان المقام محل اظهار النص وكان عدم اظهاره موجباً للعلم بعدم النص .

فاذا كان المراد هو السؤال عن الامام والخليفة بعده كان قوله (ص) « هذا علي » كافياً في الجواب غنياً عن أن يضيف قوله الأمير بعدي ، نعم يحسن الاشارة الى علة تعيينه للأحبية والامامة فأشار اليها بقوله (أقدمكم سلماً وإسلاماً) ، فانه موجب لأحبيته وكاشف عن زيادة معرفته على غيره وأنه أسبقهم الى الخير وأفضلهم عملا والافضل علماً وعملا أحق بالامامة ، ثم ان كلام الفضل يدل على انه (ص) لو قال علي خليفتي من

بعدي ووليكم بعدي كان نصاً في خلافته مثبتاً لمدعانا عنده وعند أصحابه ، وهو كذب فانه (ص) قال هو خليفتي من بعدي ووليكم بعدي ، وقالوا لايدل على عدم الفصل بينهما حتى تنتفي خلافة غيره ، كما صنعه القوشجي فيما حكيناه عنه في الخبر الثاني ، وليس هذا الذي أقر الفضل بأنه نص بأعظم نصوصية من قوله تعالى (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا) الآية ، ولا من حديث الغدير والمنزلة والثقلين وأشباهها . ومع ذلك كابروا الضرورة وعاندوا الحقيقة ، فليتدبر من يريد لنفسه السلامة والقيام بالعذر والحجة يوم القيامة .

٥ ـ حديث لكل نبي وصي ووارث

قال المصنف طاب مرقده

(الخامس) من كتاب ابن المغازلي الشافعي باسناده عن رسول الله « ص » انه قال لكل نبي وصي ووارث وان وصيي ووارثي علي بن أبي طالب .

وقال الفضل

قد ذكرنا معنى الوصاية وانه غير الخلافة فقد يقال هذا وصي فلان على الصبي ويراد به انه القائم بعده بأمر الصبي وهو قريب من الوارث ولهذا قرنه في هذا الحديث بالوارث وليس هذا بنص في الخلافة إن صح الرواية .

وأقول

رواه الذهبي في ميزان الاعتدال بترجمة شريك بن عبد الله من طريق عن بريده وحكاه السيوطي في اللئالي عن العقيلي والحاكم كل منهما بطريق آخر عن بريدة وطعنوا في أسانيدها جميعاً ، وقد مرّ مراراً ما فيه وحكاه في ينابيع المودة في الباب الخامس عشر عن أخطب خوارزم عن بريدة ونحوه عن ام سلمة ، وحكاه في الباب السادس والخمسين عن كنوز الدقائق عن الديلمي ، فلا ريب باعتباره لكثرة طرقه واعتضادها ببقية أخبار الوصية المستفيضة ، كما لا ريب بدلالته على امامة أمير المؤمنين لما سبق في الحديث

الثالث ، مضافاً الى ظهوره بلزوم الوصي لـكل نبي واللازم هو الخليفة إذ لابد للناس من امام ، وأما قوله: فقد يقال هذا وصي فلانعلىالصبي ويراد بهانه القائم بعده بأمر الصبي ، فهو مثبت للمطلوب لانافى له لأن وصي النبي هو خليفته القائم بأمر امتـه ، وأماقوله: وهوقريب منالوارث ولهذا قرنه بالوارث، فصحيحولذا أفاد اللفظانالخلافة فان المراد بالوارث هو وارث العلم والمنزلة في الامة لا المال فيكون هو الامام .

٦ ـ حديث لا يؤدي عنك إلا أنت أو رجل منك

قال المصنف طاب ثراه

(السادس) في مسند احمد وفى الجمع بين الصحاح الستة ما معناه : ان رسول الله صلى الله عليه وآله بعث براءة مع أبي بكر الى أهل مكة فلما بلغ ذا الحليفة بعث اليه علياً فرده ، فرجع ابو بكر الى النبي (ص) فقال يا رسول الله أنزل فيَّ شيء ؟ قال لا. ولـكن جبرئيل جاءني وقال لا يؤدي عنك إلا أنت أو رجل منك .

وقال الفضل

حقيقة هذا الخبر ان رسول الله (ص) في السنة الثامنة من الهجرة بعث أبا بكر الصديق أميراً للحاج وأمره أن يقرأ أوائل سورة براءة على المشركين فى الموسم وكان بين النبي (ص) وقبائل العرب عهود ؛ فأمر أبا بكر بأن ينبذ اليهمعهدهم الى مدة اربعة أشهر كما جاء في صدر سورة براءة عنـد قوله تعالى فسيحوا فى الأرض اربعة أشهر ، وأمر ايضا أبا بكر بأن ينادي في الناس أن لا يطوف بالبيت عريان ولا يحج بعد العام مشرك ، فلما خرج ابوبكر الى الحج بدا لرسول الله (ص) فى أمر تبليغ سورة براءة لأنها كانت مشتملة على نبذ العهود وارجاعها الىاربعة أشهر وأنالعرب كانوا لايعتبرون نبذ العهد وعقده إلا من صاحب العهد ومن أحد من قومه ، وابو بكر كان من بني تيم فخاف رسولالله (ص) أن لايعتبر العرب نبذ العهد وعقده الى اربعة اشهرمنابي بكر لانه لم يكن من بنيهاشم فبعث علياً لقراءة سورة براءة ونبذعهود المشركين وأبوبكر على أمره من امارة الحج والنداء فى الناس بأن لايطوف فى البيت عريان ولا يحج بعد

العام مشرك ، فلما وصل علي الى أبي بكر قال له أبو بكر أأمير؟ قال لا : بل مبلغ لنبذ العهود ، فذهبا جميعاً الى أمرهم فلما حجوا ورجعوا قال ابو بكر لرسول الله (ص) فداك أبي وامي يا رسول الله أنزل فيّ شيء ؟ قال لا ولكن لا يبلغ عني إلا أنا ورجل من أهل بيتي ، هذا حقيقة الخبر وليس فيه دلالة على نص ولا قدح في ابي بكر وأما ماذكر ان رسول الله (ص) قال لا ولكن جبرئيل أتاني ، فهذا من ملحقاته وليس في أصل الحديث هذا الكلام .

وأقول

آثار الوضع فيما زعمه حقيقة الخبر ظاهرة والأدلة على وضعه كثيرة (اولها) انه لو كان العرب لا يعتبرون عقد العهد ونبذه إلا بمباشرة من له الأمر أو أحد أقاربه لما خالف النبي « ص » هذه القاعدة . فهل خالفها عمداً تساهلا بتنفيذ أمر الله تعالى او جهلا بما يعرفه الناس ؟ وكل ذلك لا يصح (ثانيها) ان ابا بكر اشفق من عزله حتى خاف ان يكون نزل به شيء كما ستسمع ، ولو كان عزله بعلي « ع » على مقتضى القاعدة لما اشفق ، ولاسيما انه قد بقي بزعمهم على امرة الحج والنداء بأن لا يطوف في البيت عريان وان لا يحج بعد العام مشرك ، وخصوصاً قد صار علي « ع » تحت امرته في الحج كما زعموا ، فهل مع هذا كله محل لاشفاقه وبكائه لمجرد العزل عن نبذ العهد إذا قضت به القاعدة ؟ (ثالثها) انه لا وجه لهذه القاعدة المزعومة فان العهد ونبذه إنما يحتاجان الى اليقين بحصولهما ممن له الأمر فأي وجه لتخصيص قرابته دون خاصته ، فلابد بعد توقف اداء هذا الأمر على النبي او من هو منه كما نطقت به الاخبار ان يكون هناك خصوصية خارجة عن العادات (رابعها) الاخبار المصرحة بأن ذلك من خواص علي (ع) دون سائر اقاربه كما في مسند احمد (١) عن يحيى بن آدم السلولي قال: قال رسول الله «ص» (علي مني وانا منه ولا يؤدي إلا انا او علي) وفيه ايضاً (٢) عن حبشي بن جنادة مثل ذلك من ثلاثة طرق ومثله ايضاً في سنن الترمذي بفضائل علي « ع » وقال حسن صحيح

---

(١) ص ١٦٤ من الجزء ٤ .　　(٢) ص ١٦٥ من ج ٤ .

وفي كنز العمال (١) عن النسائي وابن ماجة ونحوه في بعض الاخبار الآتية .

(خامسها) الاخبار الدالة على رجوع ابي بكر عند وصول علي « ع » اليه (منها ما رواه احمد في مسنده (٢) عن ابي بكر ان النبي « ص » بعثه ببراءة لأهل مكة لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة من كان بينه وبين رسول « ص » فأجله الى مدته والله بريء من المشركين ورسوله ، قال فسار بها ثلاثاً ثم قال لعلي: الحقه فرد عليّ ابا بكر وبلغها انت ففعل ، فلما قدم على النبي صلى الله عليه وآله ابو بكر بكى ، قال يا رسول الله حدث فيّ شيء قال ما حدث فيك إلا خير ولكن امرت ان لا يبلغه إلا انا او رجل مني ، وحكاه في كنز العمال بتفسير سورة التوبة (٣) عن ابن خزيمة وأبي عوانة والدارقطني في الأفراد . و (منها) مارواه احمد ايضاً (٤) عن علي « ع » قال: لما نزلت عشر آيات من براءة على النبي «ص» دعا النبي صلى الله عليه وآله أبا بكر فبعثه بها ، ثم دعاني النبي « ص » ، فقال لي ادرك أبا بكر فحيثما لحقته فخذ الكتاب منه فاذهب به الى مكة فاقرأه عليهم فلحقته بالجحفة فأخذت الكتاب منه ورجع أبو بكر الى النبي « ص » فقال يا رسول الله نزل فيّ شيء قال لا: ولكن جبرئيل جاءني فقال لن يؤدي عنك إلا أنت أو رجل منك ، ونقله في كنز العمال (٥) عن أبي الشيخ وابن مردويه ونحوه في الكشاف ايضاً . وهذا مصدق لما نقله المصنف « ره » من قول جبرئيل و (منها) ما رواه احمد في مسنده ايضاً (٦) عن أنس ان رسول الله «ص» بعث ببراءة مع ابي بكر الى أهل مكة قال ثم دعاه فبعث بها علياً ونحوه في سنن الترمذي في تفسير سورة التوبة وقال هـذا حديث حسن وفي كنز العمال (٧) عن ابن أبي شيبة و (منها) ما رواه الحاكم في كتاب المغازي (٨) عن ابن عمر من حديث قال فيه أن رسول الله « ص » بعث أبا بكر وعمر ببراءة الى أهل مكة فانطلقا فاذا هما براكب فقال من هذا ؟ قال: أنا علي يا أبا بكر هات الكتاب الذي

---

(١) ص ١٥٣ من ج ٦ . (٢) ص ٢ من ج ١ . (٣) ص ٢٤٦ من ج ١ .
(٤) ص ١٥١ من ج ١ . (٥) ص ٢٤٧ من ج ١ . (٦) ص ٢٨٣ من ج ٣ .
(٧) ص ٢٤٩ من ج ١ . (٨) ص ٥١ من ج ٣ .

معك فأخذه علي الكتاب فذهب به ورجع أبو بكر وعمر الى المدينة فقالا: ما لنا يا رسول الله قال مالكما إلا خير ولكن قيل لي لا يبلغ عنك إلا أنت أو رجل منك .

(سادسها) الأخبار المصرحة بأن علياً بعث ايضاً بأن لا يحج بعد العام مشرك وأن لا يطوف بالبيت عريان كالذي رواه الترمذي في سورة التوبة وصححه عن زيد بن تبيع قال : « سألنا علياً بأي شيء بعثت في الحجة قال بعثت بأربع أن لا يطوف بالبيت عريان ومن كان بينه وبين النبي (ص) عهد فهو الى مدته ومن لم يكن له عهد فأجله اربعة أشهر ولا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة ولا يجتمع المشركون والمسلمون بعد عامهم هذا » ونقله في كنز العمال (١) عن الحميدي وسعيد بن منصور وابن أبي شيبة والعدني وابي داود وابن مردويه والدارقطني وجماعة ، وكالذي رواه الحاكم في المستدرك (٢) في سورة براءة وصححه عن أبي هريرة قال : « كنت في البعث الذي بعثهم رسول الله (ص) مع علي ببراءة الى مكة فقال له ابنه أو رجل آخر فبم كنتم تنادون؟ قال كنا نقول لا يدخل الجنة إلا مؤمن ولا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ومن كان بينه وبين رسول الله (ص) عهد فان أجله اربعة اشهر فناديت حتى صحل صوتي » وروى الطبري في تفسيره نحو هذين الحديثين عن علي وابن عباس وأبي هريرة من عدة طرق .

فثبت بما ذكرنا كذب ما زعمه الفضل حقيقة الخبر ، وظهر أن أبا بكر رجع قبل الحج معزولا لا لقضاء قواعد العرب بارسال علي « ع » بل لتوقف مثل هـذا العمل عند الله سبحانه على النبي « ص » أو علي « ع » لأنه منه ونفسه ، فلابد أن يكون نصب أبي بكر ثم عزله بعلي « ع » في أثناء الطريق بعد اشتهار نصبه إنما هو للتنبيه من الله تعالى ونبيه « ص » على أن أبا بكر غير صالح للقيام مقام النبي « ص » في ذلك ، فلا يصلح بالأولوية للزعامة العظمى بعده ، وللتنبيه ايضاً على أن مثل هـذا العمل إذا لم يصلح إلا لمن هو من النبي «ص» ونفسه فالامامة أولى ، ففيه ارشاد الى فضل علي وانه هو المتعين للقيام مقام رسول الله « ص » في الامامة والزعامة العامة دون سائر الناس ، ولو أرسل النبي (ص) أمير المؤمنين «ع» من أول الأمر لم يحصل ذلك التنبيه والارشاد .

(١) ص ٢٤٨ من ج ١ . (٢) ص ٣٣١ من ج ٢ .

٧ ـ حديث اختصاص المناجاة بعلي

قال المصنف قدس الله روحه

(السابع) في الجمع بين الصحاح الستة وتفسير الثعلبي ورواية ابن المغازلي الشافعي آية المناجاة واختصاص أمير المؤمنين « ع » بها (تصدق بدينار حال المناجاة ولم يتصدق أحد قبله ولا بعده) : ثم قال علي « ع » ان في كتاب الله آية ما عمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي ، وهي (يأيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول) الآية وبي خفف الله تعالى عن هذه الامة فلم تنزل في أحد بعدي .

وقال « الفضل » قد ذكرنا ان هذا من فضائل أمير المؤمنين ولم يشاركه أحد في هذه الفضيلة وهي مذكورة في الصحاح ولكن لا تدل على النص المدعى .

و « أقول » قد أوضحنا دلالتها على امامته فراجع وتبصر .

٨ ـ حديث المباهلة

قال المصنف طيب رمسه

(الثامن) آية المباهلة في الجمع بين الصحيحين انه لما أراد المباهلة لنصارى نجران احتضن الحسين وأخذ بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلي يمشي خلفها وهو يقول لهم إذا دعوت فأمّنوا : فأي فضل أعظم من هذا والنبي « ص » يستمد بدعائه ويجعله واسطة بينه وبين ربه تعالى !

وقال الفضل

قصة المباهلة مشهورة وهي فضيلة عظيمة كما ذكرنا وليس فيه دلالة على النص ، وأما ما ذكره من أن النبي « ص » كان يستمد بدعائه فهذا لا يدل على احتياج النبي [ع] الى دعاء أهل بيته وتأمينهم ولكن عادة المباهلة كما ذكر الله في القرآن أن يجمع الرجل أهله وقومه وأولاده ليكون أهيب في أعين المباهلين ويشمل البهلة إياه وقومه وأتباعه ، وهذا سر طلب التأمين منهم لا انه استعان بهم وجعلهم واسطة بينه وبين ربه ليلزم انهم كانوا أقرب

الى الله منه ؛ هذا يفهم من كلامه ومن معتقده المشوم الباطل نعوذ بالله من أن يعتقد أن في امة رسول الله (ص) من كان أقرب الى الله منه .

وأقول

لا ريب ان النبي (ص) وكل صالح مقرب لا يرى لنفسه استحقاقاً في استجابة دعائه ولا يجعل الاعمال على نفسه ، بل يتوسل الى الاجابة بأنواع الوسائل التي يقتضيها المقام ، كتعظيم الله سبحانه وتمجيده بأسمائه الحسنى والتملق له بحمده وشكر نعمائه واظهار المذلة والخضوع لجنابه الأرفع قولا وفعلا بأن يجلس على الأرض ويعفر وجهه بالتراب مثلا ، وربما تقتضي أهمية المطلوب أن يجمع معه المقربين لاحتمال أن للاجتماع مدخلية في حصول الاجابة أو مبادرتها أو كونها تخص أحدهم لخصوصية هناك ، فحينئذ لامانع من استسعاد النبي (ص) بدعاء أهل بيته عليهم السلام واستعانته بهم في التأمين على دعائه وجعلهم واسطة بينه وبين ربه ، وإن كان هو أقرب منهم الى الله تعالى . ولا سيما إذا كان المراد مع ذلك اظهار فضلهم على سائر الامة من الأقارب والأباعد والأكابر والأصاغر فلا معنى لما زعمه الفضل من لزوم انهم أقرب الى الله منه ، وليس هو معتقداً للمصنف « ره » ولا يجوّزه أحد منا ، ولكن يجوزه بعض القوم كما عرفت في الجزء الأول ص (٣٧٤) ان ابن حزم نقله عن الباقلاني الأشعري ؛ وهو لازم مذهب الأشاعرة من نفي الحسن والقبح العقليين ، وبالجملة المباهلة إنما تقع بين الخصمين ومن المعلوم أن خصم أهل نجران هو النبي (ص) خاصة ، لكن لما كان ادخال علي وفاطمة والحسنين معه في المباهلة يشتمل على فوائد ادخلهم معه :

(الاولى) اظهار اعتماده على انه المحق فان ادخال أعز الناس في محل الخطر دليل على ذلك وعلى اعتقاده بالنجاح والسلامة . (الثانية) الاستسعاد بهم والاستعانة بدعائهم ولذا أمرهم بالتأمين على دعائه ولا وجه لما قاله الفضل من أن سر طلب التأمين شمول البهلة لهم لا الاستعانة بدعائهم فان خروجهم معه كاف في شمول البهلة لهم بلا حاجة الى تأمينهم ، ولو كان التأمين هو السر في شمول البهلة لهم فمن أين علم شمولها لقوم النبي (ص) وأتباعه ولم يأخذهم معه وما أراد تأمينهم . « الثالثة » بيان فضلهم على الامة باشراكهم معه كما

أمر الله تعالى دون أقاربه وخاصته في إثبات دعوى النبوة بالمقـام الشهير المشهود ، فانه منزلة عظمى لا سيما لعلي عليه السلام الذي عبر الله سبحانه عنـــه بنفس النبي . ودعوى ان عادة المباهلة أن يجمع الرجل أهله وقومه وأولاده كاذبة كما سبق فى الآية السادسة ، وإلا لمـا خالفها النبي (ص) ولاعترض عليه النصارى في المخالفة ، كدعوى شمول البهلة للاتباع وإلا لادخل النبي (ص) معه ولو واحداً منهم ، وكون وجوده هو الأصل والمدار فيستغني عن وجودهم وارد في المرأة والطفلين بالأولوية فلم لا استغنى عنهم ومن المضحك قوله ليكون أهيب في عيون المبـاهلين فانه لو كان الداعي لوجودهم هو الهيبة فلم خص شاباً وامرأة وطفلين وترك المشائخ الـكبار والحفدة والأنصار وقد مرّ في الآية السادسة ما يزيدك تحقيقاً وبياناً للمطلوب .

٩ ـ حديث المنزلة

قال المصنف أعلى الله مقامه

« التاسع » في مسند احمد من عدة طرق وفي صحيح البخاري ومسلم من عـدة طرق ان النبي (ص) ، لما خرج الى تبوك استخلف علياً في المدينة وعلى أهله فقـال علي ما كنت اوثر أن تخرج في وجه إلا وأنا معك فقـال : أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي .

وقال الفضل

هذا من روايات الصحاح وهذا لايدل على النص كما ذكره العلماء ، ووجه الاستدلال به انه نفى النبوة من علي وأثبت له كل شيء سواه ومن جملتـه الخلافة ، والجواب ان هارون لم يكن خليفة موسى لأنه مات قبل موسى بل المراد استخلافه بالمدينة حين ذهابه الى تبوك كما استخلف موسى هارون عند ذهابه الى الطور لقوله تعالى واخلفني في قومي ، وايضاً يثبت به لأمير المؤمنـين فضيلة الاخوة والموازرة لرسول الله صلى الله عليه وآله في تبليغ الرسالة وغيرها من الفضائل وهي مثبتة يقيناً لاشك فيه .

وأقول

لاريب أن الاستثناء دليل العموم فتثبت لعلي « ع » جميع منازل هارون الثابتة له في الآية سوى النبوة ومن منازل هارون الامامة لأن المراد بالأمر في قوله تعالى « واشركه في أمري » هو الأعم من النبوة التي هي التبليغ عن الله تعالى ومن الامامة التي هي الرياسة العامة فانهما أمران مختلفان ، ولذا جعل الله سبحانه ابراهيم نبياً وإماماً بجعلين مستقلين وكان كثير من الأنبياء غير أئمة كمن كانوا بزمن ابراهيم وموسى فانهم أتباع لهما وخاضعون لسلطانهما ، ويشهد للحاظ الامامة وارادتها من الأمر في الآية الأخبار السابقة المتعلقة بآخر الآيات التي ذكرناها في الخاتمة المصرحة تلك الأخبار بأن النبي { ص { دعا فقال : « اللهم إني اسألك بما سألك اخي موسى ان تشرح لي صدري وان تيسر لي امري وتحل عقدة من لساني يفقهوا قولي واجعل لي وزيراً من اهلي علياً اخي اشدد به ازري واشركه في امري » فان المراد هنا بالاشراك في امره هو الاشراك بالامامة لا الاشراك بالنبوة كما هو ظاهر ولا المعاونة على تنفيذ ما بعث فيه لأنه قد دعا له اولا بأن يكون وزيراً له .

وبالجملة معنى الآية الكريمة اشركه في اماتي الشاملة لجهتي النبوة والامامة ، ولذا نقول ان خلافة هارون لموسى لما ذهب الى الطور ليست كخلافة سائر الناس ممن لا حكم ولا رياسة له ذاتاً بل هي خلافة شريك لشريك اقوى ولذا لا يتصرف بحضوره ، فكذا علي بحكم الحديث لدلالته على ان له جميع منازل هارون التي منها شركته لموسى في امره سوى النبوة ، فيكون علي إماماً مع النبي في حياته كما اوضحناه عند الكلام على الاولى من الآيات التي ذكرها المصنف { ره { ، فلابد ان تستمر امامته الى ما بعد وفاته ولاسيما ان النظر في الحديث الى ما بعد النبي (ص) ايضاً ولذا قال : إلا انه لا نبي بعدي ، ولو تنزلنا عن ذلك فلا اشكال بأن من منازل هارون ان يكون خليفة لموسى لو بقي بعده لأن الشريك اولى الناس بخلافة شريكه فكذا يكون علي (ع) ، مع ان الآية الكريمة قاضية بفضل هارون على سائر قوم موسى فكذا علي بالنسبة الى المسلمين فيكون إمامهم .

وقد علم على جميع الوجوه انه لاينافي الاستدلال بالحديث على المدعى موت هارون قبل موسى كما علم بطلان ان يكون المراد مجرد استخلاف امير المؤمنين في المدينة خاصة فان خصوص المورد لا يخصص العموم الوارد ، ولا سيما ان الاستخلاف بالمدينة ليس مختصاً بأمير المؤمنين (ع) لاستخلاف النبي (ص) غيره بها في باقي الغزوات ، ومقتضى الحديث ان الاستخلاف منزلة خاصة به كمنزلة هارون من موسى التي لم يستثن منها إلا النبوة ، فلابد ان يكون المراد بالحديث إثبات تلك المنزلة العامة له الى ما بعد النبي (ص) .

واستدل الفضل على إرادة الاستخلاف بالمدينة خاصة حين ذهاب النبي (ص) الى تبوك بقوله تعالى (واخلفني في قومي) وهو خطأ ظاهر لأن مجرد وقوع الاستخلاف الخاص من موسى لايدل على اختصاص خلافة هارون في ذلك المورد دون غيره ، فكذا استخلاف النبي (ص) لعلي (ع) بل العبرة بعموم الحديث مع اقتضاء شركة هارون لموسى في أمره ثبوت الخلافة العامة له فكذا علي (ع) .

ويدل على عدم إرادة ذلك الاستخلاف الخاص بخصوصه ورود الحديث في موارد لا دخل لها به (فمنها) ما سيجيء إن شاء الله تعالى من ان النبي (ص) علل تحليل المسجد لعلي جنباً بأنه منه بمنزلة هارون من موسى . (ومنها) ما رواه في كنز العمال (١) عن ام سليم ان النبي (ص) قال لها يا ام سليم ان علياً لحمه من لحمي ودمه من دمي وهو مني بمنزلة هارون من موسى (ومنها) ما رواه في الكنز ايضاً (٢) عن ابن عباس ان عمر قال: « كفوا عن ذكر علي بن ابي طالب فاني سمعت رسول الله (ص) يقول في علي ثلاث خصال لأن يكون لي واحدة منهن احب إليّ مما طلعت عليه الشمس : كنت وابو بكر وابو عبيدة ونفر من اصحاب رسول الله (ص) والنبي متكىء على علي حتى ضرب على منكبه ثم قال انت يا علي اول المؤمنين إيماناً واولهم اسلاماً ثم قال انت مني بمنزلة هارون من موسى وكذب من زعم انه يحبني ويبغضك » (ومنها) ما في الكنز ايضاً (٣) عن زيد بن ابي اوفى في قصة المؤاخاة ان النبي (ص) قال والذي بعثني بالحق ما اخرتك إلا

(١) ص ١٦٤ من ج ٦ . (٢) ص ٣٩٥ من ج ٦ . (٣) ص ٣٩٠ من ج ٦ و ص ٤٠ من ج ٥ .

لنفسي وانت مني بمنزلة هارون من موسى غير انه لا نبي بعدي الحديث (ومنها) مارواه النسائي في الخصائص بالنسبة الى ما يتعلق ببنت حمزة حيث اختصم بتربيتها علي وجعفر وزيد فقال رسول الله « ص » يا علي انت مني بمنزلة هارون من موسى الحديث . الى غيرها من الموارد الكثيرة ويشهد ايضاً لعموم المنزلة ما ورد ان النبي (ص) سمى الحسنين بالحسنين اقتفاء لهارون في تسمية ولديه بشبر وشبير كما في مسند احمد بموارد عديدة (١) فان ذلك ونحوه شاهد بأن علياً (ع) شبيه بهارون بجميع المزايا وان له خصائصه كلها واظهرها الامامة بل يستفاد من حديث التسمية امامة الحسنين ايضاً كولدي هارون (ع) .

١٠ ـ حديث إني دافع الراية غداً

قال المصنف شرف الله منزلته

(العاشر) في مسند احمد من عدة طرق وصحيحي مسلم والبخاري من طرق متعددة وفي الجمع بين الصحاح الستة ايضاً عن عبدالله بن بريدة ، قال سمعت أبي يقول : حاصرنا خيبر وأخذ اللواء ابو بكر فانصرف ولم يفتح له ثم أخذه عمر من الغد فرجع ولم يفتح له وأصاب الناس يومئذ شدة وجهد ، فقال رسول الله (ص) إني دافع الراية غداً الى رجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله كرار غير فرار لا يرجع حتى يفتح الله له . فبات الناس يتداولون ليلتهم أيهم يعطاها ، فلما أصبح الناس غدوا الى رسول الله صلى الله عليه وآله كلهم يرجو أن يعطاها ، فقال اين علي بن أبي طالب ؟ فقالوا انه ارمد العين فأرسل اليه فأتى فبصق رسول الله (ص) في عينيه ودعا له فبرىء فأعطاه الراية ومضى علي فلم يرجع حتى فتح الله على يديه .

وقال الفضل

حديث خيبر صحيح وهذا من الفضائل العلية لامير المؤمنين لا يكاد يشاركه فيها أحد وكم له من فضائل مثل هذا ، والعجب ان كل هذه الفضائل يرويه من كتب أصحابنا

(١) ص ٩٨ وص ١١٨ وص ١٥٩ من ج ١ .

ويعلم أنهم في غاية الاهتمام بنشر مناقب أمير المؤمنين وفضائله وماهم كالروافض والشيعة في إخفاء مناقب مشايخ الصحابة فلو كان هناك نص كانوا مهتمين لنقله ونشره كاهتمامهم في نشر فضائله ومناقبه لخلوهم عن الأغراض والاعراض عن الحق .

وأقول

إذا حكم بصحة الحديث لزم أن يحكم بأنه منقصة للشيخين كما هو كمال وفضيلة لأمير المؤمنين (ع) لأن مدحه بهذا المدح بعد انصرافهما باللواء صريح بالتعريض فيهما وأنهما ليسا على ذلك الوصف ، فهما لا يحبان الله ورسوله ولا يحبهما الله ورسوله وهما فراران غير كرارين ، كما لا يخفى على من لحظ النظائر ، فإن من أرسل رسولا بمهمة له ولم يقض المهمة فقال لأبعثن رسولا حازماً يقضي المهم أحبه ويحبني دل على أن الرسول الأول ليس على هذا الوصف ، على ان وصف النبي (ص) لمن يدفع اليه اللواء بأنه يحب الله ورسوله ويحبانه غير مرتبط في المقام إلا من حيث بيان ان من يحب الله ورسوله لابد أن يبذل نفسه في سبيلهما ولا يجبن عند الجهاد وإن من يحبه الله ورسوله لا يعصيهما بالفرار من الزحف الذي هو من اكبر الذنوب وأسوأ المعاصي ، فينبغي أن لا يكون الرجلان بهذا الوصف الجميل ، وحينئذ فاذا اختص علي « ع » دونهما بحبه لله ورسوله وحبهما له تعين للامامة إذ كيف يكون إمام الامة وزعيم الدين من لا يحب الله ورسوله ولا يحبانه فرّاراً جباناً .

واعلم ان أخذ الشيخين اللّواء وانصرافهما به غير موجود في الروايات التي رواها البخاري في غزوة خيبر ورواها مسلم في باب فضائل علي عليه السلام ، فلعل نسبة المصنف (ره) الحديث اليهما والى غيرهما باعتبار مجموعه وإن لم يرويا إلا محاربة علي « ع » وقول النبي (ص) فيه ، ويمكن أن يكون تمام الحديث مروياً في مقامات اخر من الصحيحين لم اطلع عليها أو يكون ما يتعلق بالشيخين مسقطاً من الحديث حفظاً لشأنهما

ومما وجدته من الأحاديث المشتملة عليه ما رواه احمد في مسنده (١) عن بريدة قال :

---

(١) ص ٣٥٣ من ج ٥ .

« حاصرنا خيبر فأخذ اللواء ابوبكر فانصرف ولم يفتح له ثم أخذه عمر من الغد فخرج فرجع ولم يفتح له واصاب الناس يومئذ شدة وجهد فقال رسول الله « ص » إني دافع الراية غداً الى رجل يحبه الله ورسوله ويحب الله ورسوله لا يرجع حتى يفتح له ، فبتنا طيبة انفسنا ان الفتح غداً فلما ان اصبح رسول الله « ص » صلى الغداة ثم قام قائماً فدعا باللواء والناس على مصافهم فدعا علياً وهو ارمد فتفل في عينه ودفع اليه اللواء وفتح له » .

(ومنها) ما رواه احمد ايضاً (١) قال لما نزل رسول الله (ص) بحصن اهل خيبر اعطى رسول الله (ص) اللواء عمر بن الخطاب ونهض معه من نهض من المسلمين فلقوا اهل خيبر ، فقال رسول الله لأعطين الراية غداً رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله فلما كان الغد دعا علياً وهو ارمد فتفل في عينه واعطاه اللواء ونهض الناس معه فلقي مرحب ، الى ان قال : فضربه على هامته حتى عض السيف منها بأضراسه وسمع اهل العسكر صوت ضربته ، قال : وما تتام آخر الناس مع علي حتى فتح له .

(ومنها) ما رواه الحاكم في كتاب المغازي من المستدرك (٢) عن ابي ليلى عن علي « ع » انه قال : يا ابا ليلى اما كنت معنا بخيبر؟ قال : بلى والله كنت معكم ، قال : فان رسول الله (ص) بعث ابا بكر الى خيبر فسار بالناس وانهزم حتى رجع ، وروى الحاكم ايضاً عن علي (ع) قال : سار النبي (ص) الى خيبر فلما اتاها بعث عمر وبعث معه الناس فقاتلوهم فلم يلبثوا ان هزموا عمر واصحابه فجاؤا يجبنونه ويجبنهم الحديث . وروى الحاكم ايضاً عن جابر نحو هذا وصحح الأحاديث كلها ، ثم روى الحاكم عن جابر قال : لما كان يوم خيبر بعث رسول الله « ص » رجلا فجبن فجاء محمد بن سلمة فقال يا رسول الله لم أر كاليوم قط الى ان قال : ثم قال رسول الله « ص » : لأبعثن غداً رجلا يحب الله ورسوله ويحبانه لا يولي الدبر يفتح الله على يديه ، فتشوف لها الناس وعلي يومئذ ارمد ، فقال له رسول الله « ص » : سر ، فقال : يا رسول الله ما ابصر موضعاً ، فتفل في عينيه وعقد له ودفع اليه الراية ، الى ان قال فلقيهم ففتح الله عليه

(١) ص ٣٥٨ من ج ٥ . (٢) ص ٣٧ من ج ٣ .

« أقول » : المراد بالرجل الذي جبن هو أبو بكر أو عمر بدلالة الأخبار الاخر على أن الفار هو أحدهما لا غيرهما .

(ومنها) ما نقله في كنز العمال (١) في فضائل علي (ع) عن ابن أبي شيبة واحمد ابن حنبل وابن ماجة والبزار وابن جرير ، قال : وصححه ، والطبراني والحاكم والبيهقي والضياء المقدسي في المختارة بأسانيدهم عن عبدالرحمن بن أبي ليلى ، قال : كان علي يخرج في الشتاء في ازار ورداء ثوبين خفيفين وفي الصيف في القباء المحشو والثوب الثقيل فقال الناس : لو قلت لأبيك فانه يسمر معه فسألت أبي ، الى أن قال : فسمر معه فقال يا أمير المؤمنين إن الناس قد تفقدوا منك شيئاً ، الى أن قال : قال : أو ما كنت معنا يا أبا ليلى بخيبر ؟ قال : بلى والله كنت معكم ، قال : فان رسول الله (ص) بعث أبا بكر فسار بالناس فانهزم حتى رجع عليه وبعث عمر فانهزم بالناس حتى انتهى اليه ، فقال رسول الله (ص) لاعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله له ليس بفرار فأرسل إليّ فدعاني فأتيته وأنا أرمد لا ابصر شيئاً فتفل في عيني ، وقال : اللهم اكفه الحر والبرد فما آذاني بعده حر ولا برد ، ونحوه في خصائص النسائي .

(ومنها) ما نقله في الكنز في غزوة خيبر (٢) عن ابن أبي شيبة والبزار قال وسنده حسن عن علي (ع) قال : « سار رسول الله (ص) الى خيبر فلما أتاها بعث عمر ومعه الناس الى مدينتهم فقاتلوهم ، فلم يلبثوا أن هزموا عمر وأصحابه فجاء يجبنهم ويجبنونه ، فساء ذلك رسول الله (ص) ، فقال : لأبعثن رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يقاتلهم حتى يفتح الله له ليس بفرار » الحديث ، ونقل ايضاً في المقام المذكور عن ابن جرير عن بريدة قال : « لما كان يوم خيبر أخذ اللواء ابو بكر فرجع ولم يفتح له فلما كان من الغد أخذ عمر اللواء وقتل ابن مسلمة ورجع الناس ، فقال رسول الله (ص): لأدفعن لواي هذا الى رجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله لن يرجع حتى يفتح عليه » الحديث ، ونحوه في خصائص النسائي ايضاً ، ونقل في الكنز ايضاً عن ابن أبي شيبة عن بريدة قال : « لما نزل رسول الله (ص) بحصن خيبر فزع أهل خيبر فبعث

(١) ص ٣٩٤ من ج ٦ . (٢) ص ٢٨٣ من ج ٥ .

رسول الله (ص) عمر بن الخطاب بالناس فلقي أهل خيبر فردوه وكشفوه هو وأصحابه فرجعوا الى رسول الله (ص) يجبن أصحابه ، ويجبنه أصحابه ، فقال رسول الله (ص) لأعطين اللواء غداً رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله فلما كان الغد تصادر لها أبو بكر وعمر ، فدعا علياً وهو يومئذ أرمد فتفل في عينه وأعطاه اللواء فانطلق بالناس فلقي أهل خيبر ولقي مرحباً » الى أن قال : « فضربه علي ضربة على هامته بالسيف عض السيف منها بالأضراس وسمع صوت ضربته أهل المسكر فما تتام آخر الناس حتى فتح لأولهم » ونحوه في تاريخ الطبري (١) .

(ومنها) ما أخرجه الطبري بعد الحديث المذكور عن بريدة قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وآله ربما أخذته الشقيقة فلم يخرج الى الناس ، وان أبا بكر أخذ راية رسول الله (ص) ثم نهض فقاتل قتالا شديداً ثم رجع ، فأخذها عمر فقاتل قتالا شديداً هو أشد من القتال الأول ثم رجع ، فأخبر بذلك رسول الله (ص) فقال : أما والله لأعطينها رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يأخذها عنوة » الى أن قال : « وخرج مرحب فبدره علي فضربه فقد الحجر والمغفر ورأسه حتى وقع في الأضراس وأخذ المدينة » ومثله في كامل ابن الأثير(٢) إلا أنه قال في آخره : « فضربه فقد الجحفة والمغفر ورأسه حتى وقع في الأرض وأخذ المدينة » .

الى غير ذلك من الأخبار التي يطول ذكرها وليت شعري ما هذا القتال الشديد من الشيخين الذي لم يصب فيه أحد بكلم ولم يهرق فيه دم .

وأما ما ذكره الفضل من أن المصنف (ره) يروي هذه الفضائل من كتبهم ، فسلم لأن المطلوب الزامهم بما هو حجة عليهم وليس ذكرهم لهذه الفضائل دليلا على اهتمامهم بنقل ما يرونه نصاً لو اطلعوا عليه كما سبق بيانه في الآية الثانية والثمانين ، وما رووا تلك الفضائل إلا لزعمهم عدم دلالتها على امامته لا لخلوهم عن الاغراض ، ولذا لما نبههم الشيعة على دلالتها على امامته حذف المتأخرون منهم ما يمكن حذفه من كتب المتقدمين كحديث النور ونحوه من مسند احمد ، وأولوا كثيراً منها بما هو أشبه بشبه السوفسطائية وناقشوا

(١) ص ٩٣ من ج ٣ .　　(٢) ص ١٠٥ من ج ٢ .

في أسانيد الكثير منها مع تعدد طرقها الكافي في اعتبارها ، على انهم قل ما يروون فضائله على وجهها ويوافون بالحقائق على حالها .

وأما قوله : وما هم كالروافض والشيعة في اخفاء مناقب مشايخ الصحابة ، فلعمري لقد أراد أن يفضح فافتضح لأنه يطلب منا أن نكذب ونحدث بما لا أصل له مما أحدثه حب الدنيا وحدا اليه الرجاء والخوف في أيام معاوية وأشباهه ، كما سبق في المقدمة ، ويطلب منا أن نروي ما يخالف العقل والدين : كالأخبار القائلة ان أبا بكر وعمر لا يحبان الباطل الدالة على أن النبي (ص) يحبه حيث تغنى له المغنون والمغنيات كما يروون وكالأخبار القائلة لولم ابعث لبعث عمر ولو كان نبي بعدي لكان عمر المستلزمة لجواز بعثة من سبق منه الكفر وكروايات تبشير العشرة بالجنة التي عرفت حالها في الآية الثانية والثلاثين ، وكرواية ان أبا بكر وعمر سيدا كهول أهل الجنة مع انه لا كهول فيها ، وكرواية دعاء النبي (ص) لمعاوية أن يجعله الله هادياً مهدياً مع ظهور الضلال على صفحات أفعاله وأقواله : من قتله النفوس البريّة ، وحربه لمن حربه حرب لله ورسوله ، وسبّه لمن سبُّه سبُّها ، والحاقه العهار بالنسب مراغمة للشريعة الأحمدية . الى نحو ذلك من أخبار فضائلهم .

١١ ـ حديث برز الايمان كله الى الشرك كله

قال المصنف طاب رمسه

(الحادي عشر) روى الجمهور انه لما برز الى عمرو بن عبد ود العامري في غزاة الخندق وقد عجز عنه المسلمون قال النبي (ص) : « برز الايمان كله الى الشرك كله » .

وقال الفضل

انه صح هذا ايضاً في الخبر وهذا ايضاً من مناقبه وفضائله التي لا ينكرها إلا سقيم الرأي ضعيف الايمان ولكن الكلام على النص وهذا لا يثبته .

وأقول

لما جعل رسول الله (ص) علياً كل الايمان دل على انه قوامه وانه أفضل ايماناً واثراً من جميع المؤمنين ، إذ لم يقم لهم ايمان لولاه ، والأفضل أحق بالامامة ، ويشهد لفضله

عليهم في الأثر ما جاء عن رسول الله (ص): لضربة علي أفضل من عبادة الثقلين، أو لمبارزة علي لعمرو أفضل من أعمال امتي الى يوم القيامة ، كما سبق في الآية الحادية والخمسين ، وهذا مما يؤيده قوله (ص) : « الساعي بالخير كفاعله » ويقضي به العقل إذ بقتل أمير المؤمنين « ع » لعمرو خمدت جمرة الكفر وانكسرت عزيمة الشرك ، فكان هو السبب في بقاء الايمان واستمراره ، وهو السبب في تمكين المؤمنين من عبادتهم الى يوم الدين ، لكن هذا ببركة النبي الحميد ودعوته وجهاده في الدين فان علياً حسنة من حسناته فلا أفضل من سيد الوصيين إلا سيد المرسلين زاد الله في شرفهما وصلى عليهما وعلى آلهما الطاهرين .

١٢ ـ حديث سد الأبواب عدا باب علي

قال المصنف أعلى الله درجته

(الثاني عشر) في مسند احمد من عدة طرق ان النبي «ص» أمر بسد الأبواب إلا باب علي ، فتكلم الناس فخطب رسول الله « ص » فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد فاني أمرت بسد هذه الأبواب غير باب علي فقال فيه قائلكم ؟ والله ما سددت شيئاً ولا فتحته وإنما أمرت بشيء فاتبعته .

وقال الفضل

كان المسجد فى عهد رسول الله « ص » متصلا ببيت رسول الله «ص» وكان علي ساكن بيت رسول الله « ص » لمكان ابنته وكان الناس من أبوابهم في المسجد يترددون ويزاحمون المصلين ، فأمر رسول الله « ص » بسد الأبواب إلا باب علي ، وقد صح فى الصحيحين ان رسول الله « ص » أمر بسد كل خوخة فى المسجد إلا خوخة أبي بكر والخوخة الباب الصغير فهذا فضيلة وقرب حصل لأبي بكر وعلي .

وأقول

لا يخفى أن حقيقة الفضل في هذه الفضيلة ليس لمجرد الاختصاص بعدم سد الباب ،

بل لما يكشف عنه من طهارة علي « ع » وانه يحل له أن يجنب في المسجد ويمكث فيه جنباً ولا يكره له النوم فيه كما كان ذلك لرسول الله « ص » ، فإن عمدة الغرض من سد الأبواب تنزيه المسجد عن الأدناس وتبعيده عن المكروهات والامور البيتية ، وكان علي « ع » كالنبي (ص) لا تؤثر فيه الجنابة والنوم دنساً معنوياً وكان بيت الله كبيته لكونه حبيبه القريب منه فاستثني كالنبي لذلك كما ستعرفه .

وأما قوله : كان علي ساكن بيت رسول الله « ص » الى آخره فالظاهر أن غرضه به انكار فضل أمير المؤمنين « ع » لأن المستثنى حينئذ هو باب رسول الله « ص » لأن البيت له إذ لا يتعلق في المقام بهذه المقدمة فائدة سوى هذا الغرض السوء وان ناقض نفسه بجعل الاستثناء فضيلة لعلي « ع » شارك بها أبا بكر فكان يلزمه أن يخص الفضيلة بأبي بكر وحده .

وفي كلا مقصديه من إنكار فضل أمير المؤمنين (ع) وإثبات فضل أبي بكر نظر « أما الأول » فلان كون البيت لرسول الله (ص) لا يمنع من اختصاص علي بباب منفرد ، كيف وقد صرحت الأخبار بأن الباب لعلي حتى تكلم الناس في استثناء بابه ، ولو كان الباب للنبي (ص) لما كان محل لكلامهم فيه ولا لحسدهم لعلي (ع) ؛ بل هذا مما يقرب ان البيت كالباب مختص بعلي (ع) إما ملكاً كما هو الظاهر أو بالسكنى فقط والملكية لرسول الله { ص } ، وعليه ينبغي أن يقبضه أبو بكر كما قبض فدك فيتركهم بلا دار ولا عقار . « وأما الثاني » فلان الخوخة إذا كانت هي الباب الصغير كما يشهد له رواية البخاري للحديث في مناقب أبي بكر بلفظ الباب بدل الخوخة لزم كذب خبر استثناء باب أبي بكر لأنه إذا أقر باستثناء باب علي وهو متقدم زماناً كما ستعرف فلابد من العمل بأمر النبي { ص } فلا يبقى باب مفتوح سوى باب علي { ع } ، وحينئذ لم يكن محل للأمر بسد الأبواب واستثناء باب أبي بكر ، مضافاً الى اشتمال خبر استثناء باب أبي بكر على امور تشهد بكذبه كما ستعرفها إن شاء الله تعالى عند ذكر الفضل له في مقدمة مآخذ أبي بكر (فان قلت) : ما الدليل على تقدم استثناء باب علي { ع } فلم لم يكونا في وقت واحد أو في وقتين متقاربين بحيث يكون الاستثناء الأخير قبل سد

جميع الأبواب وحينئذ فلا يلزم التعارض والكذب (قلت): استثناء باب أبي بكر كان في وقت قرب موت للنبي (ص) على ما زعموا واستثناء باب علي (ع) في أيام حمزة كما صرح به بعض أخبارهم ودل باقي الاخبار الآتية وغيرها على تقدم زمانه ، مع انه لو كان زمانهما واحداً لقال سدوا الأبواب إلا باب علي وأبي بكر ولاعتذر النبي « ص » عن فتح باب أبي بكر كما اعتذر عن فتح باب علي « ع » ، ويشهد لكون الاستثناء من خواص علي « ع » ما رواه احمد في مسنده (١) عن ابن عمر وصححه ابن حجر في الصواعق (٢) قال: كنا نقول في زمن النبي رسول الله (ص) خير الناس ثم أبو بكر ثم عمر ، ولقد اوتي ابن أبي طالب ثلاث خصال لأن تكون لي واحدة منهن أحب إلي من حمر النعم زوّجه رسول الله (ص) ابنته وولدت له ، وسد الأبواب إلا بابه في المسجد وأعطاه الراية يوم خيبر ، فانه صريح بأن الاستثناء أحد خواصه الثلاثة ولاسيما بعد ذكر أبي بكر المتخير بينهم ، وقد تمنى قبل ابن عمر أبوه احدى هذه الخصال ، كما رواه الحاكم في المستدرك (٣) وصححه ونقله ابن حجر في الصواعق (٤) عن أبي يعلى عن أبي هريرة عن عمر ، ونقله في كنز العمال (٥) عن ابن أبي شيبة عن ابن عمر عن أبيه (٦) عن ابن أبي شيبة عن علي عن عمر ، قال فيه على الرواية الأخيرة: « وسكناه المسجد مع رسول الله (ص) يحل له فيه ما يحل له » كما في لفظ رواية الحاكم ايضاً ، وقال في رواية أبي يعلى: « وسكناه المسجد لا يحل لي فيه ما يحل له » فلا ريب أن هذا من خواص أمير المؤمنين « ع » إذ لا يتصور أن يظهر من عمر وابنه اختصاص علي (ع) بهذا الأمر لو شاركه فيه أبو بكر الذي هو أساس شرفهم ومستند أمرهم والمتخير بينهم وقد تكلف ابن عمر في تخير رسول الله (ص) على الناس حتى على أبيه وصاحبه .

هذا مضافاً الى ضعف خبر استثناء خوخة أبي بكر لضعف سنده بجماعة منهم فليح بن سليمان عدو آل محمد (ص) الذي سبقت ترجمته في مقدمة الكتاب ؛ ونزيدك هنا بياناً لحاله بذكر ما في ميزان الاعتدال وتهذيب التهذيب مضافاً الى ما تقدم في المقدمة

(١) ص ٢٦ من ج ٢ . (٢) في الفصل ٣ من الباب ٩ . (٣) ص ١٢٥ من ج ٣ .
(٤) في الفصل المذكور . (٥) ص ٣٩١ من ج ٦ . (٦) ص ٣٩٣ من ج ٦ .

قالا : « قال ابن معين مرة : لا يحتج به ، ومرة : ضعيف ما أقرّ به من أبي اويس ، وقال مرة والنسائي وابو حاتم . ليس بالقوي ، وفي التهذيب ايضاً قال النسائي مرة : ضعيف ، وقال ابن المديني : فليح وأخوه عبدالحميد ضعيفان » ، وقد روى البخاري هذا الحديث ايضاً في أواخر الجزء الثاني في باب هجرة النبي (ص) وأصحابه الى المدينـة وفي سنده اسماعيل بن عبد الله الـكذاب الوضاع كما عرفت بعض ترجمته في المقدمة ، فاذا كان خبر استثناء باب أبي بكر بهذا الحال من الضعف لم يصلح للاحتجاج به على استثنائه فضلا عن أن يعارض به أخبار استثناء باب أمير المؤمنين المستفيضة أو المتواترة .

وأعجب من القول بمعارضته لها دعوى ابن الجوزي وضعها لأجله لـكنه ذكر منها ثمانية كما ستعرف ، وذكر السيوطي في اللآلي المصنوعة ما يزيد على ثلاثين حديثاً منها هذه الثمانية .

ولنذكر منها ما يدل على أن استثناء باب علي (ع) لطهارته وجواز أن يجنب في المسجد أو يمر فيه جنباً ولـكونه من النبي (ص) بمنزلة هارون من موسى لتعرف عدم صحة استثناء باب أبي بكر (فمنها) ما حكاه عن ابن حجر في القول المسدد عن احمد والنسائي بسنديهما عن ابن عباس قال في حديث سد الأبواب إلا باب علي : « فـكان يدخل المسجد جنباً وهو طريقه ليس له طريق آخر » ، ثم قال ابن حجر وأخرجه الـكلاباذي في معاني الأخبار ، ثم ذكر له طريقاً آخر ، وأخرجه ابن الجوزي في الموضوعات من طريق ابي نعيم ثم ذكر له طريقاً آخر ايضاً ، (ومنها) ما حكاه عن ابن حجر ايضـاً عن الطبراني في الـكبير بسنده عن جابر بن سمرة قال : « أمر رسول الله « ص » بسد الأبواب كلها غير باب علي ، فقال العباس : يا رسول الله قدر ما ادخل وحدي ، قال : ما امرت بشيء من ذلك ، فسدها غير باب علي » . قال : « وربما مرّ وهو جنب » . (ومنها) ما حكاه عن ابي نعيم في فضائل الصحابة بسنده عن بريدة الأسلمي قال : أمر رسول الله (ص) بسد الأبواب فشق ذلك على اصحابه ، فلما بلغ ذلك رسول الله (ص) دعا الصلاة جامعة حتى إذا اجتمعوا صعد المنبر ، ولم نسمع لرسول الله « ص » تحميداً وتعظيماً في خطبة مثـل يومئـذ ، فقال : ايها الناس ما انا

سددتهـا ولا انا فتحتها بل الله فتحها وسدها ، ثم قرأ « والنجم إذا هوى ما ضلّ صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى » ، فقال رجل : دع لي كوة تكون في المسجد فأبى وترك باب علي مفتوحاً فكان يدخل ويخرج منـه وهو جنب . (ومنها) ما حكاه ايضاً عن ابي نعيم في الفضـائل بسنده عن ابن مسعود قال : انتهى الينا رسول الله « ص » ذات ليلة ونحن في المسجد جماعة من الصحابة فينا ابو بكر وعمر وعثمان وحمزة وطلحة والزبير وجماعة من الصحابة بعد ما صليت العشاء ، فقال : ما هذه الجماعة ؟ قالوا : يا رسول الله قعدنا نتحدث منا من يريد الصلاة ومنا من ينام ، فقال : إن مسجدي لا ينام فيه انصرفوا الى منازلـكم ومن أراد الصلاة فليصل في منزله راشداً ومن لم يستطع فلينم فان صلاة السر تضعف على صلاة العلانية فقمنا فتفرقنا وفينا علي بن أبي طالب فقام معنا ، فأخذ بيد علي وقال : أما أنت فانه يحل لك في مسجدي ما يحل لي ويحرم عليك ما يحرم عليّ ، فقال له حمزة بن عبد المطلب : يا رسول الله أنا عمك وأنا أقرب اليك من علي ، قال : صدقت يا عم انه والله ما هو عني إنما هو عن الله عز وجل . (ومنها) ما حكاه عن ابن الجوزي في الموضوعات عن أبي نعيم بسنده عن ابن عباس قال : قال رسول الله (ص) لعلي : إن موسى سأل ربه أن يطهر مسجده لهارون وذريته وإني سألت الله أن يطهر مسجدي لك ولذريتك من بعدك ، ثم أرسل الى أبي بكر أن سد بابك فاسترجع وقال : سمعاً وطاعة فسد بابه ، ثم الى عمر كذلك ثم صعد المنبر فقال : ما أنا سددت أبوابكم ولا فتحت باب علي ولـكن الله سد أبوابكم وفتح باب علي (ومنها) ما حكاه ايضاً عن ابن الجوزي عن ابن مردويه بسنده عن أبي سعيد أن النبي (ص) قال لعلي : لا يحل لأحد أن يجنب غيري وغيرك ، ثم حكاه السيوطي عن الترمذي وعن البيهقي في سننه من طريقـين ، قال البيهقي : وقد ورد من طرق ، ثم حكاه السيوطي عن البزار بسنده عن سعد « أقول » : وقد وجدت الحديث في فضائل علي « ع » من سنن الترمذي وحسنه . (ومنها) ما حكاه عن ابن منيع في مسنده عن جابر قال : جاء رسول الله (ص) ونحن مضطجعون في المسجد ، فضربنا بعسيب كان بيده رطباً وقال : ترقدون في المسجد ! إنه لا يرقد فيه ، فأجفلنا وأجفل

معنا علي ، فقال له رسول الله (ص) : يا علي إنه يحل لك في المسجد ما يحل لي . (ومنها) ما حكاه عن ابن أبي شيبة بسنده عن ام سلمة (رض) قالت : قال رسول الله (ص) : ألا إن مسجدي حرام على كل حائض من النساء وكل جنب من الرجال إلا على محمد وأهل بيته علي وفاطمة والحسن والحسين .

ويعضد هذه الأخبار ويفيد مفادها أخبار عديدة (منها) حديث عمر السابق المروي بطرق كثيرة كما سمعت ، فظهر حلية المسجد لعلي « ع » جنابة ونوماً وليس هو إلا لطهارة نفسه القدسية طهارة لايدنسها ما يدنس غيره ، فكيف يستثني باب أبي بكر وهو من سائر الناس ، بل في بعض الأخبار أن علياً « ع » مطهر المسجد ففي كنز العمال (١) عن البزار عن علي « ع » قال : أخذ رسول الله « ص » بيدي فقال : إن موسى سأل ربه أن يطهر مسجده بهرون وإني سألت ربي أن يطهر مسجدي بك وبذريتك ، ثم أرسل الى أبي بكر أن سد بابك فاسترجع ثم قال : سمعاً وطاعة فسد بابه ثم أرسل الى عمر ، ثم أرسل الى العباس بمثل ذلك ، ثم قال رسول الله « ص » : ما أنا سددت أبوابكم وفتحت باب علي ولكن الله فتح باب علي وسد أبوابكم .

وبالجملة لا وجه لاستثناء باب أبي بكر وهو ليس ممن طهرهم الله من الرجس حتى يحسن دخوله المسجد جنباً ولا هو من النبي «ص» بمنزلة هرون من موسى حتى يجعل الحاقه به ، فيكون ما دل على استثناء بابه باطلا ولاسيما مع ضعفه سنداً ومعارضته بالأخبار المصرحة بسد بابه وباب من هو أولى منه بالرعاية والكرامة ، وهو حمزة أسد الله وأسد رسوله ، والعباس عم النبي « ص » ، حتى أن العباس طلب فتح بابه قدرما يدخل وحده فمنعه النبي « ص » ومنع حتى الكوة وبذلك علم فضل أمير المؤمنين « ع » على جميع الصحابة فيكون أولاها بالامامة .

واعلم انه قد تضمن كلام السيوطي فى اللئالي الجواب عن دعوى ابن الجوزي وضع الأحاديث الدالة على استثناء باب علي « ع » ، وذكر فى الأثناء رد ابن حجر لابن الجوزي ، فلنذكر مابينه السيوطي ملخصاً ، فانه نقل فيها عن ابن الجوزي فى الموضوعات

(١) ص٤٠٨ من ج ٦ .

ثمانية أحاديث حديثان منها لأحمد في مسنده أحدهما عن سعد بن أبي وقاص والآخر عن ابن عمر ؛ وحديثان للنسائي أحدهما عن سعد والآخر عن زيد بن أرقم ، وحديثان لأبي نعيم كلاهما عن ابن عباس ، وحديث للخطيب عن جابر بن عبد الله ، وحديث لابن مردويه عن أبي سعيد ، وقد زعم ابن الجوزي ان هذه الأحاديث جميعاً باطلة موضوعة ، قال : « هي من وضع الرافضة قابلوا بها حديث أبي بكر في الصحيح » ثم نقل السيوطي عن ابن حجر في القول المسدد في الذب عن مسند احمد انه قال : « قول ابن الجوزي في هذا الحديث انه باطل موضوع دعوى لم يستدل عليها إلا بمخالفة الحديث الذي في الصحيحين وهذا اقدام على رد الأحاديث الصحيحة بمجرد التوهم » ، ثم قال : « وهذا الحديث مشهور له طرق متعددة كل طريق منها على انفراده لا يقصر عن رتبة الحسن ومجموعها مما يقطع بصحته على طريقة كثير من أهل الحديث » ؛ ثم نقل ابن حجر عن البزار أن الروايات فيه جاءت من وجوه بأسانيد حسان ، ثم ذكر ابن حجر جملة اخرى من طرق الحديث تزيد على الطرق التي ذكرها ابن الجوزي وقد صحح هو بعضها وصحح الحاكم بعضها ، وروى أحمد بعضها ، والضياء في المختارة وغيرهم من عظماء علمائهم ، وفى أثناء ذلك تعرض للجواب عن طعن ابن الجوزي فى أسانيد الاخبار التي ذكرها وخطأه فيما أعلّها به ، وذكر أن بعضاً من رجال هذه الأسانيد قد صحح له الترمذي ووثقه غير واحد وبعضهم من رجال مسلم ؛ ثم قال : « فهذه الطرق المتظافرة بروايات الثقات تدل على أن الحديث صحيح » الى أن قال : « ولو فتح هذا الباب لرد الأحاديث لأدى فى كثير من الأحاديث الصحيحة البطلان ولكن يأبى الله ذلك والمؤمنون » ؛ ثم ذكر السيوطي بعد انتهاء هذا الكلام من ابن حجر سبعة طرق أخر للحديث ، ثم نقل بعدها حديث ابن مردويه الذي ذكره ابن الجوزي في الموضوعات الذي أشرنا اليه ، ثم أورد له ثمانية طرق اخر فكان جميع طرق الحديث في اللئالي المصنوعة ما يناهز الأربعين طريقاً مسندة الى جماعة من الصحابة منهم أمير المؤمنين عليه السلام وابن عباس وسعد بن أبي وقاص وزيد بن أرقم وجابر بن عبدالله وابن مسعود وابن عمر وابو سعيد وانس بن مالك وبريدة الأسلمي وجابر بن سمرة وام سلمة وعائشة

مضافاً الى البراء بن عازب وحذيفة بن أسيد على ما في حديث ابن المغازلي المشتمل سنده عليهما وعلى جماعة آخرين ممن عرفت ، وقد ذكره في الباب السابع عشر من ينابيع المودة مع عدة أخبار ، ومضافاً الى عمر كما سمعته في رواية الحاكم وغيره من طرق مروية عنه .

ولنعين لك صفحات روايات احمد في مسنده لترجع اليها عند الحاجة فانه روى :

(١) حديث سعد ص ١٧٥ من الجزء الأول .

(٢) وحديث ابن عباس ص ٣٣١ من الجزء الأول ايضاً .

(٣) وحديث ابن عمر ص ٢٦ من الجزء الثاني .

(٤) وحديث زيد بن أرقم ٣٦٩ من الجزء الرابع .

ولعل لأحمد أحاديث أخر ، فأنت ترى أن طرق الحديث مستفيضة أو متواترة ولا سيما بضميمة أخبارنا . وقد صحح القوم جملة من أحاديثهم كما عرفت ، حتى صحح الحاكم في المستدرك طريقين منها ، وأقره الذهبي مع ما تعلمه من حاله على صحة حديث زيد بن أرقم الذي رواه مع حديث عمر ص ١٢٥ من الجزء الثالث ، فمع هذا كله كيف يجوز لابن الجوزي دعوى الوضع لمجرد رواية الصحيحين لحديث استثناء باب أبي بكر وهو أقرب الى الوضع لأنه من حديث المتهمين والنصاب ، مع ضعف رجال سنده كما عرفت وعدم تعدد طرقه : ولكن لا حيلة مع التعصب ومجانبة الانصاف .

١٣ ـ حديث المؤاخاة

قال المصنف طاب ثراه

(الثالث عشر) في مسند احمد بن حنبل من عدة طرق ان النبي (ص) آخى بين الناس وترك علياً حتى بقي آخرهم لايرى له أخاً ، فقال : يارسول الله آخيت بين اصحابك وتركتني ، فقال : إنما تركتك لنفسي ، أنت أخي وأنا أخوك ، فان ذكرك أحد فقل أنا عبد الله وأخو رسوله لا يدعيها بعدك إلا كذاب ، والذي بعثني بالحق ما أخرتك إلا لنفسي ، وأنت مني بمنزلة هرون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي ، وأنت أخي ووارثي . وفي الجمع بين الصحاح الستة عن النبي « ص » قال : مكتوب على باب الجنة

محمد رسول الله علي أخو رسول الله قبل أن يخلق الله السموات بألفي عام .

وقال الفضل

حديث المؤاخاة مشهور معتبر معوّل عليه ، ولا شك أن علياً أخ رسول الله (ص) ومحبه وحبيبه وكان رسول الله (ص) شديد الحب له ، وهذا كله يؤخذ من صحاحنا ومن مذهبنـا ، ولـكن لا يدل على النص لأن أبا بكر كان خليل رسول الله (ص) ووزيره وقرينه ، وله ايضاً من الفضائل ما لا يعد ولا يحصى ، والكلام ليس في عـــد الفضائل وإثباتها بل وجود النص .

وأقول

نقل في ينابيع المودة في الباب التاسع حديث المؤاخاة عن احمد في مسنده عن زيد ابن أبي أوفى ، كما نقله المصنف (ره) في منهاج الـكرامة عن المسند ايضاً ، وقد سبق ذكره في الآية الثانية والثلاثين وأن ابن تيمية زعم انه من زيادات القطيعي ، وسبق انه قد نقله في كنز العمال وتذكرة الخواص عن احمد في الفضائل ، ثم حكى في الينابيع ايضاً عن احمد في مسنده عن حذيفة بن اليمان قال : آخى رسول الله (ص) بين المهاجرين والأنصار وكان يواخي بين الرجل ونظيره ثم أخذ بيد علي «ع» فقال : هذا أخي وحكى ايضاً عن عبد الله بن احمد في زوائد المسند ثمانية أحاديث في مؤاخاة النبي (ص) لعلي (ع) ، فيمكن أن يكون المصنف (ره) أشار الى هذه الأحاديث بقوله من عدة طرق وكأن القوم قد تعللوا لحذفها من المسند في الطبع بدعوى أنها من الزيادات فأني لم أعثر على شيء منها ، وروى (الترمذي) حديث المؤاخاة في فضائل علي «ع» من سننه عن ابن عمر وحسّنه ثم قال : وفيه عن زيد بن أبي أوفى ، ورواه في (الاستيعاب) بترجمة أمير المؤمنين «ع» عن أبي الطفيل ، قال : «لما احتضر عمر جعلها شورى بين علي وعثمان وطلحة والزبير وعبد الرحمن وسعد ، فقال لهم علي : انشدكم الله هل فيكم أحد آخى رسول الله (ص) بينه وبينه إذ آخى بين المسلمين غيري ؟ قالوا : اللهم لا » ثم قال : «وروينا من وجوه عن علي انه كان يقول : أنا عبد الله وأخو رسوله لا يقولها

أحد غيري إلا كذاب » ، ثم قال : « قال أبو عمرو : آخى رسول الله بين المهاجرين ثم آخى بين المهاجرين والأنصار وقال في كل واحد منهما لعلي أنت أخي في الدنيا والآخرة وآخى بينه وبين نفسه فلذلك كان هذا القول وما أشبهه من علي » انتهى ما في الاستيعاب .

وروى (الحاكم) حديث المواخاة في المستدرك في كتاب الهجرة (١) من طرق عن ابن عمر .

وحكى في « الكنز » (٢) عن الخلعي والبيهقي في سننه والضياء في المختارة عن علي (ع) قال : آخى رسول الله « ص » بين عمر وأبي بكر وبين حمزة بن عبدالمطلب وزيد بن حارثة الى أن قال : وبيني وبين نفسه . وحكى في الكنز ايضاً (٣) عن أبي يعلى في مسنده عن علي « ع » آخى بين الناس وتركني ، الى أن قال : قال إنما تركتك لنفسي أنت أخي وأنا أخوك فان حاجك أحد فقل إني عبد الله وأخو رسوله لا يدعيها أحد بعدك إلا كذاب . وحكى في الكنز ايضاً نحوه (٤) عن ابن عدي بسنده عن يعلى بن مرة . وحكى فيه ايضاً عن الطبراني عن ابن عباس قال رسول الله (ص) لعلي « ع » : أغضبت حين واخيت بين المهاجرين والأنصار ولم اواخ بينك وبين أحد منهم ؟ أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هرون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي ألا من أحبك حف بالأمن والايمان ومن أبغضك أماته الله ميتة الجاهلية . وحكى فيه ايضاً (٥) حديث المؤاخاة بين النبي وعلي عن ابن عساكر عن ابي رافع عن ابي امامة .

ونقل سبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص ثلاث روايات في المؤاخاة عن احمد في الفضائل كما هي عادته في النقل عنها وأثبت وثاقتها . ونقل ايضاً عن احمد ما نقله المصنف رحمه الله عن الجمع بين الصحاح .

وحكى في (ينابيع المودة) في الباب التاسع عن ابن المغازلي انه اخرج ستة احاديث في المؤاخاة ، وعن أخطب خوارزم اثني عشر حديثاً وعن الحمويني حديثين بأسانيدهم

(١) ص ١٤ من ج ٣ . (٢) ص ٣٩٤ من ج ٦ . (٣) ص ٣٩٩ من ج ٦ .
(٤) ص ٥٤ من ج ٦ . (٥) ص ٤٠٠ من ج ٦ .

عن ابن عباس وابن عمر وحذيفة وانس وزيد بن ارقم وزيد بن ابي اوفى وابي امامة وغيرهم . وقد مر في الآية الثالثة والعشرين الأحاديث في قول أمير المؤمنين : انا عبد الله واخو رسوله .

ونقل فى كنز العمال ايضاً (١) عن المدني عن ابي يحي قال : سمعت علياً يقول : انا عبد الله واخو رسوله لا يقولها احد بعدي إلا كاذب ، فقالها رجل فأصابته جنة .

ويشهد لصحة اخبار المؤاخاة بين المهاجرين ما رواه البخاري في باب كيف يكتب هذا ما صالح فلان بن فلان من كتاب الصلح ، وفي باب عمرة القضاء من كتاب المغازي: انه اختصم علي وجعفر وزيد بن حارثة في كفالة ابنة حمزة لما تبعت النبي «ص» وتناولها علي «ع» ، فقال علي عليه السلام : انا اخذتها وهي بنت عمي ، وقال جعفر : هي ابنة عمي وخالتها تحتي ، وقال زيد: ابنة اخي . ومثله في مستدرك الحاكم (٢) إذ لا معنى لقول زيد ابنة اخي ومنازعته لأمير المؤمنين وجعفر وهما هما مع رحمها الماسة بابنة عمها لولا المؤاخاة التي عقدها النبي (ص) بين حمزة وزيد وهما مهاجريان .

لكن ابن تيمية انكر المؤاخاة بين المهاجرين وبين النبي (ص) وامير المؤمنين قال : لأن المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار لارفاق بعضهم ببعض ولتأليف قلوب بعضهم ببعض فلا معنى لمؤاخاة مهاجري لمهاجري ، (وفيه) ان الارفاق والتأليف ايضاً مطلوبان بين المهاجرين بعضهم مع بعض مع اشتمال المواخاة على حكم كثيرة أُخر ، قال في السيرة الحلبية : (٣) قال الحافظ ابن حجر : « وهذا رد للنص بالقياس وبعض المهاجرين كان اقوى من بعض بالمال والعشيرة فآخى بين الأعلى والأدنى ليرتفق الأدنى بالأعلى وليستعين الأعلى بالأدنى ولهذا تظهر مؤاخاته (ص) لعلي (ع) لأنه كان هو الذي يقوم بأمره قبل البعثة . وفي الصحيح في عمرة القضاء ان زيد بن حارثة قال : ان بنت حمزة بنت أخي أي بسبب المؤاخاة » انتهى ، وهو كلام حسن سوى أن مؤاخاة النبي (ص) لعلي ليست للارتزاق لغنى علي (ع) حينئذ بالغنائم وغيرها وبلوغه منزلة يعول بها ولا يعال به ، وإنما الغرض من مؤاخاته لعلي تعريف منزلته وبيان فضله على غيره لان

---

(١) ص ٣٩٦ من ج ٦ . (٢) ص ١٢٠ من ج ٣ . (٣) ص ٢٢ من ج ٢

النبي (ص) كان يؤاخي بين الرجل ونظيره كما دل عليه بعض الأخبار لأن ذلك أقرب الى التعاون والتعاضد وأوجب للتأليف فيكون أمير المؤمنين عليه السلام هو النظير لرسول الله (ص) كما جعلته آية المباهلة نفسه وذلك رمز لامامته ، ولذا احتج به أمير المؤمنين يوم الشورى ، كما أشار رسول الله (ص) ايضاً الى ذلك بقوله في كثير من هذه الأحاديث : أنت مني بمنزلة هرون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي ، وقوله : أنت أخي ووارثي . فقال علي : وما أرث منك ؟ قال : ما ورّث الأنبياء قبلي قال : وما ورّثوا ؟ قال : كتاب الله وسنن أنبيائه ، كما سبق في الآية الثانية والثلاثين ، فان علياً (ع) إذا ورث مواريث الأنبياء كان من خلفائهم وامام الامة ، إذ ليس الامام إلا من كان كذلك ويشهد لذلك وصف علي (ع) بالاخوة في عرض وصف النبي (ص) بالرسالة فيما هو مكتوب على باب الجنة كما في الخبر الذي حكاه المصنف (ره) عن الجمع بين الصحاح ونقلناه عن تذكرة الخواص ونقله في كنز العمال (١) عن الطبراني والخطيب (٢) عن ابن عساكر بأسانيدهم عن جابر .

وأما مناظرة الفضل للحديث بأن أبا بكر خليل رسول الله ووزيره وقرينه فمن مقاومة حجتنا عليهم بما ليس حجة علينا . والظاهر انه أشار بقوله : « خليل رسول الله » الى ما رووه من قوله (ص) : « لو كنت متخذاً خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا » وأنت ترى انه نفي للخلة لا اثبات لها ، نعم فيه خلة فرضية لا تساوي الاخوة الفعلية مع أن الاخوة فوق الخلة ، وسيأتي إن شاء الله تعالى ما على هذا الخبر من دلائل انه من الموضوعات .

١٤ ـ حديث إن علياً مني وأنا من علي

قال المصنف طاب ثراه

(الرابع عشر) من مسند احمد بن حنبل وفي الصحاح الستة عن النبي (ص) من عدة طرق « أن علياً مني وأنا من علي وهو ولي كل مؤمن بعدي لا يؤدي عني إلا أنا

---

(١) ص ١٥٩ من ج ٦ . (٢) ص ٣٩٩ من ج ٦ .

أو علي » وفيه ايضاً لما قتل علي أصحاب الألوية يوم أُحد قال جبرئيل لرسول الله (ص) ان هذه المواساة فقال النبي (ص) : « ان علياً مني وأنا منه » فقال جبرئيل : وأنا منكما يا رسول الله .

وقال الفضل

اتصال النبي (ص) بعلي في النسب واخوة الاسلام والنصرة والموازرة غير خفي على أحد ولا دلالة على النص بخلافته ، لأن مثل هذا الكلام قال رسول الله (ص) لغير علي كما ذكر انه قال الأشعريون إذا قحطوا أرملوا أنا منهم وهم مني ، ولاشك أن الأشعريين بهذا الكلام لم يصيروا خلفاء فلا يكون هذا نصاً .

وأقول

روى البخاري والحاكم في المستدرك أن النبي (ص) قال لعلي : أنت مني وأنا منك وذلك في قصة مخاصمة أمير المؤمنين وجعفر وزيد في ابنة حمزة كما أشرنا اليها في المبحث السابق ، وروى الحاكم في المستدرك (١) عن عمران بن حصين وصححه على شرط مسلم قال عمران ما حاصله ان النبي (ص) استعمل علياً على سرية فأصاب جارية فأنكروا عليه فتعاقد أربعة أن يخبروا النبي (ص) ، فأخبره أحدهم فأعرض عنه ، وكذلك الثاني والثالث ، ثم قام الرابع فأخبره فأقبل عليه رسول الله (ص) والغضب في وجهه فقال : ما تريدون من علي ؟ إن علياً مني وأنا منه وهو ولي كل مؤمن . ونحوه في سنن الترمذي في مناقب علي (ع) وفي مسند احمد (٢) وكنز العمال (٣) نقلا عن ابن أبي شيبة جميعاً عن عمران ؛ وفي رواية اخرى لأحمد (٤) ولابن أبي شيبة كما في الكنز (٥) كلاهما عن بريدة ان النبي (ص) قال : لا تقع في علي (ع) فأنه مني وأنا منه وهو وليكم بعدي ، وفي حديث آخر لابن أبي شيبة كما في الكنز (٦) عن عمران ، وقال صحيح ، علي مني وأنا من علي وعلي ولي كل مؤمن بعدي ، وقد سبق في الحديث السادس أن النبي (ص)

(١) ص ١١٠ من ج ٣ . (٢) ص ٤٣٧ من ج ٤ . (٣) ص ١٥٤ من ج ٦ .
(٤) ص ٣٥٦ من ج ٦ . (٥) في الصحيفة السابقة . (٦) في الصحيفة السابقة ايضاً .

قال : علي مني وأنا منه ولا يؤدي عني إلا أنا أو علي ، رواه احمد والترمذي والنسائى وابن ماجة .

ودلالة الجميع على امامة أمير المؤمنين { ع } ظاهرة لأن جعل كل من النبي { ص } وعلي عليه السلام بعضاً من الآخر دليل على اتحادهما بالمزايا والفضل والامامة كما يشهد له مضي فعل علي عليه السلام فى اصطفاء الجارية من السبي كما مرَّ في رواية عمران وبريدة ، وبهذا يعلم انه أراد الامامة بقوله : هو ولي كل مؤمن ، إذ لا يصلح إرادة غيرها فى المقام . وبالجملة قد دلت هذه الروايات على صحة اصطفاء أمير المؤمنين للجارية ومضي فعله لأنه من رسول الله ورسول الله منه ، فيفهم منها انه امام فعلا ، بل يفهم من مجرد قوله هو مني وأنا منه أنه بمنزلته فعلا ، فيكون اماماً فعلياً ، ولا ينافيه التقييد بالبعدية فى بعض الأخبار المذكورة لأن المراد بها التأخر فى الرتبة والاشارة الى قيامه بعده بتمام شؤون الامامة ، كما سبق تحقيقه في الآية الاولى من الآيات التى استدل بها المصنف (ره) على الامامة .

وأما معارضة الفضل بما ورد عندهم في شأن الأشعريين ، ففي غير محلها ، لأنه من حديث المخالفين ، وهو ليس حجة علينا ، مع انه من رواية أبي موسى الأشعري وهو محل التهمة ومنافق لبغضه علياً ؛ والمنافق أعظم الفاسقين فلا تقبل روايته لو صح السند اليه ، ولو سلم قبولها فاستعمال التبعيض فى حديث الأشعريين بغير الامامة بقرينة المقام وغيره لا يستلزم مثله فيما نحن فيه الذي عرفت ظهوره في الاتحاد بالفضل والمنزلة ، ولذا اقتضى قوله (ص) فى قصة براءة : لا يؤدي عني إلا أنا أو رجل مني انعزال أبي بكر والحال انه ليس دون الأشعريين عند القوم ، ومما بينا يعلم وجه الاستدلال بقول النبي (ص) لجبرئيل : إن علياً مني وأنا منه لدلالته على انه نفس النبي (ص) فله منزلته وفضله وقد كرم جبرئل نفسه بجعلها بعضاً منها ، وقد روى هذا الحديث المصنف « ره » عن مسند احمد فى ظاهر كلامه وحكاه في كنز العمال (١) عن الطبرانى عن رافع بن خديج ، ورواه الطبري في تاريخه (٢) وذكر فيه قتل علي « ع » لأصحاب الألوية

---

(١) ص ٤٠٠ ج ٦ . (٢) ص ١٧ ج ٣ .

وتفريقه لمن أراد النبي (ص) من جماعات المشركين وقتله لبعضهم ، ومثله في كامل ابن الأثير (١) ، ونحوه في شرح النهج لابن أبي الحديد (٢) نقلا عن غلام تغلب ومحمد بن حبيب في أماليه وجماعة من المحدثين وقال : هو من الأخبار المشهورة .

١٥ ـ حديث ان فيك مثلا من عيسى

قال المصنف قدس الله روحه

(الخامس عشر) فى مسند احمد بن حنبل أن رسول الله (ص) قال لعلي : ان فيك مثلا من عيسى أبغضه اليهود حتى اتهموا امه واحبه النصارى حتى أنزلوه المنزل الذي ليس له بأهل ، وقد صدق النبي « ص » لأن الخوارج أبغضوا علياً « ع » والنصيرية اعتقدوا فيه الربوبية .

وقال الفضل

الحمد لله الذي جعل أهل السنة معتدلين بين الفريقين من المفرطة في حب علي كالنصيرية التي يدعون ربوبيته وكالامامية التي يدعون أن أصحاب محمد « ص » كفروا كلهم لمخالفة النص فى شأنه ، ومن المفرطة في بغضه كالخوارج المبغضة ، وأما أهل السنة والجماعة بحمد الله فيحبونه حباً شديداً وينزلونه فى منزلته التي هو أهلها من كونه وصياً وخليفة من الخلفاء الأربع وصاحب ودائع العلم والمعرفة .

وأقول

هذا الحديث كما هو مذكور فى مسند احمد مذكور فى مستدرك الحاكم وخصائص النسائى وغيرهـا كما سبق في الآية الثانية والستين ، وبمعناه ما في الاستيعاب بترجمة أمير المؤمنين (ع) انه قال له رسول الله « ص » تفترق فيك امتي كما افترقت بنو اسرائيل في عيسى ، ولا ريب أن انزال النصارى لعيسى بغير منزلته إنما هو لاتخاذهم له إلهاً ، وبمقتضى التمثيل يكون انزال علي « ع » بغير منزلته هو اتخاذه إلهاً كعيسى كما فعل

---

(١) ص ٧٤ ج ٢ .　　(٢) ص ٣٧١ ج ٣ .

النصيرية وغيرهم من الغلاة فلا يدخل الامامية فيمن أنزله بغير منزلته لأنهم يقولون انه عبد من عبيد الله تعالى أكرمه بالخلافة بالنص عليه ؛ وحينئذ فينحصر أمر الامامية بين أن يكونوا ممن أبغضه ولاسبيل اليه بالضرورة ، وبين أن يكونوا من النمط الأوسط المحق وهو المطلوب ، كما ينحصر أهل السنة بين هذين والمتعين فيهم الأول لأن النمط الأوسط لا يمكن ان يجمع الفريقين المتباينين ولأن أهل السنة اجتهدوا في تأخيره عمن لا يقاس به علماً وعملا ولا يلتفتون الى آية تدلهم على منزلته ولا الى سنة ترشدهم الى فضله وعلو محله ، بل يحتالون الى نفي النصوصية بالأوهام والشبه البعيدة ويتناولون الأسانيد القوية الكثيرة بالتضعيف بكل وسيلة بعكس ما يرد عندهم في حق مشايخهم ، فلابد أن يكون من قال أن علياً هو الخليفة الأول محتماً ناجياً ، ومن قال : انه رعية لغيره مبطلا هالكاً ، وبه يتم اثبات امامته وخلافته للنبي « ص » بلا فصل ، وقد سبق في الآية الثانية والستين دلالة ذلك على امامته بوجوه أخر فراجع .

وأما ما زعمه الفضل من ان الامامية يكفرون أصحاب محمد (ص) فان أراد به انهم يقولون بشركهم أو انكارهم الرسالة فباطل ، وإن أراد انهم يقولون ان اكثر الصحابة خالفوا نص النبي « ص » على علي وألغوا أمر الله تعالى وأمر رسوله « ص » في حقه فصحيح لأن الامامة عندنا أصل من اصول الدين ومن لم يعرف امام زمانه فقد مات ميتة جاهلية كما مر تحقيقه في اول مباحث الامامة ؛ وقد أشار الله تعالى الى ذلك بقوله أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ، وصرحت به السنة المستفيضة كأخبار الحوض التي منها ما رواه البخاري في باب الحوض من أن الأصحاب ارتدوا على أدبارهم القهقرى ولا يخلص منهم إلا مثل همل النعم كما مر ويأتي إن شاء الله تعالى .

وأما ما زعمه من أن أهل السنة يحبون علياً حباً شديداً فلا نعرف منه إلا الدعوى ولو كشف الله سبحانه حجاب ضمائرهم لعرفت انهم يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم بل الوجدان يشهد بخلافه ، فهذه أقلامهم عند تلاوة آيات فضله ، وهذه أرقامهم عند سماع نصوص امامته ، وهذا ولاؤهم لاظهر مبغضيه وأعدائه كمعاوية وأشباهه :

تودّ عدوّي ثم تزعم انني صديقك ان الرأي عنك لعازب

١٦ ـ حديث لا يحبك إلا مؤمن

قال المصنف ضاعف الله أجره

(السادس عشر) فى مسند احمد بن حنبل وهو مذكور فى الجمع بين الصحيحين وفي الجمع بين الصحاح الستة ان النبي « ص » قال : لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق .

وقال الفضل

هذا الحديث صحيح لاشك فيه ، وفي رواية هذا الحديث عن علي انه قال : لعهد رسول الله « ص » إليَّ انه لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق ، والحمد لله الذي جعلنا من اهل محبته وملأ قلوبنا من صفو مودته وبالله التوفيق .

وأقول

إذا عرف صحة هذا الحديث وصدق بحمد الله على حبه ، فما باله والى اشد اعدائه واكبر مبغضيه كمعاوية وابن العاص ومروان واشباههم ، ولم يحكم عليهم بالنفاق مع انضاح حالهم فى بغض امير المؤمنين واستمرارهم على عداوته وسبه ، بل يلزمه ان لا يوالى عائشة بل يصفها بالنفاق لعلمه بعداوتها له واستدامتها على بغضه ، ففي مسند احمد (١) عن عبيد الله بن عبد الله عن عائشة قالت : لما مرض رسول الله « ص » فى بيت ميمونة فاستأذن نساءه ان يمرض في بيتي فأذنَّ له فخرج رسول الله « ص » معتمداً على العباس وعلى رجل آخر ورجلاه تخطان في الأرض ، وقال عبيد الله : فقال ابن عباس : اتدري من ذلك الرجل ؟ هو علي بن ابى طالب ، ولكن عائشة لا تطيب بها نفساً . ورواه ايضاً فى مقام آخر (٢) .

فهل ترى اشد في البغض من ان لا تطيب نفس الشخص ان يتلفظ باسم عدوه .

ورواه الطبري في تاريخه(٣)، وفيه ولكنها لا تقدر على ان تذكره بخير وهي تستطيع

(١) ص ٣٤ ج ٦ . (٢) ص ٢٢٨ ج ٦ . (٣) ص ١٩١ ج ٣ .

وهو اصرح في الدلالة على بغضها لامام المتقين ونفس النبي الأمين .

ورواه البخاري : في باب الغسل والوضوء في المخضب من كتاب الوضوء ، وفي باب حد المريض ان يشهد الجماعة من كتاب الأذان ، وفي باب هبة الرجل لامرأته والمرأة لزوجها من كتاب الهبة ، وفي باب مرض النبي « ص » في اواخر كتاب المغازي ، وفي كلها لم تسمّ الرجل الآخر وإنما سماه ابن عباس ، ولم يرو البخاري تتمة كلام ابن عباس رعاية لشأن عائشة ، ولم يدر ان تركها لاسم امير المؤمنين مع ذكر اسم عديله كاف في الدلالة على بغضها له .

وروى احمد ايضاً (١) عن عطاء بن يسار قال : جاء رجل فوقع في علي وعمار عند عائشة فقالت : اما علي فلست قائلة لك فيه شيئاً ، واما عمار فاني سمعت رسول الله «ص» يقول : لا يخير بين امرين إلا اختار أرشدهما ، الى غير ذلك من الأخبار الكاشفة عن بغضها له وإن كان لا حاجة في بيان عداوتها وبغضها له الى دليل ، واعظم من ذلك حربها له وهي تعلم ان حربه حرب لرسول الله ، مقدمة على قتله لو قدرت . وهي تدري انه اخ رسول الله ونفسه ، وعلى هذه فقس ما سواها إذ لم تأت ذلك عنوة بل ورثت عن اسلافها .

واما وجه الدلالة في الحديث الذي ذكره المصنف (ره) ونحوه على امامة امير المؤمنين عليه السلام فقد تقدم في اول مباحث الامامة وفي الآية الثانية عشرة .

١٧ ـ حديث ولكنه خاصف النعل

قال المصنف أجزل الله ثوابه

(السابع عشر) في مسند احمد بن حنبل ان رسول الله « ص » قال ان منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله ، فقال ابو بكر : انا هو يارسول الله ؟ قال: لا ، قال عمر : انا هو يا رسول الله ؟ قال : لا ، ولكنه خاصف النعل ، وكان علي يخصف نعل رسول الله « ص » في الحجرة عند فاطمة « ع » ، وفي الجمع بين الصحاح

(١) ص ١١ ج ٦ .

الستة قال رسول الله « ص » لتنتهن معشر قريش اوليبعثن الله عليكم رجلا مني امتحن الله قلبه للايمان يضرب اعناقكم على الدين ، قيل : يا رسول الله ابو بكر ؟ قال : لا ، قيل : عمر ؟ قال : لا ، ولكن خاصف النعل فى الحجرة .

وقال الفضل

صح الحديث وهذا يدل على انه يقاتل البغاة والخوارج وكان مقاتلة البغاة والخوارج على تأويل القرآن حيث كانوا يؤولون القرآن ويدعون الخلافة لأنفسهم فقاتلهم امير المؤمنين وعلم الناس قتال الخوارج والبغاة كما قال الشافعي انه لولم يقاتل اميرالمؤمنين البغاة ما كنا نعلم كيفية القتال معهم ، وهذا لا يدل على النص بخلافته بل إخبار عن مقاتلته فى سبيل الله مع العصاة والبغاة .

وأقول

ذكر المصنف « ره » هنا حديثين تقدم بيان رواتها فى الآية الثانية والعشرين وكل منهما دال على المقصود : اما « الأول » فلان المراد بالقتال على تأويل القرآن اما القتال على وفق ما ادى اليه القرآن باجتهاد المقاتل ، او ما ادى اليه فى الواقع لعلم المقاتل به ، فيكون المشبه به على الوجهين هو قتال النبي « ص » على حسب ما انزل اليه ، واما ان يكون المراد القتال على مؤول القرآن ليعملوا به كما قاتل رسول الله « ص » للاقرار بأنه منزل من الله تعالى . والأظهر احد الوجهين الأخيرين لأنهما امكن فى التشبيه ، ومن المعلوم ان القتال على اي الوجوه الثلاثة شأن خليفة الرسول وزعيم الامة فتثبت امامة اميرالمؤمنين « ع » ، ولما نفى النبي « ص » ذلك عن الشيخين مع صدور القتال منهما علم انهما ليسا بامامين . وليت شعري إذا لم يكن قتالهما على وفق القرآن ولا لأجل العمل به فكيف وليا امر القتال والامة وكيف اتخذهم الناس أئمة .

(فان قلت) لعل المراد بقتال علي « ع » على التأويل قتاله لمن تأول القرآن وادعى الخلافة لنفسه فلا يكون نفي النبي « ص » لهذا القتال عن الشيخين منافياً لامامتهما لان هذا النفي مطابق للواقع إذ لم يقاتلا إلا المشركين وإن كانا امامين ، ولعله الى هذا اشار

الفضل بقوله : وكان مقاتلة البغاة والخوارج على تأويل القرآن حيث كانوا يؤولون القرآن ويدعون الخلافة لأنفسهم ، (قلت) : لو اريد ذلك كان قوله (ص) : كما قاتلت على تنزيله بمقتضى المشابهة ان يكون رسول الله (ص) قاتل من تنزل عليه القرآن وهو كما ترى ، ولا ادري أية آية تأولها البغاة والخوارج حتى استباحوا بها قتال امير المؤمنين والخروج على امام زمانهم ! ومتى قاتله الخوارج مدعين للخلافة وكذا معاوية وعائشة وانصارها ، فانهم إنما قاتلوا في ظاهر امرهم امير المؤمنين (ع) طلباً بدم عثمان واتخذوه واقعاً وسيلة لبلوغ الرياسة او للانتقام من علي « ع » عداوة له كما في عائشة ، ولو اعرضنا عن هذا كله فأبو بكر عندهم ايضاً حارب المتأولين ، فلو كان اماماً وحربه حقاً لما اجابه النبي (ص) بقوله لا ، ونعني بالمتأولين مانعي الزكاة لأنهم قالوا كما في شرح النهج لابن ابي الحديد (١) : « ان الله قال لرسول الله (ص) خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم ، فوصف الصدقة بأنها من شأنها ان يطهر رسول الله (ص) الناس بأخذها وبيّن ان صلاته سكن لهم وهذه الصفات لا تتحقق في غير النبي (ص) » .

وأما (الحديث الثاني) فهو ايضاً دال على المدعى لأن النبي «ص» وصف فيه الرجل الذي يبعثه الله تعالى بأنه قد امتحن الله قلبه أي ابتلاه بأنواع المحن ، فوجده خالص الايمان لا تأخذه في الله لومة لائم ، ولا يصانع أحداً في دينه ، وهذا يفيد بمفهومه ان غير هذا الرجل ليس كذلك لاسيما الشيخان للتصريح بها ، ولأنهما أشارا برد المؤمنين الى بلاد الكفر وجعل السبيل للكافرين عليهم خلافاً لحكم الله ورسوله ووفاقاً لرغبة الكافرين ، لاسيما عمر فانه وافق أبا بكر على قوله صدقوا ولم يبال باستياء النبي «ص» من أبي بكر وتغير وجهه الشريف من قوله ، كما سبق في بعض الأخبار المصححة عندهم المذكورة في الآية الثانية والعشرين ، ولو كانا ممن امتحن الله قلبه للايمان وخالصي الايمان لما فعلا ذلك ، بل يستفاد من وصف النبي « ص » للرجل الذي يبعثه الله بأنه امتحن الله قلبه للايمان ويضرب أعناقهم على الدين — بعد موافقة الشيخين لقريش — أن النبي (ص)

(١) ص ١٨٥ ج ٤ .

أراد التعريض بهما بأنهما ليسا بهذا الوصف ، وبالضرورة ان من ليس كذلك ولم يبال بالنبي «ص» مواجهتة في حياته ولا بكتاب الله وحكمه أحق وأولى بعدم المبالاة بأحكام الله ودينه ونبيه بعد وفاته ، فلا يصلح للامامة ، وإنما الصالح لها من ثبت له ذلك الوصف الجميل الجليل ، وقد أشار النبي « ص » مع ذلك الى عصمة علي « ع » وفضله بجعله منه أو مثل نفسه كما في رواية الجمع بين الصحاح وغيرها مما سبق في الآية المذكورة فيتعين للامامة .

١٨ ـ حديث الطائر

قال المصنف ضاعف الله أجره

(الثامن عشر) في مسند احمد بن حنبل والجمع بين الصحاح الستة عن انس بن مالك قال : كان عند النبي «ص» طائر قد طبخ له فقال : اللهم ائتني بأحب الناس اليك يأكل معي فجاء علي فأكل معه ، ومنه انه لما حضرت ابن عباس الوفاة قال : اللهم اني اتقرب اليك بولاية علي بن ابي طالب .

وقال الفضل

حديث الطير مشهور وهو فضيلة عظيمة ومنقبة جسيمة ولكن لا يدل على النص وليس الكلام في عد الفضائل ، واما التوسل بولاية علي فهو حق ومن اقرب الوسائل .

وأقول

روى الترمذي حديث الطائر بسنده عن السدي عن أنس ثم قال : وقد روي من غير وجه عن أنس ورواه النسائي في الخصائص عن أنس بهذا اللفظ « انه أتى النبي (ص) وعنده طائر فقال : اللهم ائتني بأحب خلقك اليك يأكل معي من هذا الطير فجاء ابو بكر فرده ، ثم جاء عمر فرده ، ثم جاء علي فأذن له » . ورواه الحاكم في المستدرك(١) عن أنس ايضاً ، وذكر فيه « انه جاء علي مرتين فقال له : ان رسول الله (ص) على حاجة

(١) ص ١٣٠ ج ٣ .

ثم جاء فقال النبي (ص) : افتح فدخل ، فقال رسول الله (ص) : ماحبسك علي ؟ قال: إن هذه آخر ثلاث كرات يردني أنس يزعم أنك على حاجة » الحديث ، ثم قال الحاكم : هذا حديث على شرط الشيخين ، وقال : قد رواه عن أنس جماعة من أصحابه زيادة على ثلاثين نفساً ، ثم صحت الرواية عن علي وأبي سعيد الخدري وسفينة ، ثم رواه الحاكم ايضاً من طريقين عن ابراهيم بن ثابت البصري القصار عن ثابت البناني عن أنس ، وتعقبه الذهبي بأن ابراهيم بن ثابت ساقط ، ويشكل بأن هذا مناقض لما ذكره هو في ميزان الاعتدال فانه قال فيه لا أعرف حاله جيداً ، كما انه تعقب الحديث الأول بأن في سنده محمد بن احمد بن عياض عن أبيه ، فقال ابن عياض : لا اعرفه ، وقال في الميزان بترجمة محمد المذكور بعدما ذكر روايته لحديث الطير بالسند الذي ذكره الحاكم : « قال الحاكم : هذا على شرط البخاري ومسلم ثم قال الذهبي : الكل ثقات إلا هذا يعني محمداً فأنا أتهمه به ثم ظهر لي انه صدوق » الى أن قال : « فأما أبوه فلا أعرفه » ، وعليه فالأمر هين لأن عدم معرفته له لا تضر فيه بعدما عرفه الحاكم وصحح حديثه على شرط الشيخين وقد روى الذهبي حديث الطير بترجمة جعفر بن سليمان الضبعي من الميزان ، وسنده صحيح ، لأنه رواه عن قطن بن نسير وهو من رجال مسلم ، عن جعفر المذكور وهو من رجاله ايضاً ، عن عبد الله بن المثنى بن عبد الله بن أنس وهو من رجال البخاري ، عن أنس . وحكاه في كنز العمال (١) عن ابن عساكر من ثلاثة طرق ، وعن ابن النجار من طريق ، ونقله سبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص عن احمد في الفضائل بسنده عن سفينة ، ونقله في ينابيع المودة في الباب الثامن عن احمد في مسنده عن سفينة ، كما نقله المصنف (ره) هنا عن مسند احمد عن أنس . والظاهر أن القوم أسقطوا الحديثين الأخيرين من المسند الموجود بأيدينا اليوم طبع بمطبعة الميمنية بمصر سنة ١٣١٣ هجرية كما هي عادتهم في اسقاط كثير من الأحاديث المتعلقة بفضل أمير المؤمنين ، فمع ما ذكرناه الذي هو قليل من كثير كيف يزعم ابن تيمية انه لم يرو حديث الطير أحد من أصحاب الصحاح ولا صححه أئمة الحديث ، والحال انه قد رواه الترمذي والنسائي وصححه

(١) ص ٤٠٦ ج ٦ .

الحاكم ورواه الذهبي بترجمة جعفر بطريق لا شبهة في صحته عندهم كما سمعت ، بل زعم ابن تيمية كعادته في فضائل امام المتقين ان الحديث عند أهل المعرفة والعلم من المكذوبات والموضوعات ، والحال انه حكى عن أبي موسى المديني انه قال : جمع غير واحد من الحفاظ طرق أحاديثه ، وقال في ينابيع المودة ولابن المغازلي حديث الطير من عشرين طريقاً ، وقد سمعت قول الحاكم رواه عن أنس زيادة على ثلاثين نفساً وليت شعري أي أهل المعرفة يدعي وضعه فانا لا نعرف أحداً من سائر الناس ادعاه فضلا عن أهل المعرفة ، ولو سلم فما زعمهم أهل المعرفة إنما هم الخصوم والنواصب امثاله الذين يريدون أن يطفؤا نور الله بأفواههم وأن يتبع الحق أهواءهم .

وأما دلالة الحديث على امامة أمير المؤمنين « ع » فمن أظهر الامور ، لأن أحب الناس الى الله تعالى إنما هو أفضلهم وأتقاهم وأعلمهم بطاعته فلابد أن يكون أحقهم بالامامة لاسيما من أبي بكر وعمر ، إذ مع دخولهما بعموم الناس صرح حديث النسائي باسمهما بالخصوص كما سمعت . واشكل في المواقف وشرحها على الحديث بأنه لا يفيد انه أحب اليه في كل شيء لصحة التقسيم وادخال لفظ الكل والبعض ، ألا ترى انه يصح أن يستفسر ويقال أحب اليه في كل الأشياء أو في بعض الأشياء فلا يدل على الأفضلية مطلقاً و « الجواب » أن الاطلاق مع عدم القرينة على الخصوص يفيد العموم في مثل المقام ، ألا ترى أن كلمة الشهادة تدل على التوحيد وبمقتضى ما ذكراه ينبغي أن لا تدل عليه لامكان الاستفسار بأنه لا إله إلا هو في كل شيء أو في السماء أو في الأرض الى غير ذلك ، فلا تفيد نفي الشريك مطلقاً ، وهذا لا يقوله عارف والعجب منهما أن يقولا ذلك وهما يستدلان على فضل أبي بكر بقوله تعالى : « وسيجنبها الأتقى » زاعمين أن المراد بالأتقى أبو بكر فيكون أفضل والحال انه يمكن الاستفسار بأنه الأتقى في كل شيء أو في بعض الأشياء ، مضافاً الى انه لا يصح حمل الحديث على ارادة الأحب في بعض الامور وإلا لجاء مع علي « ع » كل من هو أحب منه بزعمهم في بعض الامور كالشيخين لاستجابة دعاء النبي « ص » والحال أن النبي « ص » قد ردهما كما في حديث النسائي ، ونحن نمنع أن يكون أحد أحب الى الله سبحانه بعد النبي « ص » من علي « ع » في شيء من الأشياء

لما سبق في المبحث الثاني من مباحث الامامة أن الامام أفضل الناس في كل شيء فيكون أحبهم الى الله تعالى في كل شيء .

وقد زاد ابن تيمية في الطنبور نغمة فأورد على الحديث بامور تشهد بجهله أو نصبه « منها » ان أكل الطير ليس فيه أمر عظيم هنا يناسب أن يجيء أحب الخلق الى الله ليأكل معه فان اطعام الطعام مشروع للبر والفاجر وليس في ذلك زيادة وقربة عندالله لهذا الآكل ولا معونة على مصلحة دين ولا دنيا فأي أمر عظيم يناسب أن يجيء أحب الخلق الى الله يفعله . و « الجواب » أن الأمر العظيم تعريف الأحب الى الله تعالى للناس بدليل وجداني فانه آكد من اللفظ وأقوى في الحجة ، كما عرفهم نبي الهدى (ص) أن علياً حبيب الله في قصة خيبر باخبارهم انه يعطي الراية من يحبه الله ورسوله ويحب الله ورسوله وان الفتح على يده ، على انه يكفي في المناسبة رغبة النبي « ص » بأن يأكل مع أحب الخلق الى الله واليه . « ومنها » أن هذا الحديث يناقض مذهب الرافضة فانهم يقولون أن النبي كان يعلم أن علياً أحب الخلق الى الله وانه جعله خليفة من بعده ، وهذا الحديث يدل على انه ما كان يعرف أحب الخلق الى الله ؟ « الجواب » انا لا نعرف وجه الدلالة على انه لا يعرفه . أتراه لو قال ائتني بعلي يدل على عدم معرفته له ، وكيف لا يعرفه وقد قال كما في بعض الأخبار اللهم ائتني بأحب الخلق اليك وإلي ، وقال لعلي في بعض آخر ما حبسك علي ، وقال له في بعضها ما الذي أبطأ بك ، فالنبي « ص » كان عارفاً به لكنه أبهم ولم يقل ائتني بعلي ليحصل التعيين من الله سبحانه : فيعرف الناس أن علياً هو الأحب الى الله تعالى بنحو الاستدلال « ومنها » ما حاصله انه مناقض للأحاديث الثابتة في الصحاح القاضية بأن أبا بكر هو الأحب كما في الصحيحين من قوله « ص » : لو كنت متخذاً خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ، ومناقض لقوله تعالى : وسيجنبها الأتقى فان أئمة التفسير يقولون انه أبو بكر ، والأتقى هو الأحب لله ورسوله . و « الجواب » ان روايتهم لا تقوم حجة علينا وكذا قول أهل تفسيرهم لأنه من التفسير بالرأي التابع للهوى ولمقدمات باطلة على انه ليس مجمعاً عليه بينهم ، وسيأتي الكلام في الآية إن شاء الله تعالى ، كما أن روايته غير تامة الدلالة على مدعاه .

١٩ ـ حديث أنا مدينة العلم وعلي بابها

قال المصنف طاب ثراه

(التاسع عشر) في مسند احمد بن حنبل وصحيح مسلم قال لم يكن أحد من اصحاب رسول الله « ص » يقول سلوني إلا علي بن أبي طالب ، وقال رسول الله « ص » : أنا مدينة العلم وعلي بابها .

وقال الفضل

هذا يدل على وفور علمه واستحضاره أجوبة الوقائع واطلاعه على شتات العلوم والمعارف وكل هذه الامور مسلمة ولا دليل على النص حيث لا يجب أن يكون الأعلم خليفة بل الأحفظ للحوزة والأصلح للأمة ولو لم يكن أبو بكر أصلح للامامة لما اختاروه كما مر .

وأقول

معنى كونه باب مدينة علم النبي « ص » انه الواسطة للناس في وصولهم الى علم النبي «ص» فلا واسطة غيره ، والآخذ من غيره كالسارق ، فيكون أخذ العلم منه واجباً ومن غيره حراماً فهو الامام دون غيره لعدم اجتماع امامة الشخص وحرمة الأخذ عنه واتباعه فيما يحكم به ، كما أن وجوب الأخذ عنه الموصول الى علم الرسول « ص » لا يتم إلا بعصمته فيتعين للامامة ، وكذا جعله الباب لعلمه دال على احاطته بجميع ما يصدر عن النبي «ص» من العلوم ، وذلك شأن الامام ، ويشهد لانحصار طريق علم النبي «ص» بعلي « ع » جهل الامة بأكثر الأحكام لما اعرضوا عنه ، والحال ان الله سبحانه قد أكمل دينه فما زالت آراؤهم مضطربة وأحكامهم مختلفة حتى كأن الله تعالى قد أوكل الى أهوائهم أحكامه ؛ ولما رجع الأمر الى أمير المؤمنين « ع » لم يقدر على امضاء ما علم ولا على نشره لأن الناس قد ألفوا خلافه ، فقد نهى عن صلاة التراويح فصاح الناس وا سنّة عمراه ، ونهى عن أكل الجرّي والمارماهي فلم يتبعوه ، وأمر بالمتعتين فخالفوه

الى غير ذلك من الأحكام ، ولذا قال « ع » كما رواه البخاري في باب مناقبه : « اقضوا كما كنتم تقضون فاني أكره الخلاف حتى يكون للناس جماعة أو أموت كما مات اصحابي » فانه صريح فى أن قضاء من كان قبله ليس حقاً لكنه لا يتمكن من الخلاف ما لم يتم له الأمر ، ولو سلم عدم دلالة الحديث على انحصار طريق علم النبي « ص » بعلي « ع » فلا اشكال بدلالته على أعلميته كما أقر به الفضل في ظاهر كلامه فيقبح تقديم المفضول عليه أفمن ، يهدي الى الحق أحق أن يتبع أم من لا يهدي إلا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون ، وقوله : « لا يجب أن يكون الأعلم خليفة بل الأحفظ للحوزة والأصلح للأمة » ظاهر البطلان كما أوضحناه في المبحث الثاني من مباحث الامامة ، وقد أوضحنا ايضاً في المبحث الثالث فساد قوله ولو لم يكن أبو بكر أصلح للامامه لما اختاروه ، فان الاختيار لا يصلح أن يكون طريقاً للامامة على أن من اختاروه إنما هم نفر محدود كما سبق .

ثم ان هذا الحديث اعني حديث الباب قد رواه الحاكم في المستدرك (١) من طرق عن ابن عباس وصححها ، وذكر فى بعض طرقه أبا الصلت وقال : ثقة مأمون ونقل توثيقه عن ابن معين وانه قيل له : اليس قد حدث بهذا الحديث عن ابي معوية فقال : قد حدث به جعفر بن محمد الفيدي وهو ثقة مأمون ، ومع ذلك زعم الذهبي انه موضوع لزعمه أن ابا الصلت ليس بثقة ولا مأمون ، وفيه انه مناف لوصفه له في ميزان الاعتدال بالرجل الصالح وقال : إلا انه شيعي جلد ولو سلم أن أبا الصلت ليس ثقة فلا معنى للحكم بوضع الحديث مع رواية الفيدي الثقة له عن أبي معوية ، وإذا صحت الرواية الى ابي معوية فقد صح الحديث لأن ابا معوية رواه عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس وكلهم ثقات عندهم ، ورواه الحاكم ايضاً عن جابر وصححه ، وتعقبه الذهبي بأن فى سنده احمد بن عبد الله بن يزيد الحراني وهو دجال كذاب ، وقد تبع فيه ابن عدي لقوله فى حقه كما في ميزان الاعتدال كان سامراً يضع الحديث ، والظاهر أن لامنشأ لنسبة الوضع والكذب اليه عندهما إلا روايته لهذا الحديث فكان مؤاخذاً بالرواية فى فضل أمير المؤمنين

(١) ص ١٢٦ ج ٣ .

وله اسوة بأبي الصلت ، ونقل السيوطي في اللئالي المصنوعة عن ابن الجوزي انه نقل هذا الحديث بلفظه أو ما يشبهه من خمسة عشر طريقاً أخرجها ابن عدي وابو نعيم وابن مردويه والطبراني والخطيب والعقيلي وابن حبان عن علي وابن عباس وجابر، ولفظ حديث جابر هكذا : سمعت رسول الله (ص) يوم الحديبية وهو آخذ بيد علي يقول : هذا أمير البررة ، وقاتل الفجرة ، منصور من نصره ، مخذول من خذله يمد بها صوته أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد العلم فليأت الباب ، وهذا هو الذي رواه الحاكم عن جابر لكنه ذكر صدر الحديث في مقام متأخر ، وقد زعم ابن الجوزي انها كلها موضوعة مستنداً الى اضطراب اسناد بعضها وجهل بعض الرواة في بعضها وان بعضهم لا يجوز الاحتجاج به وبعضهم متهم بسرقة هذا الحديث وبعضهم كذاب ، وأنت تعلم ان هذا لو تم لا يستوجب الحكم بوضع الحديث مع استفاضة طرقه ، وغاية ما يقتضيه ـ على نظر ـ عدم الاعتماد عليها على ان السيوطي في اللئالي قد تعقبه فقال : حديث علي اخرجه الترمذي ، وحديث ابن عباس اخرجه الحاكم في المستدرك ثم نقل كلام الحاكم الذي أشرنا اليه ، ونقل عن الخطيب انه روى عن ابن معين توثيق أبي الصلت وان القاسم ابن عبد الرحمن الأنباري سأل ابن معين عن الحديث فقال : صحيح . قال الخطيب : أراد انه صحيح من حديث ابي معوية . « أقول » : وفيه الكفاية في مطلوبنا ، ثم نقل السيوطي عن الحافظ صلاح الدين العلائي انه قال في جملة جوابه عن دعوى الوضع : « أي استحالة في أن يقول النبي « ص » مثل هذا في حق علي ، ولم يأت كل من تكلم في هذا الحديث وحكم بوضعه بجواب عن هذه الروايات الصحيحة عن ابن معين ، ومع ذلك فله شاهد » وذكر رواية الترمذي وغيره له عن شريك عن سلمة عن سويد ثم قال : « وشريك احتج به مسلم وعلق له البخاري ووثقه ابن معين وقال العجلي : ثقة حسن الحديث ، وقال عيسى بن يونس ما رأيت احداً قط اورع في علمه من شريك، فعلى هذا يكون تفرده حسناً فكيف إذا انضم الى حديث ابي معوية » الى ان قال العلائي : « ولم يأت ابو الفرج ولا غيره بعلة في حديث شريك سوى دعوى الوضع دفعاً بالصدر » ، ثم نقل السيوطي عن ابي الفضل ابن حجر انه قال : هذا الحديث من قسم الحسن ثم قال

السيوطي وبقى للحديث طرق وذكر منها طريقين للخطيب عن علي (ع) وطريقاً لابن النجار عنه (ع) ايضاً وطريقاً لابي الحسن علي بن عمر الحربي في اماليه عنه (ع) ايضاً ولفظه : « قال رسول الله (ص) انا مدينة العلم وانت بابها يا علي كذب من زعم انه يدخلها من غير بابها » ، وطريقاً لابي الحسن شاذان الفضلي في خصائص علي (ع) عن جابر بن عبدالله ، وطريقاً الديلمي باسنده عن ابي ذر ولفظه : « قال رسول الله (ص) علي باب علمي ومبين لأمتي ما ارسلت به من بعدي حبه ايمان ، وبغضه نفاق ، والنظر اليه رأفة » . وحكى في كنز العمال (١) كلاماً للسيوطي نحو ما هنا وذكر في طيه ان ابن جرير روى في تهذيب الآثار الحديث الذي رواه الترمذي وصححه ثم ذكر في الكنز ان السيوطي قال اخيراً بصحة هذا الحديث بعدما كان يرى حسنه . « اقول » : ولا ريب لمنصف في صحته لاستفاضة طرقه بل تواترها لاسيما بضميمة اخبارنا وله شواهد من الكتاب والسنة لا تحصى .

هذا واما ما حكاه المصنف (ره) في صدر كلامه عن مسند احمد فقد رواه في الاستيعاب بترجمة امير المؤمنين (ع) عن سعيد بن المسيب قال : ما كان احد من الناس يقول سلوني غير علي بن ابي طالب .

٢٠ ـ حديث من آذى علياً فقد آذاني

قال المصنف أعلى الله مقامه

(العشرون) في مسند احمد من عدة طرق ان النبي « ص » قال : من آذى علياً فقد آذاني ايها الناس من آذى علياً بعث يوم القيامة يهودياً او نصرانياً .

وقال الفضل

لاشك ان علياً سيد الأولياء وقد جاء في الحديث من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب فاذا كان معاداة احد من الأولياء وأذاه محاربة مع الله تعالى فكيف لايكون إيذاء سيد الأولياء موجباً الدخول النار ولكن لايدل هذا على النص .

(١) ص ٤٠١ ج ٦ .

وأقول

لم اجد فعلا في مسند احمد تمام الحديث وإنما وجدت فيه صدره (١) عن عمرو بن شاش ان النبي « ص » قال من آذى علياً فقد آذاني ، ورواه الحاكم عنه ايضاً في المستدرك (٢) وصححه ، ورواه البخاري في تاريخه ، كما حكاه عنه في كنز العمال ، ورواه ايضاً في الاستيعاب بترجمة أمير المؤمنين وزاد فيه « ومن آذاني فقد آذى الله تعالى » وهو يقتضي وجوب طاعة علي (ع) لأن عصيانه يؤذيه بالضرورة ووجوب طاعته على الاطلاق يقتضي عصمته وامامته وإذا ضممت الى الحديث قوله تعالى : « إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعدَّ لهم عذاباً مهينا » . علمت حال الناكثين والقاسطين .

أما بقية الحديث وهي من آذى علياً بعث يهودياً أو نصرانياً فيشهد لصحتها ماحكاه المصنف (ره) في منهاج الكرامة عن أخطب خوارزم بسنده عن معوية بن حيدة القشيري قال : سمعت رسول الله (ص) يقول لعلي (ع) : « من مات وهو يبغضك مات يهودياً أو نصرانياً » . وما حكاه السيوطي في اللآلي عن العقيلي بسنده عن بهز ابن حكيم عن أبيه عن جده مرفوعاً « من مات وفي قلبه بغض لعلي فليمت يهودياً أو نصرانياً » . وزعم ابن الجوزي انه موضوع لأن في سنده الجارود بن يزيد وعلي بن قرين ، ولكن السيوطي تعقبه بذكر رواية للديلمي أخرجها عن بهز بسندين خليين عن الجارود وابن قرين قال فيها رسول الله (ص) : « يا علي ما كنت ابالي من مات من أمتي وهو يبغضك مات يهودياً أو نصرانياً » فهذه الأخبار متفقة في المعنى مع ذيل الرواية التي حكاها المصنف (ره) عن مسند احمد لأن بغض علي ايذاء له ، ولا ريب بصحة هذه الروايات لما تقدم من أن بغض علي (ع) علامة النفاق ومن الواضح أن المنافق بمنزلة اليهود والنصارى . ومن الغريب مسارعة ابن الجوزي للحكم بوضع الأخبار بمجرد اشتمال سندها على ضعيف أو متهم عنده فانه على هذا ينبغي أن يحكم

---

(١) ص ٤٨٣ ج ٣ . (٢) ص ١٢٢ ج ٣ .

بوضع رواياتهم جميعاً حتى أخبار الصحاح الستة إذ لا يخلوخبر عندهم إلا النــــادر من اشتمال سنده على ضعيف كما أشرنا اليه في المقدمة ، وهذا مما لا يرتضيه اصحابه والله انما يفعل ذلك في خصوص أخبار فضائل امام الهدى انحرافاً عنه وهو غير بعيد .

وأما الحديث الذي ذكره الفضل وهو من آذى لي ولياً فقد آذنته بحرب ، فليس بمنزلة قوله (ص) : من آذى علياً فقد آذاني الى آخره ، لأن معنى الحديث الذي ذكره من آذى لي ولياً فليستعد للعقوبة، وهذا ليس بمنزلة إيذاء علي «ع» الذي هو إيذاء لله ورسوله وموجب للعنة الله في الدنيا والآخرة والعذاب المهين والبعث على اليهودية أو النصرانية، فان هذا لا يكون إلا في ايذاء من هو بمنزلة النبي (ص) وامام الوقت .

٢١ ـ حديث تزويج علي من فاطمة

قال المصنف أعلى الله درجته

(الحادي والعشرون) في مسند احمد بن حنبل ان ابا بكر وعمر خطبا الى رسول الله (ص) فاطمة (ع) فقال : انها صغيرة فخطبها علي فزوجها منه .

وقال الفضل

صح في الأخبار ان أبا بكر وعمر خطبا فاطمة فقال رسول الله (ص) اني انتظر أمر الله فيها ولم يقل انها صغيرة ، وهذا افتراء على احمد بن حنبل وكل من قال هذا فهو مفتر على رسول (ص) وناسباً للكذب اليه ، فان فاطمة كانت وقت الخطبة كبيرة لأنها ولدت عام عمارة الكعبة ، والعجب من هذا الرجل انه يبالغ في احتراز الأنبياء عن الكذب وينسب الكذب الصراح الى رسول الله (ص) نعوذ بالله من هذا وانه خباط خبط عشواء .

وأقول

ما نقله المصنف (ره) عن المسند قد رواه بعينه النسائي في أوائل كتاب النكاح من سننه في باب تزوج المرأة مثلها في السن ، ورواه الحاكم في المستدرك في كتاب النكاح (١) وصححه على شرط الشيخين ولم يتعقبه الذهبي ، والحق انها تزوجت وهي

(١) ص ١٦٧ ج ٢ .

صغيرة لأنها ولدت بعد البعثة باجماعنا واختاره الحاكم في المستدرك ، فانه عنون (١) بقوله (ذكر ما ثبت عندنا من أعقاب فاطمة وولادتها) ، ثم روى انها ولدت سنة احدى واربعين من مولد رسول الله (ص) ، ولم يتعقبه الذهبي ، وروى ايضاً (٢) انها ماتت وهي ابنة احدى وعشرين سنة ، وولدت على رأس احدى واربعين من مولد النبي «ص» ، وروى في الاستيعاب بترجمة فاطمة عليها السلام انها ولدت سنة احدى واربعين من مولد النبي (ص) وأنكح رسول الله (ص) فاطمة علياً بعد وقعة أُحد ، فعلى هذا كله تكون حين تزويجها صغيرة ابنة اثنتي عشرة سنة تقريباً ، ويروى عندنا انها تزوجت وهي ابنة تسع ، وقد يوافقه ما في الاستيعاب بترجمة خديجة «ع» قال : «قال الزبير : ولد لرسول الله (ص) القاسم وهو أكبر ولده ثم زينب ثم عبد الله وكان يقال له الطيب ويقال له الطاهر ولد بعد النبوة ثم ام كلثوم ثم فاطمة» ، فان فاطمة (ع) إذا ولدت بعد الطاهر وام كلثوم - وكلاهما بعد النبوة - لم يبعد أن يكون تزويجها وهي ابنة تسع ، وزعم بعضهم أن سنها يوم تزوجت خمس عشرة سنة وخمسة أشهر ونصف كما ذكره في الاستيعاب بترجمتها ، واختاره ابن حجر في الصواعق قال في اول الباب الحادي عشر : «تزويج النبي (ص) فاطمة من علي أواخر السنة الثانية من الهجرة على الأصح وكان سنها خمس عشرة سنة ونحو نصف سنة» وكيف كان فهي صغيرة إما حقيقة أو بالاضافة الى الشيخين فلا يكذب قول النبي (ص) انها صغيرة ، نعم هو عذر إقناعي والعذر الحقيقي انهما ليسا أهلاً لها ولذا زوجها من علي (ع) بأثر هذا العذر ، ويشهد له ما في الصواعق في الفصل الأول من الباب المذكور في أثناء الكلام على الآية الحادية عشرة عن أبي داود السجستاني قال : «ان ابا بكر خطبها فأعرض (ص) عنه ثم عمر فأعرض عنه فأتيا علياً فنبهاه الى خطبتها فجاء فخطبها فقال (ص) : ما معك» الحديث . ثم قال : «وأخرج احمد وابو حاتم نحوه» . وحكى في كنز العمال (٣) عن ابن جرير عن أنس : «ان النبي (ص) أعرض عن ابي بكر فرجع الى عمر وقال هلكت وأعرض عن عمر فرجع الى ابي بكر وقال : انه ينتظر أمر الله فيها» ، فان اعراض النبي (ص) عنهما دليل على عدم اهليتهما لها وانه

---

(١) ص ١٦١ ج ٣ . (٢) ص ١٦٣ من الجزء المذكور . (٣) ص ١١٣ ج ٧ .

من سخط عليها . لطلبها ما لا يليق بها ولذا قال ابو بكر هلكت . وفي الكنز ايضاً(١) عن ابن جرير قال وصححه ، والدولابي في الذرية الطاهرة عن علي (ع) قال : « خطب ابو بكر وعمر فاطمة الى رسول الله (ص) فأبى عليهما فقال عمر أنت لها » الحديث . وفي الصواعق في أول الباب المذكور عن احمد وابن ابي حاتم عن أنس قال : « جاء ابو بكر وعمر يخطبان فاطمة الى النبي (ص) فسكت ولم يرجع اليهما شيئاً فانطلقا الى علي يأمرانه بطلب ذلك » الحديث ، ثم قال : « وفي رواية اخرى عن أنس ايضا عند أبي الخير القزويني الحاكمي خطبها بعد ان خطبها ابو بكر ثم عمر فقال قد أمرني ربي بذلك » الحديث وفي هذا دلالة اخرى على عدم أهليتهما للتزويج بسيدة النساء فان منعهما دون علي (ع) بأمر الله كاشف عن ان النظر في أمرها راجع الى الله سبحانه مع وجود أبيها سيد النبيين الذي هو أولى بالمؤمنين من أنفسهم كما عرفه عمر حيث قال في رواية ابن جرير المذكورة « انه ينتظر أمر الله فيها » وليس ذلك إلا لعظم شأنها عند الله تعالى وكرامتها عليه فلا يزوجها إلا بمن هو أهل لها ويليق بقدرها الرفيع ، فزوجها في السماء بسيد أوليائه وهو أدل دليل على فضله على الشيخين عند الله عز وجل وعند رسوله (ص) والأفضل أحق بالامامة ، وياهل ترى أن الله تعالى يصون عنهما تزويج فاطمة ولا يعقبه ضرر ظاهراً وهو يرضى أن تزف اليهما إمامة الامة والحكم في الدين والدنيا والنفس والنفيس ، وأعظم من هذه الأحاديث في الدلالة على عدم أهليتهما للزهراء وللامامة ما في اللئالي المصنوعة عن العقيلي والطبراني معاً عن علي بن عبد العزيز عن أبي نعيم عن موسى بن قيس الحضرمي عن حجر بن عنبس قال : « خطب ابو بكر وعمر فاطمة فقال النبي (ص) : هي لك يا علي لست بدجال » ، فان قوله (ص) : لست بدجال تعريض بالشيخين بأنهما دجالان لا يصلحان لتزويج فاطمة ولا للامامة بالضرورة ، ولذا هاجت حمية ابن الجوزي فقال موضوع موسى من الغلاة في الرفض ، وتعقبه السيوطي بقوله : « روى له ابو داود ووثقه ابن معين ، وقال ابو حاتم لا بأس به » ، ثم قال السيوطي : « والحديث اخرجه البزار » ، وذكر ايضا في سنده موسى بن قيس ثم حكى عن الهيثمي في زوائده

(١) ص ٣٩٢ ج ٦ .

انه قال : رجاله ثقات إلا ان حجراً لم يسمع من النبي (ص) ، وفيه انه لوسلم أن حجر ابن عنبس لم يسمع من النبي (ص) فهو ممن أسلم في أيامه (ص) فيكون راوياً عن الصحابة ولا يضر ارساله .

٢٢ ـ حديث اجلس يا أبا تراب

قال المصنف أعلى الله منزلته

(الثاني والعشرون) في الجمع بين الصحيحين ان رسول الله (ص) دخل على ابنته فاطمة فقبّل رأسها ونحرها وقال : أين ابن عمك ؟ قالت : في المسجد فوجد رداءه قد سقط عن ظهره وخلص التراب الى ظهره فجعل يمسح عن ظهره التراب ويقول : « اجلس يا أبا تراب » مرتين .

وقال الفضل

هذا حديث صحيح وهو من تلطفات النبي (ص) لأمير المؤمنين (ع) واظهار المحبة له ولا يثبت به النص .

وأقول

نعم هو من تلطفاته (ص) و حبه لأمير المؤمنين (ع) ولكن تلطفه به حال نومه في المسجد من دون اشعار بالكراهة دليل على عدم كراهة النوم له فيه وعلى مساواته للنبي (ص) في الحكم والطهارة كما يفيده حديث سد الأبواب إلا بابه ، وقد سبق وجه دلالته على امامته (ع) مضافاً الى دلالة هذا الحديث على شدة زهده البالغ أقصى الغايات الذي يمتاز به على سائر أهل الدرجات لأنه من بيت النعمة والشرف وابن شيخ البطحاء وبيضة البلد مع ما هو عليه من علو النفس وعزتها وما هو فيه من الشجاعة وريعان الشباب فيكون ذلك الزهد منه دليلاً على فضل ايمانه ومعرفته وزيادة تقواه ويقينه .

٢٣ ـ احاديث كسر الأصنام وصك الولاية ورد الشمس وغيرها

قال المصنف قدس الله روحه

(الثالث والعشرون) روى الجمهور من عدة طرق ان رسول الله (ص) حمل علياً حتى كسر الأصنام من فوق الكعبة ، وانه لا يجوز على الصراط إلا من كان معه كتاب بولاية علي بن أبي طالب ، وانه ردت له الشمس بعدما غابت حيث كان النبي (ص) نائماً على حجره ودعا له بردها ليصلي علي العصر فردت له ، وانه نزل اليه سطل عليه منديل وفيه ماء فتوضأ للصلاة ولحق بصلاة النبي (ص) ، وان منادياً من السماء نادى يوم أحد (لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي) وروى انه نادى به يوم بدر ايضاً .

وقال الفضل

ما ذكر من الأشياء بعضه منكر (منها) أن النداء يوم بدر بأن لا سيف إلا ذو الفقار من المنكرات ، لأن ذو الفقار كان سيفاً لمنبه بن الحجاج من أشراف قريش وهو قتل يوم بدر وصار سيفه المشهور بذي الفقار لرسول الله (ص) فكان ذو الفقار يوم بدر في يد الكفار وكانوا يقتلون به المؤمنين فكيف يجوز أن ينادي مناديها أن لا سيف إلا ذو الفقار ، نعم هو مطابق لمذهبه فانه يدعي أن قتل أصحاب محمد (ص) واجب فلا يبعد أن يدعي ان المنادي يوم بدر نادى بذكر منقبة ذي الفقار وهو في يد الكفار وهذا السفيه ما كان يعلم الحديث ولا التاريخ ومدار أمره ذكر المنكرات والمجهولات ولا يبالي .

وأقول

ما بيّنه في وجه الانكار خطأ لاحتمال ان يكون لأمير المؤمنين (ع) سيف ذو فقار حارب به يوم بدر، أو أن سيف منبه أو ابنه العاص على الخلاف الذي ذكره ابن أبي الحديد (١) صار الى علي (ع) وقاتل به لما قتلها وقتل نبيهاً أخا منبه كما في شرح النهج ايضا (٢) فعلى أحد هذين الاحتمالين لا يمتنع أن ينادي المنادي يوم بدر لا سيف إلا

(١) ص ٣٤٧ ج ٣ . (٢) ص ٣٥٨ ج ٣ .

ذو الفقار ، وقد حكى السيوطي في اللئالي رواية النداء يوم بدر عن ابن عدي وذكر أن ابن الجوزي زعم انها موضوعة لأن في سندها عمار ابن اخت سفيان وهو متروك فتعقبه السيوطي بقوله : « كلا بل هو ثقة ثبت من رجال مسلم وأحد الاولياء الأبدال، والمصنف تبع ابن حيان في تجريحه وقد ردّ عليه » .

ثم انه ينبغي التعرض لثبوت الأخبار التي ذكرها المصنف بطرقهم وبيان وجه الاستدلال بها ، أما (الخبر الأول) وهو خبر كسر الأصنام فقد أخرجه الحاكم في المستدرك (١) عن علي (ع) وصححه قال : « لما كانت الليلة التي أمرني رسول الله (ص) أن أبيت على فراشه وخرج من مكة مهاجراً انطلق بي رسول الله (ص) الى الاصنام فقال اجلس فجلست الى جنب الكعبة ثم صعد رسول الله (ص) على منكبي ثم قال : انهض فنهضت به فلما رأى ضعفي تحتـــه قال : اجلس فجلست فأنزلته عني وجلس لي رسول الله (ص) ثم قال لي ياعلي اصعد فصعدت على منكبيه ثم نهض بي رسول الله (ص) وخيل لي اني لو شئت نلت السماء وصعدت الى الكعبة » الحديث ، ونحوه في مسند احمد (٢) لكن من دون تعيين الليلة ، وكذا في كنز العمال (٣) نقلا عن ابن أبي شيبة وأبي يعلى في مسنده وابن جرير والخطيب . ووجه الدلالة فيه على المطلوب ان اختصاص أمير المؤمنين (ع) بمشاركة النبي (ص) في هذه الواقعة الجليلة الخطيرة بطلب من النبي (ص) دليل على فضله على غيره لاسيما وقد رقى على منكب دونه العيوق وهام الملائكة والملوك وقد أشار الشافعي الى هذه الواقعـــة مادحاً لأمير المؤمنين (ع) كما حكاه في ينابيع المودة (٤) فقال :

قيل لي قل في علي مدحاً	ذكره يخمد ناراً موصده
قلت لا أقدم في مدح امرىء	ضل ذو اللب الى أن عبده
والنبي المصطفى قال لنـــا	ليلة المعراج لمـــا صعده
وضع الله بظهري يده	فأحس القلب أن قد برده

(١) ص ٥ ج ٣ . (٢) ص ٨٧ ج ١ . (٣) ص ٤٠٧ ج ٦ .

(٤) في الباب ٤٨ .

وعلي واضـــع أقدامه في محـــل وضع الله يده

بل قد يقال بدلالة الحديث على امامة امير المؤمنين (ع) من وجه آخر وهو أن ضعفه عن حمل النبي (ص) لما كان مخالفاً لما هو عليه من القوة العظيمة دل على أن المنشأ في ضعفه هو رعاية جهة النبوة ولذا خيّل له ان لو شاء أن ينال السماء نالها فلا يرفع على منكبيه بما هو نبي ملحوظ به جهة النبوة إلا من هو شريك له في أمره ومن هو كنفسه وخليفته في امته .

وأما (الحديث الثاني) وهو أنه لا يجوز على الصراط إلا من كان معه كتاب بولاية علي (ع) فقد سبق مع دلالته على المطلوب في الآية الحادية عشرة .

رد الشمس

وأما (الحديث الثالث) وهو حديث رد الشمس فقد أخرجه كثير بطرق كثيرة وصححه جماعة قال ابن حجر في الصواعق (١) : « حديث ردها صححه الطحاوي والقاضي في الشفاء وحسنه شيخ الاسلام أبو زرعة وتبعه غيره » ، لكن ابن الجوزي على عادته في انكار ما صح في فضائل أمير المؤمنين (ع) زعم وضع الحديث وذكر بعض طرقه فوهنها كما حكاه عنه السيوطي في اللآلي ، ولنذكر مجمل كلام ابن الجوزي قال بعد ذكر حديث العقيلي عن اسماء بنت عميس : « موضوع اضطربت فيه الروايات رواه سعيد بن مسعود عن اسماء بنت عميس بسند فيه فضيل بن مرزوق ضعفه يحيى ، وقال ابن حبان : يروي الموضوعات ، ويخطي على الثقات ، وذكر حديثاً آخر عن ابن شاهين عن اسماء وفي سنده عبد الرحمن بن شريك قال ابو حاتم : واهي الحديث ، وشيخ ابن شاهين ابن عقدة رافضي رمي بالكذب وهو المتهم به ، وذكر ايضاً حديثاً عن ابن مردويه عن ابي هريرة وفي سنده داود بن فراهيج ضعفه شعبة » انتهى ما عن ابن الجوزي وتعقبه السيوطي بقوله : « فضيل الذي أعل به الطريق الأول ثقة صدوق احتج به مسلم في صحيحه وأخرج له الأربعة . وعبدالرحمن بن شريك وان وهاه ابو حاتم فقد وثقه غيره ، وروى عنه البخاري في الأدب . وابن عقدة من كبار الحفاظ والناس مختلفون

(١) في الفصل الثالث من الباب التاسع .

في مدحه وذمه ، قال الدارقطني كذب من اتهمه بالوضع ، وقال حمزة السهمي ما يتهمه بالوضع إلا ذو الأباطيل ، وقال ابو علي : الحافظ أبو العباس امام حافظ محله محل من يسأل عن التابعين واتباعهم . وداود وثقه قوم وضعفه آخرون ! ثم الحديث صرح جماعة من الأئمــة والحفاظ بأنه صحيح . قال القاضي عياض في الشفاء : أخرج الطحاوي في مشكل الحديث عن اسماء بنت عميس من طريقين ان النبي (ص) كان يوحى اليه ورأسه في حجر علي فذكر هذا الحديث ، قال الطحاوي : وهذان الحديثان ثابتان ، ورواتها ثقات ، وحكى الطحاوي ان احمد بن صالح كان يقول : لا ينبغي لمن سبيله العلم التخلف عن حفظ حديث اسماء لأنه من علامات النبوة » ، ثم ذكر السيوطي للحديث الأول طريقاً للطبراني ، وآخر للعقيلي ، وثالثاً للخطيب في تلخيص المتشابه ، ورابعــاً لأبي بشير الدولابي في الذرية الطاهرة ، ثم قال : « ثم وقفت على جزء مستقل في جمع طرق هذا الحديث تخريج ابي الحسن شاذان الفضلي » ، ثم ساق له اثني عشر طريقاً عن علي واسماء وأبي هريرة وجابر بن عبد الله وابي ذر ، لـكن حديث أبي ذر هكذا : « قال علي يوم الشورى انشدكم بالله هل فيكم من ردت عليه الشمس غيري حين نام رسول الله (ص) وجعل رأسه في حجري حتى غابت الشمس فانتبه فقال ياعلي : صليت العصر؟ قلت اللهم لا ، فقال : اللهم اردها عليه فانه كان في طاعتك وطاعة رسولك » ، ثم قال السيوطي : « وروى ابن أبي شيبة طرقاً من حديث اسماء » ، ثم قال : « ومما يشهد بصحة ذلك قول الامام الشافعي وغيره ما اوتي نبي معجزة إلا اوتي نبينا نظيرها أو أبلغ منها وقد صح أن الشمس حبست على يوشع ليالي قاتل الجبارين فلا بد أن يكون لنبينا نظير ذلك فكانت هذه القصة نظير تلك » انتهى ما في اللآلي .

وقد نسج ابن تيمية على منوال ابن الجوزي فحكم بوضع الحديث قال المصنف (ره) في منهاج الكرامة : « التاسع رجوع الشمس له مرتين احداهما في زمن النبي (ص) والثانية بعده ، أما الاولى فروى جابر وابو سعيد الخدري أن رسول الله (ص) نزل عليه جبرئيل يوماً يناجيه من عند الله فلما تغشاه الوحي توسد فخذ أمير المؤمنين (ع) فلم يرفع رأسه حتى غابت الشمس فصلى علي العصر بالايماء فلما استيقظ النبي (ص) قال

له : سل الله يرد عليك الشمس لتصلي العصر قائماً فدعا فردت الشمس فصلى العصر قائماً ، وأما الثانية فلما أراد أن يعبر الفرات ببابل استعمل كثير من اصحابه دوابهم وصلى لنفسه في طائفة من اصحابه العصر وفات كثيراً فتكلموا في ذلك فسأل الله رد الشمس فردت ، ونظمه الحميري فقال :

ردت عليـــه الشمس لما فاته   وقت الصلاة وقد دنت المغرب
حتى تبلج نورهـــا في وقتها   للعصر ثم هوت هوي الكوكب
وعليه قد ردت ببـــابل مرة   اخرى وما ردت لخلق مغرب

وأجاب ابن تيمية بانكار الحديثين ، واستشهد بكلام ابن الجوزي ، ثم نقل عن ابي القاسم الحسكاني انه جمع طرق حديث ردها في أيام النبي (ص) في مصنف سماه (مسألة في تصحيح رد الشمس وترغيب النواصب الشمس) ثم ذكر ابن تيمية طرقه وهي اكثر مما سبق أخرجها عن أمير المؤمنين واسماء وأبي سعيد وأبي هريرة ، وأورد عليه بامور، ولنذكرها مفصلة وإن كانت مشوشة في كلامه .

« الأمر الأول » عدم صحة طرقه وبالغ في النقد عليها حتى ضعف جملة من رجالها وهم ممن احتج بهم مسلم والبخاري في الصحيحين ، فليت شعري كيف يجتمع هذا مع قولهم بصحة أخبار الصحيحين أجمع وهل يسلم لهم خبر من نقد بعض رجاله بمثل تلك النقود حتى يصح القول بصحته ، وكيف كان فنحن لا نضيع الوقت برد نقوده بعدما صحح جملة من طرق الحديث الطحاوي والقاضي عياض والحافظ السيوطي والحـــاكم الحسكاني وسبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص ، وحسنها ابو زرعة وغيره ، ولا سيما أن المطلوب الوثوق ولا ريب بحصوله من الطرق المستفيضة بل هو أشد وأقوى من الوثوق من خبر صحيح أو أخبار صحاح ، وإذا ضممت الى تلك الأحاديث أخبارنا علمت أن ردها لأمير المؤمنين متواتر .

« الأمر الثاني » انه لو كان للواقعة أصل لكانت من أعظم عجائب العالم التي تتوفر الدواعي الى نقلها ولم يختص نقلها بالقليل . ويرد عليه (أولا) ان الدواعي الى عدم نقلها اكثر لأن الناس في أيام الأمويين وكثير من الأوقات أعداء لأمير المؤمنين « ع » ومجتهدون

في نقصه فكيف يستفيض بينهم نقل هذه الفضيلة العظيمة . (وثانياً) انه منقوض بانشقاق القمر الذي هو معجزة لنبينا « ص » ولا يشاركه فيهـــا علي حتى تتوفر الدواعي الى اخفائها ومع ذلك لم يروها اكثر من رواة رد الشمس . ودعوى ابن تيمية الفرق بأن انشقاق القمر كان بالليل وقت نوم الناس باطلة لما في صحيح البخاري في تفسير اقتربت الساعة عن أنس قال : سأل أهل مكة أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر ، وفي سنن الترمذي في تفسير هذه السورة عن جبير بن مطعم قال : انشق القمر على عهد رسول الله « ص » حتى صار فرقتين على هذا الجبل وعلى هذا الجبل فقالوا : سحرنا محمد ، فقال بعضهم : لان كان سحرنا فما يستطيع أن يسحر الناس كلهم . (وثالثاً) ان السبب في عدم تواتر نقل مثل هذه الوقايع في الكتب هو أن عامة الناس كانوا أميين وما كان التاريخ والتأليف مألوفاً بين من يعرف الكتابة منهم بلا فرق بين المسلمين وغيرهم ، ولذا لم يعرف مؤلف في تلك العصور ولم يصل الينا من معجزات النبي « ص » إلا القليل ولاسيما من طرق السنة وإنما وقع التأليف نادراً في التابعين وكثر في تبع التابعين ، على حين لم يبق من ذكر الحوادث السالفة إلا ما ندر وتناسى الناس فضائل أمير المؤمنين خوفاً أوعناداً لاسيما ما هو صريح في امامته .

« الأمر الثالث » ان خصوصيات الروايات متنافيـة من وجوه وهو يكشف عن كذب الواقعة (الأول) دلالة بعضها على طلوع الشمس حتى وقعت على الجبـــال وعلى الأرض وبعضها حتى توسطت السماء وبعضها حتى بلغت نصف المسجد وهذا دال على أن ذلك بالمدينة لأن المقصود مسجدها وكثير من الأخبـار يدل على أنه بالصهباء في غزوة خيبر (الثاني) ان بعضها يدل على أن النبي « ص » كان يوحى اليه وبعضها كان نائماً ثم استيقظ (الثالث) دلالة بعضهـا على أن علياً كان مشغولا بالنبي « ص » وبعضها على انه كان مشغولا بقسم الغنائم الى غير ذلك من الخصوصيات المتنافية . و (الجواب) أن تنافي الخصوصيات لا يوجب كذب أصل الواقعة وإنما يقتضي الخطأ في الخصوصيات، إذ لا ترى واقعة تكثرت طرقها إلا واختلف النقل في خصوصياتها، حتى أن قصة انشقاق القمر قد وردت في الرواية التي تقدمت عن الترمذي بأن القمر صار فرقتين على جبلين

وفي رواية اخرى للترمذي انشق فلقتين فلقة من وراء الجبل وفلقة دونه وفي صحيح البخاري فرقة فوق الجبل وفرقة دونه على أنه لا تنافي بين تلك الخصوصيات لأن المراد بجميع الخصوصيات في الوجـــه الأول هو رجوع الشمس الى وقت صلاة العصر كما صرح به بعض الأخبار لـكن وقعت المبالغة في بعضها بأنها توسطت السماء والمبالغة غير عزيزة في الكلام، كما أن وقوع رد الشمس في غزوة خيبر لا ينافي بلوغها نصف المسجد، وأما (الخصوصيات) في الوجه الثاني فلا تنافي بينها ايضاً لصحة حمل نوم النبي « ص » على غشية الوحي والاستيقاظ على تسريه ولذا عبّر بعض الأخبار بالاستيقاظ بعد ذكر نزول جبرئيل وتغشي الوحي للنبي « ص » ، وأما (الخصوصيات) في الوجـه الثالث فهي أظهر بعدم التنافي بينها إذ لا يبعد أن قسم الغنائم هو الحاجة التي وقعت قبل شغل علي « ع » بالنبي « ص » لا في عرضه ، وعلى هـذا القياس في سائر الخصوصيات التي يتوهم تنافيها .

« الأمر الرابع » اشتمال الأحاديث على المنـكرات (منها) ان رسول الله « ص » قال : يا رب ان علياً في طاعتك وطاعـة رسولك فاردد عليه الشمس . قال ابو سعيد : فوالله لقد سمعت للشمس صريراً كصرير البكرة حتى رجعت بيضاء نقية . (ومنها) انها لما غابت سمع لها صرير كصرير المنشار . (ومنها) انها أقبلت ولها صرير كصرير الرحى، وإنما قلنا ان هذه منكرات لأن الشمس لا تلاقي من الأجسام ما يوجب هذه الأصوات التي تصل من فلك الشمس الى الأرض، و (الجواب) ان الله سبحانه لا يعجز عن احداث الصوت ليكون للسمع حظ من هذه الفضيلة كما للبصر فيزيد التيقن بها والالتفات اليها، ولو تسرينا الى هذه المناقشات منعنا انشقاق القمر وسقوط شقيه على الجبلين أو الجبل وما دونه فانه اكبر من ذلك ، فاذا اجيب ههنا بأن الله شقه وصغر جرمه وأنزله الى الأرض ايضاحاً للحجة فليجب بمثله في المقام ، (ومما اشتملت عليه من المنكرات) بزعم ابن تيمية نوم النبي « ص » بعد صلاة العصر وهو مكروه لا يفعله النبي « ص » ، وهو ايضاً تنام عيناه ولا ينام قلبه فكيف يفوّت على علي صلاته ، ثم ان تفويت الصلاة ان كان جائزاً لم يكن على علي اثم إذا صلى العصر بعد الغروب وليس علي أفضل من النبي (ص)

والنبي قد فاتته العصر يوم الخندق ولم ترد عليه الشمس وقد نام ومعه علي وسائر الصحابة عن الفجر حتى طلعت الشمس ولم ترجع الى الشرق ، وإن كان التفويت محرماً فهو من الكبائر ، ومن فعل هذا كان من مثالبه لا من مناقبه. ثم إذا فاتت لم يسقط الاثم عنه بعود الشمس .

والجواب ان النبي « ص » لم ينم كما عرفت وإنما تغشاه الوحي وما ذكره من أن النبي « ص » تنام عيناه ولا ينام قلبه يجب أن يجعله دليلا على كذب رواية نومه (ص) عن صلاة الصبح وكذب رواية نسيانه الصلاة يوم الخندق كما أوضحناه في مباحث النبوة ، فحينئذ يبطل نقضه بعدم رد الشمس للنبي « ص » لما فاتته الصلاة في الوقتين وهو أفضل من علي « ع » ، على أن فضل النبي (ص) لا يستلزم أولوية ردها له لجواز أن يكون ردها لعلي (ع) دفعاً لطعن أهل النفاق فيه بتركه الصلاة فردت له ليعلم انه في طاعة الله تعالى بشاهد جلي أو لغير ذلك من الحكم المقتضية لتخصيصه دون النبي (ص) على أن علياً (ع) لم يترك أصل الصلاة فانه صلاها ايماء كما صرح به بعض الأخبار وانما ردها الله سبحانه له لينال فضل الصلاة قائماً في وقتها ، ويظهر فضله وكمال طاعته وليقطع ألسنة المنافقين ، وبهذا يعلم ما في قوله ان كان جائزاً لم يكن على علي اثم إذا صلى العصر بعد الغروب ، فان الداعي لردها ليس رفع الاثم بل تلك الحكم المذكورة ؛ فقد ظهر أن المناقشة في الحديث إنما هي من السفاسف .

وأما دلالته على امامة أمير المؤمنين (ع) فأجلى من الشمس لأنه من أعظم الأدلة على الاهتمام بشأنه وفضله على جميع الأصحاب بما لا يحلم أن يناله أحد منهم .

هذا كله في ردها له في حياة النبي (ص) ويروى ردها له بعد وفاته (ص) ، كما ذكره المصنف (ره) ، وحكاه ابن ابي الحديد في شرح النهج (١) عن نصر بن مزاحم بسنده عن عبد خير قال : « كنت مع علي في أرض بابل وحضرت صلاة العصر فجعلنا لا نأتي مكاناً إلا رأيناه أقبح من الآخر حتى أتينا على مكان أحسن ما رأينا وقد كادت الشمس أن تغيب ، قال : فنزل علي فنزلت معه فدعا الله فرجعت الشمس كمقدارها من صلاة

(١) ص ٢٧٧ ج ١ .

العصر فصليت العصر ثم غابت » ونقل في ينابيع المودة (١) عن المناقب عن الحسين عليه السلام قال : « لما رجع أبي من قتال النهروان سار في ارض بابل وحضرت صلاة العصر فقال هذه ارض مخسوفة وقد خسفها الله ثلاثاً ولا يحل لوصي نبي ان يصلي فيها قال جويرية بن مسهر العبدي : صلى الناس هنا وتبعت بمائة فارس أمير المؤمنين الى أن قطعنا ارض بابل والشمس قد غربت فنزل وقال : آتني الماء فآتيته الماء فتوضأ وقال يا جويرية اذن للعصر فقلت في نفسي : كيف يصلي العصر وقد غربت الشمس فأذنت وقال لي أقم فأقمت وإذ أنا في الاقامة تحركت شفتاه وإذ رجعت الشمس وصلينا وراءه فلما فرغنا من الصلاة غابت الشمس بسرعة كأنها سراج وقعت في طشت ماء واشتبكت النجوم والتفت إلي وقال : اذن للمغرب يا ضعيف اليقين » . ونقل في الينابيع ايضاً عن اخطب خوارزم بسنده عن مجاهد أن ابن عباس أثنى على أمير المؤمنين (ع) في كلام قال فيه : « وردت عليه الشمس مرتين » .

حديث السطل والماء والمنديل

وأما الحديث الرابع وهو حديث السطل والماء والمنديل فقد حكاه ايضاً في الينابيع (٢) عن ابن المغازلي وصاحب المناقب واخطب خوارزم بأسانيدهم عن انس .

لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي

وأما الحديث الخامس وهو حديث النداء يوم أحد فقد رواه الطبري في تاريخه (٣) وابن الأثير في كامله (٤) وكذا ابن ابي الحديد في شرح النهج (٥) ناقلا له عن غلام تغلب ومحمد بن حبيب في أماليه وجماعة من المحدثين ، ثم قال : « وهو من الأخبار المشهورة ووقفت عليه في بعض نسخ مغازي محمد بن اسحق ورأيت بعضها خالياً عنه وسألت شيخي عبدالوهاب بن سكينة عن هذا الخبر فقال صحيح » . أقول : ويكفي في صحته استفاضته لاسيما بضميمة أخبارنا .

---

(١) في الباب ٤٧ . (٢) في الباب ٤٩ . (٣) ص ١٧ ج ٣ .
(٤) ص ٧٤ ج ٣ . (٢) ص ٣٧٢ ج ٣ .

وأما صدور النداء يوم بدر فقد تقدمت روايته في أول المبحث واشار اليها سبط ابن الجوزي في تذكرة الحفاظ ، ونقل ايضا عن احمد في الفضائل وصححه: وقوع النداء يوم خيبر وانهم سمعوا تكبيراً من السماء في ذلك اليوم وقائلا يقول : « لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي » .

فاستأذن حسان رسول الله (ص) أن ينشد شعراً فأذن له فقال :

جبريل نادى معلناً والنقع ليس ينجلي
والمسلمون أحدقوا حول النبي المرسل
لا سيف إلا ذو الفقا ر ولا فتى إلا علي

فلا ريب بصدور النداء بذلك من جبرئيل ولو في أحد هذه المواطن الثلاثة وهو صريح فى نفي الفتوة أي السخاء بالنفس عن غير علي (ع) ، فيدل على انه اسخى الناس بنفسه لله واطوعهم له والفضل فى الطاعة فرع الفضل الذاتي والأفضل أحق بالامامة ويشهد لفضله الذاتي قول النبي (ص) فى الحديث هو مني وانا منه وقول جبرئيل : وانا منكما .

٢٤ ـ حديث الحق مع علي

قال المصنف رفع الله درجته

(الرابع والعشرون) فى الجمع بين الصحاح الستة عن النبي (ص) قال : رحم الله علياً اللهم ادر الحق معه حيث دار ، وروى الجمهور قال (ص) لعمار: ستكون فى امتي بعدي هناة واختلاف حتى يختلف السيف بينهم حتى يقتل بعضهم بعضاً ويتبرأ بعضهم من بعض ، يا عمار تقتلك الفئة الباغية وانت إذ ذاك مع الحق والحق معك إن علياً لن يدنيك من ردى ولن يخرجك من هدى ، ياعمار من تقلد سيفاً اعان به علياً على عدوه قلده الله يوم القيامة وشاحين من در ومن تقلد سيفاً اعان به عدوه قلده الله وشاحين من نار فاذا رأيت ذلك فعليك بهذا الذي عن يميني يعني علياً وإن سلك الناس كلهم وادياً وسلك علي وادياً فاسلك وادياً سلكه علي وخل الناس طراً ، يا عمار إن علياً

لا يزال على هدى ، يا عمار إن طاعة علي من طاعتي وطاعتي من طاعة الله تعالى ، وروى احمد بن موسى بن مردويه من الجمهور من عـدة طرق عن عائشة ان رسول الله (ص) قال : الحق مع علي وعلي مع الحق لن يفترقا حتى يردا علي الحوض .

وقال الفضل

صح في الصحاح ان رسول الله (ص) قال لعمار : ويح عمار تقتله الفئة الباغية ، وباقي ما ذكر ان صح دل على ان علياً كان مع الحق اينما دار وهذا شيء لا يرتاب فيه حتى يحتاج الى دليل بل هذا دليل على حقية الخلفاء لأن الحق كان مع علي وعلي كان معهم حيث تابعهم وناصحهم فثبت من هذا خلافة الخلفاء وانها كانت حقاً صريحاً، واما من خالف علياً من البغاة فمذهب اهل السنـة والجماعة ان الحق كان مع علي وهم كانوا على الباطل ولاشك في هذا .

وأقول

روى لفظ الحديث الأول الترمذي في فضائل علي (ع) والحاكم ايضا فى فضائله من المستدرك (١) ونقل فى الصواعق (٢) عن الذهبي انه صحح طرقاً كثيرة لدعاء النبي (ص) لعلي فى غدير خم المشتمل على قوله : « وأدر الحق معه حيث دار » وحكى ابن ابى الحديد (٣) عن ابى القاسم البجلي وتلامذته من المعتزلة قالوا : لو نازع علي عقيب وفاة رسول الله (ص) وسل سيفه لحكمنا بهلاك كل من خالفه وتقدم عليـه كما حكمنا بهلاك من نازعه حين اظهر نفسه الى ان قالوا : وحكمه حكم رسول الله (ص) لأنه قد ثبت عنه فى الأخبار الصحيحة انه قال : علي مع الحق والحق مع علي يدور حيثما دار، وحكم ابن ابى الحديد ايضاً بثبوت هذا الحديث (٤) فى شرح الخطبة التي يقول فيها ان الأئمة من قريش غرسوا فى هذا البطن من هاشم ، ونقل فى كنز العمال (٥) عن ابى يعلى وسعيد بن منصور بسندهما عن ابى سعيد ان النبي (ص) قال : الحق مع ذا الحق

(١) ص١٢٤ ج ٦ . (٢) في الفصل ٥ من الباب ١ فى الشبهة ١١ . (٣) ص٢١٢ ج ١ . (٤) ص ٤٢٢ ج ٢ . (٥) ص ١٥٧ ج ٦ .

مع ذا يعني علياً ، وحكى في الكنز ايضا (١) عن الديلمي عن عمار وابي ايوب ان رسول الله (ص) قال : « يا عمار إن رأيت علياً قد سلك وادياً وسلك الناس وادياً غيره فاسلك مع علي ودع الناس انه لن يدلك على ردى ولن يخرجك من هدى » وهذا بعض الحديث الذي ذكره المصنف (ره) ، وذكره بتمامه إلا القليل في كشف الغمة نقلا عن الخوارزمي عن أبي أيوب ، والأخبار الدالة على أن الحق مع علي والحق معه إما بلفظه أو بمعناه اكثر من أن تحصى وهي متواترة معنى ، وقد تقدم منها ما صرح بأنه فاروق هذه الأمة يفرق بين الحق والباطل ، ومنها أحاديث التمسك بالثقلين وان أهل البيت سفينة النجاة ، فاذا كان علي مع الحق والحق معه يدور حيث دار وجب أن يكون معصوما والعصمة شرط الامامة ولا معصوم غيره من الصحابة اتفاقاً ، وايضاً يلزم منه بطلان خلافة أبي بكر ولاسيما في الستة أشهر التي امتنع فيها عن بيعة أبي بكر كما رواه البخاري في غزاة خيبر وغيره ، وأما مبايعته بعد ذلك فلم تقع إلا قهراً كما أن مناصحته لهم بعد مشاورتهم له في بعض الامور إنما هي لاصلاح الدين لا لترويج امرتهم ، ولذا ما زال يتظلم منهم ووقع بينهم وبينه من النفورة والعداوة ما هو جلي لكل احد .

وأما ما ذكره في شأن البغاة فهو اقرار بأن صاحبة الجمل واصحابها ومعوية وأنصاره كانوا مبطلين ومطالبين عند الله تعالى بأمر عظيم وهو إلقاح الفتنة الى يوم الدين وازهاق نفوس الآلاف من المسلمين الذي لا تنجي منه التوبة بالقول لو صدرت ما لم يعطوا النصف من أنفسهم ويخرجوا عن المظالم الى أهلها ، والاقرار بذلك لا يناسب تعظيمهم لهم وجعل تفضيل عائشة على النساء كفضل الثريد على الطعام وجعل الزبير حواري رسول الله « ص » ومعوية هادياً مهدياً .

٢٥ ـ حديث الثقلين وما بمعناه

قال المصنف طاب ثراه

(الخامس والعشرون) روى احمد بن حنبل في مسنده أن النبي « ص » أخذ بيد

---

(١) ص ١٥٥ ج ٦ .

الحسن والحسين وقال : من أحبني وأحب هذين وأباهما وأمهما كان معي في درجتي يوم القيامة ؛ وفيه عن جابر قال : قال رسول الله « ص » ذات يوم بعرفات وعلي تجاهه : ادن مني يا علي خلقت أنا وأنت من شجرة فأنا أصلها وأنت فرعها والحسن والحسين أغصانها فمن تعلق بغصن منها ادخله الله الجنة ، وفيه عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله « ص » : إني قد تركت فيكم ما أن تمسكتم به لن تضلوا بعدي: الثقلين، وأحدهما اكبر من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الأرض وعترتي أهل بيتي ألا وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض، ورواه احمد من عدة طرق ، وفي صحيح مسلم في موضعين عن زيد بن أرقم قال : خطبنا رسول الله « ص » بماء يدعى خماً بين مكة والمدينة ثم قال بعد الوعظ : ايها الناس انما أنا بشر يوشك ان يأتيني رسول ربي فاجيب وإني تارك فيكم الثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال : وأهل بيتي اذكركم الله في أهل بيتي اذكركم الله في أهل بيتي اذكركم الله في أهل بيتي : وروى الزمخشري وكان من أشد الناس عناداً لأهل البيت وهو الثقة المأمون عند الجمهور قال باسناده قال رسول الله « ص » : فاطمة مهجة قلبي وابناها ثمرة فؤادي وبعلها نور بصري والأئمة من ولدها امناء ربي وحبل ممدود بينه وبين خلقه من اعتصم بهم نجا ومن تخلف عنهم هوى ، وروى الثعلبي في تفسير قوله تعالى: «واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا» بأسانيد متعددة عن رسول الله «ص» قال أيها الناس قد تركت فيكم الثقلين خليفتين إن أخذتم بهما لن تضلوا بعدي أحدهما اكبر من الآخر كتاب الله حبل ممدود ما بين السماء والأرض وعترتي أهل بيتي وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض ؛ وفي الجمع بين الصحيحين إنما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربي فاجيب وأنا تارك فيكم الثقلين اولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به وأهل بيتي اذكركم الله في أهل بيتي خيراً .

وقال المفضل

هذه الأخبار بعضها في الصحاح وبعضها قريب المعنى منها ، وحاصلها التوصية بحفظ أحكام الكتاب وأخذ العلم منه ومن أهل البيت وتعظيم اهل البيت ومحبتهم وموالاتهم وكل هذه

الامور فريضة على المسلمين ولا قائل بعدم وجوبه على كل مسلم ، ولكن ليس فيما ذكر نص على خلافة علي بعد رسول الله «ص» لأن هذا هو الوصية بالحفظ وأخذ العلم منهم وجعلهم قرناء للقرآن يدل على وجوب التعظيم وأخذ العلم عنهم والاقتداء بهم في الأعمال والأقوال وأخذ طريق السنة والمتابعة من أعمالهم ، ولا يلزم من هذا خلافتهم ، وليس هو بالنص في خلافتهم بعد رسول الله «ص» ومراد النبي «ص» توصية الأمة بحفظ القرآن ومتابعة أهل البيت وتعظيمهم وهذا ما لا نزاع فيه .

وأقول

حديث الثقلين مستفيض أو متواتر ، وقد رواه احمد في مسنده من طرق كثيرة جداً عن جماعة ، ورواه الترمذي في مناقب أهل البيت من سننه عن خمسة من الصحابة ورواه مسلم في فضائل علي «ع» من عدة طرق عن زيد بن ارقم ، ورواه الحاكم في المستدرك (١) عن زيد ايضا من طريقين ، وقال ابن حجر في الصواعق عند تعرضه لحديث الثقلين (٢) : «الحاصل ان الحث وقع على التمسك بالكتاب وبالسنة وبالعلماء بها من أهل البيت ويستفاد من مجموع ذلك بقاء الامور الثلاثة الى قيام الساعة» ، ثم قال : «اعلم ان لحديث التمسك بذلك طرقاً كثيرة وردت عن نيف وعشرين صحابياً» .

ودلالته على امامة علي وولده ظاهرة من وجوه : (الأول) أن تصريحه بأن الكتاب والعترة لا يفترقان دال على علمهم بما في الكتاب وانهم لا يخالفونه قولا وعملا ، والأول دليل الفضل على غيرهم والأفضل أحق بالامامة ، والثاني دليل العصمة التي هي شرط الامامة ولا معصوم غيرهم .

(الثاني) انه جعلهم عديلا للقرآن فيجب التمسك بهم مثله واتباعهم في كل أمر ونهي ولا يجب اتباع شخص على الاطلاق إلا النبي أو الامام المعصوم .

(الثالث) انه عبّر عن الكتاب والعترة بخليفتين كما في حديث الثعلبي الذي ذكره المصنف «ره» وحديث احمد في مسنده (٣) عن زيد بن ثابت قال : قال رسول الله «ص» :

---

(١) ص ١٠٩ ج ٣ . (٢) في الآية الرابعة من الآيات الواردة في أهل البيت وهي قوله تعالى : «وقفوهم انهم مسؤولون» . (٣) ص ١٨٢ وص ١٨٩ ج ٥ .

« إني تارك فيكم خليفتين كتاب الله وأهل بيتي وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض » ومن الواضح ان خلافة كل شيء بحسبه ، فخلافة القرآن بتحمله احكام النبي (ص) ومواعظه وانذاره وسائر تعاليمه ، وخلافة الشخص بامامته وقيامه بما يحتاج اليه الأمة ونشر الدعوة وجهاد المعاندين .

(الرابع) ان النبي (ص) ذكر في مفتتح الحديث قرب موته كقوله : يوشك أن يأتيني رسول ربي فاجيب ، أوقوله : كأني قد دعيت فأجبت ، أو نحو ذلك كما في احاديث مسلم وأحد حديثي الحاكم وحديث احمد (١) عن زيد بن ارقم وحديثه (٢) عن أبي سعيد ثم قال النبي (ص) : « إني تارك فيكم الثقلين » ومن المعلوم أن ذا السلطان والولاية الذي له نظام يلزم العمل به بعده إذا ذكر موته وقال إني تارك فيكم فلاناً وكتاباً حافظاً لنظامي لم يفهم منه إلا ارادة العهد الى ذلك الشخص بالامرة بعده خصوصاً وقد قال رسول الله « ص » من كنت مولاه فعلي مولاه أو من كنت وليه فعلي وليه كما في حديثي الحاكم وغيرهما ، ولا يبعد أن وصية النبي (ص) بالثقلين كانت في غدير خم أو انه أحد مواردها لقوله في حديث مسلم : خطبنا رسول الله (ص) بماء يدعى خماً ، ولقوله (ص) في بعض الأحاديث : من كنت مولاه فعلي مولاه ، فانه صادر بالغدير فيكون قد عهد النبي (ص) في خم بالخلافة الى أهل البيت عموماً والى علي خصوصاً فكان الخليفة بعده أمير المؤمنين ثم الحسنان ، وقد بيّنا في الآية الثالثة ان أهل البيت لا يشمل بقية أقارب النبي (ص) .

(الخامس) قوله ص : إني تارك فيكم أمرين لن تضلوا إن اتبعتموهما ، كما في أحد حديثي الحاكم وصححه على شرط الشيخين ، ونحوه ما في الصواعق (٣) وصححه ، وقوله (ص) : قد تركت فيكم الثقلين خليفتين ان أخذتم بهما لن تضلوا بعدي ، كما في حديث الثعلبي الذي ذكره المصنف « ره » ، وقوله «ص» : إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي ، كما في حديث الترمذي عن زيد بن ارقم ، وقوله (ص) : إني تركت فيكم ما ان أخذتم به لن تضلوا ، كما في حديث الترمذي عن جابر وحديث احمد (٤)

---

(١) ص ٣٦٧ ج ٤ . (٢) ص ١٧ ج ٣ . (٣) في المقام السابق .
(٤) ص ٥٩ ج ٣ .

عن أبي سعيد ، فان كل واحد من هذه الأقوال صريح في بطلان خلافة المشايخ الثلاثة لأنه (ص) رتب عدم ضلال امته دائماً وأبداً على التمسك بالثقلين وبالضرورة ان الضلال واقع ولو أخيراً لاختلاف الأديان وفساد الأعمال ، فيعلم انهم لم يتمسكوا في أول الأمر بالعترة والكتاب وان خلافة الثلاثة خلاف التمسك بهما ولذا وقع الضلال ، ولا يرد النقض بأن الأمة تمسكت بالعترة حين بايعت علياً « ع » ومع ذلك وقع الضلال المذكور ، وذلك لأن المراد هو التمسك بالعترة كالكتاب بعد النبي (ع) بلا فصل . على ان الأمة لم تتمسك بعلي « ع » بعد مبايعته لمخالفة الكثير منهم له حتى انقضت أيامه بحرب الأمة فأين تمسكها بالعترة وأين تمسكها بالكتاب وهو قد قاتلهم على تأويله « فان قلت » لعل المراد انكم إن تمسكتم بهما لن تضلوا ما دمتم متمسكين بهما فلا يدل ضلالهم أخيراً على عدم تمسكهم أولاً « قلت » هذا احتمال خارج عن الظاهر حتى بلحاظ قوله في خبري الترمذي المذكورين ما أن تمسكتم به وما أن أخذتم به ؛ لأن (ما) فيهما مفعول به لتركت وتارك ، لا ظرفية زمانية .

فقد ظهر من هذه الوجوه الخمسة دلالة الحديث على أن الامامة في العترة الطاهرة لا على مجرد الوصية بأخذ العلم منهم ، ولو سلم فمن الواضح دلالة الحديث على وجوب أخذ العلم منهم وعدم جواز مخالفتهم كالقرآن ، وحينئذ فيجب اتباع قولهم في الامامة وفي صحة امامة شخص وعدمها لأنه من أخذ العلم منهم ، ومن المعلوم ان علياً خالف في امامة أبي بكر ولو في بعض الأوقات فتبطل ولو في الجملة ، وهذا خلاف مذهب القوم فكيف وقد ادعى ان الحق له من يوم وفاة الرسول (ص) الى حين موته هو « ع » ؛ وتظلم منهم مدة حياته كما سبق ، وايضاً لم تتبع الامة عترة النبي (ص) في أمر الخمس والمتعتين وكثير من الأحكام فيكونون ضلالا ؛ وما أدري متى تمسكت الامة بالعترة أفي زمن أمير المؤمنين أو في زمن أبنائه الطاهرين ، وقد تركوا كلا منهم حبيس بيته لا يسمع له قول ، ولا يتبع له أمر ، ولا يؤخذ منه حكم ، بل جعلوا عداوتهم وسبهم ديناً وحاربوهم بالبصرة والشام والكوفة وسبوا نساءهم سبي الترك والديلم . فهل تراهم مع هذا قد تمسكوا بهم أو نبذوهم وراء ظهورهم وانقلبوا على الأعقاب كما ذكره سبحانه في عزيز الكتاب !.

هذا ولا يخفى أن الحديث دال على بقاء العترة الى يوم القيامة لامور : « الأول » قوله (ص) فيه : إني تارك فيكم الثقلين ، فانه دال على انه ترك فيهم ما يحتاجون اليه وما هو كاف في حصول حاجتهم ، وبالضرورة انه لو لم يدم الثقلان لم يكفيا لأن الامة محتاجة مدى الدهر الى الأحكام والحكام .

« الثاني » قوله : إن تمسكتم بهما لن تضلوا فان تأبيد عدم الضلال موقوف على تأبيد ما يتمسك به .

« الثالث » قوله (ص) : لن يفترقا ، فانه لو لم يكن في وقت من الأوقات من هو قرين الكتاب من العترة لافترق الكتاب عنهم ، وقد أقرّ ابن حجر في عبارته السابقة بافادة الحديث بقاء العترة الى يوم القيامة ، وقال بعد ذلك : « وفي احاديث التمسك باهل البيت اشارة الى عدم انقطاع متأهل منهم للتمسك به الى يوم القيامة كما أن الكتاب العزيز كذلك ، ولهذا كانوا أماناً لأهل الأرض كما يأتي ، ويشهد لذلك الخبر السابق في كل خلف من امتي عدول من أهل بيتي ...» الى آخره . أقول : أراد بالخبر السابق ما نقله قبل هذا الكلام عن الملا في سيرته ان النبي (ص) قال : (في كل خلف من امتي عدول من أهل بيتي ينفون عن هذا الدين تحريف الضالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين ، ألا وان أئمتكم وفدكم الى الله عز وجل فانظروا من توفدون) وليت شعري إذا علم ابن حجر ذلك فما باله أنكر امامة العترة ودان بامامة أضدادهم وتمسك بالشجرة الملعونة في القرآن ، وكيف حل له أن يترك الأخذ ممن ينفون عن الدين تحريف الضالين ويرجع في أحكامه الى من حرفوا الدين بشهادة مخالفتهم لمن ينفون عنه التحريف ؛ بل لم يكتف ابن حجر وأصحابه حتى عينوا لأخذ الأحكام أئمتهم الأربعة وحرموا الرجوع الى أهل البيت ، فهل هذا من التمسك بالكتاب والعترة اللذين لا يفترقان الى يوم القيامة .

هذا كله في حديث الثقلين ، وأما غيره مما ذكره المصنف (ره) فالخبر الأول قد رواه احمد (١) ورواه الترمذي في مناقب علي من سننه وحسنه ، ودلالته على أن الامامة في العترة ظاهرة لأن النبي « ص » ساواهم معه دون من سواهم في أن

(٤) ص ٧٧ ج ١ .

من أحبهم نال تلك المنزلة الرفيعة والمرتبة السامية الدالة على الفضل عنـــد الله سبحانه والقرب منـــه فيثبت لهم الفضل على غيرهم وتكون الامامة بهم . ومثله فى الدلالة على المطلوب الخبر الثـــاني الذي حكاه المصنف عن احمد عن جابر ولم أجـده في مسنده ولا يبعد انه مما نالته يد الاسقاط كما هو العادة ، وقد تقدم فى الآية الحادية والأربعين ما يصدق هذا الحديث ، ونقل السيوطي في اللئالي المصنوعة ما هو قريب منه عن ابن مردويه بسند فيه عباد بن يعقوب أن النبي « ص » قال : مثلي مثل شجرة أنا أصلها وعلي فرعها والحسن والحسين ثمرتها والشيعة ورقها فأي شيء يخرج من الطيب إلا الطيب ، قال ابن الجوزي : « عباد رافضي يروي المناكير » . أقول : لا وجـه لذكر حديثـه فى الموضوعات وإلا لجر الطعن الى صحاحهم ، لأنه ممن روى له البخاري في صحيحه وروى له الترمذي وابن ماجة ووثقه جماعة ، وليست مناكيره عندهم إلا رواياته في فضل آل محمد « ص » ، قال ابن عدي : « روى أحاديث في الفضائل أنكرت عليه » كما حكاه عنه في ميزان الاعتدال ، وأظهر من الحديثين المذكورين في الدلالة على مذهب الامامية حديث الزمخشري فتبصر واعتبر .

٢٦ ـ حديث الكساء

قال المصنف قدس الله روحه

(السادس والعشرون) في مسند احمد بن حنبل من عدة طرق وفي الجمع بين الصحاح الستة عن ام سلمة قالت : كان رسول الله « ص » فى بيتي فأتت فاطمة فقـــال : ادعي زوجك وابنيك فجاء علي وفاطمة والحسن والحسين وكان تحته كساء خيبري ، فأنزل الله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً ، فأخذ فضل الكساء وكساهم به ، ثم أخرج يده فألوى بها الى السماء وقال : هؤلاء أهل بيتي ، وأدخلت رأسي البيت وقلت : وأنا معهم يا رسول الله ، قال : إنك الى خير ، وقد روي نحو هذا المعنى من صحيح أبي داود وموطأ مالك وصحيح مسلم في عدة مواضع وعدة طرق .

وقال الفضل

ان الامة اختلفت فيها انها فيمن نزلت وظاهر القرآن يدل على انها نزلت في أزواج النبي « ص » ، وان صدق في النقل عن الصحاح فكانت نازلة في آل العباء وهي من فضائلهم ولا تدل على النص بالامامة .

وأقول

سبق في الآية الثالثة مافيه تبصرة ومعتبر وليت شعري كيف تكون ذاهبة الرجس طاهرة عند الله سبحانه من ضرب مثلها في الكتاب العزيز بامرأة نوح وامرأة لوط .

٢٧ ـ حديث أهل بيتي أمان لأهل الأرض

قال المصنف طاب ثراه

(السابع والعشرون) في مسند احمد بن حنبل قال رسول الله (ص) : النجوم أمان لأهل السماء فاذا ذهبت ذهبوا وأهل بيتي أمان لأهل الأرض فاذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الأرض ، ورواه صدر الأئمة موفق بن احمد المكي ، وفي مسند احمد قال رسول الله (ص) : اللهم إني أقول كما قال أخي موسى : اجعل لي وزيراً من أهلي علياً أخي اشدد به ازري وأشركه فى أمري .

وقال الفضل

هذا موافق فى المعنى للحديث المذكور قبل ، وهو انه (ص) قال لعلي : أنت مني بمنزلة هرون من موسى إلا انه لا نبي بعدي ، ومراد موسى فى قوله : وأشركه فى أمري الاشراك فى أمر النبوة ودعوة فرعون وهذا لا يصح هناك لقوله : إلا أنه لا نبي بعدي ، اللهم إلا ان يراد المشاركة فى دفع الكفار بالحرب وتبليغ العلم .

وأقول

سبق دلالة هذا الحديث وروانه فى آخر آية من الآيات التي ذكرناها فى الخاتمة فراجع وما زعمه من إرادة المشاركة فى دفع الكفار وتبليغ العلم ظاهر البطلان لأن النبي (ص)

إنما سأل عين ما سأله موسى « ع » بقوله : وأشركه في أمري ، ومن الواضح أن موسى لم يرد المشاركة في دفع الكفار لانه قد طلب دفعهم بطلب جعله وزيراً ، فان دفع الاعداء أظهر فوائد الوزارة فلا حاجة لاعادة هذا الطلب بقوله : وأشركه في أمري ، فينبغي أن يريد المشاركة في النبوة والرياسة على الامة وتحمل العلوم الى نحو ذلك ، فاذا دعا النبي «ص» بما دعا به موسى عليه السلام ثبتت لعلي المشاركة في كل ذلك سوى النبوة للدليل المخرج لها ، على أن ظاهر الأخبار كون المشاركة من خواص أمير المؤمنين « ع » فلا يراد بها المشاركة في دفع الكفار وتبليغ العلم لأنها لا تخص علياً « ع » إلا أن يراد بها أعلى مراتب المشاركة في الدفع والتبليغ بحيث لا يعد غيره مشاركاً بالنسبة اليه فله وجه ، ولكنه ايضاً مثبت للمطلوب لانه فرع الفضل العظيم على غيره والأفضل أحق بالامامة وقد تقدم في الحديث التاسع ما ينفعك فراجع .

واعلم ان الحديث الأول الذي حكاه المصنف « ره » عن احمد وموفق بن احمد لم يتعرض الفضل لجوابه غفلة أو تغافلا ، وقد حكاه غير المصنف عن المسند كصاحب ينابيع المودة وابن حجر في الصواعق كما ستعرف وأنا لم أجده في المسند بعد التتبع ، والظاهر أن ايدي التلاعب لعبت في اسقاطه ، ولعل الحديث الآخر كذلك ، ولا ريب أنه من أدل الامور على امامة أهل البيت عليهم السلام ، إذ لا يكون المكلف أماناً لأهل الأرض إلا لكرامته على الله تعالى وامتيازه في الطاعة والمزايا الفاضلة مع كونه معصوماً فان العاصي لا يأمن على نفسه فضلا عن أن يكون أماناً لغيره ، ولاسيما إذا كان عظيماً فان المعصية من العظيم أعظم والحجة عليه ألزم ، فاذا كانوا أفضل الناس ومعصومين فقد تعينت الامامة لهم وهو دليل على بقائهم ما دامت الأرض كما هو مذهبنا ، وقد جعل الله تعالى هذه الكرامة العظيمة لنبيه « ص » قبل أهل بيته فقال سبحانه : « وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم » وأشار الى ذلك ابن حجر في صواعقه (١) فقال : « السابعة قوله تعالى : (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم) أشار (ص) الى وجود هذا المعنى في أهل بيته وانهم أمان لأهل الأرض كما كان هو « ص » أماناً لهم ، وفي ذلك احاديث

(١) عند الكلام على الآية السابعة من الآيات الواردة في أهل البيت « ع » .

كثيرة » ثم ذكر أخباراً من جملتها رواية احمد التي ذكرها المصنف (ره) اولا ، وحكى في كنز العمال في فضائل أهل البيت (١) عن ابن أبي شيبة ومسدد والحكيم وأبي يعلى والطبراني وابن عساكر ، انهم رووا عن سلمة بن الأكوع ان النبي (ص) قال : النجوم أمان لأهل السماء وأهل بيتي أمان لأمتي ، وروى الحاكم في المستدرك (٢) وصححه عن ابن عباس قال : قال رسول الله (ص) : النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق وأهل بيتي أمان لأمتي من الاختلاف فاذا خالفتها قبيلة من العرب اختلفوا فصاروا حزب ابليس. وهو كالأول في الدلالة على امامتهم إذ شأن الامام أن يكون أماناً من الاختلاف لعلمه وعصمته فلا يختلف في الدين من اتبعه ولا في الدنيا لمنعه الناس عن ظلم بعضهم بعضاً لو بسطت يده . وقريب من هذه الأخبار ما استفاض عن رسول الله : « إنما مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح » ، « وإنما مثل أهل بيتي فيكم مثل باب حطة في بني اسرائيل » قال ابن حجر بعد كلامه السابق : « جاء من طرق عديدة يقوي بعضها بعضاً ، إنما مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ، وفي رواية مسلم ومن تخلف عنها غرق وفي رواية هلك ، وإنما مثل أهل بيتي فيكم مثل باب حطة فى بني اسرائيل من دخله غفر له وفي رواية غفرله الذنوب » وروى الحاكم في المستدرك (٣) عن أبي ذر : سمعت رسول الله (ص) يقول : ألا ان مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق ، وحكى مثله فى كنز العمال (٤) عن البزار عن ابن عباس ، وحكى مثله ايضاً بابدال غرق بهلك عن ابن جرير والحاكم عن أبي ذر ، وكذا عن الطبراني عن أبي ذر مع زيادة قوله ومثل باب حطة في بني اسرائيل .

وهذه الأخبار كالتي قبلها في الدلالة على المطلوب لأنها صريحة فى أن أهل البيت (ع) محل الاتباع ووجوب الطاعة وانه باتباعهم تحصل النجاة والغفران وبالتخلف عنهم يكون الهلاك ، وهو مقتضى الامامة ، ولذا جاء فى الخبر عليٌّ باب حطة من دخل منه كان مؤمناً ومن خرج منه كان كافراً نقله فى الكنز (٥) عن الدارقطني عن ابن عباس

(١) ص ٢١٧ ج ٦ . (٢) ص ١٤٩ ج ٣ . (٣) ص ٣٤٣ ج ٢ وص ١٥١ ج ٣ . (٤) ص ٢١٦ ج ٦ (٥) ص ١٥٣ ج ٦ .

٢٨ ـ حديث اثنى عشر خليفة

قال المصنف طاب مرقده

(الثامن والعشرون) في صحيح البخاري في موضعين بطريقين عن جابر وابن عيينة قال رسول الله (ص) : لا يزال أمر الناس ماضياً ما وليهم اثنى عشر خليفة كلهم من قريش، وفي رواية عن النبي (ص) لا يزال أمر الاسلام عزيزاً الى اثني عشر خليفة كلهم من قريش ، وفي صحيح مسلم ايضا لا يزال الدين قائماً حتى تقوم الساعة ويكون عليهم اثنى عشر خليفة كلهم من قريش ، وفي الجمع بين الصحاح الستة في موضعين قال رسول الله (ص) : هذا الأمر لا ينقضي حتى يمضي فيهم اثنى عشر خليفة كلهم من قريش ، وكذا في صحيح أبي داود والجمع بين الصحيحين ، وقد ذكر السدي في تفسيره وهو من علماء الجمهور وثقاتهم قال : لما كرهت سارة مكان هاجر أوحى الله الى ابراهيم فقال : انطلق باسمعيل وامه حتى تنزله بيت النبي التهامي يعني مكة ، فاني ناشر ذريتك وجاعلهم ثقلاً على من كفر بي وجاعل منهم نبياً عظيماً ومظهره على الأديان وجاعل من ذريته اثنى عشر عظيماً وجاعل ذريته عدد نجوم السماء . وقد دلت هذه الأخبار على امامة اثني عشر اماماً من ذرية محمد (ص) ولا قائل بالحصر إلا الامامية في المعصومين ، والأخبار في ذلك اكثر من أن تحصى .

وقال الفضل

ما ذكر من الأحاديث الواردة في شأن اثني عشر خليفة فهو صحيح ثابت في الصحاح من رواية جابر بن سمرة ، وأما ابن عيينة فهو ليس بصحابي ولا تابعي بل يمكن أن يكون أحد من سلسلة الرواة وهو من عدم معرفته بالحديث وعلم الاسناد يزعم أن ابن عيينة وجابر متقابلان في الرواية ، ثم ما ذكر من عدد اثني عشر خليفة فقد اختلف العلماء في معناه فقال بعضهم هم الخلفاء بعد رسول الله (ص) وكان اثنى عشر منهم ولاة الأمر الى ثلاثمائة سنة وبعدها وقع الفتن والحوادث فيكون المعنى أن أمر الدين عزيز في مدة خلافة اثني عشر كلهم من قريش ، وقال بعضهم : ان عدد صلحاء الخلفاء من

قريش اثنى عشر وهم الخلفاء الراشدون وهم خمسة وعبد الله بن الزبير وعمر بن العزيز ، وخمسة اخر من خلفاء بني العباس ، فيكون هـذا اشارة الى الصلحاء من الخلفاء القرشية ، وأما حمله على الأئمـة الاثنى عشرفان اريد بالخـلافة وراثة العلم والمعرفة وايضاح الحجة والقيام باتمام منصب النبوة فلا مانع من الصحة ويجرز هذا الحمل ، وان اريد به الزعامة الـكبرى والايالة العظمى فهذا أمر لا يصح لأن من اثني عشر اثنين كان صاحب الزعامة الـكبرى وهما علي وحسن ، والباقون لم يتصدوا للزعامة الـكبرى ولوقال الخصم : انهم كانوا خلفاء لـكن منعهم الناس عن حقهم قلنا سلمت انهم لم يكونوا خلفاء بالفعل بل بالقوة والاستحقاق وظاهر ان مراد الحديث أن يكونوا خلفاء قائمين بالزعامة والولاية وإلا فما الفائدة في خلافتهم في اقامة الدين وهذا ظاهر والله اعلم .

ثم ان كل ما ذكره من الآيات والأحاديث وأراد بها الاستدلال على وجود النص بالخلافة في شأن علي ، قد علمت ان اكثرها كان بعيداً عن المدعى ولم يكن بينها وبين المدعى نسبة أصلاً وما كان مناسباً فقد علمت انه لا يدل على النص فلم يثبت بسائر ما أورده مدعاه فأي فائدة في قوله والاخبار في ذلك اكثر من أن تحصى .

وأقول

لا يخفى أن التقابل بين جابر وابن عيينة لا يتوقف على كونهما صحابيين بل يتوقف على انتهاء السلسلة اليهما ، غاية الأمر أن تكون رواية ابن عيينة مرسلة وهو كثير في اخبار صحاحهم ، ولم أعثر في مراجعتي لصحيح البخاري إلا على رواية واحدة في آخر كتاب الأحكام عن جابر قال : سمعت النبي (ص) يقول : يكون اثنى عشر اميراً ، فقال كلمة لم أسمعها ، فقال أبي انه قال : كلهم من قريش ، وحكى في ينابيع المودة (١) عن كتاب العمدة ان البخاري روى الحديث من ثلاثة طرق . ولاريب ان المراد به أئمتنا لامور : (الأول) انه لولا أرادتهم لكان الخبر كاذباً ان أراد جميع امراء قريش وغير مفيـد بظاهره ان أراد البعض ، (الثاني) ان بعض أحاديث المقام يفيد بظاهره وجود الاثني عشر

---

(١) في الباب ٧٧ .

في تمام الأوقات بعد النبي (ص) الى قيام الساعة وهو لا يتم إلا على ارادة أئمتنا كخبر مسلم في أول كتاب الامارة عن جابر قال: سمعت رسول الله (ص) يقول: لا يزال الدين قائماً حتى تقوم الساعة أو يكون عليهم اثنى عشر خليفة كلهم من قريش، ومثله في مسند احمد (١) وكخبر مسلم ايضا عن جابر ان هذا الأمر لا ينقضي حتى يمضي فيهم اثنى عشر خليفة، (الثالث) ما رواه مسلم في المقام المذكور عن عبدالله قال: قال رسول الله (ص): لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي من الناس اثنان، ورواه البخاري في أول كتاب الأحكام في باب الامراء من قريش، ورواه احمد (٢) عن ابن عمر، فان المراد به حصر الامامة الشرعية في قريش مادام الناس لا السلطة الظاهرية ضرورة حصولها لغير قريش في اكثر الأوقات فيكون قرينة على أن المراد من الحديث الأول حصر الخلفاء الشرعيين في اثني عشر وهو لا يتم إلا على مذهبنا، (الرابع) ما رواه احمد (٣) عن مسروق قال: كنا جلوساً عند عبد الله بن مسعود وهو يقرئنا القرآن، فقال له رجل: يا أبا عبد الرحمن هل سألتم رسول الله (ص) كم يملك هذه الامة من خليفة؟ فقال عبد الله: ما سألني عنها أحد منذ قدمت العراق قبلك، ثم قال: نعم ولقد سألنا رسول الله (ص) فقال: اثنى عشر كعدة نقباء بني اسرائيل، وروى نحوه ايضاً بعد قليل (٤) وذكره ابن حجر وحسنه في الصواعق (٥)؛ فانه دال على انحصار الخلافة في اثني عشر وانهم خلفاء بالنص لقوله (ص): كعدة نقباء بني اسرائيل، فان نقباءهم خلفاء بالنص لقوله تعالى: (ولقد أخذنا ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيباً) مع أن سؤال الصحابة للنبي (ص) إنما هو عن خلفائه بالنص لا بتأمير الناس أو بالتغلب إذ لا يهم الصحابة السؤال عن ذلك لأن تأمير الناس وتغلب السلاطين لا يبتني عادة على الدين حتى يهم الصحابة السؤال عنه، ولأن السلاطين بلا نص لا يحتاج الى السؤال عنهم وعن عددهم لأن العادة جرت على وجود مثلهم وانهم لا ينحصرون بعدد، فظهر أن السؤال إنما هو عن الخلفاء بالنص وعنهم أجاب النبي (ص)؛ ولا قائل بأن الخلفاء اثنى عشر بالنص غير أئمتنا عليهم السلام

(١) ص ٨٩ ج ٥ .　(٢) ص ٢٩ وص ١٢٨ ج ٢ .　(٣) ص ٣٩٨ ج ١ .
(٤) ص ٤٠٦ ج ١ .　(٥) في الفصل ٣ من الباب الأول .

فيكونون هم المراد بالاثنى عشر فيهذا الحديث فكذا فيالحديث السابق ، (الخامس) ان المنصرف من الخليفة من استخلافه النبي (ص) خصوصاً قبل حدوث دعوى حصول الخلافة بلا نص ، بل لا يتصور الصحابة وكل العقلاء أن يتركهم النبي (ص) بلا امام منصوب منهم حتى يسألوا عن غيره أو الأعم منه أو يفهموا من إخباره ارادة الغير أو الأعم ، فلابد أن يراد بالاثنى عشر في الحديثين أئمتنا ، فهم أئمة الامة بالفعل ولهم الزعامة العظمى الإلٓهية عليها ، ولا يضر فيامامتهم الفعلية عدم نفوذ كلمتهم لأن معنى امامتهم وولايتهم انهم يملكون التصرف وان منعهم الناس كالأنبياء المقهورين فانهم ولاة الأمر وان تغلب عليهم الظالمون ، وكما انه لا يصح أن يقال لا فائدة في نبوة النبي الممنوع عن التصرف لا يصح أن يقال لا فائدة فى امامة الامام الممنوع عنه ، فان الفائدة لا تنحصر بالتصرف لكفاية أن يكون بهم ايضاح الحجة وانارة المحجة ونشر العلم ، بل لولم يتمكنوا حتى من هذا لحبس أو نحوه ففائدتهم أن وجودهم حجة لله على عباده ودافع لعذرهم كما قال سبحانه في شأن الرسل : « لئلا يكون للناس حجة بعد الرسل » ، فكما أن النبي حجة لم تبطل نبوته بحبسه أو غيبته كما غاب نبينا في الغار وغاب موسى عن قومه ، فكذا الامام ولا أثر لطول الغيبة أو قصرها في الفرق

وأما الحملان اللذان ذكرهما الفضل اعني ارادة من لم تقع الفتن في أيامهم أو الخلفاء الصلحاء فيرد عليهما « أولا » ان المراد بهذه الأخبار دوام الاسلام وعزته الى آخر الدنيا الذي تنتهي به الأئمة الاثني عشر كما سبق لا أن المراد انتهاء عزة الاسلام فى قليل من السنين ويسير من الخلفاء ، « وثانياً » ان ظاهر هذه الأخبار اتصال عزة الاسلام فيمدة خلافة الاثنى عشر فلا يتجه حمله على المتفرقين ، ودعوى ارادة المجتمعين باطلة فانها لا تجامع أحد الحملين : أما الأول فلكثرة الفتن في أيام الاثنى عشر بمبدأ الاسلام ، وأما الثاني فلان من الخلفاء فى مبدأ الاسلام يزيد بن معاوية وعبد الملك وأشباههما ممن هم غير صلحاء بالاتفاق ، وكيف يصح أن يقال ان الدين قائم في أيام معوية وهو قد ألحق العهار بالنسب علانية وحارب الحق جهرة وقتل خيار عباد الله صبراً كحجر واصحابه وابن الحمق وامثاله ، وفي ايام يزيد وعبدالملك وقد هدما الكعبة وهتكا

حرمة الله ورسوله ولم يتركا لله محرماً إلا انتهكاه ولا حرمة إلا أضاعاها والناس لهما اعوان وبهم قام لهما السلطان فأين الاسلام وعزته وأين الدين وقيامه ، « وثالثاً » ان الحمل الاول لا يناسب عدد الاثنى عشر لأن من لم تقع الفتن فى أيامهم اضعاف هذا العدد ، والحمل الثاني مناف لاخبارهم لافادتها ان خلافة الصلحاء منحصرة في ثلاثين سنة، روى الحاكم في المستدرك (١) عن سفينة ان النبي « ص » قال : خلافة النبوة ثلاثون سنة ، وقال ابن حجر فى الصواعق (٢) : « الحادي عشر اخرج احمد عن سفينة واخرجه ايضا أصحاب السنن وصححه ابن حبان وغيره قال : سمعت رسول الله « ص » يقول : الخلافة ثلاثون عاماً ثم يكون بعد ذلك الملك ، وفى رواية الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تكون ملكاً عضوضاً » ، فكيف يصح عندهم حمل الخلفاء الاثنى عشر على الصلحاء على أن الحكم بصلاح من زعمهم من الصلحاء باطل لما ستعرف فى الجزء الثالث .

واما ابن عبد العزيز فيكفيه انه من الشجرة الملعونة فى القرآن الذين رآهم رسول الله « ص » ينزون على منبره نزو القردة فساءه ذلك ولم يُرَ ضاحكاً بعدها .

واما ابن الزبير فهو من ابعد الناس عن الخلافة والصلاح ، روى مسلم فى باب ذكر كذاب ثقيف ومبيرها من كتاب الفضائل ان ابن عمر لما مرّ على ابن الزبير وهو مقتول قال : اما والله لأمة انت اشرها لأمة خير ، وهذه شهادة من ابن عمر ان ابن الزبير شر الامة ، وروى البخاري فى كتاب الفتن (٣) عن ابي برزة الأسلمي انه حلف بالله ان ابن الزبير إن يقاتل إلا على الدنيا ، وروى احمد فى مسنده (٤) ان عثمان بن عفان لما قال له عبد الله بن الزبير هل لك ان تتحول الى مكة ؟ قال : سمعت رسول الله «ص» يقول: يلحد بمكة كبش من قريش اسمه عبد الله عليه مثل نصف اوزار الناس ، وروى احمد ايضاً (٥) عن سعيد بن عمرو قال : اتى عبد الله بن عمر ابن الزبير وهو جالس فى الحجر فقال يا ابن الزبير إياك والالحاد فى حرم الله ، فاني اشهد لسمعت رسول الله « ص » يقول : يحلها ويحل به رجل من قريش لو وزنت ذنوبه بذنوب الثقلين لوزنها ، وروى

(١) ص ١٤٥ ج ٣ . (٢) فى الفصل ٣ من الباب الاول . (٣) فى باب إذا قال عند قوم شيئاً ثم خرج فقال بخلافه . (٤) ص ٦٤ ج ١ . (٥) ص ٢١٩ ج ٢ .

البخاري في تفسير سورة براءة (١) عن ابن عباس قال : ان الله كتب ابن الزبير وبني امية محلين ، « اقول » : هو من اكبر الذنوب فقد روى البخاري في كتاب البيوع (٢) عن ابن عباس ان رسول الله قال ان الله حرم مكة ولم تحل لأحد قبلي ولا لأحد بعدي وإنما حلت لي ساعة من نهار ، ورواه ايضاً في كتاب المغازي وغيره ، وقال في الاستيعاب بترجمة ابن الزبير كان فيه خلال لا تصلح معها الخلافة فانه كان بخيلاً ضيق العطن سيء الخلق حسوداً كثير الخلاف ، وقال ابن ابي الحديد في شرح النهج (٣) : « كان شديد البخل يطعم الجند تمراً ويأمرهم بالحرب ، فاذا فروا من وقع السيوف لامهم وقال اكلتم تمري وعصيتم امري » ، وذكر المؤرخون اشياء كثيرة تشهد بفسقه وسوء ذاته كتركه الصلاة على النبي « ص » اربعين جمعة قائلا ان له اهيل سوء ، وكفاك من فسقه حربه لمن حربه حرب لله ورسوله « ص » ومن نفاقه بغضه الشديد له ، وقد مر مراراً ان بغض علي علامة النفاق ، هذا فيما انتخبه من خلفائهم وزعم انهم من اهل الصلاح فكيف حال غيرهم ولا افسد من مذهب يلتزم اهله بعدم صلاح من تجب طاعتهم طول الدهر سوى اثني عشر فتدبر .

---

(١) من كتاب التفسير من صحيحه في باب قوله تعالى : ثاني اثنين إذ هما في الغار.

(٢) في باب ما قيل في الصواع . (٣) ص ٤٨٧ ج ٤ .

المبحث الخامس في بعض فضائل علي

قال المصنف أعلى الله درجته

المبحث الخامس في ذكر بعض الفضائل التي تقتضي وجوب امامة امير المؤمنين عليه السلام ، هذا باب لا يحصى كثرة روى اخطب خوارزم من الجمهور باسناده الى ابن عباس قال : قال رسول الله (ص) لو ان الرياض اقلام والبحر مداد والجن حساب والانس كتاب ما احصوا فضائل علي بن ابي طالب ، فمن يقول عنه رسول الله « ص » مثل هذا كيف يمكن ذكر فضائله لكن لابد من ذكر بعضها لما رواه اخطب خوارزم ايضا قال : قال رسول الله « ص » : ان الله جعل لأخي علي فضائل لا تحصى كثرة فمن ذكر فضيلة من فضائله مقراً بها غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ومن كتب فضيلة من فضائله لم تزل الملائكة تستغفر له ما بقي لتلك الكتابة رسم ومن استمع الى فضيلة من فضائله غفر الله له الذنوب التي اكتسبها بالاستماع ومن نظر الى كتاب من فضائله غفر الله له الذنوب التي اكتسبها بالنظر ، ثم قال : النظر الى علي عبادة وذكره عبادة ولا يقبل الله ايمان عبد إلا بولايته والبراءة من أعدائه . وقد ذكرت في كتاب كشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين ، أن الفضائل إما قبل ولادته مثل ما روى اخطب خوارزم من علماء الجمهور عن ابن مسعود قال : قال رسول الله (ص) : لما خلق الله آدم ونفخ فيه من روحه عطس آدم فقال : الحمد لله ، فأوحى الله تعالى اليه حمدني عبدي وعزتي وجلالي لولا عبدان أريد أن أخلقهما في دار الدنيا ما خلقتك ، قال : إلهي فيكونان مني ؟ قال : نعم يا آدم ، ارفع رأسك وانظر ، فرفع رأسه فاذا مكتوب على العرش لا إله إلا الله محمد نبي الرحمة وعلي مقيم الحجة ، من عرف حق علي زكا وطاب ومن أنكر حقه لعن وخاب ، أقسمت بعزتي وجلالي ان ادخل الجنة من أطاعه وإن عصاني ، وأقسمت بعزتي ان ادخل النار من عصاه وإن اطاعني ، والأخبار في ذلك كثيرة .

وقال الفضل

لا يشك مؤمن في فضائل علي بن أبي طالب ولا فى فضائل أكابر الصحابة كالخلفاء فان النبي « ص » قد خص كل واحد منهم بالفضائل التي كانت فيه وهي مذكورة في كتب الصحاح ، وكما أن هذا الرجل يذكر فضائل أمير المؤمنين من كتب اصحابنا كذلك كل على حسب مرادهم يذكرون فضائل من يريدون من الخلفاء الراشدين ، ولكن يشترط فى ذكر الفضائل أن يروى من الصحاح المعتبرة ومن العلماء الذين اعتمدهم الناس ويكونوا صاحب قول مقبول ويعرفون سقيم الأخبار من صحيحها وجيدها من رديها ومقبولها من مردودها ، فان الممارس لفن الحديث المبالغ فى التتبع والاقتفاء لا يخفى عليه صحة الحديث وضعفه ووضعه فان المنكر والشاذ معلومان موسومان بوسم الشذوذ لأنهـا غير المألوفة مثل هذه الأحاديث والأخبار التي يرويها عن اخطب خوارزم، أثر النكر والوضع ظاهر عليها بحيث لا يخفى على المتدرب في فن الحديث ، فانهذه المبالغة التي نسبها للنبي في فضائل علي بقوله لو أن الرياض أقلام والبحر مداد والجن حساب والانس كتاب ما أحصوا فضائل علي بن أبي طالب ، لا يخفى على الماهر فى فن الحديث ان هـذا ليس من كلام رسول الله (ص) وليتصف المنصف المتدرب فى معرفة الأخبار ، ان من شأن رسول الله (ص) أن يبالغ مثل هذه المبالغة فى مدح أحد من المخلوقين وهذا من أوصاف الخالق. قل لو كان البحر مداداً لكلمات الله لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي .

ثم ان لفظ الفضائل لا يوجد فى كلمات النبي (ص) ومحـــال أن يحكم المحدث أن النبي (ص) تكلم بلفظ الفضائل فان هذا من ألفاظ المحدثين المولدين وليس من كلام العرب والمحدث لا يخفى عليه ان هذا موضوع واكثر ما ذكر من مناقب الخوارزمي موضوعات ، وأما الحديث الذي رواه الخوارزمي عن ابن مسعود وهو أن الله خلق آدم لأجل محمد وعلي وان العاصي لله ان اطاع علياً فهو من أهل النجاة والمطيع بعد أن عصى علياً فهو من أهل النار ، فقد تحتم الحكم بأنه من الموضوعات لأنه مخالف لحكم الشرع فان علياً عبد من عباد الله تعالى وهو ليس بأكرم على الله من محمد ومن اعتقد أن علياً أكرم على الله من محمد فهو كافر بالله العظيم ولا يرتاب فى هذا احد من المؤمنين

ومحمد لا يمكن أن يدعى فيه ان من اطاعه وعصى الله فهو من أهل النجاة لأن طاعة الله وطاعة رسوله واحد فكيف يمكن الدعوى ان من اطاع علياً وان عصى الله فهو من اهل النجاة ، وهذا من موضوعات غلاة الرفضة ذكره هذا الرجل الرافضي ولا اعتداد بهذا النقل ولا اعتبار ثم ان كل ما يذكره من هذه الفضائل وإن صح لايدل على وجوب امامته كما لا يخفى .

وأقول

يرد عليه امور (الأول) ان قوله : « كل على حسب مرداهم يذكرون فضائل من يريدون » الى آخره خطأ ظاهر ، لأن ذكرنا لفضائل أمير المؤمنين « ع » من كتبهم يفيدنا حجة عليهم بخلاف ذكرهم لفضائل أصحابهم من كتبهم فانه لا يفيدهم حجة علينا لاسيما مع معارضتها بما في كتبهم من مطاعنهم . (الثاني) ان قوله : « ولكن يشترط في ذكر الفضائل ان يروى من الصحاح » الى آخره . مخالف لما ذكره ابن حجر في أوائل الفصل الأول من كتابه المسمى (بتطهير الجنان واللسان عن الخطور والتفوه بثلب معوية ابن أبي سفيان) قال بعد نقل حديث في فضل معوية : « فان قلت هذا الحديث المذكور سنده ضعيف فكيف يحتج به قلت الذي أطبق عليه أئمتنا الفقهاء والاصوليون والحفاظ ان الحديث الضعيف حجة في المناقب » ثم انه إن أراد بالصحاح صحاحهم الستة فهو ظاهر البطلان إذ ليست الرواية عنها شرطاً في الأحكام فضلا عن الفضائل ، وإن أراد بها الأخبار الصحيحة وان لم توجد في صحاحهم الستة كالأخبار التي استدركها الحاكم في المستدرك ورواها الضياء في المختارة فهو ايضاً باطل إذ ليست الفضائل بأعظم من الأحكام وقد اكتفوا في ثبوتها بغير الأخبار الصحيحة لعدم انحصار الحجة بها فان الخبر الحسن كاف في الثبوت وكذا الخبر الكثير الطرق فان الأخبار إذا كثرت في معنى واحد قوّى بعضها بعضاً وصارت حجة وإن كان سند كل منها ضعيفاً ، ونحن كما رأيت نذكر كثيراً من أخبار الصحاح الستة ومستدرك الحاكم ومسند احمد ونحوها من كتبهم المعتبرة عندهم ونذكر غيرها مما يؤيد بعضها بعضاً أو قامت قرينة على قوتها والجميع حجة عليهم . (الثالث) ان ما جعله امارة للوضع من المبالغة الواقعة فيما حكي عن النبي (ص) لا محل

له إذ لا مبالغة فيه ولاسيما إذا اريد عدم احصاء الثواب على فضائله لا عدم احصاء انفسها فان من كان عبارة عن الايمان كله وله ضربة واحدة تعدل عبادة الثقلين لا يكون ذلك مبالغة في حقه ، وهل يكون ذلك مبالغـة فيمن هو نفس النبي (ص) وأخوه وعديل القرآن ؟ على انهم رووا نحو ذلك في حق الشيخين وما حكموا بوضعه ، فقـد نقل ابن حجر في الصواعق (١) عن أبي يعلى عن عمار بن ياسر قال : « قال رسول الله (ص) : أتاني جبرئيل آنفاً فقلت يا جبرئيل حدثني بفضائل عمر بن الخطاب فقال : لو حدثتك بفضائل عمر منذ لبث نوح في قومه ما نفدت فضائل عمر وان عمر حسنة من حسنات ابي بكر » ، ومن أعجب العجب روايتهم لهذا الحديث عن عمار وهم يعلمون انحرافه عن خلفائهم وسوء رأيه فيهم ، فلو رووه عن غيره لكان اولى لهم ، ومن هذا الحديث ونحوه يعلم وجود لفظ الفضائل عندهم فيما نسبوه الى النبي (ص) ، وقد روى احمد في مسنده(٢) عن ابن عمر عن النبي (ص) حديثاً قال في آخره : « وركعتا الفجر حافظوا عليهما فانهما من الفضائل » . (الرابع) ان قوله : « هذا من أوصاف الخالق » لا يعرف له معنى ، ولعله يريد ان الله جل وعلا يوصف بأنه متكلم بكلمات لا تنفد بنفاد البحر فكيف يقال أن علياً متصف بفضائل لا تحصى وإن كان البحر مداداً ، وفيه ما لا يخفى . (الخامس) ان قوله : « اكثر ما ذكر من مناقب الخوارزمي موضوعات » دعوى بلا دليل وطعن مجمل غير مقبول . (السادس) ان حكمه بوضع حديث ابن مسعود خطأ ، ويعلم وجهـه بعد بيان مقدمة فنقول : لاشك ان الاقرار بالله وبنبوة محمد (ص) شرط للايمان وكذا الاقرار بامامة علي « ع » ، بناء على ان امامته بنص الله ورسوله وأنها كالنبوة اصل من اصول الدين ، لـكن الاقرار بها فرع الاقرار بالله ورسوله ومن أقرّ بها تم ايمانه ومن لم يقر بها كان ناقص الايمان وإن أقرّ بالله ورسوله ، فاذا عرفت هذا عرفت ان من أطاع علياً عارفاً بحقه كما هو المراد بالحديث كان مؤمناً مطيعاً لله ورسوله بطاعـة علي عليه السلام لأن طاعته له بما هو امام من الله تعالى مستلزمة للايمان بها وطاعتها ، فيكون صالحاً لدخول الجنة ، وإن عصى الله في بعض الأحكام وعصى بها علياً ايضاً لأن عصيانه

(١) في الفصل ٣ من الباب ٣ .　　(٢) ص ٨٢ ج ٢ .

حينئذ عصيان مؤمن أهل للغفران ، كما أن من عصى علياً جاحداً لامامته عاص لله ورسوله ومحل لدخول النار وإن اطاعهما في الظاهر لأن طاعته لهما ليست طاعة مؤمن حتى تكون مقبولة كمن اطاع الله في الظاهر وعصى رسول الله جاحداً لرسالته كأهل الكتاب، فصح ما في الحديث من قوله سبحانه (أقسمت أن ادخل الجنة من أطاعه وإن عصاني وأن ادخل النار من عصاه وإن أطاعني) أي في الظاهر ، كما يصح القول بأن من أطاع علياً كان من أهل النجاة والجنة وإن عصى رسول الله (ص) ، وأن من عصى علياً كان من أهل النـار وإن اطاع رسول الله في الظاهر ، وذلك كله لا ينافي اكرمية محمد (ص) من علي (ع) كما هو ظاهر .

وبالجملة المراد بالحديث أن من أطاع الله في الظاهر وعصى علياً منكراً لحقه فهو من أهل النار لعدم ايمانه ، وأن من أطاع علياً عارفاً بحقه فهو من أهل الجنة وإن عصى الله في بعض الفروع لأن عصيانه عصيان مؤمن فيكون أهلاً للمغفرة والرحمة ، فذلك اشارة الى امامة امير المؤمنين (ع) وأن الاقرار بها شرط للايمان وانه لاعبرة بطاعة المسلمين ظاهراً الذين لم يقروا بالنص على علي (ع) واتبعوا غيره وعصوه وإن كانت طاعة الله ورسوله وخليفته في الواقع واحدة ومعصيتهم الواقعية معصية واحدة . ويشهد لارادة الامامة من الحديث وصفه لعلي فيما كتب على العرش بأنه مقيم الحجة في عرض وصف الله تعالى بالوحدانية ومحمد بالنبوة ، فانه من أوضح ما يدل على الامامة ، مضافاً الى تصريحـه بأن محمداً وعليـاً علة لخلق آدم فانه دليل الفضل على آدم فضلا عن الامة ، فلابد أن يكون عليّ سيدها وامامها بل علة خلقها بالأولوية ، كما قال (ع) في نهج البلاغة بكتابه الى معوية : « نحن صنايع الله والناس بعد صنايع لنا » . ثم ان الخبرين الأولين ظاهران ايضاً في امامة أمير المؤمنين (ع) لاقتضائهما فضله على غيره مع تصريح ثانيهما بأن الله تعالى لا يقبل ايمان عبد إلا بولايتـه والبراءة من أعدائه كما هو شأن الامام ولذا كان بغضه علامة النفاق .

هذا وقد نقل الذهبي هذين الخبرين في ميزان الاعتدال بترجمة محمد بن احمد بن علي بن الحسن ابن شاذان عن نور الهدى أبي طالب الزينبي ، ثم قال بعد الخبر الثاني : « هذا من أفضع

ما وضع ولقد ساق خطيب خوارزم من طريق هذا الدجال ابن شاذان أحاديث كثيرة باطلة ركيكة في منـاقب علي ، من ذلك باسناد مظلم عن مالك عن نافع عن ابن عمر مرفوعاً : من أحب علياً أعطاه الله بكل عرق فى بدنه مدينة في الجنة » وهذه المؤاخذة لابن شاذان إنما هي لروايته في فضل أمير المؤمنين ما لا يتحمله اعتقاد الذهبي فيه ، وإلا فالرجل لا ذنب له سواه ، وقد عرفت في مقدمة الـكتاب ان رواية الشخص لفضائل أمير المؤمنين دليل على وثاقته ولا فضاعة ولا ركاكة في هذه المناقب التي يسطع من خلالها نور امامة المرتضى عند من عرف بعض حقه ، وقد نقل سبط ابن الجوزي فى اوائل تذكرة الخواص نحو اول الحديثين عن ابن عباس ونقله في ينابيع المودة في الباب السادس والخمسين آخر المناقب السبعين التي حكاها عن كتاب امام الحرم الشريف بمكة ابي جعفر احمد بن عبد الله الطبري الآملي الشافعي رواه عن الديلمي في الفردوس .

وأما الحديث الثاني فأكثر مضامينه قد وردت من عدة طرق ولا سيما قوله : « النظر الى علي عبادة » فانه ورد مستفيضاً بلفظه أو بلفظ النظر الى وجه علي عبادة ، وقد اخرجه الحاكم في المستدرك (١) بطريق عن عمران بن حصين وطريقين عن ابن مسعود وصححها جميعاً وتعقبه الذهبي بعد حديث عمران ، وأحد حديثي ابن مسعود بقوله : ذا موضوع ، ولم يذكر له علة ، وغاية ما يوجه به دعوى أن بعض رجال الحديثين ضعيف وهو لا يستوجب الوضع ولا سيما مع الاقرار بصحة الحديث الثالث ، وقد سبقه الى دعوى الوضع امامه فى النصب ابن الجوزي كما ذكره السيوطي في اللئالي المصنوعة ، مع ان ابن الجوزي ذكر له سبعة عشر طريقاً عن ابي بكر وعثمان وابن مسعود ومعاذ وابن عباس وجابر وأبي هريرة وانس وثوبان وعمران وعائشة ، واحتج للوضع بضعف بعض رواة بعضها والجهل بآخرين ، وتعقبه السيوطي بالجواب عن بعض من طعن بهم وباخراج عشرة طرق اخرى عن كثير من هؤلاء الصحابة منها روايات الحـاكم الثلاث ، وليت شعري كيف يكون الحديث موضوعاً مع استفاضة طرقه وصحة بعضها ، والحال أن الـكثرة وحدها كافية في الاعتبار .

(١) ص ١٤١ ج ٣ .

فضائله حال الولادة

قال المصنف أعلى الله مقامه

وأما حال ولادته فانه ولد يوم الجمعة الثالث عشر من شهر رجب بعد عام الفيل بثلاثين سنة في الكعبة ولم يولد فيها أحد سواه قبله ولا بعده وكان عمر النبي (ص) ثلاثين سنة فأحبه ورباه وكان يطهره وقت غسله ويوجره اللبن عند شربه ويحرك مهده عند نومه ويناغيه في يقظته ويحمله على صدره ويقول : هذا أخي ووليي وناصري وصفيي وذخري وكهفي وصهري وزوج كريمتي وأميني على وصيتي وخليفتي ، وكان يحمله دائماً ويطوف به جبال مكة وشعابها وأوديتها ، رواه صاحب كتاب بشائر المصطفى من الجمهور.

وقال الفضل

المشهور بين الشيعة ان اميرالمؤمنين ولد في الكعبة ولم يصححه علماء التواريخ ، بل عند أهل التواريخ ان حكيم بن حزام ولد في الكعبة ولم يولد فيها غيره ، وأما ما ذكره من احوال النبي (ص) بالنسبة اليه في صغره فلا يصح به نقل إلا ما ذكره ، ولا رد عليه إلا في قوله : (وخليفتي) ان اريد به الخلافة بعده وان اريد انه من الخلفاء فهذا صحيح لاشك فيه .

وأقول

يكفي في الجزم بولادة امير المؤمنين (ع) بالكعبة موافقة بعض الجمهور فيها وروايتهم لها فانها منقبة تنكرها اسماع اعداء فضله وتتداعى لدرسها نفوس حساد مجده ، إذ بها الشرف الأعلى ، والدلالة على انه محل عناية الله سبحانه من يوم ولادته وانه قد طهره بطهارته حتى جعل مولده أعظم بيوت عبادته ، فاذا رواه واحد منهم كانت حجة عليهم ، فكيف وقد ادعى الحاكم في المستدرك تواترها فانه (١) روى في مناقب حكيم عن مصعب بن عبد الله ان ام حكيم ولدته في الكعبة ضرب بها المخاض وهي في جوفها

(١) ص ٤٨٣ ج ٣ .

فولدته فيها وحملت في نطع قال مصعب : ولم يولد قبله ولا بعده في الكعبة احد ، فقال الحاكم : « وهم مصعب في الحرف الأخيرفقد تواترت الأخبار انفاطمة بنت اسد ولدت امير المؤمنين علي بن ابي طالب كرم الله وجهه في جوف الكعبة » ، وأقول الحق أن حكيماً لم يولد في الكعبة لكن المنحرفين عن الامام المطهر ذكروا ذلك لينقضوا فضله ، فمن ابن الصباغ المالكي في كتابه الفصول المهمة في معرفة الأئمة ص ١٤ قال : (لم يولد أحد قبله في البيت سواه) ، ونحوه عن الكنجي الشافعي في كتابه كفاية الطالب ص ٣٦١ وعن الشبلنجي في نور الأبصار ص ٧٦ ومحمد بن ابي طلحة الشافعي في كتابه مطالب السؤل ص١١ ، ولو سلم ولادة حكيم بالكعبة فهي من باب الاتفاق كما يدل عليه خبر ولادته لا لكرامة له فانه من مسلمة الفتح ومن المؤلفة قلوبهم كما ذكره في الاستيعاب ، وهذا بخلاف ولادة امير المؤمنين (ع) فانها كجنابته في المسجد من طهارته وعناية الله به ، كما يشهد له ما رواه صاحب كتاب بشائر المصطفى على ما حكاه عنه في كشف الغمة قال : « ومن بشائر المصطفى مرفوعاً الى يزيد بن قعنب قال : كنت جالساً مع العباس بن عبد المطلب وفريق من بني عبد العزى بازاء بيت الله الحرام إذ أقبلت فاطمة بنت اسد ام امير المؤمنين (ع) وكانت حاملاً به لتسعة اشهر وقد أخذها الطلق ، فقالت : يارب اني مؤمنة بك وبما جاء من عندك من رسل وكتب وإني مصدقة بكلام جدي ابراهيم الخليل وانه بنى بيتك العتيق فبحق الذي بنى هذا البيت والمولود الذي في بطني إلا ما يسرت عليّ ولادتي ؛ قال يزيد بن قعنب : فرأيت البيت قد انشق من ظهره ودخلت فاطمة فيه وغابت عن أبصارنا وعاد الى حاله فرمنا ان ينفتح لنا قفل الباب فلم ينفتح فعلمنا أن ذلك من امر الله تعالى ، ثم خرجت في اليوم الرابع وعلى يدها امير المؤمنين علي بن ابي طالب ثم قالت : إني فضلت على من تقدمني من النساء لأن آسية بنت مزاحم عبدت الله في موضع لا يحب الله ان يعبد فيه إلا اضطراراً ، وان مريم بنت عمران هزت النخلة اليابسة بيدها حتى أكلت منها رطباً جنياً ، وإني دخلت بيت الله الحرام فأكلت من ثمار الجنة وارزاقها فلما أردت ان اخرج هتف بي هاتف يا فاطمة سميه علياً فهو علي والله العلي الأعلى يقول : شققت اسمه من اسمي وادبته بأدبي واوقفته على غامض علمي

وهو الذي يكسر الأصنام في بيتي وهو الذي يؤذن فوق ظهر بيتي ويقدسني ويمجدني فطوبى لمن احبه واطاعه وويل لمن ابغضه وعصاه » ، ثم ذكر فعل النبي (ص) معه وقوله فيه كما ذكره المصنف (ره) ، ونقل ايضاً في كشف الغمة خبر ولادته (ع) في الكعبة عن ابن المغازلي ورواه سبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص ، وقال عبدالباقي العمري مادحاً لأمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام :

انت العلي الذي فوق العلى رفعا ببطن مكة وسط البيت إذ وضعا

وقال الحميري في مدحه عليه السلام ومدح والدته الطاهرة :

ولدته في حرم الاله وأمنه والبيت حيث فناؤه والمسجد

بيضاء طاهرة الثياب كريمة طابت وطاب وليدها والمولد

في ليلة غابت نحوس نجومها وبدا مع القمر المنير الأسعد

ما لف في خرق القوابل مثله إلا ابن آمنة النبي محمد

وهذا كاشف عن معلومية ولادته بالكعبة في الصدر الأول ، كما هو كذلك في جميع الأوقات .

فضائله بعد الولادة

من فضائله النفسانية ايمانه

قال المصنف قدس الله روحه

وأما بعد ولادته فأقسامها ثلاثة : نفسانية وبدنية وخارجية . أما النفسانية فينظمها مطالب : « الاول » الايمان ، وبواسطة سيفه تمهدت قواعده وتشيدت أركانه وبواسطة تعليمه الناس حصل لهم الايمان اصوله وفروعه لم يشرك بالله طرفة عين ولم يسجد لصنم بل هو الذي كسر الأصنام لما صعد على كتف النبي (ص) وهو أول الناس اسلاماً ، روى احمد بن حنبل انه اول من أسلم واول من صلى مع النبي (ص) ، وفي مسنده أن النبي (ص) قال لفاطمة : أما ترضين أني زوّجتك أقدم امتي سلماً واكثرهم علماً وأعظمهم حلماً ، وحديث الدار يدل عليه ايضاً .

وقال الفضل

ما ذكر أن علياً اول الناس اسلاماً فهذا أمر مختلف فيه ، واكثر العلماء على أن اول الناس اسلاماً هو خديجة ، وقال بعضهم : ابو بكر ، وقال بعضهم : زيد بن حارثة ، وحاكم بعضهم فقال : اول الناس اسلاماً من الرجال ابو بكر ومن الصبيان علي ومن النساء خديجة ومن العبيد زيد بن حارثة ، وقد حققنا هذا في تلخيص كتاب كشف الغمة .

وأقول

تعرّضه لتقدم الاسلام خاصة ظاهر في تسليمه ماعداه مما ذكره المصنف (ره) وهو كاف في المطلوب ، ومن رام المناقشة في شيء من ذلك فقد كشف عن قصوره ، وأما ما ذكره من الخلاف في تقدم اسلام أي الجماعة فلا يضرنا لأنا نحتج على الخصوم برواياتهم بلا حجة لهم علينا ، بل يظهر من بعضهم الاجماع على تقدم اسلام اميرالمؤمنين عليه السلام كما ذكره ابن حجر في الصواعق (١) قال : « قال ابن عباس وانس وزيد

---

(١) في اول الفصل الأول من الباب التاسع .

ابن ارقم وسلمان الفارسي وجماعة انه اول من أسلم ونقل بعضهم الاجماع عليه » . أقول: ويظهر من نفس الحاكم في المستدرك (١) دعوى الاجماع عليه فانه روى عن زيد بن ارقم ان أول من أسلم مع رسول الله (ص) علي ، ثم قال : « هذا حديث صحيح الاسناد ، وإنما الخلاف في هذا الحرف ان ابا بكر الصديق كان اول الرجال البالغين اسلاماً وعلي ابن أبي طالب تقدم اسلامه قبل البلوغ » . فان معنى هذا الكلام أن علياً « ع » تقدم اسلامه قبل البلوغ على الناس جميعاً بلا خلاف ، وإنما الخلاف في تقدم اسلام أبي بكر على البالغين لا على علي « ع » .

وأما ما زعمه الفضل من المحاكمة نخطأ لأن حمل الأخبار المستفيضة في تقدم اسلام علي على تقدمه على الصبيان من المضاحك ولا يتفوه به ذو رأي ، إذ أي صبيان أسلموا في ذلك الوقت حتى يكون اسلام علي « ع » متقدماً لهم ! مع أن من جملة ما ورد في تقدم اسلامه ما دل على تفضيل النبي « ص » له به على الأمة كما في خطابه لفاطمة « ع » وما اشتمل على افتخار علي « ع » به على الناس ، فان التفضيل والافتخار انما يناسبان تقدم اسلامه على جميع الأمة لا على الصبيان لو فرض اسلامهم ، كما أن اكثر الأخبار صريح في سبق اسلامه على المسلمين جميعاً ، على أن تلك المحاكمة لو صحت في نفسها لم تمنع من تقدم اسلام اميرالمؤمنين « ع » على أبي بكر وخديجة وزيد لأن تقدم اسلامهم على امثالهم لا ينافي تقدم اسلام صبي على اسلامهم كما صرح بعض الأخبار بتقدم اسلامه على اسلام أبي بكر .

والحق أن أمير المؤمنين « ع » ولد مسلماً مقراً بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله « ص » كالنبي فانهما معصومان طاهران من حين ولادتهما ، أترى أن رسول الله « ص » كان غير مؤمن بربه ولا عارفاً بنبوته كما يتخيله الجاهلون حتى زعموا أن خديجة وورقة علّماه نبوته كما سبق في آخر مباحث النبوة ، كيف لا وقد خلقهما الله سبحانه نوراً واحداً قبل أن يخلق آدم كما مرّ ، وهما خيرة الله من أرضه ، روى الحاكم في المستدرك (٢) عن ابي هريرة وصححه على شرط الشيخين قال : « قال

(١) ص ١٣٦ ج ٣ . (٢) ص ١٢٩ ج ٣ .

رسول الله (ص) : أما ترضين ان الله اطلع الى أهل الأرض فاختار رجلين أحدهما أبوك والآخر بعلك » ، وحكاه في كنز العمال (١) عن الحاكم عن ابي هريرة وعن الطبراني والحاكم والخطيب عن ابن عباس ، وحكى في الكنز ايضاً قبل هذا بحديث عن الطبراني عن ابي أيوب أن النبي (ص) قال لفاطمة : « أما علمت أن الله عز وجل اطلع على اهل الأرض فاختار منهم أباك فبعثه نبياً ثم اطلع الثانية فاختار بعلك فأوحى إليَّ فأنكحته واتخذته وصياً » ،وحكى في الكنزالحديث الأول ايضاً (٢) عن الخطيب وقال : « سنده حسن » ونقله ابن ابي الحديد (٣) عن احمد في مسنده ، فكيف يتصور فيمن اختاره الله تعالى من جميع بريته حتى الأنبياء أن لا يكون مؤمناً عالماً بالحق حين ولادته ، وقد كان عيسى وهما مختاران عليه مؤمناً عالماً بأنه رسول الله ساعة الولادة ، وحينئذ فهل يمكن أن يسبق علياً في الاسلام غيره ممن نشأ على عبادة الأوثان ، وكيف يتصور ان يكون مسبوقاً وقد امتاز على الناس بالصلاة قبلهم بسبع سنين ، روى الحاكم فى المستدرك (٤) عن علي « ع » قال : « إني عبد الله وأخو رسوله وأنا الصديق الأكبر لا يقولها احد بعدي إلا كاذب صليت قبل الناس بسبع سنين قبل أن يعبده أحد من هذه الأمة » ، ونقله فى الكنز (٥) عن ابن ابي شيبة والنسائي في الخصائص وابي نعيم وغيرهم ، وروى الحاكم بعد الحديث المذكور أن علياً (ع) قال : (عبدت الله مع رسول الله (ص) سبع سنين قبل أن يعبده أحد من هذه الأمة) ، ونقله فى الكنز عن الحاكم وابن مردويه ، ونقل ايضاً عن الطبراني واحمد وابي يعلى في مسنديهما والحاكم في المستدرك أن علياً قال : « اللهم ما أعرف أن عبداً لك من هذه الأمة عبدك قبلي غير نبيك (ثلاث مرات) لقد صليت قبل أن يصلي الناس سبعاً » الى غيرها من الأخبار . وليت شعري كيف يدعى أن أحداً أسبق من أمير المؤمنين (ع) في الاسلام وهو كان من رسول الله « ص » بمنزلة هرون من موسى .

---

(١) ص ١٥٣ ج ٦ . (٢) ص ٢٩١ ج ٦ . (٣) ص ٤٥١ ج ٢ .

(٤) ص ١١٢ ج ٣ . (٥) ص ٣٩٤ ج ٦ .

علمه عليه السلام

قال المصنف قدس الله روحه

(المطلب الثاني) العلم والناس كلهم بلا خلاف عيال عليه في المعارف الحقيقية والعلوم اليقينية والأحكام الشرعية والقضايا النقلية لأنه (ع) كان في غاية الذكاء والحرص على التعلم وملازمته لرسول الله وهو أشفق الناس عليه لا ينفك عنه ليلا ولا نهاراً فيكون بالضرورة أعلم من غيره ، وقال رسول الله (ص) في حقه : أقضاكم علي، والقضاء يستلزم العلم والدين ، وروى الترمذي في صحيحه أن رسول الله (ص) قال : أنا مدينة العلم وعلي بابها ، وذكر البغوي في الصحاح أن رسول الله (ص) قال : أنا دار الحكمة وعلي بابها .

وقال الفضل

ما ذكره من علم أمير المؤمنين فلاشك انه من علماء الأمة والناس محتاجون اليه فيه ، وكيف لا وهو وصي النبي في ابلاغ العلم وودايع حقائق المعارف فلا نزاع لأحد فيه، وأما ما ذكره من صحيح الترمذي فصحيح ، وأما ما ذكره من صحاح البغوي فانه قال : الحديث غريب لايعرف هذا عن أحد من الثقات غير شريك واسناده مضطرب، فكان ينبغي أن يذكر ما ذكروه من معائب الحديث ليكون أميناً في النقل .

وأقول

لا يخفى ما في كلامه من التنافي لأن قوله انه من علماء الأمة يدل على انه فرد من جماعة لا فضل له عليهم ، وقوله : كيف لا وهو وصي النبي (ص) في ابلاغ العلم وودايع حقائق المعارف يدل على فضله على غيره ، وقد استدل المصنف { ره } على أعلمية أمير المؤمنين بامور : « الأول » انه كان في غاية الذكاء والحرص على التعلم الى آخره وهو دليل اقناعي ذكره تقريباً الى أذهان السامعين ، وإلا فعلم أمير المؤمنين « ع » كعلم النبي { ص } رشحة من الفيض الالهي سوى أن علم علي { ع } بواسطة النبي وعلم

النبي (ص) بواسطة جبرئيل ، فكما أن النبي (ص) لا يحتاج في علمه الى ملازمة جبرئيل فكذا علي لا يحتاج الى ملازمة النبي (ص) ، كيف وقد علمه رسول الله (ص) في مقام واحد الف الف باب من العلم يفتح له من كل باب الف الف باب . « الثاني » انه قال فيه رسول الله (ص) أقضاكم علي كما في الاستيعاب بترجمة علي وفي الصواعق (١) نقلا عن الطبراني وابي يعلى والعقيلي وابن عساكر ورواه الحاكم في المستدرك (٢) وروى البخاري في تفسير قوله تعالى : (ما ننسخ من آية أو ننسها) من سورة البقرة أن عمر قال : اقرؤنا أبي وأقضانا علي ، ونحوه في الاستيعاب ووجه الاستدلال به ظاهر من كلام المصنف رحمه الله . « الثالث » ما رواه الترمذي وذكره البغوي وقد سبق الكلام في سنده ودلالته في الحديث التاسع عشر ولا يفترق الحال بين الحديثين حيث قال في أحدهما : أنا مدينة العلم ، وفي الآخر أنا دار الحكمة ، وذلك للتلازم بينهما فان من يكون باباً لعلم النبي (ص) لابد أن تنكشف له وجوه الحكمة فيكون باباً لحكمته ، وإنما لم يذكر المصنف رحمه الله قول البغوي واسناده مضطرب لأن الاضطراب الذي أراده هو رواية بعضهم للحديث عن سويد عن علي (ع) ورواية بعض آخر له عن سويد عن الصنابحي عن علي (ع) ، وهو ليس بعيب في الحديث بعد اعتبار الصنابحي على انه لو كان عيباً لم يلزم التعرض لمثله بعد استفاضة طرق الحديث وتصحيح جماعة من علمائهم لبعضها .

« تنبيه » لفظ الحديث في النسخة التي عندنا من صحيح الترمذي أنا دار الحكمة وعلي بابها والمصنف « ره » نقله بلفظ أنا مدينة العلم وعلي بابها وصحح الفضل نقله ، وقد نقله ابن حجر (٣) عن الترمذي باللفظين معاً ، فلعله رواه باللفظين في مقامين ، كما أن البغوي ذكر الحديث في الحسان لا في الصحاح بحسب نسخة المصابيح التي عندنا فيحتمل خطأها ؛ ويحتمل خطأ المصنف « ره » والفضل ايضاً باقراره للمصنف على نقله .

قال المصنف طاب ثراه

وفيه عن أبي الحمراء قال رسول الله « ص » : من أراد أن ينظر الى آدم في علمه

---

(١) في الفصل ٣ من الباب ٣ في الحديث ٩٤ . (٢) ص ٥٥٣ ج ٣ . (٣) في الفصل ٢ من الباب ٩ .

والى نوح في فهمه والى يحيى بن زكريا في زهده والى موسى بن عمران في بطشه فلينظر الى علي بن أبي طالب وروى البيهقي بأسناده الى رسول الله « ص » قال : من أراد أن ينظر الىآدم في علمه والىنوح فيتقواه والىابراهيم فيحلمه والىموسى في هيبته والى عيسى في عبادته فلينظر الى علي بن ابي طالب .

وقال الفضل

خان في هذا النقل لأنه ذكرأنفي صحاح البغوي هذا الحديث وهذا كذب باطل فان الحديث لم يذكره البغوي أصلاً لا في صحاحه ولا في حسانه ، وأثر الوضع على هذا الحديث ظاهر ولاشك انه منكرمع ما نسبه الى البيهقيلأنه يوهم أن علي بنأبيطالب أفضل من هؤلاء الأنبياء وهذا باطل فان غيرالنبي لا يكون أفضلمنالنبي، وأما انه موهم لهذا المعنى ، لأنه جمع فيه من الفضائل ما تفرق في الأنبياء والجامع للفضائل أفضل ممن تفرق فيه الفضائل ، وأمثال هذا من موضوعات الغلاة وإن صح فيمكن حمله على أن له كمال هذه الفضائل .

وأقول

لم يفهم الفضل مراد المصنف « ره » فان الضمير في قوله (فيه) لو رجع الى صحاح البغوي لقال (وفيها) ، كما انه لا يرجع الى صحيحالترمذي لعدم ذكره للحديث في مناقب علي « ع » وببعد ذكره له في محل آخر ، فالظاهر انه راجع الى حقه في قول المصنف سابقاً .(وقال رسول الله «ص» في حقه): وما أبعد الخيانة عنالمصنف « ره » ويحتمل سقوط حديث آخر نقله المصنف من كتاب آخر فيعود الضمير الى ذلك الكتاب ولا يبعدعلىهذا انه مسند احمد فانالمصنف «ره» ينقلعنه كثيراًوهوموجود فيه بحسب ما ذكره ابن ابي الحديد (١) وصاحب ينابيع المودة (٢) كما نقلاه ايضاً عن البيهقي ، لكني لم أجده في المسند ولا يبعد انه من يد التصرف ، ونقل السيوطي في اللآلي المصنوعة عن الحاكم انه أخرج عن أبي الحمراء مرفوعاً من أراد أن ينظر الى آدم في

(١) ص ٤٤٩ ج ٢ . (٢) في الباب ٤٠ .

علمه ونوح في فهمه وابراهيم في حلمه ويحيى في زهده وموسى في بطشه فلينظر الى علي ، ونقل عن ابن الجوزي انه قال : موضوع ، متهملا باشتمال سنده على أبي عمرو الأزدي وهو متروك ، وتعقبه السيوطي بأن له طريقاً آخر عن ابي سعيد اخرجه ابن شاهين في السنة عنه ، قال : كنا حول النبي « ص » فأقبل علي فأدام رسول الله « ص » النظر اليه ، ثم قال : من أراد أن ينظر الى آدم في علمه والى نوح في حكمه والى ابراهيم في حلمه فلينظر الى هذا ، ونقل السيوطي طريقاً آخر لابن شاهين عن أبي الحمراء ، فعليه يكون الحديث كثير الطرق ومعتبراً وان فرض ضعف كل من أسانيده ، مع انه قد رواه صاحب المواقف وما أعلّ سنده هو ولا الشارح ، ولا يضر اختلاف خصوصياته بحذف بعض الأنبياء وتبديل صفاتهم لجواز تعدد أقوال النبي « ص » أو خطأ بعض الرواة ، ولا ريب بدلالة الحديث على فضل أمير المؤمنين « ع » على الامة وامامته لهم لدلالته على فضله على هؤلاء الأنبياء العظام فكيف بآحاد الأمم ، وذلك لأنه صرح بأن علياً عليه السلام جمع ما تفرق في أعاظم الأنبياء من الأوصاف التي كل واحدة منها أعظم الأفراد من نوعها ، ودعوى أن غير النبي لا يكون أفضل منه دعوى بلا حجة ، نعم لا يجوز أن يكون النبي مفضولا لواحد من امته كما يحكم به العقل وإن خالف به بعض القوم كما سبق في مباحث النبوة ، وقد بينا في آية المباهلة وغيرها أن علياً أفضل من جميع النبيين سوى ابن عمه سيد المرسلين وقد تواتر عندنا أن علياً سيد الوصيين ومن جملتهم الأنبياء كيوشع بن نون وصي موسى « ع » .

العلوم كلها مستندة اليه

قال المصنف قدس سره

وايضاً جميع العلوم مستندة اليه ، أما (الكلام واصول الفقه) فظاهر ، وكلامه في النهج يدل على كمال معرفته في التوحيد والعدل وجميع جزئيات علم الكلام والاصول وأما (الفقه) فالفقهاء كلهم يرجعون اليه أما الامامية فظاهر ، وأما الحنفية فان أصحاب أبي حنيفة أخذوا عن أبي حنيفة وهو تلميذ الصادق « ع » ، وأما الشافعية فأخذوا عن محمد

ابن ادريس الشافعي وهو قرأ على محمد بن الحسن تلميذ أبي حنيفة وعلى مالك فرجع فقهه اليها ، وأما احمد بن حنبل فقرأ على الشافعي فرجع فقهه اليه ، وأما مالك فقرأ على اثنين أحدهما ربيعة الرأي وهو تلميذ عكرمة وهو تلميذ عبدالله بن عباس وهو تلميذ علي عليه السلام ، والثاني مولانا جعفر بن محمد الصادق . وكان الخوارج تلامذة له ، وأما « النحو » فهو واضعه وكذا « علم التفسير » قال ابن عباس : حدثني امير المؤمنين « ع » في باء بسم الله الرحمن الرحيم من اول الليل الى الفجر ولم يتم .

وقال الفضل

ذكر أن أبا حنيفة قرأ على الصادق ثم ذكر أن الشافعي قرأ على محمد بن الحسن تلميذ أبي حنيفة وعلى مالك فرجع فقهه اليها ، ويفهم من هذا ان كل من قرأ على أحد يرجع فقهه اليه ، فيرجع فقه جميع الائمة على هذا التقدير الى الصادق وفقه الصادق عنده لاشك انه حق وصدق فلم يبق له بعد هذا الكلام اعتراض على الائمة الاربعة وأما قوله : ان الشافعي قرأ على محمد بن الحسن فهو كذب باطل ، وأما قوله : ان جميع العلوم من الفقه والاصول والكلام يرجع الى أمير المؤمنين فان أراد ان اصحاب هذه العلوم ما استفادوا في تدوين هذه العلوم من غير كلام امير المؤمنين فهو ممنوع ، وإن أراد انهم استمادوا من كلامه ايضا كما استفادوا من كلام باقي علماء الصحابة فهو حق لاشك فيه.

وأقول

ما فهمه من كلام المصنف « ره » وزعم انه لا يبقى بعده اعتراض على أئمتهم خطأ ظاهر ، إذ ليس معنى الرجوع اليه اتفاق فتاويهم معه ، بل معناه انه اساس تحصيلهم ومنشأ قوتهم وإن خالفوه في امور خطيرة واحكام كثيرة استحسنوها بآرائهم وقاسوها بمقاييسهم ، ومنه يعلم ان ترديده في معنى رجوع العلوم الى امير المؤمنين « ع » غير حاصر فان مراد المصنف « ره » ان امير المؤمنين « ع » اساس تلك العلوم ومنشأ قوة البحث والاجتهاد فيها وان استفاد العلماء رواية بعض الاحكام أو رواية تفسير بعض الآيات من غيره ، وهو غير ما أراده في شقي الترديد ، ولا يمكن أن ينكر ان امير المؤمنين « ع »

منشأ التحصيل وسبب قوة البحث والاستنباط والاجتهاد في علم الكلام والاصول والنحو بل والفقه والتفسير ، فان اعظم من ينظر اليه فيها هو ابن عباس وهو تلميذ امير المؤمنين « ع » لا في عرضه ، واما ابن مسعود فعلمه بالنسبة الى علم امير المؤمنين به كقطرة بالنسبة الى البحر المحيط ، إذ ليس هو بأعظم من ابن عباس وهو قد كان كذلك ، قال ابن ابي الحديد في مقدمة شرح نهج البلاغة : « ومن العلوم علم تفسير القرآن وعنه اخذ ومنه تفرع وإذا رجعت الى كتب التفسير علمت صحة ذلك لأن اكثره عنه وعن عبد الله بن عباس، وقد علم الناس حال ابن عباس في ملازمته له وانقطاعه اليه وانه تلميذه وخريجه وقيل له : أين علمك من ابن عمك ؟ فقال : كنسبة قطرة من المطر الى البحر المحيط » ، بل علمه وعلم جميع الصحابة بالنسبة الى علم امير المؤمنين (ع) كذلك فأين هم ممن عنده علم الكتاب وباب مدينة علم الرسول ، ومن يقول سلوني قبل أن تفقدوني ، وهل يتصور منصف أن يكون اصلا في الكلام والتفسير والفقه من لا يعرف ان الله سبحانه لا يحويه مكان ويقول هو في السماء على العرش في جواب السائل أين هو ؟ ومن لا يعرف مفردات الكتاب كالأبّ والكلالة فضلا عن مركباته المتشابهة ويضرب السائل عن تفسير « والذاريات ذرواً » فراراً عن جوابه ، ويقر بأن المخدرات أفقه منه .

واما تكذيبه المصنف « ره » في دعوى قراءة الشافعي على محمد بن الحسن ، فمن الجهل، قال ابن ابي الحديد في مقدمة شرح النهج : « ومن العلوم علم الفقه وهو (ع) اصله واساسه وكل فقيه في الاسلام عيال عليه ومستفيد من فقهه اما اصحاب ابي حنيفة كأبي يوسف ومحمد وغيرهما فأخذوا عن ابي حنيفة واما الشافعي فقرأ على محمد بن الحسن فيرجع فقهه ايضاً الى ابي حنيفة، واما احمد بن حنبل فقرأ على الشافعي فيرجع فقهه ايضا الى ابي حنيفة وابو حنيفة قرأ على جعفر بن محمد وقرأ جعفر على ابيه وينتهي الأمر الى علي، واما مالك بن انس فقرأ على ربيعة الرأي وقرأ ربيعة على عكرمة وقرأ عكرمة على عبد الله بن عباس وقرأ عبد الله بن عباس على علي وإن شئت رددت اليه فقه الشافعي بقراءته على مالك كان لك ذلك » .

قال المصنف طاب مرقده

و « علم الفصاحة » اليه منسوب حتى قيل فى كلامه انه فوق كلام المخلوق ودون كلام الخالق ، ومن كلامه تعلم الفصحاء ، قال ابن نباتة : « حفظت من كلامه الف خطبة ففاضت ثم فاضت » وأما المتكلمون فأربعة معتزلة واشاعرة وشيعة وخوارج وانتساب الشيعة معلوم والخوارج كذلك فان فضلاءهم رجعوا اليه ، واما المعتزلة فانهم انتسبوا الى واصل بن عطاء وهو تلميذ ابى هاشم عبدالله وهو تلميذ ابيه محمد بن الحنفية وهو تلميذ ابيه علي ، واما الاشاعرة فانهم تلاميذ ابى الحسن علي بن ابى بشر الاشعري وهو تلميذ ابى علي الجبائي وهو من مشايخ المعتزلة .

وقال الفضل

لاشك فى توغل امير المؤمنين في العلم والفصاحة والاسرار المكنونة التي لم يطلع عليها احد غيره ، واما ما ذكره من رجوع طوائف اهل الكلام اليه فان أراد به ان اصول كلامهم مأخوذ منه فهذا يوجب ان يكون اصول عقائد الخوارج والمعتزلة والاشاعرة مأخوذاً من امير المؤمنين وما كان مأخوذاً منه يكون حقاً وهذا لايوافق مذهبه ؛ وان أراد به انهم ينتسبون اليه بلا أخذ العلم والعقيدة فاثبات هذا لا يفيده فيما يدعيه .

وأقول

ظهر لك مما سبق أن معنى رجوع هذه الطوائف هو أنه المؤسس لهم علم الكلام وطريقة الاستدلال على مسائله فلا ينافي مخالفتهم له في كثير من العقائد الحقة ، ويكفيك من تعالميه ما تضمنه نهج البلاغة الذي هو سنا النور الالـهي ومصباح العلم الأحمدي ، قال ابن أبي الحديد في مقدمة شرح النهج : « ما أقول في رجل تعزى اليه كل فضيلة ، وتنتهي اليه كل فرقة ، وتتجاذبه كل طائفة ، فهو رئيس الفضائل وينبوعها وأبوعذرها وسابق مضمارها ومجلي حلبتها كل من برع فيها بعده فمنه أخذ وله اقتفى وعلى مثاله احتذى وقد عرفت أن أشرف العلوم هو العلم الالـهي لأن شرف العلم بشرف المعلوم ومعلومه أشرف الموجودات فكان هو أشرف العلوم ومن كلامه اقتبس وعنه نقل واليه انتهى ومنه ابتدأ

فلن المعتزلة الذين هم أهل التوحيد والعدل وارباب النظر ومنهم تعلم الناس هذا الفن تلامذته واصحابه لأن كبيرهم واصل بن عطاء تلميذ ابي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية وابو هاشم تلميذ أبيه وأبوه تلميذه ع » وأما الأشاعرة فانهم ينتمون الى أبي الحسن علي بن أبي بشر الأشعري وهو تلميذ أبي علي الجبائي وابو علي أحد مشايخ المعتزلة فالأشعرية ينتهون بالأخرة الى استاذ المعتزلة ومعلمهم علي بن أبي طالب وأما الامامية والزيدية فانتماؤهم اليه ظاهر » .

قال المصنف أعلى الله درجته

وأما « علم الطريقة » فان جميع الصوفية وارباب الاشارات والحقيقة يسندون الخرقة اليه ، واصحاب الفتوة يرجعون اليه ، وهو الذي نزل جبرئيل ينادي عليه يوم بدر لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي وقال النبي (ص) : « أنا الفتى ابن الفتى أخو الفتى » ، اما انه الفتى فلأنه سيد العرب ، واما انه ابن الفتى فلأنه ابن ابراهيم الذي قال الله تعالى فيه : فتى يقال له ابراهيم ، واما انه أخو الفتى فلأنه أخو علي الذي قال جبرئيل فيه : لا فتى إلا علي .

وقال الفضل

ما ذكره أن الصوفية يرجعون اليه ينافي ما ادعى في صدر الكتاب أن الصوفية هم تاركو الصلاة والمعتقدون للحلول والاتحاد وكيف يجوز نسبتهم الى امير المؤمنين وهذا علمهم وعقيدتهم ، ثم انتساب الخرقة لايوجب أخذ العلم وأخذ العلم هو المدعى ، وفي الجملة هذا الرجل لا يعرف ما يقول وهو كالناقة العمواء يرتمي كل حشيش .

وأقول

قد عرفت أن معنى الرجوع اليه هو انه الأصل لهم والأساس لأمرهم وهو لايستدعي الموافقة في كل شيء فان المليين جميعاً ينتسبون الى انبيائهم مع أن الضلال قد غلب عليهم فغيروا وبدلوا ، ومنهم المسلمون بطوائفهم فانهم ينتسبون الى دين النبي (ص) ويرجعون في علومهم اليه واكثر فرقهم ضلال ومنهم الصوفية فانهم من المسلمين وينتسبون الى

النبي (ص) بالاسلام كما ينتسبون الى امير المؤمنين (ع) بعلم الطريقة وهما بريئان من عقائدهم وأعمالهم ؛ ويشهد لانتسابهم الى اميرالمؤمنين (ع) اسنادهم الخرقة اليه التي هي شعارهم سواء أرادوا بها كما قيل سر الولاية فاستعاروا له الخرقة كلباس التقوى أم أرادوا بها الخرقة الظاهرية التي يزعم جهالهم انها الخرقة التي أخذوها عن اسلافهم عن أهل البيت عن اميرالمؤمنين (ع) . قال ابن أبي الحديد في مقدمة الشرح : « ومن العلوم علم الطريقة والحقيقة واحوال التصوف وقد عرفت أن ارباب هذا الفن في جميع بلاد الاسلام اليه ينتهون وعنده يقفون وقد صرح بذلك الشبلي والجنيد وسري وابو زيد البسطامي وابو محفوظ معروف الكرخي وغيرهم ويكفيك دلالة على ذلك الخرقة التي هي شعارهم الى اليوم وكونهم يسندونها باسناد متصل اليه (ع) » . فقد ظهر أن مراد المصنف (ره) بذكر الخرقه هو الاستشهاد بها على رجوعهم اليه لا أن اسنادها اليه موجب بذاته لأخذ العلم منه كما تخيله الفضل .

قال المصنف أعلى الله مقامه

وايضا جميع الصحابة رجعوا اليـــه في الأحكام واستفادوا منه ولم يرجع هو الى أحد منهم في شيء البتة وقال عمر بن الخطاب فى عدة مواضع : لولا علي لهلك عمر ، حيث رده عن خطأ كثير .

وقال الفضل

رجوع الصحابة اليه في الفتوى غير بعيـد لأنه كان مفتي الصحابة والرجوع الى المفتي من شأن المستفتين وإن رجوع عمر اليه كرجوع الأئمة وولادة العدل الى علماء الأمة ، ما ذكره من قوله لولا علي لهلك عمر ؛ فهو من فضائل عمر في عدله وصدقه وانصافه وتواضعه .

وأقول

لاشك في رجوعهم اليه واستفتائهم منه لاسيما في غوامض المسائل التي لا يهتدون اليها سبيلا ولا يعرفون لها عند أحد مخرجاً وما هو إلا لظهور فضله عليهم والأفضل

أحق بالامامة ، وأما قوله أن رجوع عمر اليه كرجوع الائمة وولاة العدل الى علماء الامةفهو تجهيل لعمر إذ اعتبره كسائرالولاةالذين يحتاجون الى علم العلماء ، وقدسبق موضحاً ان الامام أجل قدراً وأعلى شأناً من أن يحتاج الى علم الرعية ، وأما ما زعمه من صدق عمر وتواضعه فمتنافيان ظاهراً لأن الحق ان كان مع امير المؤمنين (ع) وكان عمر صادقاً في قوله لزم أن لا يكون ذلك تواضعاً بل اقراراً بالحق وإن كان الحق مع عمر فلا وجه لاقراره بعدم علمه بغير بالحق تواضعاً بل لزم أن يكون كاذباً في قوله .

قال المصنف رفع الله درجته

وفي مسند احمد بن حنبل لم يكن أحد من أصحاب النبي « ص » يقول سلوني إلا علي بن أبي طالب ؛ وفي صحيح مسلم أن علياً قال على المنبر : سلوني قبل أن تفقدوني سلوني عن كتاب الله عز وجل فما من آية إلا واعلم حيث نزلت بحضيض جبل أو سهل أرض، سلوني عن الفتن فما من فتنة إلا وقد علمت كبشها ومن يقتل فيها ، وكان يقول سلوني عن طرق السماء فاني أعرف بها من طرق الأرض ، وقال علي : علمني رسول الله الف باب من العلم في كل باب الف باب ، وقضاياه العجيبة أكثر من أن تحصى كقسمة الدراهم على صاحبي الأرغفة ، وبسط الدية على القامصة والناخسة ، وإلحاق الولد بالقرعة وصوبه النبي (ص) ، والأمر بشق الولد نصفين حتى رجعت المتداعيتان الى الحق ، والأمر بضرب عنق العبد حتى رجع الى الحق ، وحكمه في ذي الرأسين بايقاظ أحدهما واستخراج حكم الخنثى وأحكام البغاة ، قال الشافعي : عرفنا أحكام البغاة من علي ، وغير ذلك من الأحكام الغريبة التي يستحيل أن يهتدي اليها من سئل عن الكلالة والأب فلم يعرفها ، وحكم في الجد بمائة قضية .

وقال الفضل

ما ذكره من الأقضية والأحكام التي قضى فيها أمير المؤمنين فهو حق لا يرتاب فيه وهذا شأنه وهو مشتهر به ، وأما قوله : سلوني فهذا من وفور علمه كالبحر الزاخر الذي يتموج بما فيه ويريد إلقاء الدر على الساحل وليس هذا من باب النزاع حتى يقيم فيه

الدلائل ، وأما قوله : من سئل عن الكلالة والأب فلم يعرفها فهو من المطاعن وستعرف جوابه في محله ان شاء الله .

وأقول

مقصود المصنف « ره » بيان فضل أمير المؤمنين « ع » وانه لا نسبة بينه وبين من تقدم عليه فكيف يكون رعية لهم وهم أئمته ، والله سبحانه يقول : « هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون » . ويقول : « أفمن يهدي الى الحق أحق أن يتبع أم من لا يهدي إلا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون » . وليس مراده مجرد بيان علم امير المؤمنين عليه السلام لئلا يكون محل النزاع ولا مجرد الطعن في غيره ليحيل جوابه على ما يأتي .

اخباره بالمغيبات

قال المصنف شرف الله قدره

(المطلب الثالث) الاخبار بالغيب ، وقد حصل منه في عدة مواطن « فمنها » انه قال في خطبة : سلوني قبل أن تفقدوني فوالله لا تسألوني عن فئة تضل مائة وتهدي مائة إلا نبأتكم بناعقها وسائقها الى يوم القيامة ، فقام اليه رجل فقال له : اخبرني كم في رأسي ولحيتي من طاقة شعر ؟ فقال (ع) : والله لقد حدثني خليلي رسول الله (ص) بما سألت ، وأن على كل طاقة شعر من رأسك ملكاً يلعنك ، وان على كل طاقة شعر من لحيتك شيطاناً يستفزك ، وان في بيتك اسخلاً يقتل ابن رسول الله (ص) ، ولولا أن الذي سألت عنه يعسر برهانه لأخبرت به ، ولكن آية ذلك مانبأت به من لعنك وسخلك الملعون ، وكان ابنه في ذلك الوقت صغيراً وهو الذي تولى قتل الحسين (ع) . وأخبر بقتل ذي الثدية من الخوارج وعدم عبور الخوارج النهر بعد أن قيل له قد عبروا ، وعن قتل نفسه ، وبقطع يدي جويرية بن مسهر وصلبه فوقع في أيام معوية ، وبصلب ميثم التمار وطعنه بحربة عاشر عشرة وأراه النخلة التي يصلب على جذعها ، ففعل به ذلك عبيد الله بن زياد عليها اللعنة ، وبقطع يدي رشيد الهجري ورجليه وصلبه ففعل ذلك به ، وقتل قنبر فقتله الحجاج ، وبأفعال الحجاج التي صدرت عنه . وجاء رجل اليه

فقال ان خالد بن عرفطة قد مات فقال (ع) إنه لم يمت ولا يموت حتى يقود جيش ضلالة صاحب لوائه حبيب بن حمار ، فقام رجل من تحت المنبر فقال : يا أمير المؤمنين اني لك شيعة ومحب ، فقال : من أنت ؟ فقال : أنا حبيب بن حمار . قال : إياك أن تحملها ولتحملنها وتدخل بها من هذا الباب وأومى بيده الى باب الفيل ، فلما كان زمان الحسين عليه السلام جعل ابن زياد خالد بن عرفطة على مقدمة عمر بن سعد وحبيب بن حمار صاحب رايته فسار بها حتى دخل من باب الفيل . وقال للبراء بن عازب يقتل ابني الحسين وأنت حي لا تنصره فقتل الحسين وهو حي لم ينصره ولما اجتاز بكربلا في وقعة صفين بكى وقال : هذا والله مناخ ركابهم وموضع قتلهم ، وأشار الى ولده الحسين واصحابه . وأخبر بعمارة بغداد وملك بني العباس واحوالهم وأخذ المغول الملك منهم . وبواسطة هذا الخبر سلمت الحلة والكوفة والمشهدان من القتل في وقعة هلاكو لأنه لما ورد بغداد كاتبه والدي والسيد ابن طاوس والفقيه ابن أبي العز، وسألوا الأمان قبل فتح بغداد فطلبهم فخافوا فمضى والدي اليه خاصة ، فقال : كيف أقدمت على المكاتبة قبل الظفر ؟ فقال له والدي : لأن امير المؤمنين (ع) اخبر بك وقال : « انه يرد الترك على الآخير من بني العباس يقدمهم ملك يأتي من حيث بدأ ملكهم جهوري الصوت لا يمر بمدينة إلا فتحها ، ولا ترفع له راية إلا نكسها ، الويل الويل لمن ناواه ، فلا يزال كذلك حتى يظفر » . والأخبار بذلك كثيرة .

وقال المفضل

من ضروريات الدين ان علم الغيب مخصوص بالله والنصوص في ذلك كثيرة (وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر) الآية . (إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث) الآية . فلا يصح لغير الله ان يقال إنه يعلم الغيب ، ولهذا لما قيل عند رسول الله (ص) في الرجز : وفينا نبي يعلم ما في الغد ، أنكر على قائله وقال : دع هذا وقل غير هذا ، وبالجملة لا يجوز أن يقال لأحد فلان يعلم الغيب ، نعم الاخبار بالغيب بتعليم الله جائز وطريق هذا التعليم إما الوحي أو الالهام عند من يجعله طريقاً الى علم الغيب ، فان صح ان امير المؤمنين أخبر بالمغيبات فلابد أن يقال : انه كان بتعليم الله إما

بالالهام كما يكون للأولياء أو بالسماع من رسول الله (ص) ، وبعض الناس على انه كان يعلم بالعلم الموسوم بالجفر والجامعة ، وهو ايضا من تعليم الله ، فكان ينبغي له أن يبين حقيقة هذا ، ولا يطلق القول بالاخبار بالغيب فانه يوهم أن البشر يمكن له الاخبار بالغيب، وأما ما ذكر من الأخبار بوقايع خروج الترك وخراب بغداد فقد جاء في بعض الأحاديث الاخبار عنه ، وهو بتعليم الله كما يقتضيه نصوص الكتاب وضرورة الدين .

وأقول

من نظر الى مفتتح كلامه تخيل أن المصنف (ره) جاء بذنب لا يغفر ، وما برح بعد القعقعة حتى كانت نتيجة كلامه انه ينبغي للمصنف (ره) ان يبين الحقيقة ولا يطلق القول بالاخبار بالغيب ، وليت شعري أي جواب في هذا عن كون امير المؤمنين (ع) ذا الفضيلة على غيره بالاخبار بالمغيبات القاضي بامتيازه على غيره وبامامته دون من سواه ، ثم أي ضرر في الاطلاق وهو مما لا ابهام فيه لمعلومية المراد منه عند الجاهل فضلاً عن الفاضل على ان المصنف (ره) ذكر من الأحاديث ما يدل على ان اخبار امير المؤمنين (ع) بالغيب كان من حديث رسول الله (ص) فيرتفع الايهام لو وجد ، وقد نقل ابن ابي الحديد كثيراً مما ذكره المصنف (ره) ومن غيره في عدة صحائف (١) ويشهد لعلمه بالغيب ايصاؤه بدفنه خفية مع كون السلطان لهم بالفعل فانه لم يقع مثله عادة ولا يحسن أن يفعله بنوه لولا علمه وعلمهم باستيلاء معوية وبني أمية على البلاد وهم غير مأمونين من اهانة قبره الشريف بنبش أو نحوه ، وكذا يعلم بكثرة الخوارج بعد وعداوتهم له نخاف منهم ما خافه من بني امية أو علمه منهم جميعاً ، فأوصى سيدي شباب اهل الجنة ـ العالمين بما يعلم ـ أن يدفناه ليلا ولا يظهرا قبره ، فأخفياه حتى قام الرشيد ببنائه واظهاره لكرامة ذكرها المؤرخون .

---

(١) اولها ص ٢٠٨ ج ١ ، وذكر غيرها ص ١٧٥ ج ٢ ، وبعدها ص ٥٠٨ ج ٢.

شجاعته

قال المصنف أعزل الله درابه وأمره

(المطلب الرابع) في الشجاعة ، وقد أجمع الناس كافة على أن علياً (ع) كان اشجع الناس بعد النبي (ص) وتعجبت الملائكة من حملاته ، وفضل النبي (ص) قتله لعمرو ابن عبد ود على عبادة الثقلين ، ونادى جبرئيل : لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي ، وروى الجمهور ان المشركين كانوا إذا أبصروا علياً في الحرب عهد بعضهم الى بعض.

وقال الفضل

شجاعة امير المؤمنين أمر لا ينكره إلا من انكر وجود الرمح السماك في السماء أو حصول درع السمك في الماء مقدام إذ الأبطال تحجم لباث إذ الملاحم تهجم وهذا مما يسلمه الجمهور وليس هذا محل نزاع حتى يقام عليه الدليل .

وأقول

سبق ان الشجاعة شرط في الامام فاذا ثبتت اشجعية اميرالمؤمنين كان اولى بالامامة وقول الفضل شجاعة امير المؤمنين الى آخره دون ان يقول اشجعيته ، غفلة او تغافل إلا ان يرى ان لا شجاعة لغيره ولو بالنسبة اليه فيكون حسناً .

زهده

قال المصنف رفع الله درجته

(المطلب الخامس) فى الزهد ، لا خلاف في انه ازهد اهل زمانه طلق الدنيا ثلاثاً ، قال قبيصة بن جابر : ما رايت في الدنيا ازهد من علي بن ابي طالب كان قوته الشعير غير المأدوم ولم يشبع من البر ثلاثة ايام ، قال عمر بن عبد العزيز : « ما علمنا ان احداً كان في هذه الأمة بعد النبي ازهد من علي بن ابي طالب » . وروى اخطب خوارزم عن عمار ابن ياسر قال : سمعت رسول الله (ص) يقول : « ياعلي ان الله تعالى زينك بزينة لم يزين العباد بزينة هي احب اليه منها زهدك في الدنيا وبغضها اليك ، وحبيب اليك الفقراء فرضيت بهم

اتباعاً ورضوا بك اماماً ، يا علي طوبى لمن احبك وصدق عليك ، والويل لمن ابغضك وكذب عليك ، اما من احبك وصدق عليك فاخوانك في دينك وشركاؤك في جنتك ، واما من ابغضك وكذب عليك فحقيق على الله ان يقيمه يوم القيامة مقام الكاذبين » .

وقال الفضل

اما زهد امير المؤمنين فهو مسلم عند الجمهور ولو اخذنا في الحكايات الدالة على زهده مما رواه جمهور اصحابنا لطال الكتاب ، وهذا الرجل يزعم ان اهل السنة والجماعة ينكرون فضائل امير المؤمنين حاشاهم عن ذلك انما ينكر فضائل الشمس الخفافيش .

واقول

ليس الغرض بيان زهد امير المؤمنين (ع) فانه اشهر واظهر من ان يذكر ، وانما الغرض ازهديته الكاشفة عن فضله الذاتي على من سواه وقربه الأقرب الى الله تعالى ، فان اقرّ القوم بذلك فنعم الوفاق وإلا فليأتوا بسورة من مثله ، وتنزيه الفضل لأصحابه لا حقيقة له ، فانهم انكروا اعظم فضائله واجمعها للمزايا وهي خلافته بنص النبي (ص) وانكروا عصمته وفضله على من سواه الذي هو من اظهر الضروريات ، والفضل بنفسه لم يستطع ان يقر لأمير المؤمنين وامام المتقين بالأفضلية في العلم والشجاعة والزهد بل اثبت له كما رايت اصل هذه الامور فقط ، فهل يرى ان انكار فضائله انما هو بانكار علمه وشجاعته وزهده فهذا لا يقدر عليه حتى الخوارج . ثم ان الحديث الذي حكاه المصنف (ره) عن اخطب خوارزم قد حكاه في كنز العمال (١) ، ونقله ابن ابي الحديد في شرح النهج (٢) كلاهما عن ابي نعيم في الحلية بسنده عن عمار ولفظه هكذا (ياعلي ان الله قد زينك بزينة لم يزين العباد بزينة احب اليه منها هي زينة الأبرار عند الله الزهد في الدنيا ، فجعلك لا ترزأ من الدنيا شيئاً ولا ترزأ الدنيا منك شيئاً ، ووهب لك حب المساكين فجعلك ترضى بهم اتباعاً ويرضون بك اماماً) . ثم قال ابن ابي الحديد وزاد فيه ابو عبد الله احمد بن حنبل في المسند (فطوبى لمن احبك وصدق فيك ، وويل لمن

(١) ص ١٥٩ ج ٦ .　　(٢) ص ٤٤٩ ج ٢ .

ابغضك وكذب فيك) . وروى الحاكم هذه الزيادة فقط (١) وقال هذا حديث صحيح الاسناد ، ونقلها ايضاً فى الكنز (٢) عن الطبرانى والخطيب مع الحاكم .

كرمه

قال المصنف ضاعف الله أجره

(المطلب السادس) فى الكرم ، لا خلاف في انه كان اسخى الناس جاد بنفسه فأنزل الله فى حقه « ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله » ، وتصدق بجميع ماله فى عدة مرار ، وجاد بقوته ثلاثة ايام وكان يعمل بيده حديقة ويتصدق بها .

وقال الفضل

جود امير المؤمنين اشهر من سخاء البحر والسحاب واظهر من موج القاموس العباب ، فهو اسخى من مدرار الهواطل إذا فاض على الرمال واجود من سيل دمث يسيل بين الجبال .

وأقول

قد عرفت ان الكلام فى هذا ونحوه فى الأفضلية ، فان اقرّ به الفضل فهو المراد وإلا فليأت بشبهه وكيف يقاس بمن جاد بنفسه في جميع مواقف الزحام من بخل بها فى كل مقام وفرّ مراراً عن سيد الأنام ، او يقاس بمن سخا بجميع ماله على الأباعد من ضنّ ببعضه على الأقارب ، وحمل يوم الهجرة ماله كله وترك بلا قوت اهله ، وهل يلحق من آثر على نفسه ولم يعز عليه قوته من كانت فى اموال المسلمين نهمته حتى كبت به بطنته .

استجابة دعائه وحسن خلقه وحلمه

قال المصنف قدس الله روحه

(المطلب السابع) في استجابة دعائه ، كان رسول الله (ص) قد استسعد به وطلب

(١) ص ١٣٥ ج ٣ . (٢) ص ١٥٨ ج ٦ .

تأمينه على دعائه يوم المباهلة ولم تحصل هذه المرتبة لأحد من الصحابة ، ودعا على أنس ابن مالك لما استشهده على قول النبي (ص) : من كنت مولاه فعلي مولاه فاعتذر بالنسيان فقال : اللهم ان كان كاذباً فاضربه ببياض لا تواريه العمامة فبرص ، ودعا على البراء (١) بالعمى لأجل نقل اخباره الى معوية فعمي ، وردت عليه الشمس مرتين لما دعا به ، ودعا في زيادة الماء لأهل الكوفة حتى خافوا الغرق فنقص حتى ظهرت الحيتان فكلمته إلا الجري والمارماهي والزمار فتعجب الناس من ذلك ، واما حسن الخلق فبلغ فيه الغاية حتى نسبه اعداؤه الى الدعابة ، وكذا الحلم . قال رسول الله (ص) لفاطمة (ع) إني زوجتك من أقدم الناس سلماً واكثرهم علماً وأعظمهم حلماً .

وقال الفضل

ما ذكره في هذا المطلب من استجابة دعاء امير المؤمنين فهذا أمر لاينبغي أن يرتاب فيه ، وإذا لم يكن دعاء سيد الأولياء مستجاباً فمن يستجاب له الدعاء ، وأما ماذكر أن النبي (ص) استسعد بدعائه فقد ذكرنا سر هذا الاستسعاد والاشتراك في الدعاء في المباهلة أن هذا من عادات أهل المباهلة أن يشاركوا القوم والنساء والأولاد في الدعاء ، ويفهم منه أن النبي استسعد بدعائه لاحتياجه الى ذلك الاستسعاد وهذا باطل عقلا ونقلا أما عقلا لأن النبي لاشك انه كان مستجاب الدعوة ومن كان مستجاب الدعوة فلايحتاج الى استسعاد الغير ، وأما نقلا فلأن الاشتراك في الدعاء في المباهلة لم يكن للاستسعاد بل لما ذكرنا ، وأما ما ذكر ان امير المؤمنين استشهد من انس بن مالك فاعتذر بالنسيان فدعا عليه فالظاهر أن هذا من موضوعات الروافض لأن خبر من كنت مولاه فعلي مولاه كان في غدير خم وكان لكثرة سماع السامعين كالمستفاض فأي حاجة الى الاستشهاد من انس ، ولو فرض انه استشهد ولم يشهد انس لم يكن من اخلاق اميرالمؤمنين أن يدعو على صاحب رسول الله (ص) ومن خدمه عشر سنين بالبرص ووضع الحديث ظاهر .

---

(١) المغيرة في نسخة .

وأقول

استجابة الدعاء في مثل هذه الامور الخارقة للعادة لا تقع إلا لنبي أو وصي نبي، لاشتمالها على المعجز وليس مثلها لغير امير المؤمنين (ع) فيكون هو الامام، وأما ماذكره من سر الاستسماد فهو من الأسرار الخاصة بضمائر المخالفين لأهل البيت إذ لم يظهر علمه لغيرهم كما عرفته في الآية السادسة والحديث الثامن، كما أن الاستسماد لا يتوقف على الحاجة الواقعية بل هو من أمر الله تعالى لبيان شرف آل محمد (ص) عنده وعنايته بهم ومن كمال الرسول حيث لايظهر منه الاعتماد على نفسه؛ وان له حقاً على الله في الاجابة كما سبق موضحاً، وأما تكذيبه للدعاء على انس بحجة ان حديث الغدير مستفيض لا يحتاج الى الاستشهاد ففيه ان أمير المؤمنين (ع) إنما أراد بيان استفاضته وكثرة المطلعين عليه لتظهر امامته بالنص، وهذا مما يحتاج الى أعظم الشواهد عند من نشؤا على موالاة الأولين، ولولا هذا ونحوه لم يكثر الشيعة بالكوفة فيكون كتمان الشهادة فيه كتماناً لما أنزل الله تعالى فيستحق كاتمها العقوبة في الدنيا وأشد العذاب في الآخرة، ولا ريب برجحان الدعاء بمثل البرص ليكون شاهداً عيانياً مستمراً على صدق حديث الغدير وامامة امير المؤمنين عليه السلام، ولا يستبعد منه الدعاء على خادم النبي (ص) فان ضرر كتمانه في مثل المقام أشد من غيره وهو أولى بالعقوبة، ولذا كان عذاب العاصية من أزواج النبي (ص) ضعفين، وليس هذا اول سيئة من أنس مع امير المؤمنين (ع) بل له نحوها في قصة الطائر وغيرها وهو من المنحرفين عنه قال ابن ابي الحديد (١): «ذكر جماعة من شيوخنا البغداديين ان عدة من الصحابة والتابعين والمحدثين كانوا منحرفين عن علي (ع) قائلين فيه السوء، ومنهم من كتم مناقبه وأعان اعداءه ميلا مع الدنيا وايثاراً للعاجلة فمنهم انس بن مالك ناشد علي الناس في رحبة القصر أو قالوا برحبة الجامع بالكوفة: أيكم سمع رسول الله يقول: من كنت مولاه فعلي مولاه؟ فقام اثنى عشر رجلا فشهدوا بها وانس بن مالك في القوم لم يقم، فقال له: يا انس ما يمنعك أن تقوم فتشهد ولقد حضرتها؟ فقال: يا امير المؤمنين كبرت ونسيت؛ فقال: اللهم

(١) ص ٣٦١ ج ١.

ان كان كاذباً فارمه بها بيضاء لا تواريها العمامة ، قال طلحة بن عمير : فوالله لقد رأيت الوضح به بعد ذلك ابيض بين عينيه . وروى عثمان بن مطرف ان رجلا سأل انس بن مالك فى آخر عمره عن علي بن ابي طالب فقال : إني آليت أن لا اكتم حديثاً سئلت عنه فى علي بعد يوم الرحبة ، ذاك رأس المتقين يوم القيامة ، سمعته والله من نبيكم .
وروى ابو اسرائيل عن الحكم عن ابي سليمان المؤذن أن علياً نشد الناس : من سمع رسول الله (ص) يقول : من كنت مولاه فعلي مولاه ؟ فشهد له قوم وأمسك زيد ابن ارقم فلم يشهد وكان يعلمها . فدعا علي عليه بذهاب البصر فعمي ، فكان يحدث الناس بالحديث بعد ما كف بصره » . وذكر فيه أمر البرص بمحل آخر (١) ثم قال : « ذكر ابن قتيبة حديث البرص والدعوة في كتاب المعارف فى باب البرص من اعيان الرجال وابن قتيبة غير متهم في حق علي على المشهور من انحرافه عنه » . وقد روى احمد في مسنده من عدة طرق استشهاد امير المؤمنين (ع) بالرحبة وقيام من قام للشهادة ، وفى بعضها فقام إلا ثلاثة ودعا عليهم فأصابتهم دعوته كما سبق في الآية الثانية .

هذا وقد أغفل الفضل ما ذكره المصنف (ره) من فضل امير المؤمنين (ع) بالحلم وحسن الأخلاق المطلوبين في الأئمة ، ولا ريب بامتيازه على غيره بهما .

وأما الحديث الذي نقله المصنف (ره) في تفضيل النبي (ص) لحلم امير المؤمنين عليه السلام فقد رواه احمد فى مسنده (٢) ونقله في كنز العمال (٣) عن ابن جرير قال : وصححه وعن الدولابي فى الذرية الطاهرة من حديث ذكر فيه خطبة ابي بكر وعمر لفاطمة (ع) واباه النبي (ص) وتزويجها من علي « ع » وقول النبي « ص » لفاطمة والله لقد انكحتك اكثرهم علماً وافضلهم حلماً واقدمهم سلماً ، قال : وفى لفظ اولهم سلماً ، ونقله ايضاً في الكنز (٤) عن الطبراني بلفظ : انه لأول صحابي سلماً واكثرهم علماً واعظمهم حلماً . ولولا خوف الاطالة والملال لذكرت فى حلمه من الأخبار والآثار ما كثر ، وقد ذكر ابن ابي الحديد في مقدمة الشرح وفى أثنائه نبذاً من حلم امير المؤمنين عليه السلام وصفحه وحسن اخلاقه فراجع .

---

(١) ص ٣٨٨ ج ٤. (٢) ص٢٦ ج ٥ . (٣) ص٣٩٢ ج ٦. (٤) ص ١٥٣ ج ٦ .

عبادته من فضائله البدنية

قال المصنف شرف الله قدره

(القسم الثاني) في الفضائل البدنية وينظمها مطلبان : « الأول » فى العبادة لا خلاف انه « ع » كان أعبد الناس ومنه تعلم الناس صلاة الليل والأدعية المأثورة والمناجاة فى الأوقات الشريفة والأماكن المقدسة ، وبلغ فى العبادة الى أنه كان يؤخذ النشاب من جسده عند الصلاة لانقطاع نظره عن غير الله تعالى بالكلية ؛ وكان مولانا زين العابدين عليه السلام يصلي في اليوم والليلة الف ركعة ويدعو بصحيفته ثم يرمي بها كالمتضجر ويقول : أنى لي بعبادة علي (ع) قال الكاظم « ع » ان قوله تعالى : « تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلا من الله ورضواناً سيماهم فى وجوههم من أثر السجود » نزلت فى اميرالمؤمنين « ع » ، وكان يوماً فى صفين مشتغلا بالحرب وهو بين الصفين يراقب الشمس فقال ابن عباس : ليس هذا وقت صلاة إن عندنا لشغلا فقال علي « ع » : فعلام نقاتلهم إنما نقاتلهم على الصلاة وهو الذي عبد الله حق عبادته حيث قال : ما عبدتك خوفاً من نارك ولا شوقاً الى جنتك ولكن رأيتك أهلا للعبادة فعبدتك .

وقال الفضل

عبادة أمير المؤمنين لا يقاربه العابدون ولا يدانيه الزاهدون الملائكة عاجزون عن تحمل اعبائها وأهل القدس مغترفون من بحار صفائها ، وكيف لا وهو أعرف النـــاس بجلال القدس وجمال الملكوت وأعشق النفوس الى وصال الجبروت ؛ وأما ماذكر أنه عبد الله حق عبادته فهو لا يصح لأن النبي « ص » قال مع كمال العبادة ماعبدناك حق عبادتك ، واتفق العارفون ان الله لا يقدر أحد أن يعبده حق عبادته والدلائل على هذا مذكورة في محاله .

وأقول

إنما الممتنع هو العبادة بحقها من جميع الوجوه كماً وكيفاً ، وأما من جهة خاصة فلا ، كعبادته سبحانه لذاته لا خوفاً ولا طمعاً ، وهي التي أرادها المصنف « ره » ، ولذا جعل

قوله «ع» : ما عبدتك خوفاً من نارك الى آخره . تعليلا لكونه عبد الله حق عبادته وهي عبادة الأحرار لا عبادة العبيد والتجار ، قال ابن ابي الحديد في مقدمة الشرح : «كان أعبد الناس واكثرهم صلاة وصوماً ومنه تعلم الناس صلاة الليل وملازمة الأوراد وقيام النافلة وما ظنك برجل يبلغ من محافظته على ورده أن يبسط له نطع بين الصفين ليلة الهرير فيصلي عليه ورده والسهام تقع بين يديه وتمر على صماخيه يميناً وشمالا فلا يرتاع لذلك ولا يقوم حتى يفرغ من وظيفته ، وما ظنك برجل كانت جبهته كثفنة البعير لطول سجوده ، وأنت إذا تأملت دعواته ومناجاته ووقفت على ما فيها من تعظيم الله سبحانه واجلاله وما تتضمنه من الخضوع لهيبته والخشوع لعزته والاستخذاء له عرفت ما ينطوي عليه من الاخلاص وفهمت من أي قلب خرجت وعلى أي لسان جرت ، وقيل لعلي بن الحسين عليه السلام وكان الغاية في العبادة : أين عبادتك من عبادة جدك ؟ قال : عبادتي عند عبادة جدي كعبادة جدي عند عبادة رسول الله صلى الله عليه وآله . ولا غرو فقد وحد الله قبل الناس طفلاً وعبده صبياً مع النبي سبع سنين في محل لم يعبده فيه عابد ولم يسجد له من الملأ ساجد . وهذا بالضرورة لم يكن إلا من كمال النفس وصفاء الذات وتمام العلم والمعرفة التي امتاز بها على من لم يعرف ضمة الحجارة في اكثر أعوامه ، ولم يتصف بأدنى مراتب تلك العبادة في باقي أيامه ، روى البخاري في باب يفكر الرجل الشيء في صلاته قبل أبواب السهو عن عمر قال : «إني لأجهز جيشي وأنا في الصلاة» وروى في كنز العمال (١) : «أن عمر صلى بالناس المغرب ولم يقرأ شيئاً ، فلما فرغ قيل له : فاعتذر بأني جهزت الى الشام عيراً وجعلت انقلها منقلة منقلة حتى قدمت الشام فبعتها وأقتابها وأحلاسها وأحمالها» . فكيف يقاس هذا بصاحب تلك العبادة والمعرفة وهل يحسن بشريعة العقل أن يكون هذا رئيساً دينياً وأما ما مذهبياً وذاك مأموماً ما هذا بحكم عدل ولا قول فصل .

---

(١) ص ٢١٣ ج ٤ .

(المطلب الثاني) في الجهاد ، وإنما تشيدت مباني الدين وثبتت قواعــده وظهرت معالمه بسيف مولانا اميرالمؤمنين وتعجبت الملائكة من شدة بلائه في الحرب ، ففي غزاة بدر وهي الداهية العظمى على المسلمين واول حرب ابتلوا بها قتل صناديد قريش الذين طلبوا المبارزة . كالوليد بن عتبة ؛ والعاص بن سعيد بن العاص الذي احجم المسلمون عنه ، ونوفل بن خويلد الذي قرن أبا بكر وطلحة بمكة قبل الهجرة وأوثقهما بحبــل وعذبهما ، وقال رسول الله « ص » : لما عرف حضوره في الحرب اللهم اكفني نوفلا ، ولما قتله علي (ع) قال رسول الله (ص) : الحمد لله الذي أجاب دعوتي فيه ، ولم يزل يقتل في ذلك اليوم واحداً بعد واحد حتى قتل نصف المقتولين وكانوا سبعين ، وقتل المسلمون كافـة وثلاثة آلاف من الملائكة المسوّمين النصف الآخر . وفي غزاة أحد انهزم المسلمون عن النبي « ص » ورمي رسول الله « ص » وضربه المشركون بالسيوف والرماح وعلي يدافع عنه ، فنظر اليه النبي « ص » بعد افاقته من غشيته ، وقال : ما فعل المسلمون ؟ فقال : نقضوا العهــد وولوا الدبر ، فقال : اكفني هؤلاء ، فكشفهم عنه ؛ وصاح صائح بالمدينة قتل رسول الله « ص » فانخلعت القلوب ، ونزل جبرئيل قائلا : « لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي » ؛ وقال للنبي « ص » : يا رسول الله لقد عجبت الملائكة من حسن مواساة علي لك بنفسه ، فقال النبي « ص » : ما يمنعه من ذلك وهو مني وأنا منه ، ورجع بعض الناس لثبات علي « ع » ورجع عثمان بعد ثلاثة أيام ؛ فقال النبي (ص) : لقد ذهبت بها عريضاً . وفي غزاة الخندق أحدق المشركون بالمدينة كما قال الله تعالى : « إذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم »، ونادى المشركون بالبراز فلم يخرج سوى علي ؛ وفيه قتل أميرالمؤمنين (ع) عمرو بن عبد ود ، قال ربيعة السعدي : أتيت حذيفة بن اليمان فقلت : يا أبا عبد الله إنا لنتحدث عن علي ومناقبه فيقول أهل البصرة : إنكم لتفرطون في علي فهل تحدثني بحديث ؟ فقال

حذيفة: والذي نفسي بيده لو وضع جميع أعمال أمة محمد في كفة ميزان منذ بعث الله محمداً الى يوم القيامة ووضع عمل علي في الكفة الأخرى لرجح عمل علي على جميع اعمالهم ، فقال ربيعة : هذا الذي لا يقام له ولا يقعد ، فقال حذيفة : يا لكع وكيف لا يحمل وأين كان ابو بكر وعمر وحذيفة وجميع أصحاب النبي (ص) يوم عمرو بن عبد ود وقد دعا الى المبارزة فأحجم الناس كلهم ما خلا علياً ، فانه نزل اليه فقتله ، والذي نفس حذيفة بيده لعمله ذلك اليوم اعظم أجراً من عمل اصحاب محمد الى يوم القيامة . وفي يوم الأحزاب تولى امير المؤمنين قتل الجماعة . وفي غزاة بني المصطلق قتل امير المؤمنين مالكاً وابنه وسبى جويرية بنت الحارث فاصطفاها النبي (ص) . وفي غزاة خيبر كان الفتح فيها لأمير المؤمنين (ع) قتل مرحباً وانهزم الجيش بقتله وأغلقوا باب الحصن فعالجه امير المؤمنين (ع) ورمى به وجعله جسراً على الخندق للمسلمين وظفروا بالحصن وأخذوا الغنائم وكان يقلّه سبعون رجلا ، وقال عليه السلام : والله ما قلعت باب خيبر بقوة جسمانية بل بقوة ربانية . وفي غزاة الفتح قتل امير المؤمنين (ع) الحويرث بن نفيل بن كعب وكان يؤذي النبي « ص » وقتل جماعة وكان الفتح على يده . وفي غزاة حنين حين استظهر النبي { ص } بالكثرة فخرج بعشرة آلاف من المسلمين فعانهم ابو بكر وقال لن نغلب اليوم من قلة فانهزموا بأجمعهم ، ولم يبق مع النبي { ص } سوى تسعة من بني هاشم ، فأنزل الله تعالى : « ثم وليتم مدبرين ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين » يريد علياً ومن ثبت معه ، وكان علي يضرب بالسيف بين يديه والعباس عن يمينه والفضل عن يساره وابو سفيان بن الحارث يمسك سرجه ونوفل وربيعة ابنا الحارث وعبد الله بن الزبير بن عبد المطلب وعتبة ومعتب ابنا أبي لهب ، وقتل امير المؤمنين جمعاً كثيراً ، فانهزم المشركون وحصل الأسر ، وابتلي بجميع الغزوات وقتال الناكثين والقاسطين والمارقين . وروى ابو بكر الأنباري في أماليه أن علياً { ع } جلس الى عمر في المسجد وعنده ناس فلما قام عرض واحد بذكره ونسبه الى التيه والعجب فقال عمر : حق لمثله أن يتيه والله لولا سيفه لما قام عمود الاسلام وهو بعد أقضى الامة وذو سبقها وذو شرفها ، فقال له ذلك القائل : فما منعكم يا أمير المؤمنين عنه ؟ فقال :

كرهناه على حداثة السن وحبه بني عبدالمطلب وحمله سورة براءة الى مكة وكان النبي (ص) أنفذ بها أبا بكر فنزل عليه جبرئيل وقال ان ربك يقرأك السلام ويقول لك : لا يؤديها إلا أنت أو واحد منك ، وفي هذه القصة وحدها كفاية في شرف علي وعلو مرتبته بأضعاف كثيرة على من لا يوثق على أدائها ولم يؤتمن عليها ، وهذه الشجاعة مع خشونة مأكله فانه لم يطعم البر ثلاثة أيام ، وكان يأكل الشعير بغير ادام ويختم جريشه لئلا يؤدمه الحسنان عليهما السلام وكان كثير الصوم كثير الصلاة مع شدة قوته حتى قلع باب خيبر وقد عجز عنه المسلمون ، وفضائله أكثر من أن تحصى .

وقال الفضل

ما ذكر من بلاء أمير المؤمنين في الحروب مع رسول الله (ص) فهذا أمر لا شبهة فيه ، وكان في اكثر الحروب صاحب الظفر وهذا مشهور مسلم لا كلام لأحد فيه ، وما ذكر من بلائه يوم بدر وانه قتل الرجال من صناديد قريش فهو صحيح وهو أول من بارز الصف يوم بدر حين خرج عتبة وشيبة والوليد بن عتبة وطلبوا المبارزة فخرج اليهم فئة من الأنصار فقالوا نحن لا نبارزكم ثم نادوا يا محمد فاتخرج الينا اكفاؤنا من قريش فقال رسول الله : يا عبيدة يا حمزة يا علي اخرجوا فخرجوا وبارز عبيدة بن الحارث عتبة وحمزة شيبة ، وعلي الوليد ، فقتل علي الوليد ، وحمزة شيبة ، واختلف الضرب بين عتبة وعبيدة فعاونه علي وحمزة وقتلوا عتبة . وهذا أول مبارزة وقع في الاسلام وكان أمير المؤمنين فارسه . وأما ما ذكر من بلائه يوم أُحد فهو صحيح ولكن كان الصحابة ذلك اليوم صاحبي بلاء وكان طلحة بن عبيد الله صاحب البلاء ذلك اليوم ، وكذا سعد ابن أبي وقاص وأبي دجانة وجماعة من الأنصار . وأما ما ذكر من أمر حنين وان أبا بكر عانهم فهذا من أكاذيبه وكيف يعين أبو بكر اصحاب رسول الله (ص) وكان هو ذلك اليوم شيخ المهاجرين وصاحب رايتهم ، ولكن رجل من المسلمين أعجبه الكثرة فأنزل الله تلك الآية .

وأما ما ذكر من أن عتبة ومعتب إبني أبي لهب وقفوا عند النبي (ص) يوم حنين فهذا من عدم علمه بالتاريخ، الم يعلم أن عتبة دعا عليه رسول الله (ص) أن يسلط الله عليه

كلباً من كلابه فافترسه الأسد وذلك قبل الهجرة ومات في الكفر فكيف حضر مع رسول الله « ص » في غزوة حنين وهذا من جهله بأحوال السابقين ، وأما قصة سورة براءة فقد ذكرنا حقيقته قبل هذا وانه كان لأجل أن يعتبر العرب على نبذ العهود لا لأنه لم يكن أبو بكر موثوقاً به في أداء سورة براءة ، وهذا كلام لا يرتضيه أحد من المسلمين أن مثل أبي بكر وكان شيخ المهاجرين وأمين رسول الله لا يثق عليه رسول الله في نبذ العهد وقراءة سورة براءة ؛ وهذا من غاية تعصبه وجهله بأحوال الصحابة .

وأقول

لا نعرف بلاء لأحد يوم أحد إلا لأمير المؤمنين « ع » وأبي دجانة والمستشهدين ؛ وما قيل من بلاء طلحة وسعد فمحل نظر لأنهما ممن فروا . روى الطبري في تاريخه (١) عن القاسم ابن عبد الرحمن قال : « انتهى انس بن النظر عم انس بن مالك الى عمر بن الخطاب وطلحة ابن عبيد الله في رجال من المهاجرين والأنصار وقد ألقوا بأيديهم ؛ فقال : ما يجلسكم ؟ قالوا : قُتل محمد رسول الله « ص » ؛ قال : فما تصنعون بالحياة بعده قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله ثم استقبل القوم حتى قتل » . ومثله في كامل ابن الأثير (٢) وفي الدر المنثور للسيوطي عن ابن جرير ، هذا مما دل على فرار طلحة وعدم بلائه .

وأما ما دل على فرار سعد (فمنه) ما رواه الطبري (٣) عن السدي قال : لم يقف إلا طلحة وسهل بن حنيف (ومنه) ما رواه الحاكم في كتاب المغازي من المستدرك (٤) عن سعد قال : « لما جال الناس عن رسول الله (ص) تلك الجولة تنحيت فقلت أذود عن نفسي فأما أن استشهد وأما أن أنجوا » الحديث . (ومنه) ما نقله ابن أبي الحديد(٥) عن الواقدي قال : « بايعه يومئذ على الموت ثمانية، ثلاثة من المهاجرين وخمسة من الأنصار فأما المهاجرين فعلي وطلحة والزبير » الى أن قال : « وأما باقي المسلمين ففروا ورسول الله (ص) يدعوهم في اخراهم حتى انتهى منهم الى قريب من المهراس » . وروى القوشجي

---

(١) ص ١٩ ج ٣. (٢) ص ٧٥ ج ٢. (٣) ص ٢٠ ج ٣. (٤) ص ٢٦ ج ٣.
(٥) ص ٣٨٨ ج ٣ .

في شرح التجريد ما يدل على فرار طلحة وسعد عند ذكر نصير الدين (ره) لغزاة أُحد قال : « جمع له أي لعلي الرسول (ص) بين اللواء والراية وكانت راية المشركين مع طلحة ابن أبي طلحة وكان يسمى كبش الكتيبة فقتله علي ، فأخذ الراية غيره فقتله علي ، ولم يزل يقتل واحداً بعد واحد حتى قتل تسعة نفر فانهزم المشركون واشتغل المسلمون بالغنائم فحمل خالد بن الوليد بأصحابه على النبي (ص) فضربوه بالسيوف والرماح والحجر حتى غشي عليه فانهزم الناس عنه سوى علي فنظر اليه النبي (ص) بعد افاقته وقال له : اكفني هؤلاء فهزمهم علي عنه وكان اكثر المقتولين منه » . وبهذا جاءت أخبارنا لكن مع ذكرها اثبات أبي دجانة . ولو سلم أن طلحة وسعداً ثبتا فلا نعرف لهما بلاء يذكر ودعوى أن طلحة أصابه شلل وقاية لوجه النبي (ص) محل نظر ولذا نسبه الشعبي الى الزعم ، فقد حكى في كنز العمال (١) في كتاب الغزوات عن ابن أبي شيبة عن الشعبي قال : اصيب يوم أُحد أنف النبي (ص) ورباعيته وزعم أن طلحة وقى رسول الله بيده فضرب فشلَّت يده » . ولعل الشلل كان حين ما فر ، على أن عمدة المستند في ثباتهما وبلائهما هو نفسهما وهما محل التهمة ، لاسيما مع العلم بكذبهما في بعض ما ادعياه ، روى البخاري في في غزاة أُحد وفي مناقب المهاجرين عن أبي عثمان قال : « لم يبق مع النبي (ص) في بعض تلك الأيام التي قاتل فيهن رسول الله (ص) غير طلحة وسعد عن حديثهما » ، إذ لا ريب على تقدير ثباتهما في أُحد قد ثبت معهما غيرهما كأمير المؤمنين (ع) فكيف يقولان لم يبق غيرهما ، وليس هناك مقام آخر فر فيه المسلمون وثبتا فيه وحدهما فاذا علم كذبهما في ذلك كانا محل التهمة في كل ما اخبرا به ، ومنه دعوى سعد ان رسول الله جمع له أبويه وفداه بهما ، ولو سلم انهما لم يفرا وان لهما بلاء في أُحد فلا يقاسان بأمير المؤمنين عليه السلام الذي عجبت الملائكة من حسن مواساته وصاح بمدحه جبرئيل حتى يجعلها الفضل في عرضه .

ولو أعرضنا عن هذا كله فعمدة المقصود تفضيل امير المؤمنين (ع) على المشايخ الثلاثة في الشجاعة والجهاد كسائر الصفات الحميدة والآثار الجميلة فلا ينفع الفضل اثبات

(١) ص ٢٧٧ ج ٥ .

شجاعة طلحة وسعد وبلائهما في أُحد وحدهما دون المشايخ فكيف يستحقون التقدم على يعسوب الدين ، وليث العالمين ، وزين العلماء العاملين ، ونفس النبي الأمين ، لاسيما عثمان الذي اتفقت الكلمة والأخبار على فراره بأُحد ، وانه انما رجع بعد ثلاثة أيام فقال له النبي (ص) : لقد ذهبت بها عريضاً .

وكذا عمر فان اكثر أخبارهم تدل على فراره . (منها) جميع ما سبق . (ومنها) ما ذكره السيوطي في الدر المنثور بتفسير قوله سبحانه : « وما محمد إلا رسول » الآية قال أخرج ابن المنذر عن كليب قال : خطبنا عمر فكان يقرأ على المنبر آل عمران ويقول: انها أُحدية ، ثم قال : تفرقنا عن رسول الله (ص) يوم أحد فصعدت الجبل فسمعت يهودياً يقول : قتل محمد ، فقلت : لا أسمع أحداً يقول قتل محمد إلا ضربت عنقه ، فنظرت فاذا رسول الله (ص) والناس يتراجعون اليه ، فنزلت هذه الآية « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل » . وليت شعري من أين جاء اليهودي هناك ؟ وأين كانت هذه الحماسة عن قريش ؟ (ومنها) ما نقله في كنز العمال في تفسير سورة آل عمران بعد ما ذكر حديث ابن المنذر المذكور (١) عن ابن جرير عن كليب قال : خطبنا عمر فقرأ آل عمران فلما انتهى الى قوله تعالى : « إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان » . قال : « لما كان يوم أُحد هزمناهم ففررت حتى صعدت الجبل فلقد رأيتني أنزو كأنني أروى » الحديث . (ومنها) ما ذكره ابن أبي الحديد (٢) نقلاً عن الواقدي قال : لما صاح ابليس إن محمداً قد قتل تفرق الناس ، الى أن قال : وممن فرّ عمر وعثمان . (ومنها) ما حكاه ايضاً عن الواقدي في قصة الحديبية قال : « قال عمر : ألم تكن حدثتنا انك ستدخل المسجد الحرام » الى أن قال : « ثم أقبل على عمر فقال : أنسيتم يوم احد إذ تصعدون ولا تلوون على أحد وأنا أدعوكم في اخراكم » الحديث ، الى غير ذلك من الأخبار .

وأما أبو بكر فيدل على فراره ايضاً أخبار منها بعض ما قدمناه في أدلة فرار سعد وطلحة . (ومنها) ما رواه الحاكم في المستدرك (٣) وصححه عن عائشة قالت : قال

(١) ص ٢٣٨ ج ١ . (٢) ص ٣٩٠ ج ٣ . (٣) ص ٢٧ ج ٢ .

ابو بكر : لما جال الناس عن رسول الله (ص) يوم احد كنت أول من فاء . (ومنها) ما نقله في كنز العمال في غزاة احد (١) عن أبي داود الطيالسي وابن سعد والبزار والدار قطني وابن حبان وأبي نعيم والضياء في المختارة وغيرهم بأسانيدهم عن عائشة قالت : « كان أبو بكر إذا ذكر يوم احد بكى ثم قال : ذاك كان كله يوم طلحة ثم أنشأ يحدث قال : كنت أول من فاء يوم احد فرأيت رجلاً يقاتل مع رسول الله (ص) فقلت : كن طلحة حيث فاتني ما فاتني فقلت : يكون رجلاً من قومي أحب إليّ » الحديث . (ومنها) ما رواه مسلم في أول غزوة احد أن رسول الله (ص) أفرد يوم احد في سبعة من الأنصار ورجلين من قريش ، ومن المعلوم أن أحد الرجلين علي والآخر ليس أبا بكر إذ لا رواية ولا قائل في ثباته وفرار سعد أو طلحة . (ومنها) ما رواه الحاكم في فضائل أبي بكر من المستدرك (٢) عن ابن عباس في قوله تعالى : « وشاورهم في الأمر » . قال : أبو بكر وعمر ، ثم قال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين ، ونقله السيوطي في الدر المنثور عن الحاكم قال : وصححه ؛ وعن البيهقي في سننه عن ابن عباس قال : نزلت هذه الآية في أبي بكر وعمر ، ونقل الرازي في تفسيره عن الواحدي في الوسيط عن عمرو ابن دينار انه قال : الذي أمر الله بمشاورته في هذه الآية ابو بكر وعمر ، ووجه الدلالة في ذلك على فرار أبي بكر وكذا عمر ، ان من أمر الله سبحانه بمشاورته هم المنهزمون في احد الذين أمر النبي (ص) بالعفو عنهم ولذا استشكل الرازي في رواية الواحدي فقال : « وعندي فيه اشكال لأن الذين أمر الله رسوله بمشاورتهم في هذه الآية هم الذين أمره أن يعفو عنهم ويستغفر لهم وهم المنهزمون ، فهب أن عمر كان من المنهزمين فدخل تحت الآية إلا أن أبا بكر ما كان منهم فكيف يدخل تحت هذه الآية والله أعلم » انتهى. وفيه ان الاشكال موقوف على تقدير ثبات أبي بكر وهو خلاف الحقيقة ، هذا والآية ظاهرة في الأمر بمشاورتهم للتأليف كما يظهر من كثير من أخبارهم ومثله الأمر بالعفو عنهم والاستغفار لهم كما ستعرف ان شاء الله تعالى ، وقال ابن أبي الحديد (٣) : « قال الجاحظ : وقد ثبت أبو بكر مع النبي (ص) يوم أُحد كما ثبت علي ، فلا فخر لأحدهما

(١) ص ٢٩٤ ج ٣ . (٢) ص ٧٠ ج ٣ . (٣) ص ٢٨١ ج ٣ .

على صاحبه ، قال شيخنا ابو جعفر : أما ثباته يوم أُحد فأكثر المؤرخين وأرباب السير ينكرونه وجمهورهم يروي انه لم يبق مع النبي (ص) إلا علي وطلحة والزبير وأبو دجانة وقد روي عن ابن عباس انه قال : ولهم خامس وهو عبد الله بن مسعود ومنهم من أثبت سادساً وهو المقداد بن عمرو ، وروى يحيى بن سلمه بن كهيل قال : قلت : كم ثبت مع رسول الله (ص) يوم أُحد ؟ فقال : اثنان . قلت : من هما ؟ قال : علي وأبو دجانة ، وهب أن أبا بكر ثبت يوم أُحد كما يدعيه الجاحظ أيجوز له أن يقول ثبت كما ثبت علي فلا فخر لأحدهما على الآخر وهو يعلم آثار علي ذلك اليوم وانه قتل اصحاب الألوية من بني عبد الدار منهم طلحة بن أبي طلحة الذي رأى رسول الله (ص) في منامه انه مردف كبشاً فأوّله وقال كبش الكتيبة نقتله فلما قتله علي مبارزة وهو اول قتيل قتل من المشركين ذلك اليوم كبر رسول الله (ص) وقال : هذا كبش الكتيبة ، وما كان من المحاماة عن رسول الله (ص) وقد فرّ المسلمون وأسلموه فتصمد له كتيبة من قريش فيقول يا علي اكفني هذه فيحمل عليها فيهزمها ويقتل عميدها حتى سمع المسلمون والمشركون صوتاً من قبل السماء لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي ، وحتى قال النبي عن جبرئيل ما قال . أتكون هذه آثاره وأعماله ثم يقول الجاحظ لا فخر لأحدهما على صاحبه ؟ ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين » . وليت شعري كيف يتصور ثبات أبي بكر في ذلك اليوم الهائل وحومة الحرب الطاحنة وما أصاب ولا اصيب ، أتراهم ينعون شلل اصبع طلحة ولا ينعون جرح أبي بكر لو اصيب ! وكيف يسلم وهو قد ثبت للحرب ومحاماة النبي (ص) وهو يرى ما جنى عليه الكافرون ولا سيما قد زعم اولياؤه انه قرين النبي « ص » في طلب قريش له حتى بذلوا في قتله ما بذلوا في قتل النبي « ص » .

وأما تكذيب الفضل للمصنف (ره) في دعوى أن أبا بكر عانهم يوم حنين ، فمن الجهل لأن الرازي والزمخشري ذكرا من الأقوال: أن أبا بكر هو القائل :(لن نغلب اليوم عن قلة) وروى القوشجي في شرح التجريد عند تعرض المصنف لغزاة حنين قال : « سار النبي [ص] في عشرة آلاف فتعجب أبو بكر من كثرتهم وقال : لن نغلب اليوم

لقلة فانهزموا بأجمعهم ولم يبق مع النبي (ص) سوى تسعة نفر: علي والعباس وابنه الفضل وأبو سفيان بن الحارث وربيعة بن الحارث وعبد الله بن الزبير وعتبة ومعتب ابنا أبي لهب فخرج ابو جرول وقتله علي فانهزم المشركون، وأقبل النبي (ص) وسار نحو العدو فقتل علي منهم اربعين وانهزم الباقون وغنمهم المسلمون» . ومن المعلوم أن الاصابة بالعين تحصل من نحو هذا التعجب، ولذا ساء النبي (ص) قوله: لن نغلب اليوم عن قلة، قال السيوطي في الدر المنثور: أخرج البيهقي عن الربيع أن رجلا قال في حنين: لن نغلب اليوم عن قلة، فشق ذلك على رسول الله «ص» فأنزل الله: «ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم»، ونحوه في حاشية صحيح البخاري للسندي، والظاهر أن الراوي أراد بالرجل أبا بكر وعبر عنه برجل احتشاماً له في مثل المقام كما يشهد له التصريح باسمه في بعض الروايات؛ وقول الفضل (كيف يعين أبو بكر أصحاب رسول الله (ص) وكان ذلك اليوم شيخ المهاجرين) الى آخره خطأ إذ لا يستبعد ذلك ممن لم ينشأ على الحروب ومقارعة الجيوش، ولا تتوقف اصابة العين على العداوة، بل تنشأ من امور نفسية في العائن. راجع شرح ابن أبي الحديد لقوله (ع): «العين حق» (١).

وأما ما زعمه الفضل من أن أبا بكر كان صاحب رايتهم يوم حنين فلم أجد أحداً قاله أو رواه، وإنما صاحبها علي (ع)؛ روى الحاكم (٢) عن ابن عباس قال: «لعلي اربع خصال ليست لأحد هو أول عربي وأعجمي صلى مع رسول الله (ص) وهو الذي كان لواؤه معه في كل زحف والذي صبر معه يوم المهراس (٣) وهو الذي غسله وأدخله قبره» وروى الحاكم ايضاً (٤) عن مالك بن دينار قال: «سألت سعيد بن جبير من كان حامل راية رسول الله (ص) ـ الى أن قال ـ: فقال: كان حاملها علي، هكذا سمعت من عبد الله بن عباس»، ثم قال الحاكم: «هذا صحيح الاسناد وله شاهد من حديث زنفل العرني وفيه طول فلم اخرجه»، ونقل في كنز العمال (٥) عن ابن عساكر عن ابن

(١) ص ٤٣٠ ج ٤ . (٢) ص ١١١ ج ٣ . (٣) أي يوم حنين جاء فيه علي (ع) بماء من المهراس . (٤) ص ١٣٧ ج ٣ . (٥) ص ٢٩٥ ج ٥ .

عبادة قال : كانت راية رسول الله (ص) في المواطن كلها راية المهاجرين مع علي ابن أبي طالب (ع) .

وأما ما أنكره على المصنف (ره) من حضور عتبة بن أبي لهب في حنين : فيبطله رواية القوشجي له كما سبق ، وما ذكره في الاستيعاب بترجمة معتب وعتبة من انهما معاً شهدا مع النبي (ص) حنيناً ، وما زعمه من أن عتبة افترسه الأسد بدعاء النبي (ص) ، فباطل ، لأن ذلك هو لهب بن أبي لهب كما رواه الحاكم في المستدرك (١) بتفسير سورة تبت يدا أبي لهب .

واعلم انه لا خلاف في فرار عثمان يوم حنين ويظهر من الاستيعاب انه لا اشكال ايضاً في فرار أبي بكر ، وإنما الكلام في فرار عمر ، قال في ترجمة العباس بن عبدالمطلب: « انهزم الناس يوم حنين غيره وغير عمر وعلي وأبي سفيان بن الحارث ، وقد قيل غير سبعة من أهل بيته ، وذلك مذكور في شعر العباس الذي يقول فيه :

ألا هل أتى عرسي مكري ومقدمي　　بوادي حنين والأسنة تشرع »

الى أن قال في الاستيعاب : « وهو شعر مذكور في السيرة لابن اسحاق وفيه :

نصرنا رسول الله في الحرب سبعة　　وقد فر من قد فر عنه واقشعوا

وثامننا لاقى الحمام بسيفه　　بما مسه في الله لا يتوجع

وقال ابن اسحق : السبعة علي والعباس والفضل بن العباس وأبو سفيان بن الحارث وابنه جعفر وربيعة بن الحارث واسامة بن زيد ، والثامن أيمن بن عبيد ، وجعل غير ابن اسحاق في موضع ابي سفيان عمر بن الخطاب ، والصحيح أن ابا سفيان بن الحارث كان يومئذ معه لم يختلف فيه واختلف في عمر » ، ويؤيد ما صححه ما ذكره البخاري في غزاة حنين فانه روى خبرين عن البراء صريحين في ثبات أبي سفيان وخبرين عن أبي قتادة صريحين في فرار عمر ، قال أبو قتادة في أحدهما : « انهزم المسلمون وانهزمت معهم فاذا عمر بن الخطاب في الناس فقلت له : ما شأن الناس ؟ قال : أمر الله ، ثم تراجع الناس الى رسول الله (ص) » ، وقال في الآخر : « لما التقينا كانت للمسلمين جولة » ، الى أن

(١) ص ٥٣٩ ج ٢ .

قال : « فلحقت عمر فقلت : ما بال الناس ؟ قال : أمر الله ، ثم رجعوا » الحديث ونحوه في كتاب الجهاد من صحيح مسلم في باب استحقاق القاتل سلب المقتول ، وذكر في كنز العمال في كتاب الغزوات (١) حديثين يتضمنان أن الثابتين هم علي والعباس وابو سفيان ابن الحارث وعقيل بن ابي طالب وعبد الله بن الزبير بن عبد المطلب والزبير بن العوام واسامة بن زيد ، وقد روى في كشف الغمة بيتي العباس الأخيرين كما في الاستيعاب ، إلا أنه أبدل لفظ سبعة بتسعة ولفظ ثامن بعاشر وسمى التسعة كما سماهم المصنف والقوشجي ، وروى ايضاً عن مالك بن عبادة الغافقي انه قال :

لم يواس النبي غير بني هـا　　شم عند السيوف يوم حنين
هرب الناس غير تسعة رهط　　فهم يهتفون بالناس أين
ثم قاموا مع النبي على الموت　　فآبوا زيناً لنـــا غير شين
وثوى أيمن الأمين من القوم　　شـهيداً فاعتاض قرة عين

وأما ما زعمه من حقيقة قصة براءة فقد سبق في الخبر السادس انها لا حقيقـة لها اختلقوها لتسديد حال أبي بكر ، وبينا ان النبي (ص) لم يبعثه أولا إلا ليعزله ثانيـاً تنبيهاً على فضل علي وعدم كفاية أبي بكر ، ليعتبر الناس ان من ليست له أهلية القيام بتأدية براءة مقام النبي (ص) لا يصلح للقيام مقامه في الامامة والزعامة العظمى بالأولوية.

نسبه

قال المصنف أعلى الله مقامه

(القسم الثالث) في الفضائل الخارجية وفيه مطالب : « الأول » في نسبه لم يلحق أحد أمير المؤمنين « ع » في شرف النسب كما قال (ع) : « نحن أهل البيت لا يقاس بنا أحد » . قال الجاحظ وهو من أعظم الناس عداوة لأمير المؤمنين (ع) : « صدق علي في قوله نحن أهل البيت لا يقاس بنا أحد ، كيف يقاس بقوم منهم رسول الله (ص) والأطيبان علي وفاطمة ، والسبطان الحسن والحسين ، والشهيدان حمزة وذو الجناحين

(١) ص ٣٠٤ ج ٥ .

جعفر ، وسيد الوادي عبد المطلب ، وساقي الحجيج عباس ، وحليم البطحاء والنجدة والخيرة فيهم ، والأنصار من نصرهم ، والمهاجرون من هاجر اليهم ومعهم ، والصديق من صدقهم ، والفاروق من فرق بين الحق والباطل فيهم ، والحواري حواريهم ، وذو الشهادتين لأنه شهد لهم ، ولا خير إلا فيهم ولهم ومنهم ، وأبان رسول الله (ص) أهل بيته بقوله : (إني تارك فيكم الخليفتين كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الأرض وعترتي أهل بيتي نبأني اللطيف الخبير انهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض) ، ولو كانوا كغيرهم لما قال عمر لما طلب مصاهرة علي : إني سمعت رسول الله « ص » يقول : كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي . فأما علي فلو أوردنا لأيامه الشريفة ومقاماته الكريمة ومناقبه السنية لأفنينا في ذلك الطوامير الطوال . العرق صحيح ، والمنشأ كريم ، والشأن عظيم ، والعمل جسيم ، والعلم كثير ، والبيان عجيب ، واللسان خطيب ، والصدر رحيب وأخلاقه وفق أعراقه ، وحديثه يشهد لقديمه » . هذا قول عدوه .

وقال الفضل

ما ذكر من كلام الجاحظ صحيح لاشك فيه وفضائل امير المؤمنين اكثر من أن تحصى ولو اني تصديت لبعضها لأغرقت فيه الطوامير ، وأما ما ذكر أن الجاحظ كان من أعدائه فهذا كذب لأن محبة السلف لا تفهم إلا من ذكر فضائلهم وليس هذه المحبة أمراً مشتهياً للطبع ، وكل من ذكر فضائل أحد من السلف فنحن نستدل من ذلك الذكر على وفور محبته إياه ، وقد ذكر الجاحظ امير المؤمنين بالمناقب المنقولة ، وكذا ذكره في غير هذا من رسائله ، فكيف يحكم بأنه عدو امير المؤمنين ، وهذا يصح على رأي الروافض فان الروافض لا يحكمون بالمحبة إلا بذكر مثالب الغير ، فعندهم محب علي من كان مبغض الصحابة ، وبهذا المعنى يمكن أن يكون الجاحظ عدواً .

وأقول

لا يصح الاستدلال على حب امير المؤمنين (ع) بمجرد ذكر فضائله إذ لا يسع أحداً أن يمد فضلا اسواه ويدعه ويثني على غيره ويمدوه ، وقد علم الله ما في طيات

قلوبهم من بغضه ، وان اختلف قوة وضعفاً ، إذ لا يجتمع حبه الصادق مع موالاة مبغضيه ، لاسيما أظهر أعدائه واكبر حساده وأشد محاربيه كمعوية وابن العاص ومروان والمغيرة وأشباههم ، بل كيف يوالي النبي من والاهم وكيف يؤمن به من نصرهم وأطراهم أليس هو القائل لعلي « ع » : حربك حربي ومن أبغضك أبغضني ومن سبك سبني ، وقال تعالى : « لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله » ، فاذا رأيت أحداً ممن يوالي هؤلاء يذكر فضلاً لأمير المؤمنين (ع) ، فليس إلا لأنه لا يسعه كما عرفت ، أو لأنه يريد أن يدفع عنه وصمة النصب أو يريد بيان اطلاعه وسعة باعه ، لا حباً له ووفاء بحقه ، ولذا لا يروون له فضيلة إلا وطعنوا مها أمكن بسندها أو دلالتها ، ولا تنشرح نفوسهم لها ، بخلاف ما إذا رووا فضيله لغيره ، ولابد أن يظهر الله مخفيات سرائرهم على صفحات أرقامهم وطفحات أقلامهم ، كما رأيته من هذا الرجل في كثير من كلماته ، وظهر على الجاحظ في رسالته التي تحامل فيها على امير المؤمنين (ع) كل التحامل وظهر فيها مظهر العداء له التي نقضها أبوجعفر الاسكافى ، ونقلنا كلمة منها فى المبحث السابق .

هيهات لا تتكلفن لي الهوى　　　　فضح التطبع شيمة المطبوع

ومما ذكرنا يعلم انه يشترط فى حب علي (ع) الحقيقي بغض اعدائه .

شرف زوجته وأولاده

قال المصنف أعلى الله درجته

(المطلب الثاني) فى زوجته وأولاده ، كانت فاطمة سيدة نساء العالمين زوجته ، قال ابن عباس : « لما زف النبي (ص) فاطمة (ع) كان قدامها وجبرئيل عن يمينها وميكائيل عن يسارها وسبعون الف ملك من ورائها يسبحون الله ويقدسونه حتى طلع الفجر » . فانظر أيها العاقل كيف يروي الجمهور هذه الروايات ويظلمونها ويأخذون حقها ويكسرون ضلعها ويجهضون ولدها من بطنها ، فليحذر المقلد من اتباع هؤلاء ، فان أخذك منهم باطل قطعاً .

وقال الفضل

ما ذكره من فضائل فاطمة معلوم محقق ثابت ، وما ذكر أن الجمهور يروون فضائلها ويظلمونها فكلام باطل لأنه على تقدير صحة الظلم عليها فان الظالمين عليها كانوا جماعة غير الراوين لفضائلها فكلامه هذا غير مربوط ولا معقول ، كأكثر كلامه في هذا الكتاب .

وأقول

أراد المصنف (ره) بالجمهور من خالفوا اميرالمؤمنين « ع » سواء كانوا من الصحابة أم من غيرهم فتصح نسبة الظلم اليهم باعتبار بعضهم ونسبة الرواية اليهم باعتبار بعض آخر على أن الراوين لفضلها إن لم يكونوا من الظالمين لها حقيقـــة فهم منهم ببعض الوجوه والاعتبارات كموازرتهم لهم وتعظيمهم ونصرتهم لهم بالقلم واللسان . ولنذكر من روى حديث سيادتها لنساء العالمين أو المؤمنين أو أهل الجنة على اختلاف في الفاظ الأحاديث ليعلم استفاضته عندهم أو تواتره ، فمن رواه البخاري في باب مناقب فاطمة وأواخر باب علامات النبوة قبـــل أبواب فضائل أصحاب النبي (ص) بقليل ، ومنهم مسلم في باب فضائل فاطمة من طريقين عن عائشة عن فاطمة ، ومنهم الحاكم في المستدرك من طريقين عن حذيفة (١) ومن طريق عن أبي سعيد (٢) ومن طريق عن عائشة (٣) ، ومنهم الترمذي في باب مناقب الحسنين من طريق عن حذيفة وفي باب فضل أزواج النبي (ص) من طريق عن ام سلمة ، ومنهم ابن عبد البر في الاستيعاب من عـدة طرق عن عائشة وأبي سعيد وعمران بن حصين وانس وابي هريرة ، ومنهم احمد في مسنده عن ابي سعيد (٤) وحذيفة (٥) وعائشة عن فاطمة (٦) ، واخرجه النسائي في الخصائص من عدة طرق عن عائشة وام سلمة وابي سعيد وابي هريرة ، وحكاه في كنز العمال في فضائل فاطمة (٧) عن ابن جرير عن حذيفة (٨) وعن البزار عن علي « ع » وابن ابي شيبة عن حذيفة ، وحكاه ايضاً (٩) عن البيهقي وابن ماجة والعقيلي عن فاطمة « ع » ، وابن عساكر وابن حبان

---

(١) ص ١٥١ ج ٣. (٢) ص ١٥٤ ج ٣. (٣) ص ١٥٦ ج ٣. (٤) ص ٦٤ ج ٣.
(٥) ص ٣٩١ ج ٥ . (٦) ص ٢٨٢ ج ٦ . (٧) ص ١٠٢ ج ٧ . (٨) ص ١١١ ج ٧ .
(٩) ص ٢١٨ ج ٦ .

في صحيحه عن حذيفة ، وابن ابي شيبة عن عبدالرحمن بن ابي ليلى ، وابي يعلى والطبراني عن ابي سعيد ، وابن النجار والطبراني عن ابي هريرة . وفي اكثر هذه الروايات ذكر أن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة ، وروى الحاكم في المستدرك (١) عن ابن عباس أفضل نساء أهل الجنة خديجة وفاطمة ومريم وآسية ، ومثله في مسند احمد (٢) عن ابن عباس ، وفي رواية اخرى للحاكم عن عائشة سيدات نساء أهل الجنة مريم وفاطمة وخديجة وآسية ، وروى حديثه الأول (٣) بسند آخر عن ابن عباس ، وروى الحديث (٤) عن انس ايضاً من طريقين بلفظ حسبك من نساء العالمين مريم وخديجة وفاطمة وآسية ، ومثله في صحيح الترمذي في فضائل خديجة ، وفي مسند احمد (٥) عن انس ، وروى في الاستيعاب بترجمة خديجة حديث تفضيل الأربع من اربعة طرق عن ابن عباس وثلاثة طرق عن انس وطريق عن ابي هريرة ، ورواه بترجمة فاطمة بطرق اخر عن هؤلاء ، ورواه جماعة آخرون يطول ذكرهم ، وفي جملة من هذه الروايات خير نساء العالمين اربع مريم وآسية وخديجة وفاطمة (ع) .

وذكر الحاكم (٦) ان مسلماً أخرج حديث ابي موسى عن النبي (ص) خير نساء العالمين اربع ولم أجده في صحيح مسلم لا في فضائل خديجة ولا في فضائل فاطمة (ع) نعم روى في فضائل خديجة عن ابي موسى لم يكمل من النساء غير مريم وآسية ، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام ، فلعل النساخ حرفوا الحديث ايثاراً لعائشة بالفضل ، كما يشهد له أن هذا الحديث لم يشتمل على ذكر خديجة فكيف أخرجه مسلم في فضائلها ، ولو لم يكن أصل لما ذكره الحاكم لتعقبه الذهبي في تلخيصه .

وكيف كان فلا ريب عندنا أن فاطمة « ع » أفضل الأربع وسيدة نساء العالمين اجمع كما قضت به أخبارنا وكذا اكثر اخبار القوم لدلالتها على انها سيدة نساء العالمين بلا استثناء .

وقد رغب بعض القوم أن يعارض حديث سيادة الزهراء « ع » بما وضعه على

---

(١) ص ١٨٥ ج ٣ . (٢) ص ٢٩٣ ج ١ . (٣) ص ١٦٠ ج ٣ .
(٤) ص ١٥٧ ج ٣ . (٥) ص ١٣٥ ج ٣ . (٦) ص ١٥٤ ج ٣ .

لسان النبي (ص) انه قال : « فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام » .
وهو ظاهر الوضع إذ لا يحسن نسبة هذا التشبيه الواهي الى من اعطي جوامع الكلم
وكان أفصح من نطق بالضاد ، وكيف لا يجزم بكذبه من عرف طريقة النبي (ص) في
لطف كلامه وحسن بيانه وبديع تشبيهاته ، وأين هو من قوله (ص) : « فاطمة سيدة
نساء العالمين » . وليت شعري أيكون الفضل جزافاً وقد خالفت أمر الله في كتابه
بقرارها في بيتها ، وخرجت على امام زمانها الذي قال فيه رسول الله حربك حربي ،
وجاهرت بعداوته وقد قال النبي « ص » فيه : من عاداك عاداني ومن عاداني عادى الله ،
واستمرت على بغضه وقد جعل الرسول بغضه دليل النفاق ، وقال فيه : من أبغضك
أبغضني ومن أبغضني أبغض الله ، وكيف تكون أفضل النساء وقد ضرب الله سبحانه
مثلها وصاحبتها في كتابه المجيد بقوله تعالى : « ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة
نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله
شيئاً وقيل ادخلا النار مع الداخلين » .

ثم انه بعد ثبوت حديث سيادتها الجامع لأصناف الفضل لا نحتاج الى اثبات الحديث
الذي ذكره المصنف (ره) في زفافها ، فانه من بعض مايقتضيه سيادتها وشرفها ، ولاسيما
بعد ما زوجها الله تعالى في السماء من علي سيد الأولياء ، ولكني رأيته مصادفة في
ميزان الاعتدال بترجمة توبة بن عبد الله ، وقال عداوة ودفعاً بالصدر : هذا كذب ،
ولنذكر عوضه ماهو اعظم منه بل اعظم من حديث سيادتها وهو ما رواه الحاكم (١) وصححه
على شرط الشيخين عن عائشة قالت : ما رأيت أحداً كان أشبه كلاماً وحديثاً برسول الله
« ص » من فاطمة وكانت إذا دخلت عليه قام اليها فقبلها ورحب بها وأخذ بيدها فأجلسها
في مجلسه وكانت هي إذا دخل عليها رسول الله « ص » قامت اليه مستقبلة وقبلت يده ،
ورواه ايضاً (٢) الى قوله : فأجلسها في مجلسه ، وصححه ايضاً على شرط الشيخين ،
وأقرّ الذهبي بصحته لكن لا على شرطهما ، وروى الترمذي نحو الأول في فضل
فاطمة وحسّنه ، ثم قال : وروي ايضاً في الاستيعاب نحوه . فانظر الى ما فيه من الدلالة

(١) ص ١٦٠ ج ٣ . (٢) ص ١٥٤ ج ٣ .

على الفضل الباذخ والشرف الشامخ إذ ليس من شأن البنت أن يقوم لها ابوهـا ويتنحى عنها ويجلسها في مجلسه ؛ لاسيما وهو سيد النبيين وخير الأولين والآخرين ، ولعله يريد بذلك من أُمته تعظيمها بعده ورعاية حرمتها علماً منه بما تلقاه منهم من التقصير بحقها ، وغصبها ميراثها ، والهجوم على بيتها ، الى أن ماتت غضبى عليهم . وقد كان من تعظيمه لها انه إذا جاء من سفر أتى المسجد فصلى فيه ركعتين ثم ثنى بفاطمة « ع » كما رواه في المستدرك (١) عن ابي ثعلبة ؛ وروى ايضاً (٢) عن ابن عمر أن النبي (ص) كان اذا سافر كان آخر الناس عهداً به فاطمة ؛ وإذا قدم من سفر كان أول الناس به عهداً فاطمة .

قال المصنف طاب ثراه

وكان سبطاه الحسنان أشرف الناس بعده ، روى اخطب خوارزم باسناده الى ابن مسعود ، قال : « قال رسول الله (ص) : الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة » . وعن البراء قال : « رأيت رسول الله (ص) حامل الحسن وهو يقول : اللهم إني احبه فأحبّه » . وقال ابو هريرة : « رأيت النبي (ص) يمص لعاب الحسن والحسين كما يمص الرجل التمر » . وعن اسامة بن زيد قال : « قلت يا رسول الله ما هذا الذي أنت مشتمل عليه فاذا هو حسن وحسين على ركبتيه فقال : هـذان ابناي وابنا بنتي اللهم انك تعلم إني احبهما فأحبهما ثلاث مرات » . وعن جابر قال : « دخلت على النبي (ص) وعلى ظهره الحسن والحسين وهو يقول : نعم الجمل جملكما ، ونعم العـدلان أنتما » . وروى صاحب كتاب الطلب وغاية السؤل الحنبلي باسناده الى ابن عباس قال : « كنت عنـــد النبي (ص) وعلى فخذه الأيسر ابنه ابراهيم وعلى فخذه الأيمن الحسين وهو يقبل هذا تارة وهذا اخرى إذ هبط جبرئيل فقال : يا محمد إن الله يقرأ عليك السلام وهو يقول: لست أجمعهما لك فافد أحدهما بصاحبـه فنظر الى ولده ابراهيم وبكى ونظر الى الحسين وبكى ثم قال : إن ابراهيم امه أمة إذا مات لم يحزن عليه غيري وام الحسين فاطمة وابوه علي ابن عمي لحمه لحمي ودمه دمي ومتى مات حزنت عليه ابنتي وحزن ابن عمي وحزنت

(١) ص ١٥٥ ج ٣ . (٢) ص ١٥٦ ج ٣ .

أنا اؤثر حزني على حزنها بقبض ابراهيم فقد فديت الحسين به ، فقبض ابراهيم بعد ثلاث ، وكان النبي (ص) إذا رأى الحسين مقبلا قبّله وضمه الى صدره ورشف ثناياه وقال : فديت من فديته بابني ابراهيم » . وفي صحيح مسلم في تفسير قوله تعالى : « فما بكت عليهم السماء والأرض » ، قال : « لما قتل الحسين بن علي بكت السماء وبكاؤها حمرتها » . وفي مسند احمد بن حنبل : « ان من دمعت عيناه لقتل الحسين دمعة أوقطرت قطرة بوّأه الله عز وجل الجنة » . وفي تفسير الثعلبي باسناده قال: « مطر نادماً ايام قتل الحسين عليه السلام » وكان مولانا (زين العابدين) علي بن الحسين أعبد أهل زمانه وأزهدهم ، يحج ماشياً والمحامل تساق معه ، وولده (الباقر) سلم عليه رسول الله (ص) قال لجابر : أنت تدرك ولدي محمد الباقر انه يبقر العلم بقراً فاذا رأيته فاقرأه عني السلام و (الصادق) أعلم أهل زمانه وأزهدهم وكان يخبر بالغيب ، ولا أخبر بشيء إلا وقع فلهذا سموه الصادق ، وكان (الكاظم) أزهد أهل زمانه وأعلمهم ، وكذا ولده (الرضا) و (الجواد) و (الهادي) و (العسكري) و (المهدي) . فهؤلاء الأئمة الاثنى عشر لم يسبقهم سابق ولم يلحقهم لاحق اشتهر فضلهم وزهدهم بين المخالف والموالف ، واقروا لهم بالعلم ولم يؤخذ عليهم في شيء البتة ، كما أخذ على غيرهم . فلينظر العاقل بعين البصيرة هل ينسب هؤلاء الزهاد المعصومون العلماء الى من لا يتوقى المحارم ولا يفعل الطاعات ؟

وقال الفضل

ما ذكر من فضائل فاطمة صلوات الله على أبيها وعليها وعلى سائر آل محمد والسلام أمر لا ينكر فان الانكار على البحر برحمته ، وعلى البر بسعته ، وعلى الشمس بنورها ، وعلى الأنوار بظهورها ، وعلى السحاب بجوده ، وعلى الملك بسجوده ، إنكار لا يزيد المنكر إلا الاستهزاء به ، ومن هو قادر على أن ينكر على جماعة هم أهل السداد ، وخزان معدن النبوة ، وحفاظ آداب الفتوة صلوات الله وسلامه عليهم ؟ ونعم ما قلت فيهم منظوماً :

سلام على المصطفى المجتبى ‌ ‌ سلام على السيد المرتضى
سلام على ستنا فاطمة ‌ ‌ من اختارها الله خير النسا
سلام من المسك أنفاسه ‌ ‌ على الحسن الألمعي الرضا

سلام على الأروعي الحسين — شهيد برى جسمه كربلا
سلام على سيد العابدين — علي بن الحسين المجتبى
سلام على الباقر المهتدي — سلام على الصادق المقتدى
سلام على الكاظم الممتحن — رضي السجايا امام التقى
سلام على الثامن المؤتمن — علي الرضا سيد الأصفيا
سلام على المتقي التقي — محمد الطيب المرتجى
سلام على الأريحي النقي — علي المكرم هادي الورى
سلام على السيد العسكري — امام يجهز جيش الصفا
سلام على القائم المنتظر — أبي القاسم القرم نور الهدى
سيطلع كالشمس في غاسق — ينجيه من سيفه المنتضى
يرى يملأ الأرض من عدله — كما ملأت جور أهل الهوى
سلام عليه وآبائه — وأنصاره ما تدور السما

وأقول

ان سيد المرسلين وآله خيرة الله من العالمين لغنيون بمدح الله لهم في كتابه العزيز عن مدحهم بمثل هذا الذي سماه منظوماً لكننا نشكره عليه فانه غاية مقدوره ومبلغ علمه وينبغي التعرض لهذه الأخبار التي ذكرها المصنف « ره » لكنها كثيرة يطول المقام ببيان من رواها ، فان شئت أن تعرفها فارجع الى كنز العمال وجامع الترمذي وصواعق ابن حجر ونحوها تجدها وأضعافها ؛ نعم لا يجمل الاخلال بذكرها أصلا ، فالأولى أن نتعرض لبعضها بنحو الاشارة الى من رواها من الصحابة ومن أخرجها ، كحديث (ان الحسنين (ع) سيدا شباب أهل الجنة) . وكل الصيد في جوف الفرا ، فنقول رواه من الصحابة علي عليه السلام وعمر وابنه وابن مسعود وابوسعيد وجابر وحذيفة والبراء واسامة وانس وابو هريرة وقرة ومالك بن الحويرث وابن ابي رمثة وغيرهم ، وأخرجه الترمذي في صحيحه ، والنسائي في الخصائص ، والحاكم في المستدرك ، واحمد في المسند والضياء في المختارة ، وابن عبد البر في الاستيعاب ، والطبراني في الكبير والأوسط ،

وابو يعلى ، والبزار ، وابو نعيم ، وابن النجار ، وابن مندة ، وابن ابي شيبة ، وابن سعد وابن شاهين ، والديلمي ، وابن عساكر ، وغيرهم . وربما أخرجه الواحد منهم من نحو عشرة طرق عن جماعة من الصحابة . ويعلم الكثير من هذا من مراجعة ما أشرنا اليه من محال روايات سيادة أمها فاطمة (ع) ، فان كثيراً ممن يروي سيادتها يروي سيادة ولديها ، وقد وجدت حديث سيادتها وحدها أو مع أمها في مسند احمد عن أبي سعيد من عدة طرق (١) وعن حذيفة من طريقين (٢) .

واعلم انه جاء في بعض ما أشرنا اليه من الأخبار انهما سيدا شباب أهل الجنة إلا ابني الخالة عيسى ويحيى ، والظاهر انه من قلم التصرف لأن المراد بالشباب اما الشباب في الدنيا أو في الآخرة ، لاشك انه لا يراد الأول لأن الحسنين في ايام كلام جدهما (ص) كانا طفلين وبلحاظ ما بلغاه من السن ، كان الحسن كهلا والحسين شيخاً ، كما أن عيسى حين مارفعه الله تعالى قد بلغ سن الكهولة أو تجاوزه لقوله تعالى : « ويكلم الناس في المهد وكهلا من الصالحين » . وحين ما ينزله يوم خروج المهدي عجل الله فرجه يكون من أكبر الأنبياء سناً ، فكيف يقول النبي (ص) الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة ثم يستثني عيسى ، فلابد أن يكون المراد هو الشباب في الآخرة ، وحينئذ فلا وجه لاستثناء عيسى ويحيى وحدهما والناس كلهم شباب في الجنة ، ومنهم من هو أفضل من يحيى كنوح وابراهيم وموسى ؛ فلابد أن يكون الاستثناء باطلا ، ويكون الحسنان سيدا شباب أهل الجنة من دون استثناء كما تواترت به أخبارنا واستفاضت به بقية اخبارهم ، ولم يخرج من العموم إلا جدهما « ص » لأنه المتكلم مع كون خروجه ضرورياً وأبوهما لقول النبي « ص » في كثير من هذه الأخبار : « وأبوهما خير منهما » ، كما رواه الحاكم في المستدرك (٣) من طريق عن ابن مسعود وطريق عن ابن عمر ، واتفق هو والذهبي على صحة حديث ابن مسعود ، ونقله في كنز العمال (٤) بلفظه أو بلفظ « وابوهما أفضل منهما » عن ابن عساكر عن علي (ع) ، وعن النسائي وابن عساكر عن ابن عمر ، وعن

(١) ص ٣ و ٦٢ و ٦٤ و ٨٢ ج ٣ . (٢) ص ٣٩١ و ٣٩٢ ج ٥ . (٣) ص ١٦٧ ج ٣ . (٤) ص ٢٢٠ ج ٦ .

الطبراني عن قرة ومالك بن الحويرث ، ونقله ايضاً بعد ذلك (١) عن الديلمي عن انس وعن الطبراني عن حذيفة ولو سلم صحة الاستثناء المذكور فهو كالنص في سيادة الحسنين لبقية الأنبياء وهو الشرف الذي لا يوازى ودليل فضلها على بقية الأنبياء فكيف بآحاد أمتنا وغيرها .

وإنما قال رسول الله (ص) : سيدا شباب أهل الجنة ولم يقل أهل الجنة للاشارة الى أن أهل الجنة شباب كلهم ، وفي بعض اخبارنا أن جميع أهل الجنة شباب إلا محمداً وعلياً وآدم ونوحاً وابراهيم فانهم شيب ، وعليه فيتجه التقييد بالشباب ويرتفع الاشكال عن خروج محمد (ص) وعلي (ع) .

هذا ولما أراد بعض القوم أن يناظروا الحسنين بالشيخين وضع على لسان رسول الله (ص) « أنهما سيدا كهول أهل الجنة » وما تصور انهما في الدنيا بلغا سن الشيخوخة حتى في زمن النبي (ص) ، وان اهل الجنة شباب لا كهل فيهم ، وقد ذكر في ميزان الاعتدال حديث انهما سيدا كهول اهل الجنة بترجمة محمد بن كثير الصنعاني كما ذكرناه بترجمته في مقدمة الكتاب وذكرنا ان ابن المديني بعدما سمع روايته لهذا الحديث قال لا احب أن أراه .

وينبغي التعرض ايضا لما رواه المصنف (ره) عن جابر من ركوب الحسنين (ع) على ظهر النبي (ص) وقوله : نعم الجمل جملكما ، ونعم العدلان أنتما ، فنقول : نقله في كنز العمال في فضائل الحسنين (٢) عن ابن عدي والرامهرمزي في الأمثال وعن ابن عساكر من ثلاثة طرق ، وكلهم عن جابر إلا انه قال في احدى روايات ابن عساكر : دخلت على النبي (ص) وهو يمشي بينهما ، فقلت : نعم الجمل جملكما . فقال رسول الله (ص) : ونعم الراكبان هما ، ونقله ايضاً عن الطبراني عن سلمان بقصة طويلة اخرى قال : « كنا حول النبي (ص) فجاءت ام أيمن فقالت : يارسول الله لقد ضل الحسن والحسين وذلك رأد النهار ، فقال رسول الله (ص) قوموا فاطلبوا ابنيّ ، وأخذ كل رجل تجاه وجهه ، وأخذت نحو النبي (ص) وإذا الحسن والحسين يلتزق كل واحد منهما صاحبه وإذا شجاع قائم على ذنبه يخرج من فيه شبه النار ، فأسرع اليه رسول الله (ص) فالتفت مخاطباً لرسول الله « ص » ، ثم انساب فدخل بعض الأحجرة ، ثم أتاهما وأفرق

(١) ص ٢٢٢ ج ٦ . (٢) ص ١٠٨ ج ٧ .

بينهما ومسح وجوههما ، وقال : بأبي وامي أنتما ما أكرمكما على الله ، ثم حمل أحدهما على عاتقه الأيمن والآخر على عاتقه الأيسر ، فقلت : طوبى لكما نعم المطية مطيتكما ، فقال رسول الله « ص » : ونعم الراكبان هما وابوهما خير منهما » . وروى الترمذي في مناقب الحسنين عن ابن عباس قال : « كان رسول الله (ص) حامل الحسن على عاتقه فقال رجل نعم المركب ركبت يا غلام ، فقال النبي (ص) : ونعم الراكب هو » . ورواه الحاكم في فضائل الحسن (١) ، وقريب من ذلك ما رواه الحاكم ايضاً (٢) في فضائل الحسنين عليهما السلام ، وصححه عن ابي هريرة ، قال : « كنا نصلي مع رسول الله (ص) العشاء فاذا سجد وثب الحسن والحسين على ظهره وإذا رفع رأسه اخذهما فوضعهما وضعاً رفيقاً فاذا عاد عادا فلما صلى جعل واحداً ههنا ، وواحداً ههنا ، فقلت يا رسول الله ألا اذهب بهما الى أُمهما قال : لا ، فبرقت برقة ، فقال : الحقـا بأُمكما ، فما زالا يمشيان في ضوئها حتى دخلا » . ومثله في مسند احمد من طريقين (٣) عن ابي هريرة ، ونقله في كنز العمال (٤) عن ابن عساكر من طريقين عن ابي هريرة .

واما احاديث حب النبي للحسنين فمتواترة ومن احسنها ما رواه الحاكم (٥) وصححه عن ابي هريرة : « ان النبي (ص) قال : من احبهما فقد احبني ومن ابغضهما فقـــد ابغضني » ، ونقله في كنز العمال (٦) عن احمد في مسنده وابن ماجة ، وروى الحاكم ايضاً قبل الحديث المذكور وصححه على شرط الشيخين عن سلمان قال : « سمعت رسول الله (ص) يقول : الحسن والحسين ابناي من احبهما احبني ومن احبني احب الله ومن احب الله ادخله الجنة ومن ابغضهما ابغضني ومن ابغضني ابغضه الله ومن ابغضه الله ادخله النار » . وتعقبه الذهبي بقوله : هذا حديث منكر ، وانما رواه بقي ابن خالد باسناد آخر واه عن زاذان عن سلمان . « اقول » : حقاً له ان يستنكره لأنه يستوجب دخول اكثر اوليائه النار ومجرد روايته باسناد آخر واهٍ لا يمنع من روايتـه باسناد صحيح على شرط الشيخين ، ولذا لم يناقش الذهبي في هذا الاسناد ، وحكي نحوه

---

(١) ص ١٧٠ ج ٣ .　(٢) ص ١٦٧ ج ٣ .　(٣) ص ٥١٣ ج ٢ .

(٤) ص ١٠٩ ج ٧ .　(٥) ص ١٦٦ ج ٣ .　(٦) ص ٢٢٠ ج ٦ .

في الـكنز (١) عن ابى نعيم وابن عساكر عن سلمان وعن ابى نعيم وعن ابى هريرة ، لـكن بهذا اللفظ « من احبها احببته ومن احببته احبه الله ومن احبـه الله ادخله جنات النعيم ومن ابغضها او بغي عليها ابغضته ومن ابغضته ابغضه الله ومن ابغضه الله ادخله جهنم وله عذاب مقيم » .

واما حديث فداء النبي (ص) ابنه ابراهيم للحسين (ع) فقد وردت به اخبارنا ايضاً ، وحكاه السيوطي في اللئالي المصنوعة عن الخطيب ، وقال : زعم ابن الجوزي انه موضوع آفته محمد بن الحسن النقاش ، وفيه مع ما عرفت في مقدمة الـكتاب من ان من روى فضيلة لأهل البيت ثقة فيها ، ان النقاش ممن اثنى عليـه ابو عمرو الداني وكان شيخ المقربين في عصره ورحل الى عدة مدائن في طلب العلم واحتيج اليه كما ذكره في ميزان الاعتدال فأي داع له وهو من اهل السنة الى وضع هـذا الحديث ويسقط نفسه بين قومه .

محبته وموالاته

قال المصنف قدس الله نفسه

(المطلب الثالث) في محبتـه ، قال رسول الله (ص) كما في مسند احمد بن حنبل وقد اخذ بيد حسن وحسين : « من احبني واحب هذين واحب اباهما وأُمهما كان معي في درجتي يوم القيامة » . وعن حذيفة قال : قال رسول الله (ص) : « من احب ان يتمسك بقصبة الياقوت التي خلقها الله تعالى قال لها : كوني فكانت ، فليتول علي بن ابي طالب من بعدي » . وقال رسو ل الله (ص) : « لو اجتمع الناس على حب علي لم يخلق الله النار » . وقال (ص) : « حب علي حسنة لا يضر معها سيئة وبغض علي سيئة لا ينفع معها حسنة » . وقال رجل لسلمان : ما أشد حبك لعلي (ع) ! قال : سمعت رسول الله (ص) : يقول : « من أحب علياً فقد أحبني ومن أبغض علياً فقد أبغضني » . ومن المناقب لخطيب خوارزم عن ابن عمر قال : قال رسول الله (ص) : « من أحب علياً

(١) ص ٢٢١ ج ٦ .

قبل الله منه صلاته وصيامه وقيامه واستجاب دعاءه . ألا ومن أحب علياً أعطاه بكل عرق في بدنه مدينة في الجنة ، ألا ومن أحب آل محمد أمن الحساب والميزان والصراط ، ألا ومن مات على حب آل محمد فأنا كفيله بالجنة مع الأنبياء ، ألا ومن أبغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوباً بين عينيه آيس من رحمة الله » . والأخبار في ذلك اكثر من أن تحصى وآيات القرآن دالة عليه ، قال الله تعالى : « قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى » . جعل مودة علي وآله أجراً لرسالة رسول الله (ص) ، وفي الجمع بين الصحاح الستة عن ابن عباس قال ان رسول الله (ص) قال : « احبوا الله لما يغذوكم به من نعمة ولما هو أهله واحبوني لحب الله واحبوا أهل بيتي لحبي » . وفي مناقب الخوارزمي عن أبي ذر قال : قال رسول الله (ص) : « من ناصب علياً الخلافة بعدي فهو كافر وقد حارب الله ورسوله » . ومنه عن معوية بن وحيد بخط القشيري قال : سمعت النبي « ص » يقول لعلي : « يا علي لا يبالي من مات وهو يبغضك مات يهودياً أو نصرانياً » . ومنه عن انس بن مالك قال : قال رسول الله (ص) لعلي : « كذب من زعم انه يبغضك ويحبني » وعن ابي هريرة قال : أبصر النبي (ص) علياً وحسناً وحسيناً وفاطمة فقال : « انا حرب لمن حاربكم وسلم لمن سالمكم » ومنه عن ابن عباس قال : قال النبي (ص) لعلي : « أنت سيد في الدنيا وسيد في الآخرة من أحبك فقد أحبني ومن أحبني أحب الله عزوجل (١) وعدوك عدوي وعدوي عدو الله وبل لمن أبغضك » .

وقال الفضل

ما ذكر في هذا المطلب من وجوب محبة أهل بيت النبي (ص) سيما علي بن أبي طالب فهو أمر لا منازع فيه والأخبار والآثار والدلائل على هذا المقصود عند أهل السنة والجماعة كثيرة ، ولكن ذكر في هذا المطلب أخباراً منكرة موضوعة ظاهر عليها أثر الوضع والنكارة والجهولية ، ولكن ما يتعلق بذكر الفضائل لا يتعرض لكونه موضوعاً أو مجهولا لأن ذكر الفضائل مقصود ولا يتعلق بالمذهب ولا يتوجه اليه رد ، وأما ما

(١) وفي نسخة : وحبيبي حبيب الله عز وجل .

ذكره من مناقب الخوارزمي نقلا عن أبي ذر انه قال : من ناصب علياً الخلافة بعدي فهو كافر فهذا حديث موضوع منكر لا يرتضيه العلماء ، واكثر ما ذكر من مناقب الخوارزمي فكذلك ، وهذا الخوارزمي رجل كأنه شيعي مجهول لا يعرف بحال ولا يعده العلماء من أهل العلم بل لا يعرفه أحد ولا اعتداد برواياته وأخباره .

وأقول

قد سبق كثير مما ذكره المصنف (ره) هنا وبينا ثبوته ، ولو احتجنا الى اثبات الباقي لذكرناه ، وفي المستدرك والكنز اكثره ، لكن لا حاجة اليه بعد قوله سبحانه : « قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى » وغيرها من الآيات . وبعد استفاضة الروايات في وجوب حبهم وفضله وأن حبهم علامة الايمان وبغضهم علامة النفاق ، وان من أحبهم أحب الله ورسوله ، ومن أبغضهم أبغض الله ورسوله ، والانسان في غنى عن البحث في سند الأحاديث المتعلقة بحبهم وبغضهم لاشتهارها بل تواترها معنى ، واذا تأملت كثرة ماورد في الترغيب بحبهم ، والتحذير من بغضهم ، والوصية فيهم بالكيفيات المختلفة ، والوجوه المتعددة لعلمت أن ذلك لم يكن إلا لأمر في الأصحاب ، وإلا لو كانوا كما يظن الظانون لما احتاجوا الى ذلك لقضاء العادة بحبهم لأهل البيت (ع) واحترامهم لهم لقربهم من رسول الله (ص) فضلا عن أهليتهم في أنفسهم وكثرة آثار علي (ع) في الاسلام فلابد أن يكون النبي (ص) قد علم ما نقوله من بغض غالب الأصحاب لهم وظلمهم اياهم وأن النفاق قد فشا فيهم وانقلبوا على الأعقاب ، بل لو تأمل المنصف اخبار حبهم وبغضهم لم يفهم منها إلا ارادة وجوب التمسك بهم ، فهي بيان لامامتهم ولسان في وجوب اتباعهم وحرمة مخالفتهم وإلا فالحب والبغض من حيث هما ليسا بتلك الأهمية التي اشتمل عليها الكتاب والسنّة ، وبهذا يعلم صحة ما رواه ابو ذر (ره) عن النبي (ص) انه قال : « من ناصب علياً الخلافة فهو كافر » وما زعمه من كونه منكراً موضوعاً تام على مذهبه وإلا فبالنظر الى الخبر بنفسه لا نكارة فيه وهو وأشباهه حجة عليهم ، ويؤيده ما في كنز العمال (١) عن الدارقطني في الافراد عن ابن عباس : « علي باب حطة من دخل منه

---

(١) ص ١٥٣ ج ٣ .

كان مؤمناً ومن خرج منه كان كافراً » وما في الكنز ايضاً عن علي وجابر وابن مسعود بطرق « علي خير البشر فمن أبى فقد كفر » . ورواه السيوطي في اللئالي عن ابن عدي بسنده عن أبي سعيد وعن أبي الحسن بن شاذان الفضلي بسنده عن حذيفة ، فهو كثير الطرق حقيق بالاعتبار ، الى نحوها من الأخبار ولا يخفى أن قول الفضل (ولكن ما يتعلق بذكر الفضائل لا يتعرض لكونه موضوعاً) الى آخره مناف لما ذكره في اول المبحث الخامس حيث قال : « يشترط في ذكر الفضائل أن يروى من الصحاح المعتبرة ، ومن العلماء الذين اعتمدهم الناس » الى آخره ، والظاهر أن السبب في هذا العدول ارادته رواية فضائل اوليائه قريباً لتقبل على علاتها ولا يلتفت الى وضعها .

وأما ما طعن به الخوارزمي فليس إلا لرواياته في فضائل أهل البيت والحال انه قد استفاض اكثرها بطرق اخر عن غيره ، بل كلها بلحاظ شواهدها ومناسباتها ، وهو ممن لا يجهل عند القوم ، فقد روى عنه ابن حجر وكناه بأبي بكر في الصواعق في المقصد الثاني من المقاصد المتعلقة بالآية الرابعة عشرة من الآيات الواردة في أهل البيت (ع) وقد ذكره الذهبي في الميزان بترجمة محمد بن عبد الله بن محمد البلوي فقال : بعد ما ذكر حديثاً في فضل علي (ع) رواه أخطب خوارزم ، وذكره ايضاً بترجمة محمد بن احمد بن علي ابن الحسن بن شاذان ، فانه ذكر في ترجمته احاديث له في فضائل علي (ع) ثم قال : « ولقد ساق خطيب خوارزم من طريق هذا الدجال ابن شاذان احاديث كثيرة باطلة سمجة ركيكة في مناقب السيد علي » . ولولا أن الرجل كبير المنزلة عندهم مسلم الوثاقة بينهم لعرفت كيف رمته سهام ألسنتهم وطعنت فيه أسنة أقلامهم ، فهذا ابن شاذان قد سمعت ما قال الذهبي فيه وهو لم يرو إلا اليسير من فضائل امير المؤمنين (ع) ، فكيف بالخوارزمي وقد روى الكثير لولا فضله الكبير بينهم ، وغاية ما طعن به ابن تيمية على خبث لسانه ان قال ليس الحديث من صنعته ، ذكر هذا في رده لمنهاج الكرامة ، فكأنه لا يكون من أهل صنعة الحديث إلا أن يترك رواية فضائل آل محمد صلى الله عليه وآله أو يروي ما يتحمله رأي ابن تيمية خاصة .

انه صاحب الحوض واللواء والصراط والاذن

قال المصنف أعلى الله مقامه

(المطلب الرابع) في انه صاحب الحوض واللواء والصراط والاذن ، روى الخوارزمي عن ابن عباس قال : قال رسول الله : « علي يوم القيامة على الحوض لا يدخل الجنة إلا من جاء بجواز من علي » . وعنه قال : قال رسول الله (ص) : « إذا كان يوم القيامة أمر الله تعالى جبرئيل أن يجلس على باب الجنة فلا يدخلها إلا من معه براءة من علي عليه السلام » ، وعن جابر بن سمرة قال : قيل يا رسول الله من صاحب لوائك في الآخرة ؟ قال : « صاحب لوائي في الآخرة صاحب لوائي في الدنيا علي بن أبي طالب » . وعن عبد الله بن أنس قال : قال رسول الله (ص) : « إذا كان يوم القيامة ونصب الصراط على شفير جهنم لم يجز عليه إلا من معه كتاب بولاية علي بن أبي طالب (ع) » . والأخبار في ذلك اكثر من أن تحصى ، فلينظر العاقل إذا كانت مثل هذه وأضعافها أضعافاً مضاعفة يرويها السنة في صحاح الأخبار عندهم ، والآيات ايضاً موافقة لها ثم يتركونها هل يجوز له تقليدهم ؟ ومع ذلك لم ينقلوا عن أئمة الشيعة منقصة ولا رذيلة ولا معصية البتة والتجؤا في التقليد الى قوم رووا عنهم كل رذيلة ونسبوهم الى مخالفة الشريعة في قضايا كثيرة ، ولنذكر هنا بعضها في مطالب .

وقال الفضل

من ضروريات الدين أن النبي (ص) صاحب الحوض المورود والشفاعة العظمى والمقام المحمود يوم القيامة ، وأما ان علياً صاحب الحوض فهو من مخترعات الشيعة ولم يرد به نقل صحيح ، وهذا الرجل الذي ينقل كل مطالبه من كتب أصحابنا لم ينقل هذا منهم وذلك لأنه لم يصح فيه نقل عندنا ، ولكن ما ذكره لما كان من الفضائل والمناقب لمولانا علي بن أبي طالب فنحن لا ننكره لأن كل ما نقل من فضائله وفضائل أهل بيت النبي (ص) ما لم يكن سبباً الى الطعن في أفاضل الصحابة فنتسلمه ونوافقه فيه لأن فضائلهم لا تحصى ولا ينكره إلا منكر نور الشمس والقمر .

وأما ما ذكره أن امثال هذه الأخبار يرويها السنة وهي في صحاح الأخبار عندهم والآيات ايضاً موافقة لها ثم يتركونها هل يجوز لهم تقليدهم ؛ فان أهل السنة يعملون بكل حديث وخبر صحيح بشرائطها ، ولكن كما صح عندهم الأحاديث الدالة على فضل علي ابن أبي طالب وأهل بيت رسول الله (ص) كذلك صح عندهم الأحاديث الدالة على فضائل الخلفاء الراشدين ؛ فهم يجمعون بين الأحاديث الصحاح وينزلون كلاً منزله الذي أنزله الله ولا ينقصون أحداً ممن صح فيه هذا الحديث ؛ والشيعة ينقلون الأحاديث من كتب أصحابنا مما يتعلق بفضائل أهل البيت ويسكتون عن فضائل الخلفاء وأكابر الصحابة ليتمشى لهم الطعن والقدح ، وهذا غاية الخيانة في الدين ؛ وأية خيانة أعظم من أن رجلا ذكر بعض كلام أحد مما يتعلق بشيء وترك البعض الآخر مما يتعلق بعين ذلك الشيء ليتمشى به مذهبه ومعتقده ؛ونعوذ بالله من هذه العقائد الفاسدة .

ثم ما ذكره ان أهل السنة لم ينقلوا عن أئمة الشيعة منقصة ولا رذيلة ولا معصية البتة ، فجوابه أن نقول أيها الجاهل العامي الضال العاصي الشيعة ينسبون انفسهم الى الأئمة الاثنى عشر ، أترى أئمة أهل السنة والجماعة يقدحون في أهل بيت النبوة والولاية ، أتراهم يا أعمى القلب انهم يفترون مثلك ومثل اضرابك على الأئمة ويفترون المطاعن والمثالب مما لم يصح به خبر ؛ بل ظاهر عليه آثار الوضع والبطلان ولا كظهور البدر ليلة الاضحيان ، ثم ذكر انهم التجؤا في التقليد الى قوم رووا عنهم كل رذيلة ونسبوهم الى مخالفة الشريعة ، فجوابه انهم لم يرووا عمن يقلدونه رذيلة أصلا بل هو يفتري الكذب عليهم ، ومن ههنا يريد أن يشرع في مطاعن الخلفاء ؛ ويبدأ بأبي بكر الصديق ، ونحن نقول له : أنت لا تروي شيئاً يعتد به إلا من صحاحنا ، وها نحن قبل شروعك في مطاعن أبي بكر الصديق ، نذكر شيئاً يسيراً من فضائله المذكورة في صحاحنا وصحاحنا ليس ككتب الشيعة التي اشتهر عند السنة انها من موضوعات يهودي كان يريد تخريب بناء الاسلام فعملها وجعلها وديعة عند الامام جعفر الصادق، فلما توفي حسب الناس انه من كلامه والله أعلم بحقيقة هذا الكلام ، وهذا من المشهورات ، ومع هذا لا ثقة لأهل السنة بالمشهورات ، بل لابد من الاسناد الصحيح حتى يصح الرواية ، وأما صحاحنا

فقد اتفق العلماء أن كل ما عدّ من الصحاح سوى التعليقات في الصحاح الستة لو حلف بالطلاق انه من قول رسول الله (ص) أو من فعله وتقريره لم يقع الطلاق ولم يحنث .

وها نحن نشرع في بعض فضائل الصديق اظهاراً للحق الحقيق بالتحقيق ، فنقول: اول خلفاء الاسلام أبو بكر عبد الله بن ابي قحافة من أولاد تيم بن مرة ونسبه يتصل برسول الله في مرة ، كان له ولدان تيم وكلاب ، فكلاب هو أبو قصي ، وقصي جد رسول الله (ص) ، وتيم هو جد أبي بكر الصديق ، وكان ابو بكر الصديق قبل البعثة من أكابر قريش وأشرافها وصناديدها ، وكان قاضياً حكماً بينهم ، وكان صاحب اموال كثيرة حتى اتفق جميع أرباب التواريخ انه لم يبلغ مال قريش مبلغ مال ابي بكر ، وكان رسول الله (ص) يصادقه ويحبه ويجلس في دكانه ، وهو كان يحب رسول الله (ص) محبة شديدة لا يفارقه ليلا ولا نهاراً ، وكان يعين رسول الله بماله وأسبابه ، فلما بعث رسول الله (ص) كان لا يظهر حال نبوته في اول الأمر على الناس فذكر لأبي بكر فصدقه ، وقال رسول الله ما دعوت أحداً الى الاسلام إلا وأظهر تردداً ما خلا ابي بكر كما قال ، فأخذ ابو بكر يدعو الناس الى رسول الله (ص) ، فآخر ذلك اليوم الذي أسلم أتى بعيون قبائل قريش مما كانوا يصادقونه في مكة وهم عثمان بن عفان من عيون بني امية وسعد بن ابي وقاص من اشراف بني زهرة ، وطلحة بن عبيد الله من اشراف تيم ، والزبير بن العوام من اشراف بني اسد بن عبد العزى وغيرهم من الأشراف ، فبايعوا رسول الله (ص) على الاسلام ، ثم أخذ في الدعوة ، ولا يقدم رسول الله (ص) على أمر إلا بمشاورته وهو يدعو الناس ، وكان عاقلا لبيباً مدبراً مقبول القول ، وكان يبذل ماله في اعانة المسلمين وفي تشهير الاسلام ، وروى في الصحيح أن رسول الله (ص) قال : من أمنّ الناس علي في صحبته وماله أبو بكر ، ولو كنت متخذاً خليلا من امتي لاتخذت أبا بكر ولكن اخوة الاسلام ومودته لا تبقين في المسجد خوخة إلا خوخة ابي بكر ، وفيه ايضاً عن عبد الله بن مسعود عن النبي (ص) انه قال : لو كنت متخذاً خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكنه أخي وصاحبي وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا ، وفي الصحاح عن ابي هريرة قال : قال رسول الله (ص) : ما لأحد عندنا يد إلا وقد كافيناه ما خلا أبا بكر فان له

عندنا يداً يكافيه الله يوم القيامة وما نفعني مال أحد قط ما نفعني مال أبي بكر ولو كنت متخذاً خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا الاوصاحبكم خليل الله ، ثم لما أخذ الكفار في ايذاء المسلمين وتعذيبهم قام ابو بكر باعباء أذية قريش واعانة المعذبين والذب عن رسول الله (ص) بما هو مشتهر معلوم لا يحتاج الى بيانه ، وكان يشتري المعذبين من الكفار ، واشترى بلال بن رباح وفدى غيره من الصحابة وابتلى بلاء حسناً لايكون فوقها مرتبة حتى جاء وقت الهجرة فصاحب رسول الله (ص) في الغار وأنزل الله فيه : « ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن » ، وأثنى الله عليه في كتابه العزيز في مواضع عديدة مما يطول ذكرها ، ولولا أن الكتاب غيرموضوع لذكر التفاصيل لفصلنا مناقبه في عشر مجلدات ؛ ثم بعد الهجرة أقام بحفظ الدين والجهاد ولم يقدر أحد من الشيعة أن يدعي أن رسول الله (ص) غزا غزوة وتخلف عنه ابو بكر حتى توفي ، واجماع الأمة على أن رسول الله (ص) كان يقدمه على اصحابه ويفضله عليهم وهو لم يفارق رسول الله (ص) قط في غزاة ولا سفر ولا في غزوة ، ومن ادعى خلاف ذلك فهو مفتر كذاب مخالف لضرورات الدين ؛ ذكر في صحيح البخاري عن محمد بن الحنفية قال : قلت لأبي : أي الناس خير بعد النبي ؟ قال : ابوبكر . قلت : ثم من ؟ قال : عمر . قال : خشيت أن يقول عثمان قلت : ثم أنت ؟ قال : ما أنا إلا رجل من المسلمين . انظروا معاشر العقلاء ان أمير المؤمنين علي هكذا يذكر الخلفاء ، ثم جاء ابن المطهر الأعرابي البوال على عقبيه ويضع لهم المطاعن قاتله الله من رجل سوء بطاط ، وايضاً عن عبد الله بن عمر قال : كنا في زمن النبي (ص) لانعدل بأبي بكر أحداً ثم عمر ثم عثمان ، ثم نترك أصحاب النبي لانفاضل بينهم ، وفي رواية كنا نحن نقول ورسول الله حي أفضل امة النبي بعده أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ، وفي الصحاح عن ابن عمر عن رسول الله انه قال لأبي بكر: أنت صاحبي في الغار وصاحبي في الحوض ، وفيها عنه قال : قال رسول الله : أنا أول من تنشق عنه الأرض ثم ابو بكر ثم عمر ، ثم يأتي أهل البقيع فيحشرون معي ثم ينتظر أهل مكة حتى تحشر بين الحرمين ، وفي الصحاح عن ابي هريرة قال : قال رسول الله (ص) : أتاني جبرئيل فأخذ بيدي فأراني باب الجنة التي يدخل منه امتي فقال ابو بكر: يارسول الله

وددت اني كنت معك حتى انظر اليه ، فقال رسول الله : اما انك يا ابا بكر اول من يدخل الجنة من امتي ، والأخبار في هذا اكثر من أن تحصى ، ثم لما قرب وفاة رسول الله (ص) جعله في مرضه إماماً للناس ليكون تلويحاً الى خلافته ، وهذا كالمتواتر عند المسلمين ، ولم يتردد واحد في أن ابا بكر في أيام مرض رسول الله (ص) كان يؤم الناس وفي الصحاح عن عائشة قالت : قال رسول الله (ص) في مرضه : ادعي لي ابا بكر أباك وأخاك حتى اكتب كتاباً فاني أخاف أن يتمنى متمن ويقول قائل : أنا أولى ، ويأبى الله والمؤمنون إلا ابا بكر ، وفي الصحاح عن جبير بن مطعم قال : أتت النبي امرأة فكلمته في شيء فأمرها أن ترجع اليه قالت : يا رسول الله أرأيت ان جئت ولم اجدك ؟ كأنها تريد الموت ، قال : إن لم تجديني فائتي ابا بكر ، والأخبار الدالة على الاشارة بخلافته كثيرة ، وهي تعارض الأخبار الدالة على خلافة علي والاجماع فضل زائد ودليل تام على صحة خلافته ، ثم ان الرجل السوء يذكر لمثل هذا الرجل المطاعن لعن الله كل مخالف طاعن ، وكنت حين بلغت باب المطاعن أردت أن أطوي عنه كشحاً ولا أذكر منه شيئاً لأنها تؤلم خاطر المؤمن ويفرح بها المنافق الفاسد الدين ، لأن من المعلوم ان الدين قام في خلافة هؤلاء الخلفاء الراشدين ، ولما سمع المنافق أن هؤلاء مطعونون فرح بأن الدين المحمدي لا اعتداد به لأن هؤلاء المطعونين حاشاهم كانوا مؤسسي هذا الدين وهذا ثلمة عظيمة في الاسلام وتقوية كاملة للكفر أقدم به الروافض لا أفلحوا ، ولكن رأيت لو اني أترك هذا الباب ولم اجاوبه يظن الناس ان ما أورده من الأباطيل كان كلاماً متيناً ونقلا صحيحاً لا يقدر على مجاوبته ، فعزمت أن اجري على وفق ما جريت في هذا الكتاب من ذكر كلامه والرد عليه والله الموفق .

وأقول

لا ريب أن النبي (ص) هو صاحب الحوض ولكن علياً هو المتولي عليه فهو صاحبه ايضاً كما أن لواء النبي (ص) في الآخرة وهو لواء الحمد بيد علي (ع) ايضاً ، كما صرحت بهذا كله اخبار القوم فضلا عن اخبارنا « فمنها » ما رواه الحاكم في المستدرك (١) عن

(١) ص ١٣٨ ج ٣ .

علي بن أبي طلحة وصححه أن الحسن (ع) قال لمعوية بن حديج : أنت الساب لعلي والله ان لقيته وما احسبك تلقاه يوم القيامة لتجده قائماً على حوض رسول الله يذود عنه رايات المنافقين ، ونحوه فى الصواعق عن الطبرانى (١) . « ومنها » ما فى الصواعق ايضا عن الطبرانى يا علي معك يوم القيامة عصىً من عصيّ الجنة تذود بها المنافقين عن الحوض « ومنها » ما فى الصواعق عن احمد اعطيت فى علي خمساً الى أن قال : وأما الثانية فلواء الحمد بيده آدم ومن ولده تحته ، وأما الثالثة فواقف على حوضي يسقي من عرف من امتي ، ونحوه في كنز العمال (٢) ، وروى فى الكنز ايضا عن الطبرانى عن علي (ع) إنى أذود عن حوض رسول الله « ص » بيدي هاتين القصيرتين الكفار والمنافقين ، وروى فيه ايضاً (٣) عن عمر من حديث طويل عن النبي «ص» قال فيه : وأنت تتقدمني بلواء الحمد وتذود عن حوضي ، وفيه ايضاً (٤) عن ابن عباس قال : قال رسول الله (ص) لعلي : أنت أمامي يوم القيامة فيدفع إليّ لواء الحمد فادفعه اليك وأنت تذود الناس عن حوضي ، وقد ذكر كثير من أخبارهم أمر اللواء فقط ، كخبر الكنز (٥) عن الديلمي عن ابى سعيد يا علي أنت صاحب لوائى فى الدنيا والآخرة ، وخبره الآخر (٦) عن الخطيب والرافعي عن علي عليه السلام ان النبي « ص » قال له : سألت الله يا علي فيك خمساً الى أن قال : اعطانى فيك ان اول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة أنا وأنت معي معك لواء الحمد وأنت تحمله بين يدي تسبق به الأولين والآخرين ، وروى نحوه فى محل آخر (٧) ، وحكى (٨) عن الطبرانى عن بريدة قالوا : يا رسول الله من يحمل رايتك يوم القيامة ؟ قال : من يحسن ان يحملها إلا من حملها فى الدنيا علي بن ابى طالب، الى غيرها من الأخبار المصرحة بأن علياً صاحب حوض رسول الله « ص » ولوائه فى الآخرة ، وقد ذكر قسماً منها فى ينابيع المودة .

وأما روايات الاذن التي ذكر قسماً منها المصنف « ره » الدالة على انه لا يدخل الجنة

---

(١) فى المقصد ٣ من المقاصد المتعلقة بالآية ١٤ وهي آية المودة . (٢) ص ٤٠٢ و ٤٠٣ ج ٦ . (٣) ص ٣٩٣ ج ٦ . (٤) ص ٤٠٠ ج ٦ . (٥) ص ١٥٥ ج ٦. (٦) ص ١٥٩ ج ٦ . (٧) ص ٣٩٦ ج ٦ . (٨) ص ٣٩٨ ج ٦ .

ولا يجوز الصراط إلا من بيده جواز وبراءة من علي « ع » مستفيضة وقد تقدم بعضها في الآية الحادية عشرة وهي قوله تعالى : « وقفوهم انهم مسؤلون » فراجع .

واما ما زعمه الفضل من الخيانة في نقل فضائل اهل البيت عليهم السلام من كتبهم والسكوت عن فضائل خلفائهم فخطأ ، لأنا ننقل فضائل اهل البيت من كتبهم للاحتجاج بها عليهم مع علمنا بصحتها لورودها في اخبارنا وإن كانت اخبارهم متلجلجة البيان ، واما ما رووه في فضائل من خالف اهل البيت فنحن نعتقد كذبه وانه مما حدث في ايام معوية وبعده طلباً للدرهم البيض والدينار الصفر ، ومراغمة لآل محمد وتقرباً لأهل الخلاف كما سبق في المقدمة ، وليت شعري كيف يطلب منا ان نعتمد ما ليس حجة عندنا بل تواتر لدينا عكسه وظهر لنا ضده حتى علمنا كما دلت عليه اخبارهم ان كل ضلال وقع انما اساسه من رووا لهم الفضائل من يوم منعوا نبي الرحمة عن كتابة كتاب لا يضل المسلمون بعده ابداً .

واما ما نال به كرامة الامام العلامة المصنف « ره » لقوله : « لم ينقلوا عن ائمة الشيعة منقصة » الى آخره ، ففيه انه اي مانع لهم عن القدح بهم لو وجدوا اليه سبيلا وليسوا عندهم بأعظم واحب من خلفائهم وقد نقلوا عنهم ما نقلوا كما ستعرفه ، واما قوله : « انت لا تروي شيئاً يعتد به إلا من صحاحنا » ففيه انه إن اراد ان صحاحهم مما يعتد بها حتى عندنا فليس بصحيح وليس ما نرويه منها إلا للاحتجاج به عليهم لأنه حجة عندهم ، وإن اراد انها انما يعتد بها عندهم خاصة فذكره لما فيها من فضائل اوليائهم لا فائدة فيه لعدم حاجة اصحابه الى نقلها وعدم صلوحها للاحتجاج بها علينا وهذا غير خفي عليه ، ولكن وما حيلة المضطر إلا ركوبها ، او لأنه يريد ان يخدع السذج بها وبما لفقه مما لا يخفى حتى على اهل المعرفة من قومه .

واما قوله : « وصحاحنا ليس ككتب الشيعة التي اشتهر عند السنة » الى آخره ففيه انه لو صح نقله للشهرة عند اصحابه فهي ليست اول شهرة كاذبة اريد بها تشييد الباطل ، فقد اشتهر عندهم إدخال من زعموه ربهم رجله في نار جهنم حتى تقول قط قط ، واشتهر بينهم إلقاء الشيطان على لسان رسول الله « ص » تلك الغرانيق العلى منها الشفاعة

تو تجى ، واشتهر عندهم رقص النبي (ص) بأكمامه واستماعه للغناء الباطل دون عمر وابي بكر ، الى غير ذلك من المشهورات الباطلة قطعاً ، ولو كان لهذا الرجل معرفة لما روى هذه الشهرة عن اصحابه لانها تكشف عن كون شهراتهم من هذا القبيل مخالفة للضرورة والوجدان ، فان كتب الشيعة مملوة بالنقل عن امامهم الصادق « ع » وما احد نقل عن كتاب له وإنما يروون عن لسانه وألسنة الأئمة الميامين ومراسلاتهم وها هي ذي كتب الشيعة بمنظر لمن أراد الاطلاع عليها .

وأما ما زعمه من اتفاق علمائهم على ان كل ما في الصحاح لو حلف بالطلاق الى آخره ففيه ان من حلف كذلك حانث جزماً لامور : (الأول) ان كثيراً مما فيها متناف فكيف تصدق كلها . (الثاني) اشتمالها على ما فيه نقص لله ورسوله كما سبق في مباحث النبوة وهما منزهان عن النقص . (الثالث) ان الكثير من رواتها كذبة فسقة كما تقدم في المقدمة فكيف يحلف الحالف على صدقهم ولا يحنث . (الرابع) أن بعض اخبارها واضحة الكذب كالذي رواه البخاري في أواخر الجزء الثاني في باب مقدم النبي (ص) واصحابه المدينة عن عثمان قال : « أما بعد فان الله بعث محمداً (ص) بالحق وكنت ممن استجاب لله ورسوله وآمن بما بعث به محمد ثم هاجرت هجرتين ونلت صهر رسول الله وبايعته ، فوالله ما عصيته ولا غششته حتى توفاه الله » . فانه قد ثبت عصيانه لرسول الله (ص) ولو بفراره في الغزوات كفراره في أحد ثلاثة ايام ، فاذا وقع مثل هذا الكذب في الرواية فكيف لا يحنث الحالف ، ونحوه في ظهور الكذب ما رواه البخاري ايضاً في باب هجرة النبي (ص) : « ان النبي (ص) أقبل الى المدينة وهو مردف أبا بكر وابو بكر شيخ يعرف ونبي الله شاب لا يعرف » الحديث ، فان النبي (ص) كان اكبر سناً وشأناً وبيتاً وأثراً وشهرةً بدعوته التي تستدعي القصد اليه ورؤيته ومعرفته ، فكيف كان النبي (ص) شاباً لا يعرف وابو بكر شيخاً يعرف ؟ ونحوهما كثير .

وإذا أردت أن تعرف حقيقة صحاحهم فعليك بمراجعة مقدمة الكتاب ، وكفاك أن عمدة أحاديثها تنتهي الى عائشة وابن عمر وأبي هريرة ، وهم ليسوا محل الاعتماد فضلا عن السند الذي ينتهي اليهم ، أما (عائشة) فلما سبق من بغضها لأمير المؤمنين ، وماسيأتي

في المآخذ من صدور الكبائر منها ، على انها قـد روت كثيراً من النقص للنبي (ص) الذي يعلم الانسان بكذبه ونسبت اليه جهله بنبوته في اول البعثة حتى عرفتـه خديجة وورقة نبوته ، وهو مخالف لضرورة الدين كما مرّ بيانه في مباحث النبوة .

وأما (ابن عمر) فيما حاله من عدة وقايع « منها » ما نقله الفضل عنه من تفضيل الصحابة لأبي بكر ثم عمر ثم عثمان على وجه كان مفروغاً عنه عندهم وانهم يتركون بعد الثلاثة سائر الصحابة بلا تفضيل بينهم . فيكون علي من سائر المسلمين لا يرون له فضلا على غيره ، وقد تعقبه صاحب الاستيعاب بترجمة امير المؤ منين عليه السلام فانه بعـد ما روى حديث ابن عمر المذكور ، قال : « وهو الذي أنكر ابن معين وتكلم فيه بكلام غليظ ، لأن القائل بذلك قد قال بخلاف ما اجتمع عليه أهل السنة من السلف والخلف من أهل الفقه والأثر أن علياً أفضل الناس بعد عثمان ، وهذا مما لم يختلفوا فيه وإنما اختلفوا في تفضيل علي وعثمان ، واختلف السلف ايضاً في تفضيل علي وابي بكر ، وفي اجمـاع الجميع الذي وصفناه دليل على أن حديث ابن عمر وهم وغلط وانه لا يصح معناه » .

« ومنها » ما كذبته فيه عائشة في اعتمار النبي (ص) في رجب ، روى مسلم في باب عدد عمر النبي (ص) وزمانهن من كتاب الحج عن عروة بن الزبير ، قال : كنت أنا وابن عمر مستندين الى حجرة عائشة وانا لنسمع ضربها بالسواك تستن ، قال : فقلت : يا أبا عبد الرحمن اعتمر النبي في رجب ؟ قال : نعم ! فقلت لعائشة : يا امتاه ألا تسمعين مايقول ابوعبدالرحمن ؟ قالت : وما يقول ؟ قلت : يقول اعتمر النبي في رجب ، فقالت لعمري ما اعتمر في رجب وما اعتمر من عمرة إلا وأنه لمعه ، قال : وابن عمر يسمع ، فما قال : لا ولا نعم ، سكت ! وأخرج مسلم ايضاً نحوه عن مجاهـد ، قال : دخلت أنا وعروة المسجد فاذا عبد الله بن عمر جالس الى حجرة عائشة والناس يصلون الضحى في المسجد فسألناه عن صلاتهم فقال : بدعة ، فقال له عروة : كم اعتمر رسول الله (ص) ؟ فقال : اربع عمر إحداهن في رجب ، ثم ذكر نحو الحديث السابق . وروى البخاري مثله في باب كم اعتمر النبي (ص) من كتاب الحج ، وكذا احمد في مسنده في مقامات عديدة (١) .

(١) منها ص ١٢٩ ج ٢ و ١٥٧ ج ٦ .

« ومنها » ما كذبته فيه ايضاً عائشة وهو عـدد عمر النبي (ص) ، اخرج احمد في مسنده (١) عن مجاهد عن ابن عمر ، قال : سئل كم اعتمر رسول الله (ص) ؟ قال : مرتين ، فقالت عائشة : لقد علم ابن عمر أن رسول الله (ص) قد اعتمر ثلاثة سوى العمرة التي قرنها بحجة الوداع ، وروى نحوه في مقام آخر (٢) غير أن ابن عمر قال فيه: اعتمر رسول الله مرتين قبل أن يحج . « ومنها » ما كذبته هي ايضاً فيه ، وهو روايته عن النبي (ص) أن الميت يعذب ببكاء أهله ، روى البخاري ومسلم في كتاب الجنائز ما ملخصه ان ابنة لعثمان ماتت وحضرها ابن عباس وابن عمر فقال ابن عمر لعمرو بن عثمان : ألا تنهى عن البكاء فان النبي قال : إن الميت يعذب ببكاء أهله عليه ، فقال ابن عباس: قد كان عمر يقول بعض ذلك ، وذكر ذلك لعائشة فقالت : والله ما حدث رسول الله ان الله يعذب المؤمن ببكاء أهله عليه ، فوالله ما قال ابن عمر شيئاً ، وروى مسلم نحوه كثيراً وكذا احمد (٣) . « ومنها » ما كذبته هي ايضاً فيه ، وهو ما رواه من كلام النبي لما وقف على قليب بدر ، أخرج مسلم في كتاب الجنائز في باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه عن عروة قال : ذكر عند عائشة أن ابن عمر يرفع الى النبي ان الميت يعذب ببكاء أهله عليه ، فقالت : إنما قال رسول الله : يعذب بخطيئته أو بذنبه وإن أهله ليبكون عليه ، وذلك مثل قوله أن رسول الله قام على القليب يوم بدر وفيه قتلى بدر من المشركين فقـال لهم ما قال انهم ليسمعون ما أقول ، إنما قال : انهم ليعلمون أن ما كنت أقول حق . وروى احمد ما تضمنه عجز الحديث (٤) . « ومنها » ما كذبته هي ايضاً فيـه ، وهو عدد ايام الشهر ، اخرج احمد (٥) عن ابن عمر عن النبي قال : الشهر تسع وعشرون فذكروا ذلك لعائشة ، فقالت : إنما قال : الشهر يكون تسعاً وعشرين . « ومنها » ما كذبه فيه معوية روى البخاري في أول كتاب الأحكام في باب الامراء من قريش عن الزهري عن جبير بن مطعم انه بلغ معوية أن عبدالله بن عمر يحدث انه سيكون ملك من قحطان ، فغضب ، فقام فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال : أما بعد فانه بلغني أن رجالا

---

(١) ص ٧٠ ج ٢ . (٢) ص ١٣٩ ج ٢ . (٣) ص ٣١ و ٣٨ ج ٢ وص ٥٧ و ٢٠٩ ج ٦ . (٤) ص ٣١ و ٣٨ ج ٢ . (٥) ص ٥١ ج ٦ .

منكم يحدثون أحاديث ليست في كتاب الله ولا تؤثر عن رسول الله واولئك جهالكم فايا كم والأماني التي تضل أهلها فاني سمعت رسول الله (ص) يقول : ان هـذا الأمر في قريش لا يعاديهم أحد إلا كبه الله على وجهه ما أقاموا الدين . « ومنها » ما كذبه فيه بعض أهله روى البخاري في باب ما جاء في البنـاء آخر كتاب الاستئذان عن سفيان قال ابن عمر : « والله ما وضعت لبنة على لبنة ولا غرست نخلة منذ قبض النبي » . قال سفيان : « فذكرته لبعض أهله قال : والله لقد بنى » . لـكن سفيان حمله على الصحة فقال : « لعله قال قبل أن يبني » (أقول) أهله أعرف به ولولم يعرفه هذا البعض منهم بالـكذب لما تسرع لتكذيبه ، ولو سلم فلا تتجه بقية الروايات إذ لا وجه لها إلا الحمل على الخطأ وهو ممتنع عادة في كثير منها ، ولو سلم فمن اخطأ في هذه الامور المحسوسة الظاهرة لا يمكن الحلف على صدق ما يرويه ، وبالجملة الـكذب عمداً أو خطأ فيما اختلف فيه ابن عمر وغيره لابد أن يكون صادراً من أحدهما فيمتنع معه صحة الحلف المذكور.

وقد وقع لأنس من ابن عمر مثـل ما وقع لابن عمر من عائشة ، اخرج احمد (١) عن بكر قال : قلت لابن عمر ان انساً حدثه أن رسول الله لبى بالعمرة ، فقال ابن عمر : هل خرجنا مع رسول الله إلا حجاجاً فلما قدمنا أمرنا أن نجعلها عمرة إلا من كان معه هدي ، قال : فحدثت انساً بذلك فغضب وقال : لا تعدونا إلا صبياناً .

ثم ان « ابن عمر » قد صدرت منه الـكبائر فلا يعتمد بروايته . « منها » انه ترك صلاة الجمعة ، روى البخاري فى اوائل كتاب المغازي عن نافع ان ابن عمر ذكر له أن سعيد بن زيد مرض فى يوم جمعة فركب اليه بعـد أن تعالى النهار واقتربت الجمعة وترك الجمعة . « ومنها » وهو أعظمها تخلفه عن بيعة اميرالمؤمنين (ع) ، وقد بايعه أهل الحل والعقد ، وعندهم ان الخلافة تنعقد بهم بل ببيعة الواحد والاثنين كما سبق ، مع انه قد روى مسلم فى باب الأمر بلزوم الجماعة من كتاب الامارة عن نافع قال : « جاء عبد الله ابن عمر الى عبد الله بن مطيع حين كان من أمر الحرة ما كان زمن يزيد ، فقال : اطرحوا لأبي عبدالرحمن وسادة ، فقال : اني لم آتك لأجلس ، أتيتك لا حدثك حديثاً

---

(١) ص ٧٩ ج ٢ ونحوه ص ٥٣ .

سمعت رسول الله يقول : من خلع يداً من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له ؛ ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية » . وروى احمد نحوه من طرق (١) فياعجباً من ابن عمر يروي هذا ويرى أن من ليس في عنقه بيعة ليزيد المارد يموت ميتة جاهلية ويترك بيعة أخي النبي (ص) ونفسه عامداً مصراً على الترك اكثر من اربع سنين ! فهل تراه كاذباً في حديثه أو صادقاً فيه غير مبال بالميتة الجاهلية بغضاً لولي المؤمنين ومولاهم وهضماً لحقه والبغض له أعظم الفسق ودليل النفاق ، فكيف يكون مع هذا مقبول الرواية محل الاطمئنان برواياته ، فتدبر واعتبر .

وأما « ابو هريرة » فهو أولى بعدم الاعتماد عليه لكثرة خرافاته التي لا يقبلها عقل عاقل وظهور كذبه في كثير مما رواه واتهام الصحابة والتابعين بل تكذيبهم له أفراداً ونوعاً .

أما خرافاته وكذباته فلا يمكن احصاؤها ولكنا نذكر منها اليسير « فمنها » اخباره السابقة في مبحث النبوة التي وصم بها جلال الله سبحانه وشرف انبيائه المعصومين « ومنها » ما سنذكره من سبب حفظه العلم . « ومنها » ما رواه البخاري عنه (٢) : « قال سمعت رسول الله (ص) يقول : لن يدخل أحداً عمله الجنة ، قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : ولا أنا » الحديث . فانه مخالف لقوله تعالى : « ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون » . وقوله سبحانه : « لكل درجات مما عملوا وليوفيهم اعمالهم وهم لا يظلمون » . الى كثير من الآيات الكريمة والسنة المستفيضة ، ولكن ابا هريرة ينسج على منوال القصاصين ويمسخ معالم الله سبحانه بما يقتضيه عقله وتحكم به مخيلته ، فيلقي على أسماع القوم هذه السخافات والكذب الظاهر فيقبلونها من دون التفات لاعتمادهم على كل صحابي وانظهرت منه الكبائر بأنواعها وجاز في حديثه حد العقل . « ومنها » ما اخرجه البخاري (٣) عنه عن النبي (ص) : « قال : رأى عيسى بن مريم رجلا يسرق فقال له : أسرقت ؟ قال : كلا والذي لا إله إلا هو ، فقال عيسى : آمنت بالله وكذبت

---

(١) منها ص٨٣ و٩٧ ج ٢ . (٢) في باب تمني المريض الموت من كتاب المرضى .
(٣) في باب واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من اهلها من كتاب بدء الخلق .

عيني » ، فان الايمان بالله لاينافي صدق عينه وأي عقل يقتضي تكذيب العين ووجدانها وتصديق الحالف بالله كذباً المستحق للعقاب من جهة السرقة والحلف بالله كذباً ، ولكن وساوس ابي هريرة وخيالياته لم تقنع إلا بالكذب على نبي في نسبة نبي آخر الى الحمق والجهل .

«ومنها» ما اخرجه البخاري (١) ومسلم (٢) واحمد (٣) عنه قال : « كانت امرأتان معها ابناهما جاء الذئب فذهب بابن احداهما فقالت صاحبتها : انما ذهب بابنك ، وقالت الاخرى : انما ذهب بابنك ، فتحاكمتا الى داود ، فقضى به للكبرى ، فخرجتا على سليمان ابن داود فأخبرناه فقال ائتوني بالسكين أشقه بينهما ، فقالت الصغرى : لا تفعل يرحمك الله هو ابنها فقضى به للصغرى . قال ابوهريرة : والله ان سمعت بالسكين إلا يومئذ وما كنا نقول إلا المدية » . فان داود (ع) إن حكم بلا دليل فقد حكم بغير الحق الذي أمده الله تعالى به وهو منزه عن ذلك ، وان كان بدليل فكيف نقض سليمان حكم الله بمجرد اشفاق الاخرى ، فالحديث طعن من أبي هريرة بأحد النبيين الأكرمين ، ومن المضحك قوله : « والله ان سمعت بالسكين إلا يومئذ » . فان لفظ السكين كثير الدوران في كلام العرب ولا يجهله أحد منهم ، وقد نطق به الكتاب العزيز فقال تعالى من سورة يوسف: « وآتت كل واحدة منهن سكيناً » وهي مكية نزلت قبل اسلام أبي هريرة بعدة سنين لأنه أسلم سنة سبع للهجرة ، فما باله لم يسمع هذه الآية التي عم علمها المسلمين لقدمها ، ولم لم يعلمها وقد زعم انه حفظ عن رسول الله (ص) وعاءين بث احدهما ولو بث الآخر لقطع منه البلعوم كما رواه البخاري عنه (٤) ، وليت شعري ما هذه الأسرار الغريبة التي خص النبي (ص) بها ابا هريرة واخفاها عن المسلمين فضاعت عنا فانا لله وإنا اليه راجعون . « ومنها » ما رواه البخاري (٥) عنه قال : « وكلني رسول الله (ص) بحفظ زكاة رمضان ، فأتاني آت فجعل يحثو من الطعام فأخذته وقلت : والله لأرفعنك الى

(١) في باب ووهبنا لداود سليمان الآية من كتاب بدء الخلق . (٢) في باب بيان اختلاف المجتهدين من كتاب الأقضية . (٣) ص ٣٢٢ ج ٢ من المسند .
(٤) في باب حفظ العلم من كتاب العلم . (٥) في أوائل كتاب الوكالة .

رسول الله (ص) ، قال : إني محتاج وعليَّ عيال ولي حاجة شديدة ، فخليت عنه ، فأصبحت فقال النبي (ص) : يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة ؟ قلت : يا رسول الله شكا حاجة شديدة ، فرحمته فخليت سبيله ، قال : انه قد كذبك وسيعود ، فعرفت انه سيعود لقول رسول الله (ص) انه سيعود فرصدته فجاء يحثو من الطعام فأخذته ، فقلت : لأرفعنك الى رسول الله (ص) ، قال : دعني فاني محتاج وعلي عيال لا أعود ، فرحمته فخليت سبيله فأصبحت ، فقال لي رسول الله (ص) : يا ابا هريرة ما فعل أسيرك البارحة ، قلت : يا رسول الله شكا حاجة شديدة وعيالا فرحمته فخليت سبيله ، قال : أما انه قد كذبك وسيعود ، فرصدته الثالثة فجاء يحثو من الطعام فأخذته ، فقلت : لأرفعنك الى رسول الله وهذا آخر ثلاث مرات ، انك تزعم لا تعود ثم تعود ، قال : دعني اعلمك كلمات ينفعك الله بها ، قلت : ما هو ؟ قال : إذا آويت الى فراشك فاقرأ آية الكرسي الله لا إله إلا هو الحي القيوم حتى تختم الآية ، فانك لا يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح ، فخليت سبيله فأصبحت فقال لي رسول الله : ما فعل أسيرك البارحة ؟ قلت يا رسول الله زعم انه يعلمني كلمات ينفعني الله بها فخليت سبيله » الى أن قال : « تعلم من تخاطب منذ ثلاث ليال يا ابا هريرة ؟ قلت : لا ، قال : ذاك شيطان » . فليت شعري أي حاجة للشيطان في هذه السرقة الخاصة ، ولم لم يسرق من حيث لا يراه ابو هريرة ، وكيف قدر أبو هريرة أن يأسره وهو جسم شفاف ، وكيف ساغ لأبي هريرة أن يرحمه وهو أمين في الحفظ ، وكيف لم يصدق رسول الله (ص) في قوله : قد كذبك وصدق السارق في الدعوى التي كذبه النبي فيها ، ولاسيما بعد التكرار ، وكيف صدق النبي (ص) في قوله : سيعود ولم يصدقه في قوله كذبك ، وكل منهما خبر للنبي (ص) في كلام واحد ، وهل محل لرحمته لو صدّق النبي (ص) في تكذيبه ، وكيف جاز لأبي هريرة أن يحنث في يمينه ثلاث مرات بعد ما حلف ثلاثاً أن يرفعه الى النبي (ص) . بل كيف صح للنبي (ص) مع علمه بأنه شيطان ان يسكت بعد المرة الأولى ولا ينهى ابا هريرة عن مسامحته بعدها والمال للفقراء وهو (ص) أمينهم في الجمع والحفظ ، فهل يشك عاقل بعد هذه الامور في ان ذلك من كذبات ابي هريرة وسخافاته . « ومنها » مارواه

الحاكم عنه (١) وصححه « قال خلق الله آدم فمسح على ظهره فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها الى يوم القيامة أمثال الذر ، ثم جعل بين عيني كل انسان منهم وبيصاً (أي بريقاً من نور) ، ثم عرضهم على آدم ، فقال آدم : من هؤلاء يا رب ؟ قال : ذريتك ، فرأى آدم رجلا منهم أعجبه وبيص ما بين عينيه فقال : يا رب من هذا ؟ قال : هذا ابنك داود ، قال آدم : كم جعلت له من العمر ؟ قال : ستين سنة : قال : يا رب زده من عمري اربعين سنة حتى يكون عمره مائة سنة ، فقال الله عزوجل : إذن يكتب ويختم فلا يبدل ، فلما انقضى عمر آدم جاء ملك الموت لقبض روحه قال آدم : أو لم يبق من عمري اربعون سنة ؟ قال له ملك الموت : أو لم تجعلها لابنك داود ، فجحد فجحدت ذريته » الحديث . فانظر الى هذه القصة الخيالية واعتبر في آخرها كيف نسب ابو هريرة نبي الله الى الكذب وجحود ما فعل وكتب عليه وختم كراهة للموت الذي بعده الكرامة التي رآها قبل الهبوط الى الدنيا الدنية وبكى شوقاً اليها . ولو فرض نسيان آدم فما معنى جحوده وقد ذكره ملك الموت وهو الصادق الأمين ، ولكن أبا هريرة لا يبالي بنقص الأنبياء حتى جعل جحود آدم عليه السلام سبباً لجحود ذريته الباطل ؛ وليت شعري لم دخل في خيال ابي هريرة أن وبيص ما بين عيني داود اعجب الى آدم من وبيص ما بين عيون الأنبياء حتى سيدهم محمد (ص) وأحدهم يوسف ومن زاده الله بسطة في العلم والجسم .

« ومنها » مارواه البخاري (٢) عنه عن النبي (ص) قال : « بينا أيوب يغتسل عرياناً فخر عليه جراد من ذهب فجعل ايوب يحتثي في ثوبه فناداه ربه يا أيوب ألم أكن اغنيتك عما ترى ؟ قال : بلى وعزتك ، ولكن لا غنى بي عن بركتك » . فان جمعه للمال ان كان رغبة في الدنيا فالأنبياء أجل قدراً من ذلك ، وإن كان للآخرة ولو باظهار الحاجة الى كرمه تعالى وتلقى النعمة باعظامها فما وجه عتاب الله تعالى له ؛ واحتمال ان العتاب للاختبار ، ليس في محله لأنه ان اريد الاختبار حقيقة فالله عالم بما في نفسه من دون اختبار وان اريد كشف ما في نفسه للناس اظهاراً لفضله فهو قد اغتسل وحده عرياناً ؛ وقصص ابي هريرة الخرافية لا تنتهي حتى ينتهى عنها .

(١) ص٣٢٥ ج٢ من المستدرك . (٢) في باب من اغتسل عرياناً وحده من كتاب الغسل .

وأما تكذيب الصحابة والتابعين له عموماً أو خصوصاً ، فالاخبار به مستفيضة ، وقد كان امير المؤمنين (ع) بالخصوص وعمر وابنه وعائشة وأفراد أُخر من الصحابة يكذبونه أو يتهمونه بالكذب ، نقل ابن ابي الحديد (١) عن ابي جعفر الاسكافي وابن قتيبة في كتاب المعارف : « ان امير المؤمنين (ع) قال : ألا ان اكذب الناس أو قال: اكذب الأحياء على رسول الله (ص) ابو هريرة الدوسي ، وأن عمر بن الخطاب ضرب ابا هريرة بالدرة وقال : قد اكثرت من الرواية وأحر بك أن تكون كاذباً على رسول الله (ص) » . وحكى في كنز العمال (٢) عن ابن عساكر : « ان عمر قال له : لتتركنّ الحديث عن رسول الله (ص) أو لألحقنك بأرض دوس أو بأرض القردة » . وروى مسلم (٣) عن ابن عمر : « ان النبي (ص) أمر بقتل الكلاب إلا كلب الصيد أو كلب غنم أوماشية، فقيل لابن عمر : أن ابا هريرة يقول : أو كلب زرع ، فقال ابن عمر : إن لأبي هريرة زرعاً ! » . ثم روى مسلم عن الزهري عن ابي سلمة عن ابي هريرة قال : قال رسول الله (ص) : « من اتخذ كلباً إلا كلب ماشية أو صيد أو زرع نقص من أجره قيراط » . قال الزهري : فذكر لابن عمر قول ابى هريرة ، فقال : يرحم الله ابا هريرة كان صاحب زرع ! وروى ايضاً عن سالم عن أبيه عن رسول الله (ص) قال : « من اقتنى كلباً إلا كلب ضار أو ماشية نقص من عمله كل يوم قيراطان » . قال سالم : « وكان ابو هريرة يقول: أو كلب حرث وكان صاحب حرث » . وروى احمد (٤) : عن ابن عمر عن النبي (ص) انه قال: « من اتخذ كلباً ليس بضار ولا كلب ماشية نقص من أجره كل يوم قيراطان » . فقيل له : ان ابا هريرة يقول : وكلب حرث ، فقال : أنى لأبي هريرة حرث . وروى احمد ايضاً (٥) عن عبد الرحمن بن عتاب ما حاصله أن ابا هريرة أفتى بشيء فأرسل مروان الى ام سلمة وعائشة فذكرتا عن رسول الله (ص) خلافه ، فقيل لأبي هريرة في ذلك فقال : كذا كنت احسب ، وكذا كنت أظن ، فقال له مروان : بأظن واحسب تفتي الناس ! وروى احمد ايضاً (٦) عن ابي حسان الأعرج : « ان رجلين دخلا على عائشة فقالا :

---

(١) ص ٣٦٠ ج ١ . (٢) ص ٢٣٩ ج ٥ . (٣) في باب الأمر بقتل الكلاب من كتاب البيوع . (٤) ص ٤ ج ٢ . (٥) ص ١٨٤ ج ٦ . (٦) ص ٢٤٦ ج ٦.

ان ابا هريرة يحدث ان نبي الله كان يقول : إنما الطيرة في المرأة والدابة والدار ، قال : فطارت شقة منها في السماء وشقة في الأرض ، فقالت : والذي انزل القرآن على أبي القاسم (ص) ما هكذا كان يقول ، ولكن نبي الله كان يقول : كان أهل الجاهلية يقولون : الطيرة في المرأة والدار والدابة » . وروى مسلم (١) ان ابا هريرة يقول : سمعت رسول الله (ص) يقول : من تبع جنازة فله قيراط من الأجر ، فقال ابن عمر : اكثر علينا ابو هريرة ، ثم ذكر في ذيل الحديث ان ابن عمر ارسل الى عائشة يسألها فصدقت ابا هريرة ، لكنه لا يخرج ابا هريرة عن كونه متهماً بالكذب .

وروى مسلم ايضاً (٢) عن ابن شهاب : « أن ابا سلمة بن عبد الرحمن حدثه أن رسول الله (ص) قال : لا عدوى ، ويحدث أن رسول الله (ص) قال : لا يورد ممرض على مصح ، قال ابو سلمة : كان ابو هريرة يحدثهما كلتيهما عن رسول الله (ص) ، ثم صمت بعد ذلك ابو هريرة عن قوله لا عدوى ، وأقام على أن لا يورد ممرض على مصح ، قال : فقال الحارث : قد كنت اسمعك يا أبا هريرة تحدثنا مع هذا الحديث حديثاً آخر قد سكتّ عنه ، كنت تقول قال رسول الله : لا عدوى ، فأبى ابو هريرة أن يعرف ذلك فاراه الحارث في ذلك حتى غضب ابو هريرة فرطن بالحبشية فقال للحارث : أتدري ماذا قلت ؟ قال : لا ، قال ابو هريرة : قلت : أبيت ، قال ابو سلمة : ولعمري لقد كان ابو هريرة يحدثنا أن رسول الله (ص) قال : لا عدوى ، فلا أدري أنسي ابو هريرة أم نسخ أحد القولين الآخر » . أقول : كلا العذرين باطل أما النسخ فلأنه إنما يدخل الأحكام مع أن النسخ لو دعا ابا هريرة الى الترك لاعتذر به عند الحارث ، أو لم يروهما أولا ، وأما النسيان فيبطله عندهم مارواه البخاري (٣) عن ابي هريرة : « قال يارسول الله إني أسمع منك حديثاً كثيراً أنساه ، قال : ابسط رداءك ، فبسطته ، قال : فغرف بيديه ثم قال : ضمه ، فضممته ، فما نسيت شيئاً بعده » . و (أقول) : هذا ايضاً من حديث

(١) في باب فضل الصلاة على الجنائز من كتاب الجنائز . (٢) في باب لا عدوى ولا طيرة من كتاب السلام . (٣) في باب حفظ العلم من كتاب العلم وفي موارد كثيرة باختلاف فيه .

خرافة فان النبي (ص) لو كان مريداً له الحفظ كفاه أن يدعو له به كما فعل مع اميرالمؤمنين لما بعثه قاضياً الى اليمن ، ولما نزل قوله : « وتعيها اذن واعية » ، فلم يحتج الى هذا الفضول من البسط والاغتراف من الهواء والضم اللواتي لا تشبه أفعال العقلاء بل المشعبذين والخرافيين ، فكيف ينسب الى نبي الهدى .

وأما تكذيب الصحابة والتابعين له عموماً أو اتهامهم له ، فيدل عليه ما أقرَّ به هو بنفسه فيما رواه مسلم(١) عن ابي رزين قال : « خرج الينا ابوهريرة فضرب بيده على جبهته فقال : انكم تحدثون اني اكذب على رسول الله (ص) لتهتدوا وأضل » الحديث . وما رواه البخاري (٢) عن ابي هريرة قال : « يقولون إن اباهريرة يكثر الحديث ، والله الموعد ، ويقولون ما للمهاجرين والأنصار لا يحدثون مثل أحاديثه ، وإن اخوتي من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق ، وان اخوتي من الأنصار كان يشغلهم عمل اموالهم وكنت امرأ مسكيناً ألزم رسول الله على ملء بطني فأحضر حين يغيبون وأعي حين ينسون » الحديث فهذا الحديث صريح باتهامهم له ، كما أن الحديث الذي قبله صريح في تكذيبهم له ، فالعجب من السنة كيف يعتبرون حديثه ، وهم يطعنون في الراوي باتهام بعض علمائهم له فضلاً عن التكذيب له ، فكيف وقد اتهمه الصحابة والتابعون وكذبوه عموماً وخصوصاً ، مع أن السنة رأوه في هذا الحديث قد كذب كذباً ظاهراً ، إذ نسب الى جميع المهاجرين الصفق بالأسواق ، والى عامة الأنصار العمل بأموالهم أي بساتينهم ، والحال ان الذين كانوا كذلك إنما هم القليل ، ونسب الى نفسه ملازمة النبي (ص) لأن يملأ بطنه ، وهذا أمر لو تم زاد عليه فيه أنس وشاركه فيه جماعة من اهل الصفة ، وما أدري كيف زاد حضوره على سائر المهاجرين والأنصار ، والحال ان أيام اسلامه ثلاث سنين قبل وفاة النبي (ص) وهم حضروا عند النبي (ص) من مبدأ الهجرة وبعضهم قبلها ، ولو سلم فليس هذا جواباً عن اشكال عدم تحديث المهاجرين والانصار مثل حديثه في الغرابة ، فان زيادة حضوره عند النبي (ص) لا تقتضي أن يختص بالغرائب دون

(١) في باب إذا انتعل فليبدأ باليمين من كتاب اللباس والزينة . (٢) في آخر ابواب المزارعة وباب حفظ العلم وغيره باختلاف .

بطانة النبي (ص) وأهله واكابر الصحابة ، وليت شعري كيف يرتضون عذره هذا وهم يزعمون ان النبي (ص) لا يصنع شيئاً إلا بمشاورة ابى بكر وان ابا بكر لا يفارق النبي (ص) ليلاً ولا نهاراً طول أيام اسلامه بل قبل البعثة وهو لم يرو إلا أقل القليل بالنسبة الى روايات ابي هريرة فهل يرون أن ابا هريرة أوعى منه للعلم وأحفظ ، وكذا الحال في عظماء الصحابة ، ولاسيما أميرالمؤمنين عديل القرآن وصاحب الاذن الواعية الذي لم يفارق النبي (ص) من طفوليته الى ساعة وفاته وهو لم تكن له من الرواية عندهم إلا القليل بالنسبة الى ما رواه ابو هريرة .

ثم ان عدم الاعتداد بأبي هريرة لا يختص بالصحابة والتابعين بل يعم غيرهم ، فقد حكى ابن ابي الحديد (١) عن ابي جعفر وابن قتيبة : « ان ابا يوسف ذكر عن ابي حنيفة انه قال : الصحابة كلهم عدول ما عدا رجالا ثم عدَّ منهم ابا هريرة وانس بن مالك ، وان ابا اسامة روى عن الأعمش قال : كان ابراهيم صحيح الحديث فكنت إذا سمعت الحديث أتيته فعرضته عليه فأتيته يوماً بأحاديث عن ابي هريرة فقال : دعني من ابي هريرة انهم يتركون كثيراً من حديثه » ، ويؤيد ما عن ابي حنيفة ما نقله السيد السعيد (ره) عن فخر الدين الرازي في مسألة النظرية من رسالته المعمولة لتفضيل مذهب الشافعي ، ان الحنفية طعنوا في ابي هريرة وقالوا انه كان متساهلاً في الرواية .

هذا ولو أعرضنا عن طعن من سبق ذكرهم ، فلا ريب أن ابا هريرة كان من أعداء أمير المؤمنين « ع » وأنصار محاربيه ومن مبغضيه ، وقد عرفت ان بغضه علامة النفاق والنفاق اكبر الفسق المانع من قبول الرواية ، وما زال ابو هريرة من المجاهرين بعداوة إمام الهدى وخذلانه ونصرة اعدائه ، حتى انه كان يضع الحديث على رسول الله في نقصه . نقل ابن ابي الحديد (٢) عن ابي جعفر الاسكافي : « أن معوية وضع قوماً من الصحابة وقوماً من التابعين على رواية اخبار قبيحة في علي تقتضي الطعن فيه والبراءة منه ، منهم ابوهريرة وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة ومن التابعين عروة بن الزبير » . ثم ذكر ما اختلقوه وذكر عن ابي هريرة ما استحق به عند معوية ان يوليه امارة المدينة

(١) ص ٣٦٠ ج ١ . (٢) ص ٣٥٨ ج ١ .

ثم نقل عن ابي جعفر وابن قتيبة : ان سفيان الثوري روى عن عبدالرحمن بن القاسم عن عمر بن عبد الغفار ان ابا هريرة لما قدم الكوفة مع معوية كان يجلس بالعشيات بباب كندة ويجلس الناس اليه ، فجاء شاب من الكوفة فجلس اليه فقال : يا ابا هريرة أنشدك الله أسمعت من رسول الله (ص) يقول لعلي بن أبي طالب (ع) : اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ؟ فقال : اللهم نعم ، قال : فأشهد بالله لقد واليت عدوه وعاديت وليه ثم قام عنه » .

هذا كله مضافاً الى شهادة النبي (ص) بأن ابا هريرة من أهل النار ، روى صاحبا الاصابة والاستيعاب وغيرهما في ترجمة فرات : « أن اباهريرة والرحال بن عنفدة والفرات ابن حبان خرجوا من مجلس النبي (ص) فقال مشيراً اليهم : لضرس أحدكم في النار أعظم من احد وان معه لقفا غادر ، فكان ابو هريرة والفرات يقولان بعدها : ما امنا بعد هذا حتى ارتد الرحال وقتل مع مسيلمة » . (أقول) : مرادهما تأويل الحديث بحمل لفظ أحدكم على الواحد لا الجميع وهو خلاف الظاهر والاستعمال المستفيض ، قال تعالى : «أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل واعناب » ، « كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيراً الوصية » ، «شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت »،«حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا » ، « يود أحدهم لو يعمر الف سنة » . « وإذا بشر أحدهم بالانثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم » ، الى غير ذلك مما لا يحصى من الآيات وغيرها ، مضافاً الى أن النبي لا يمكن أن يسقط شأن جماعة من امته بالاجمال وهو يريد واحداً خاصاً .

ولولا خوف الملال لزدنا في بيان أحوال هذا الرجل ، وفيما ذكرناه تبصرة ومعتبر، فاذا كان هذا حال ابي هريرة وهو اكثر رواتهم رواية فكيف يحلف المنصف على صدور جميع ما في صحاحهم .

وأما ما ذكره الفضل من اتصال نسب ابي بكر برسول الله (ص) في الأب الثامن فغير نافع ما لم تحصل التقوى وطاعة المولى ، وقد كان ابو لهب أقرب منه نسباً على أن أبناء تيم من أرذل بيت في قريش فلا يفيدهم شرف الأصل وكل الناس من آدم ونوح .

وأما قوله : « كان ابو بكر قبل البعثة من أكابر قريش وأشرافها وصناديدها » الى آخره ، فيكذبه ما رواه الجاحظ مفاخراً به كما في شرح النهج (١) من « أن ابا بكر كان من المعذبين بمكة قبل الهجرة ، وان نوفل بن خويلد المعروف بابن العدوية ضربه مرتين حتى أدماه وشده مع طلحة بن عبيد الله في قرن ، وجعلها في الهاجرة عمير بن عثمان ، ولذلك كانا يدعيان القرينين » ، فان مثل ذلك لم يفعلوه إلا بأذلائهم وعبيدهم لا بأشرافهم وصناديدهم .

وأما قوله : « كان صاحب اموال كثيرة حتى اتفق جميع أرباب التواريخ انه لم يبلغ مال قريش مبلغ مال أبي بكر » ، فلا أدري من هؤلاء أرباب التواريخ فاني لم أجد أحداً ذكره ، وغاية ما ادعاه الجاحظ في مقام المفاخرة كما ذكره ابن ابي الحديد في الشرح (٢) ان ماله كان اربعين الف درهم وهذا لا يعد مالاً في قريش لوسلمنا أن ابا بكر يملكه .

وأما قوله : « كان يعين رسول الله بماله وأسبابه » : فكغيره من دعاواه الكاذبة إذ كيف يصح ورسول الله (ص) لم يرض أن يأخذ من ابي بكر بعيراً إلا بالثمن عند الهجرة في تلك الحال الشديدة . كما رواه البخاري (٣) واحمد (٤) عن عائشة ، وذكره ابن الأثير في الكامل (٥) والطبري في تاريخه (٦) ، وكيف يمكن أن يدعي لأبي بكر بذل المال وقد اشفق أن يقدم بين يدي نجواه صدقة يسيرة وترك أهل الحاوائج بلا شيء يوم الهجرة وأخذ ماله معه وكان خمسة آلاف أو ستة آلاف درهم ، كما رواه احمد عن اسماء بنت أبي بكر (٧) ورواه الحاكم وصححه على شرط مسلم (٨) ، وايضاً قد تزوجت ابنته اسماء الزبير وهو فقير لا يملك سوى فرسه ؛ فكانت تخدم البيت وتسوس الفرس وتدق النوى لناضحه وتعلفه وتستقي الماء ؛ وكانت تنقل النوى على رأسها من ارض الزبير التي اقطعها اياه رسول الله (ص) وهي على ثلثي فرسخ من منزلها ، كما رواه البخاري (٩)

(١) ص ٢٦٧ ج ٣ . (٢) ص ٢٧٤ ج ٣ . (٣) في باب هجرة النبي (ص) الى المدينة من أواخر أبواب الجزء الثاني من صحيحه . (٤) ص ٢٤٥ ج ٥ .
(٥) ص ٤٩ ج ٢ . (٦) ص ٢٤٥ وص ٢٤٧ ج ٢ . (٧) ص ٣٥٠ ج ٦ .
(٨) ص ٥ ج ٣. (٩) في باب الغيرة من كتاب النكاح .

ومسلم (١) واحمد (٢) ، فلوكان ابو بكر من أهل البذل فأين هو عن ابنته وهي بتلك الحال ؟ نعم ادعت اسماء أن أباها أرسل اليها بعد ذلك خادماً كفتها سياسة الفرس قالت : فكأنما اعتقني .

وأما ما نقله عن رسول الله « ص » انه قال : ما دعوت أحداً الى الاسلام إلا أظهر تردداً ما خلا ابا بكر ، فكذب ظاهر فان علياً وخديجة أظهر منه سلماً وتسليماً ، وكيف يدعي التردد لأبي ذر وأشباهه ممن جاؤا الى النبي (ص) قاصدين الاسلام رغبة فيه ، والحق ان ابا بكر انما أسلم لما سمعه من بحيرا الراهب وغيره في ارتفاع أمر النبي (ص) وبعد صيته وانتشار حكمه وكذلك عمر .

وأما قوله : « فأخذ ابو بكر يدعو الناس الى رسول الله (ص) وآخر ذلك اليوم الذي أسلم أتى بعيون أشراف قبائل قريش » الى آخره ، ففيه نظر قال ابن ابى الحديد (٣) في شرح الخطبة التي مدح أمير المؤمنين « ع » في بعضها النبي (ص) بقوله : « لم يسهم فيه عاهر ولاضرب فيه فاجر » قال : « في الكلام رمز الى جماعة من الصحابة في أنسابهم طعن كما يقال ان آل سعد بن ابى وقاص ليسوا من بني زهرة بن كلاب وانهم من عذرة من قحطان ، وكما قالوا أن آل الزبير بن العوام من أرض مصر من القبط . قال الهيثم بن عدي في كتاب مثالب العرب : أن خويلد بن اسد بن عبد العزى كان أتى مصراً ثم انصرف منه بالعوام فتبناه ، فقال حسان يهجو آل العوام .

بني اسـد ما بال آل خويلد يحنون شوقاً كل يوم الى القبط

الى أن قال : لعمر أبي العوام أن خويلداً غداة تبناه ليوثق في الشرط

« أقول » : ولو سامحنا الفضل في أن هؤلاء من عيون الرجال وأن كل قبائلهم من أشراف القبائل ، فلا نسلم أن اسلامهم بدعوة ابى بكر كما يشهد له ما ذكره علي بن برهان الدين الحلبي في السيرة الحلبية واحمد زيني المشهور بدحلان في السيرة النبوية ، حيث ذكرا أن السبب في اسلام طلحة وعبدالرحمن اخبار الرهبان لهما بنبوة النبي { ص } ، غاية

(١) في كتاب النكاح في باب جواز ارداف المرأة الأجنبية إذا أعيت في الطريق .

(٢) ص ٣٤٧ ج ٦ . (٣) ص ٢٣ ج ٢ .

الأمر انهما اخبرا ابا بكر بقصة الرهبان قبل اسلامهما ، ثم أسلما على يد رسول الله { ص } كما أن اسلام هؤلاء لم يكن في أول يوم ، ولو كان ابو بكر بهذه المنزلة من لطف الدعوة بحيث أسلم بسببه هؤلاء الجماعة في اول اسلامه لظهر له الأثر الكثير الكبير بعد ذلك بحيث تسلم مكة عامتها في أقل من مدة سنة وما رأيناهم نقلوا اسلام أحد بسببه غير هؤلاء الذين سماهم مع عبد الرحمن بن عوف ، وقد كشف عن كذب هذه الدعوى ابو جعفر الاسكافي في رده على رسالة الجاحظ كما حكاه ابن ابي الحديد (١) عنه قال : « ما أعجب هذا القول إذ تدعي العثمانية لأبي بكر الرفق في الدعاء وحسن الاحتجاج وقد أسلم ومعه ابنه عبد الرحمن فما قدر أن يدخله في الاسلام طوعاً برفقه ولطف احتجاجه ولا كرهاً بقطع النفقة عنه وادخال المكروه عليه ولا كان له عند ابنه عبد الرحمن من القدر ما يطيعه فيما يأمره به » الى أن قال : « وكان ابو قحافة فقيراً مدقعاً سيء الحال وابو بكر عندهم مثرياً فائض المال فلم يمكنه استمالته الى الاسلام بالنفقة والاحسان ، وقد كانت امرأة ابي بكر ام عبد الله ابنه لم تسلم وأقامت على شركها بمكة وهاجر ابو بكر وهي كافرة فلما نزل قوله تعالى : { ولا تمسكوا بعصم الكوافر } ، طلقها ابو بكر فمن عجز عن ابنه وأبيه وامرأته فهو عن غيرهم من الغرماء أعجز » ، ثم قال ابو جعفر : « وكيف أسلم سعد والزبير وعبد الرحمن بدعاء ابي بكر وليسوا من رهطه ولا من أترابه ولا من جلسائه ولا كانت بينهم صداقة متقدمة ، وكيف ترك ابو بكر عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة لم يدخلهما في الاسلام برفقه وحسن دعائه وقد زعمتم انهما كانا يجلسان اليه لعلمه وطريف حديثه ، وما باله لم يدخل جبير بن مطعم في الاسلام وقد ذكرتم انه أدبه وخرجه ، ومنه أخذ جبير العلم بأنساب قريش ومآثرها ، فكيف عجز عن هؤلاء الذين عددناهم وهم منه بالحال التي وصفنا ، ودعا من لم يكن بينه وبينه انس ولا معرفة إلا معرفة عيان ، وكيف لم يقبل منه عمر بن الخطاب وقد كان شكله وأقرب الناس شبهاً به في أغلب أخلاقه ، ولأن رجعتم الى الانصاف لتعلمن ان هؤلاء لم يكن اسلامهم إلا بدعاء الرسول وعلى يديه » .

وأما قوله : « ولا يقدم رسول الله { ص } إلا بمشاورته » فان أراد به المشاورة عن

---

(١) ص ٢٧٢ ج ٣ .

حاجة فهو ظاهر البطلان لأن النبي { ص } أعظم قدراً وأجل شأناً من ذلك ، كيف وهو مؤيد بالوحي مسدد بالعصمة ، وان اراد به المشاورة لاعن حاجة فوقوعها في الجملة مسلم كما أمره عز وجل بقوله (وشاورهم في الأمر) ولاريب ان هذه المشاورة المنزهة عن الحاجة انما هي للتأليف كما يدل عليه نفس الآية الكريمة قال تعالى : « فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر فاذا عزمت فتوكل على الله » فان قوله سبحانه : (ولو كنت فظا لانفضوا) دليل على ضعف إيمانهم وانه غير ثابت عن صميم القلب ، فلا بد أن يكون الامر بمشاورتهم للتأليف ، مضافاالى انها نازلة في العصاة المنهزمين في احد ، ومثلهم يحتاج الى التاليف وقد اخذ الفضل قوله (لايقدم الا بمشاورته) مما ورد عندهم من نزول قوله تعالى « وشاورهم في الأمر » بابي بكر وعمر كما سبقت روايته قريبا عن الحاكم والبيهقي والواحدي في جهاد أميرالمؤمنين « ع » من القسم الثاني المتعلق بالفضائل البدنية واما قوله : (كان يبذل ماله في اعانة المسلمين) فيظهر لك مافيه مما ذكرنا ، وقال ابوجعفر ردا على زعم الجاحظ ان مال ابي بكر كان أربعين الف درهم فانفقه في نوائب الاسلام كما في شرح النهج (١) ، قال ابو جعفر : « اخبرونا على اي نوائب الاسلام انفق هذا المال وفي أي حاجة وضعه فانه ليس بجائز ان يخفى ذلك ويدرس حتى يفوت حفظه وينسى ذكره وأنتم لم تقفوا على شيء أكثر من عتقه بزعمكم ست رقاب لايبلغ ثمنها في ذلك العصر مائة درهم » .

واما مارواه من قوله (ص) (ان من أمن الناس علي في صحبته وماله ابو بكر) فهو بالهزل اشبه، لانه ان اريد المنة على رسول الله (ص) بالانفاق عليه فيبطله روايتهم السابقة امتناع النبي (ص) من اخذ البعير منه الا بالثمن ، على ان النبي (ص) غني عنه وعن أمثاله وقد تكفل علياً « ع » في حياة عمه شيخ البطحاء وطما فضله على المسلمين عامة بعد الهجرة ، فكيف يحتاج الى من ابي بكر ، وان اريد المنة عليه بالانفاق في سبيل الله فهو مما لاوجه له بل المنة لله ورسوله عليه ، كما ان أعظم المنة لرسول الله (ص) عليه

(١) ص ٢٧٤ ج ٣ .

بالصحبة لا له (قل لاتمنوا عليّ اسلامكم بل الله يمنّ عليكم ان هداكم للاسلام) وليت شعري لمَ لم يتخذه رسول الله (ص) خليلا أبخلا منه بالخلة على من هو بزعمهم أهل لها؟ ام لمانع منها وهو خلة النبي (ص) لله تعالى كما يظهر من اخبارهم ، ففي حديث البخاري في آخر باب قول النبي سدوا الابواب إلا باب ابي بكر قال فيه : « لو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت أبا بكر خليلا » وهذا ليس بمانع لان خلة المؤمنين مما يزيد في القرب الى الله ، والخلة له ، مع أن وصف الخليل مختص بابراهيم (ع) وليس من أوصاف نبينا المعروفة ، وانما يوصف بانه حبيب الله ؛ ومن المشتبه ماروواه البخاري أيضا لو كنت متخذا خليلا لاتخذته خليلا ولكن اخوة الاسلام أفضل ؛ فان اخوة الاسلام نفس الخلة الاسلامية ؛ فما وجه الاختلاف الحقيقي بينهما والافضلية ؛ ولو كانت الاخوة أفضل من ذات الخلة لكانت اخوة النبي (ص) لأبي بكر أفضل من خلته لله سبحانه .

واما قوله (ثم لما أخذ المشركون في ايذاء المسلمين وتعذيبهم قام ابو بكر باعباء اذية قريش) فهو كسابقه في الكذب والهزل لان من لم يقدر على دفع الأذى عن نفسه حتى أدموه وأوثقوه مع طلحة في حبل واحد كيف يقدر على دفع الاذى عن غيره ، وهل كان اعظم من شيخ البطحاء وأسدي الله ورسوله حمزة وأمير المؤمنين وهم لم يقدروا على دفع الاذى عن المسلمين فكيف قدر عليه ابو بكر وهو من ارذل بيت في قريش كما رويه ، ومن هذا الباب او أكبر دعوى ذبه عن رسول الله (ص) لكن غره مارواه البخاري عن عروة بن الزبير : « قال سألت ابن عمرو بن العاص أخبرني باشد شيء صنعه المشركون بالنبي (ص) قال قال بينا النبي (ص) يصلي في حجر الكعبة إذ أقبل عقبة بن ابي معيط فوضع ثوبه في عنقه فخنقه خنقا شديدا فاقبل ابو بكر حتى أخذ بمنكبه ودفعه عن النبي (ص) قال اتقتلون رجلاً ان يقول ربي الله » وما أدري أأنظر الى متن الحديث ودلالته على ان هذا أشد شيء صنعه المشركون بالنبي (ص) والحال انهم صنعوا معه أشد منه أضعافا كثيرة كحصاره وأهله وقومه بالشعب سنين وتشريده من مكة مراراً ورميه بالحجارة حتى ادموا جبهته الشريفة وساقيه وكسروا رباعيته وادخلوا حلق المغفر في وجهه الشريف الى غير ذلك من أفعالهم الشنيعة ، ودلالته أيضاً على أن

رسول الله (ص) لا حراك به ولا قوة حتى يخنقه عقبة خنقا شديدا ولا يقدر على تخليص نفسه ، وان ابا بكر شجاع قوي القلب والبدن والجانب حتى أخذ بمنكب عقبة ودفعه من دون ان يلاقيه بالمثل ، ام انظر الى سنده ورجاله وهم من اسوأ الرجال فان منهم عروة وابن ابن العاص الخارجيين ، ومنهم من تقدمت ترجمته في مقدمة الكتاب وهما يحي بن كثير المدلس والوليد بن مسلم مولى بني أمية الكذاب المدلس عن الكذابين ، ولا سيما في روايته عن الاوزاعي كهذه الرواية ، ومنهم محمد بن ابراهيم التيمي راوي المناكير كما قاله أحمد بن حنبل مع انه متهم في حق ابي بكر كعروة .

وأما قوله (كان يشتري المعذبين من الكفار) الى آخره فقد أجاب عنه ابو جعفر كما حكاه عنه ابن أبي الحديد (١) بعد قول الجاحظ اعتق أبو بكر جماعة من المعذبين في الله وهم ست رقاب منهم بلال وعامر بن فهيرة وزبيرة النهدية وابنتها ، ومر بجارية يعذبها عمر بن الخطاب فابتاعها منه وأعتقها وأعتق أبا عيسى ، قال أبو جعفر : (أما بلال وعامر فانما اعتقهما رسول الله (ص) روى ذلك الواقدي وابن اسحق وغيرهما ، وأما باقي مواليهم الاربع فان سامحناكم في دعواكم لم يبلغ ثمنهم في تلك الحال لشدة بغض مواليهم لهم إلا مائة درهم أو نحوها فاي فخر في هذا) .

وأما قوله (فانزل الله فيه ثاني اثنين) الى آخره فيرد عليـــه ان الاستدلال على فضله بهذه الآية بامور كلها باطلة (الأول) قوله تعالى : ثاني اثنين بدعوى دلالتـه على ان أبا بكر أحـد اثنين في الفضل والشرف ولا فضـل أعظم من كون أبي بكر قريناً للنبي (ص) في الفضل ، وفيه انه لو اريد الاثنينية في الفضل والشرف لكان النبي (ص) بلحاظ انه المراد بالثاني متأخراً رتبة عن أبي بكر في الفضل والشرف وهو كفر ، فليس المراد بثاني اثنين إلا ما هو ظاهر اللفظ اعني مجرد الاخبار عن العدد وهو لا يدل على الفضل بالضرورة (الثاني) انه جعله صاحباً للنبي (ص) والصحبة في هذا المقام العظيم منزلة عظمى ، وفيه ان الصحبة بما هي صحبة لا تدل على أكثر من المرافقة والاصطحاب وهو قد يكون بين المؤمن وغيره ، كما قال تعالى : « قال لصاحبه وهو يحاوره اكفرت

(١) ص ٢٧٤ ج ٣ .

بالذي خلقك »، وأما خصوصية المقام فلا أثر لها إلا إذا كانت لحاجة ورغبة في أبي بكر لذاته فيكون الدال على الفضل هو الرغبة في صحبة أبي بكر لذاته وهو ممنوع إذ لا اشارة في الآية الكريمة اليه ، وأخبارهم مدخولة ، على أن رواية البخاري وغيره الواردة في هجرة النبي (ص) مصرحة بأن أبا بكر هو الذي طلب الصحبة لما قال النبي (ص) قد أذن بالخروج الى المدينة ولا شك عندنا أن النبي (ص) لم يصحبه إلا خشية أن يطلع عليه أحداً حيث أحس بخروجه وجاءت به بعض روايات القوم كما نقله السيد السعيد (ره) عن أبي القاسم الصباغ من علماء الجمهور في كتابه النور والبرهان ، وكيف يكون في صحبة أبي بكر خير للنبي (ص) وقد ابتلي به فوق بلائه واحتاج الى مداراته في دفع الخوف عنه ، ولو كان لأبي بكر فضل لعبر الله سبحانه عنه ببعض الفاظ التعظيم والاكرام كالأخ والنفس ونحوهما لا بالصاحب كما عبر عن علي بالأنفس والذين آمنوا . (الثالث) انه قال له رسول الله (ص) : لا تحزن ان الله معنا أي معنا بلحاظ نصرته ورعايته لنا ومن كان شريكاً للنبي (ص) في نصرة الله له كان من أعظم الناس ، وفيه ان المقصود بالنصرة والرعاية واقعاً هو النبي (ص) وأما أبو بكر فتابع محض ولذا خصه الله تعالى بقوله : فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين الآية ، والتبعية في النصرة لأجل الاجتماع لا تدل على فضل بالضرورة . (الرابع) قوله تعالى : « فأنزل الله سكينته عليه » ، فان كثيراً من الناس قالوا : ان السكينة مخصوصة بأبي بكر لأنه المحتاج اليها لما تداخله من الحزن والهلع بخلاف رسول الله (ص) فانه عالم بأنه محروس من الله تعالى ، وفيه انه لا يتجه ارجاع السكينة الى أبي بكر لأن بعدها وأيده بجنود لم تروها ، ودعوى عدم حاجة النبي (ص) الى السكينة باطلة إذ لا يستغني أحد عن لطف الله وتأييده وتثبيت قلبه ، كما قال تعالى في قصة حنين : « وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين » ، فلما خص الله نبيه بالسكينة في آية الغار ولم يجر أبا بكر مجرى المؤمنين في ثبوت السكينة له معه كشف عما لا خفاء به عليك ، كما ان ظهور الحزن منه في موطن لا ينبغي للمؤمن حقاً ان يحزن فيه دليل على نقصانه فانه قد ظهر على يد النبي (ص) من الآيات البينة والكرامات

الظاهرة ما يشهد لكل مؤمن بالحفظ والسلامة كانبات الشجرة ونسج العنكبوت وتعشيش الطائر وخروج النبي (ص) من بين القوم في حال لا يرجى لغيره الخروج فيها ، الى غير ذلك ، فالآية من أوضح الأدلة على ذم أبي بكر لعدم ادخالها له بالسكينة ، ودلالتها على حزنه في مقام لا يحزن فيه كامل الايمان بل المؤمن ، واعراضها عن مدحه أصلا ودلالتها على حزنه المحرّم كما يقتضيه النهي ، فكيف يقاس من يحزن ويهلع مع هذه الآيات الواضحة بمن شرى نفسه ابتغاء مرضاة الله وبات على زي النبي (ص) بين من يطلبون سفك دمه ولا يرجى منهم الخروج .

(فان قلت) يرد النقض على بعض ما ذكرته بما جاء في الأنبياء قال تعالى : « فأوجس في نفسه خيفة موسى قلنا لا تخف » فان موسى مع نبوته وعظيم شأنه وثبات ايمانه ووعد الله له ولأخيه بأن يجعل لهما سلطاناً وانهم لا يصلون اليهما وانهما ومن اتبعهما الغالبون أوجس في نفسه خيفة حتى نهاه الله تعالى ، فكيف ينكر على أبي بكر حزنه عند ظهور الآيات له ، وايضاً فقد نهى الله سيد رسله فقال : « ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون » . وقال تعالى : « ومن كفر فلا يحزنك كفره » . وقال تعالى : « قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون فلا يحزنك قولهم » . فكيف يلام ابو بكر وينكر عليه وهو من امته (قلت) : أما موسى فلم يحزن خوفاً على نفسه أو من عدم غلبته بل خاف ايقاع السحرة في أوهام البسطاء امكان معارضة آياته تشبثاً في مقام الجدال بالامور الصورية الكاذبة ، فيعسر عليه الانتصار والغلبة سريعاً ، ولذا قال سبحانه : « لا تخف انك أنت الأعلى إنما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى » فليس نهيه نهي تحريم بل للتطمين بالنصر السريع بالقاء عصاه ، ومنه يعلم الوجه في قوله تعالى : « ولا تك في ضيق مما يمكرون » . وقوله سبحانه : « ولا يحزنك قولهم » . وأما نهي الله تعالى له عن الحزن على الكافرين وكفرهم فالمراد به التنبيه على عدم الاعتناء بهم وعدم استحقاقهم للحزن والأسف عليهم باهلاكهم أنفسهم كما قال تعالى : « ولا تذهب نفسك عليهم حسرات » . وهذا هو ظاهر الآيات بلا حاجة الى تكلف بخلاف نهي أبي بكر، على أن تلك الآيات لو لم تكن ظاهرة بما قلنا فلابد من حملها عليه للعلم بكمال الأنبياء وعصمتهم

بخلاف أبي بكر ولا سيما مع سهولة الحمل في تلك الآيات دون ما يتعلق بأبي بكر ، بل هو متضح الحال وان حزنه لاشفاقه من القتل كما تدل عليه الأخبار .

وأما قوله : « واثنى عليه في كتابه العزيز في مواضع عديدة » ، فهو كذب مفترى بدليل ما رواه البخاري في سورة الأحقاف من كتاب التفسير عن يوسف بن ماهك : « ان مروان قال : ان هذا يعني عبد الرحمن بن أبي بكر الذي أنزل الله فيه والذي قال لوالديه أُف لكما أتعدانني ، فقالت عائشة من وراء الحجاب : ما أنزل الله فينا شيئاً من القرآن إلا ان الله أنزل عذري » . إذ لو نزلت آية في مدح أبيها لاستثنتها أيضاً ، فمن أين جاؤا بالآيات العديدة ، ولا ينافي هذا العموم آية الغار لنزولها في رسول الله (ص) ولكنها دلت على خطابه لأبي بكر وهو ليس نزولا فيه ، وأشهر ما زعموا نزوله في أبي بكر قوله تعالى : « وسيجنبها الأتقى الذي يؤتي ماله يتزكى وما لاحد عنده من نعمة تجزى » رووا ذلك عن عروة وعبد الله ابني الزبير ، وهو مع كونه عن رأيهما قول محل التهمة وأعدى عدو لعلي وممن حاربه يوم الجمل ، وقد مرَّ ان بغضه فضلا عن حربه علامة النفاق والمنافق فاسق لا يقبل رأيه في التفسير وروايته ، ولا كرامته ، على انه معارض برواية اخرى فقد رووا نزولها في علي (ع) أو أبي الدحداح أو غيرهم ، وقال ابن حجر في الصواعق (١) : « ولا يمكن حملها على علي خلافاً لما افتراه بعض الجهلة لأن قوله وما لا حد عنده من نعمة تجزى يصرفه عن حمله على علي لأن النبي رباه فله عليه نعمة أي نعمة تجزى واذا خرج علي تعين أبو بكر للاجماع على ان ذلك الأتقى أحدهما لا غير » وأقول : تكرر هذا الكلام بينهم وتشدقوا به وهو جهل وتعصب إذ ليس المراد بقوله تعالى : « وما لا حد عنده من نعمة تجزى » : هو الثناء على الأتقى بأنه لا يد لأحد عنده إذ لا يوجد أحد من بني آدم إلا ولأحد نعمة عليه إذ لا أقل من أحد أبويه أو غيرهما من المربين والكافلين سواء في ذلك علي أم أبو بكر أم غيرهما ، بل المراد هو الثناء عليه بأنه لم ينفق ماله لأجل مكافأة أحد بنعمة له عليه ، بل انفق ماله ابتغاء وجه ربه الأعلى ، ولذا صح الاستثناء في الآية فانه لا معنى لاستثناء قوله : إلا ابتغاء وجه

(١) في الفصل ٢ من الباب ٣ .

ربه الأعلى من مجرد مدح الشخص بأن لا يد لأحد عليه ، ثم كيف جاز لهم أن ينفوا نعمة رسول الله (ص) على أبي بكر ألم ينعم عليه بدعوته الى الاسلام ورفع شأنه ، ألم ينعم عليه بالغنائم وغيرها ! وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله .

وأما قوله : « ولم يقدر أحد من الشيعة أن يدعي أن رسول الله (ص) غزا غزوة وتخلف عنه أبو بكر » ، افلو صح فهم يقدرون على اثبات تخلفه عن أمر النبي (ص) في الخروج تحت لواء اسامة، ويقدرون على اثبات انه ما قاتل ولا همّ بقتال إلا مرة واحدة كما رواه القوم لما تقدم ابنه عبدالرحمن في غزاة أُحد وطلب المبارزة فقام اليه ابوبكر فقال له النبي (ص) : شم سيفك وامتعنا بنفسك مشيراً الى جبنه ، مع حنو الولد على أبيه ، ويقدرون على اثبات انه فر في مقامات الزحام كخيبر وأُحد وحنين كما سبق نقله من أخبارهم وتستر بالعريش في بدر فأي فائدة في عدم تخلفه .

وأما قوله : « واجماع الأُمة على ان رسول الله (ص) كان يقدمه على أصحابه ويفضله عليهم » فهو من مخيلات امة أبي بكر وتسويلاتهم .

وأما ما نقله عن محمد بن الحنفية فهو مما رقمه قلم الاهواء ولا حجة لهم بنقلهم على خصومهم ، وكيف يفضّله امير المؤمنين (ع) وهو مولى المؤمنين والمؤمنات ، وقال في خطبته الشقشقية : « لقد تقمصها ابن ابي قحافة وهو يعلم ان محلي منها محل القطب من الرحى ينحدر عني السيل ولا يرقى إلي الطير » ، وما زال يتظلم منه ومن اصحابه .

وأما ما حكاه عن ابن عمر فقد سبق انه من موارد الطعن عليه ومن كذباته الواضحة ، فهل ترى أعجب من ابن عمر يسمع نداء آية المباهلة بأنه نفس سيد النبيين وآية التصدق بأنه مع الله ورسوله ولي المؤمنين الى امثالها من الكتاب والسنة ثم يجعله من سائر المسلمين ويجعل فضل أبيه وصاحبيه مفروغاً عنه ما هذا إلا الغي والحمق

وبما ذكرنا من بيان حال صحاحهم في المقدمة وغيرها تستغني عن التعرض لبقية ما ذكره الفضل من الأحاديث والتكلم في أسانيدها ومتونها ومعارضاتها .

وأما ما زعمه من جعل رسول الله (ص) لأبي بكر إماماً في الصلاة تلويحاً الى خلافته وانه صلى بهم أيام مرضه ، فهو من كذباتهم ، والحق انه لم يصل بالناس إلا

في صلاة واحدة وهي صلاة الصبح تلبس بها بأمر ابنته ، فعلم رسول الله (ص) ، فخرج يتهادى بين علي والعباس أو ابنه الفضل ، ورجلاه تخطان في الأرض من المرض ومما لحقه من تقدم أبي بكر ومخالفة أمره بالخروج في جيش اسامة ، فنحاه النبي (ص) وصلى ثم خطب وحذر الفتنة ، ثم توفى من يومه ، وهو يوم الاثنين ، وقد صرحت بذلك اخبارنا ودلت عليه اخبارهم لافادتها ان الصلاة التي تقدم فيها هي التي عزله النبي عنها وانها صبح الاثنين وهو الذي توفي فيه ، أما (الأول) فلما رواه مسلم (١) عن عائشة قالت : « لما ثقل رسول الله (ص) جاء بلال يؤذنه بالصلاة فقال : مروا أبابكر فليصل بالناس ، قالت : فقلت : يا رسول الله (ص) ان ابا بكر رجل أسيف وانه متى يقم مقامك لم يسمع الناس فلو أمرت عمر ، فقال : مروا أبا بكر فليصل بالناس ، قالت : فقلت لحفصة : قولي له ان أبا بكر رجل أسيف وانه متى يقم مقامك لا يسمع الناس فلو أمرت عمر ، فقالت له ، فقال رسول الله (ص) انكن لأنتن صواحب يوسف مروا أبا بكر فليصل بالناس ، قالت : فأمروا أبا بكر يصلي بالناس ، فلما دخل في الصلاة وجد رسول الله (ص) من نفسه خفة فقام يهادي بين رجلين ورجلاه تخطان في الأرض فلما دخل المسجد سمع ابو بكر حسه فذهب يتأخر فأومأ اليه رسول الله (ص) فجاء رسول الله حتى جلس عن يسار ابي بكر فكان ابو بكر يصلي قائماً وكان رسول الله يصلي قاعداً يقتدي ابو بكر بصلاة رسول الله والناس يقتدون بصلاة ابي بكر » ، ورواه البخاري (٢) ونحوه (٣) ، وهو كما تراه صريح في ان اول صلاة صلاها ابوبكر هي التي عزله النبي (ص) عنها ، وتدل عليه اخبار اخر ايضاً .

وأما (الثاني) وهو انها صبح يوم الاثنين فلما رواه الطبري (٤) عن عبد الله ابن ابي مليكة قال : « لما كان يوم الاثنين خرج رسول الله (ص) عاصباً رأسه الى الصبح وأبو بكر يصلي بالناس فلما خرج رسول الله (ص) تفرج النـــاس فعرف

(١) في باب استخلاف الامام اذا عرض له عذر من كتاب الصلاة . (٢) في باب الرجل يأتم بالامام ويأتم الناس بالمأموم من أبواب صلاة الجماعة . (٣) في باب قبل الباب المذكور . (٤) في تاريخه ص ١٩٦ ج ٣ .

أبو بكر ان الناس لم يفعلوا ذلك إلا لرسول الله (ص) فنكص عن مصلاه فدفع رسول الله (ص) في ظهره وقال صل بالناس وجلس رسول الله (ص) الى جنبه فصلى قاعداً عن يمين أبي بكر فلما فرغ من الصلاة أقبل على الناس وكلمهم رافعاً صوته حتى خرج صوته من باب المسجد يقول : يأيها الناس سعرت النار وأقبلت الفتن كقطع الليل المظلم واني والله لا تمسكون عليَّ شيئاً اني لم احل لكم إلا ما احل لكم القرآن ولم احرم عليكم إلا ما حرم عليكم القرآن » الحديث .

وأما (الثالث) هو انها في يوم وفاة النبي (ص) فلما حكاه في كنز العمال (١) عن ابن جرير عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه قال : « صلى أي النبي (ص) في اليوم الذي مات فيه صلاة الصبح في المسجد » وما في الكنز ايضاً (٢) عن أبي يعلى في مسنده وابن عساكر عن انس قال : « لما مرض رسول الله (ص) مرضه الذي مات فيه أتاه بلال فآذنه بالصلاة فقال : يا بلال قد بلغت فمن شاء فليصل ومن شاء فليدع ، قال : يا رسول الله فمن يصلي بالناس ؟ قال : مروا أبا بكر فليصل بالناس ، فلما تقدم ابو بكر رفعت الستور عن رسول الله فنظرنا اليه كأنه ورقة بيضاء عليه خميصة سوداء ، فظن ابو بكر انه يريد الخروج ، فتأخر ، فأشار اليه رسول الله (ص) أن صل مكانك فصلى أبو بكر فما رأينا رسول الله (ص) حتى مات من يومه » . ومنه ما في الكنز ايضاً (٣) عن ابي الشيخ في الأذان عن عائشة قالت : « ما مرَّ عليَّ ليلة مثل ليلة مات رسول الله (ص) يقول : يا عائشة هل طلع الفجر ؟ فأقول : لا يا رسول الله حتى اذن بلال بالصبح ثم جاء بلال فقال : السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته الصلاة يرحمك الله ، فقال النبي : ما هذا ؟ فقلت : بلال ، فقال : مري أباك أن يصلي بالناس » .

فقد ثبت من جميع ما ذكرنا ان اول صلاة تقدم فيها أبو بكر هي التي عزله النبي (ص) عنها وانها صبح يوم الاثنين الذي توفي فيه ولم يتقدم في غيرها ، فما في بعض أخبار عائشة من أن الصلاة التي تأخر فيها أبو بكر عن النبي (ص) هي الظهر وانه صلى بالناس في مرض النبي (ص) أياماً مردودة بالأخبار المذكورة ، مع انها ليست حجة علينا ، ولاسيما

(١) ص ٦٠ ج ٤ .   (٢) ص ٥٧ ج ٤ .   (٣) ص ٥٨ ج ٤ .

ان النبي ﴿ ص ﴾ قد نبز عائشة وصاحبتها بأنها صواحب يوسف ، وهي ايضاً محل التهمة في حق أبيها ، وأقرت بكذبها في المقام بما أظهرته من سبب الاستعفاء : فانها تقول في كثير من أخبارهم ما حملني على كثرة مراجعتي إلا اني كنت أرى أنه لن يقوم أحد مقام النبي ﴿ص﴾ إلا تشاءم الناس به ، ثم هذا ونحوه كيف تعتبر روايتها وتقدم على مايخالفها كما لا نعتبر خبرها بأن النبي ﴿ ص ﴾ هو الآمر بتقديم أبي بكر بل إنما أمر أن يصلي بالناس بعضهم فانتهزت عائشة الفرصة فأمرت بتقديم أبي بكر ، كما يشهد له خبر عائشة السابق في رواية أبي الشيخ حيث أخبرت في آخره بأن النبي قال : مري أباك أن يصلي بالناس ، فانه كاشف عن أن الأمر بتقديم أبيها قد صدر منها ، لكن ادعت انه عن أمر النبي ﴿ص﴾ ، ويشهد لعدم تعيين النبي ﴿ص﴾ للمصلي ما في الاستيعاب بترجمة أبي بكر عن عبدالله بن زمعة قال : « قال النبي ﴿ ص ﴾ : مروا من يصلي بالناس » ، لكن زعم ابن زمعة « انه أمر عمر بالصلاة فلما كبَّر سمع رسول الله « ص » صوته قال : فأين أبو بكر يأبى الله ذلك والمسلمون » ، وهو غير مقبول منه لأنه يقتضي قطع صلاة عمر وتأخيره وتقديم أبي بكر وهو حادث كبير لو صح لشاع ، ويشهد ايضاً لعدم تعيين النبي « ص » للمصلي بالناس ما اخبر به أنس في الرواية المذكورة ان النبي « ص » قال : « يا بلال قد بلغت فمن شاء فليصل ومن شاء فليدع » ، فان مراد النبي « ص » هو التخيير في أمر الجماعة والامامة لا اصل الصلاة بالضرورة ، وحينئذ فيكون خبر الراوي في تتمة الحديث بأن النبي « ص » قال : مروا أبا بكر فليصل بالناس ، من الاضافات التي قضت بها السياسة .

وكيف يجتمع زعمهم ان النبي « ص » هو الآمر بتقديم أبي بكر وانه صلى بالناس أياماً مع جعله من جيش اسامة ولعن من تخلف عنه ، و (ايضاً) لو كان النبي « ص » هو الآمر المصر على تقديم أبي بكر وقد قصد التلويح الى خلافته فما معنى خروجه «ص» بأول صلاة صلاها أبو بكر وعزله عن الجماعة وهو بتلك الحال الشديدة المشجية تخط رجلاه في الأرض ويتهادى بين رجلين حتى صلى بالناس من جلوس صلاة المضطرين ، فلابد أن يكون مريداً بخروجه المستغرب رفع ما لبسوه على الناس من ان رسول الله

صلى الله عليه وآله هو الآمر بتقديمه ، و (ايضاً) لو كانت صلاته بأمر النبي « ص » وصلى بالناس أياماً لا صلاة الصبح فقط فلم لم يحضر صلاة النهار يوم وفاة النبي « ص » بل كان بمنزله في السنح ، و (ايضاً) لو كانت صلاته بأمر النبي « ص » ومرغوبة له ومريدا بها التلويح الى خلافته التي يعلم بوقوعها وانها على الهدى كما زعموا فما الذي حدث حتى خرج على تلك الحال وخطب تلك الخطبة العالية وقال: سعرت النار وأقبلت الفتن، فالمنصف يعلم من هذا ان صلاة أبي بكر لم تكن عن امره بل كانت فتنة اتخذها اولياؤه حجة وكانت اول نار سعرت على الحق وفتنة مظلمة . ولذا لم يعتد بها رسول الله «ص» وصلى مبتدئاً فانه لو صلى اماماً لهم من حيث وصل اليه ابو بكر لخلت صلاته على الأقل من تكبيرة الافتتاح فتبطل ؛ فاذا كان مبتدئاً تعين أن يكون الناس قد ابتدؤا معه غير معتدين بصلاة ابي بكر وإلا كانوا سابقين على النبي « ص » في بعض أفعال الصلاة وهو غير جائز في الجماعة ، ومن الواضح ان عدم اعتداد النبي « ص » بصلاة أبي بكر دليل على انها ليست بأمره وانها أول فتنة أصابت الاسلام .

هذا ومن الأوهام والخيالات زعمهم ان النبي « ص » قدمه في الصلاة تلويحاً الى خلافتـــه والحال ان امامة الصلاة عندهم لا يعتبر فيها العدالة فضلاً عن الاجتهاد ونحوه من شروط الامامة العامة ؛ فكيف تكون تلويحاً الى الزعامة العظمى والرياسة الكبرى .

وأعجب من ذلك ما كذبوا فيه على اميرالمؤمنين « ع » انه قال كما في الاستيعاب : رضينا لدنيانا من رضى رسول الله « ص » لديننا ، إذ مع معلومية تظلم امير المؤمنين منهم وسخطه عليهم الى حين وفاته كيف يجعل الخلافة من أمر الدنيا ويجعـل الرضا بها تابعاً للرضا بامامة الصلاة التي تجوز حتى للفاجر بزعم القوم .

وأعجب من الجميع زعم الفضل معارضة ما دل على خلافة امير المؤمنين بما اشير فيه الى خلافة أبي بكر فان هذا من اخبارهم فلا يكون حجـة على خصومهم حتى يوجب المعارضة ، ولا سيما انهم اقروا بأن النبي « ص » لم يخلف أبا بكر ورووه عن عمر مستفيضاً فيلزم تكذيب ذلك أو تأويله ، ويبقى ما دل على خلافة اميرالمؤمنين بلا معارض مع ان ما زعموا الاشارة فيه الى خلافة ابي بكر نادر لا يصلح للمعارضـة وغير دال

على مرادهم أصلا ، إذ لا دلالة أصلا في خبر جبير بن مطعم على ان الشيء الذي كلمت المرأة فيه النبي ﴿ ص ﴾ من الأشياء التي مرجعها السلطان كما لا دلالة بقولها لم أجدك على ارادة الموت ، وقول جبير كأنها تريد الموت ظن أو احتمال والظن لا يغني من الحق شيئاً .

وأما ما رووه عن عائشة من قول النبي ﴿ص﴾ في مرضه : « ادعي لي أباك وأخاك » الى آخره ، فقد كفانا أمره عمر بقوله : « ان النبي ﴿ ص ﴾ - وحاشاه - يهجر » مع احتمال ان يريد النبي ﴿ ص ﴾ ان يعطيه مالاً ويكتب له فيه أو يكتب له في الصلاة بالناس التي زعموا أمر النبي ﴿ ص ﴾ بها أو نحو ذلك ، على ان هذا الحديث مقطوع الكذب إذ كيف يتصور ان يأمر النبي ﴿ ص ﴾ عائشة بدعوة أبيها وتحتمل أن يكتب له بالخلافة فلا تحضره والحال انها تدعوه بلا دعوة ، اخرج الطبري في تاريخه (١) عن الأرقم ابن شرحبيل قال : « سألت ابن عباس أوصى رسول الله ﴿ ص ﴾ ؟ قال : لا ، قلت : فكيف ذلك ، قال : قال رسول الله ﴿ ص ﴾ : ابعثوا الى علي فادعوه ، فقالت عائشة : لو بعثت الى ابي بكر ، وقالت حفصة : لو بعثت الى عمر ، فاجتمعوا عنده جميعاً فقال رسول الله ﴿ ص ﴾ انصرفوا فان تك لي حاجة أبعث اليكم فانصرفوا » . ونقل السيوطي في اللئالي المصنوعة عن الدارقطني انه أخرج عن عائشة قالت : « لما حضر رسول الله ﴿ ص ﴾ الموت قال : ادعوا لي حبيبي فدعوت له ابا بكر فنظر ثم وضع رأسه ، فقال : ادعوا لي حبيبي فدعوا له عمر فنظر اليه ثم وضع رأسه ، وقال : ادعوا لي حبيبي ، فقلت : ويلكم ادعوا له علي بن ابي طالب فوالله ما يريد غيره ، فلما رآه أفرد الثوب الذي كان عليه ثم أدخله فيه فلم يزل محتضنه حتى قبض ويده عليه » ، ثم نقل السيوطي عن ابن الجوزي انه قال موضوع ولم يذكر له دليلا ، ثم نقل عن الدارقطني انه قال : غريب تفرد به مسلم بن كيسان الأعور ، وتفرد به عن ابنه (٢) اسماعيل بن أبان الوراق ، ثم قال السيوطي مسلم روى له الترمذي وابن ماجة وهو متروك ، واسماعيل بن أبان من شيوخ البخاري ، ثم قال : وله طريق آخر وأنهاه الى ابن عمر ، قال : « ان رسول الله ﴿ ص ﴾

(١) ص ١٩٥ ج ٣ . (٢) أي تفرد اسماعيل عن ابن مسلم وهو عبد الله .

قال في مرضه : ادعوا لي أخي فدعوا له أبا بكر فأعرض عنه ، ثم قال : ادعوا لي أخي فدعوا له عمر فأعرض عنه ، ثم قال : ادعوا لي أخي فدعوا له عثمان فأعرض عنه ، ثم قال : ادعوا لي أخي فدعوا له علي بن ابي طالب فستره بثوب وأكب عليه فلما خرج من عنده قيل له : ما قال ؟ قال : علمني الف باب يفتح لي من كل باب الف باب » اقول : مضمون الحديث معتبر لاعتضاد طرقه بعضها ببعض ولاسيما انمناقشة الدارقطني باسماعيل ليست في محلها لأنه ممن احتج به البخاري في صحيحه ووثقه عامة علمائهم حتى الدارقطني في احدى الروايتين عنه كما في تهذيب التهذيب ، واما مسلم بن كيسان فدعوى انه متروك غير مسموعة كيف وقد اخرج له الترمذي وابن ماجة في صحيحيهما وروى عنه عدة عديدة وفيهم أكابر رواتهم كشعبة والثوري والحسن بن صالح وعلي بن مسهر والأعمش وسفيان بن عيينة وابن فضيل واسرائيل وشريك وورقاء ومحمد بن جحاده وزياد وعلي ابن مسهر وعلي بن عباس وجرير بن عبد الحميد وغيرهم كما في تهذيب التهذيب .

وأما قوله : « والاجماع فضل زائد » الخ . فقد سبق ما في دعوى الاجماع في اوائل مباحث الامامة .

وأما قوله : « ولما سمع المنافق ان هؤلاء مطعونون فرح » الى آخره . ففيه ان المنافق يعلم ان صاحب الدين ومؤسسه هو رسول الله (ص) خاصة فلا طعن في الدين إلا بالطعن به نفسه دون آحاد أمته أو جميعها ، ولذا طعن الله سبحانه بالأمة فيما كان منه نقصاً في نبيه الكريم قال سبحانه : « افإن مات او قتل انقلبتم » الآية . ونحن ما زدنا على هذا الطعن ، على ان المنافق لايرى فرقاً بين المشايخ الثلاثة وعبد الملك والمنصور والرشيد واشباههم ممن فتحوا الفتوح ومصروا الأمصار واتخذهم القوم ائمة وامراء للمؤمنين ، فكما لا يجوز منا ترك القول بالحق في الآخرين لأجل ان لايفرح المنافق لا يجوز منا تركه في الأولين ، ولو أنصف المنافق لرأى ان من دلائل صحة الاسلام فساد امرائه وهو لا يزداد إلا رفعة وسناءا .

ثم ان الطعن لو صح لم يختص بأمة نبينا (ص) هو جار في الامم السالفة كما في أمر السامري وبلعم وغيرها وكل ما جرى في أمة نبينا (ص) جرى في الامم السابقة

حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة كما صرحت به اخبارنا واخبارهم ، فهل يحسن من الخصم ترك القول في السامري وأمثاله لئلا يفرح المنافق حتى يحسن منا ترك القول بأشباههم ثم ما باله لم يوجه الاعتراض أولاً الى امامه معاوية حيث نسب الى أخ النبي صلى الله عليه وآله ونفسه ومن كان منه بمنزلة هرون من موسى كل مكروه وسبه على المنابر والمنابر فكان اللازم عليه أن يدعو أولاً بعدم الفلاح على معاوية وسائر بني أمية وأشياعهم ، ولو دعا لأمنا وحمدنا الله على ذلك .

تم الجزء الثاني ويليه الجزء الثالث



فهرس الجزء الثاني من دلائل الصدق

(المسألة الخامسة ـ في الامامة ، وفيها مباحث :)

صفحة

(تعيين امامة علي بالقرآن) وهي آيات :

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

استدراكات على الجزء الأول

١ — في صفحة ١٠٢ سطر ٧ يرجى بعد كلمة « والأطراف » أن تضاف هذه العبارة (وإن شئت قلت لو وضع جزء على جزء فان لاقاه بكله لزم التداخل وعدم زيادة الحجم وإن لاقاه ببعضه ثبتت التجزئة) .

٢ — في آخر صفحة ٤٣٤ سجل تأريخ الطبع خطأ في سنة (١٣٨٩) والصحيح انه سنة (١٣٦٩) يرجى تصحيح نسختك .